

ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ ⲛⲓⲛⲁⲛⲓⲧ ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ
ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ
ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ
ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ
ⲧⲟⲘⲁⲛⲓⲧ



جامعة محمد الخامس – اكڭال
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية
الرباط

Université Mohammed V- Agdal Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales -
Rabat

أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام

الأبعاد المحددة للعلاقات المغربية الاسبانية

تحت إشراف :

الدكتور الحسن بوقنطار

من إعداد الطالب:

علي لكرمز

لجنة المناقشة

رئيسا ومشرفا

عضوا

عضوا

عضوا

الدكتور الحسن بوقنطار

الدكتور أحمد بوجداد

الدكتور محمد زكرياء أبو الذهب

الدكتور جمال مشروح

السنة الجامعية: 2019

إهداء إهداء

إلى:

ليلى

حمدي، كعب وأميرة

شكر وامتنان شكر وامتنان

أتوجه بخالص الشكر والامتنان لأستاذي الدكتور الحسان بوقنطار، لسعة صدره في تتبع هذا العمل من خلال الوقوف على مثالبه وتصويب هناته. وعلى ما أظهر من أخلاق رفيعة طيلة مدة إنجازهِ، فقد كان لأيديهِ البيضاء بالغ الأثر في الوصول به إلى بر الأمان.

الشكر أيضا لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ أحمد بوجداد؛ الأستاذ محمد زكرياء أبو الذهب؛ والأستاذ جمال مشروح. لقبولهم مناقشة هذه الأطروحة.

كما أن هذا العمل لم يكن ليتم لولا تشجيعات وتضافر جهود الكثير من الأقارب والأصدقاء.

فليجدوا هنا أسمى عبارات التقدير والشكر والامتنان.

علي لكرمز

﴿الحقيقة العلمية تبتعد أمامنا بقدر ما نلاحقها.
لكن المهم هو بالضبط الحرص على الملاحقة﴾
عبد الله العروي¹

¹ - " المنهجية في الآداب والعلوم الإنسانية" عمل مشترك، دار توبقال، الطبعة الثانية 1993 ص:13.

مقدمة:

بالتعاطي مع الكتابات حول العلاقات المغربية الإسبانية، يجد الباحث نفسه أمام أوصاف وعناوين من قبيل: الجوار الصعب²، الجوار المعقد³، الجوار المقلق⁴، الجوار المقرف⁵، الجوار الكابوس⁶. وغيرها من الأوصاف التي تجعل الأبواب مشرعة أمام الفضول المعرفي، حيث تغري بمحاولة فهم وسبر كنه هذه العلاقات.

كما أن الملاحظة الأخرى التي تسترعي الإهتمام في خضم تناول العلاقات المغربية الإسبانية، هي الإهتمام الإسباني المتصاعد في مختلف الجامعات ومراكز البحث بدراسة وتناول الجانب المغربي. الأمر الذي أصبح يشكل نوعاً من الموجة والموضة المعرفية والفكرية، قد لا تكون وليدة اليوم. فقد نشر "روضولفو خيل"⁷ في ثمانينيات القرن الماضي فهرساً ضم قوائم الكتب والمقالات العلمية التي تناولت المغرب بالدارسة والتحليل في الفترة ما بين 1850 و1980 أظهرت أن مجمل ما كتب في الفترة المذكورة عن الشأن المغربي بلغ 16172 نصاً علمياً⁸. وقد أفرزت هذه الظاهرة المعرفية، أسماء بارزة ولجت فئة النخبة والحقل العلمي بالجارة الشمالية من خلال البوابة المغربية والدراسات المغاربية.

ولعل من أهم الأسماء في هذا الإطار: المؤرخة مارية روسادي ماداريغا، المؤرخ إلوي مارتين كوراليس، بير نابي لوبيز غارسيا وميغيل إيرناندودي لاراميندي من بين آخرين كثير.

² - الحسان بوقطار : " السياسة الخارجية المغربية الفاعلون والتفاعلات "، بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2002، الرباط ص: 153.

FILALI ABDELATIF: "Le Maroc et le monde Arabe" Editions ; Scali, Paris , 1^{ère} édition 2008 P:57.

³ - MIGUEL .H.DE LARRAMENDI: " España -Marruecos: una vecindad compleja " Afkar/Ideas , N°01, Madrid 2003. P:46.

- ALEJANDRO DEL VALLE GALVEZ : "España-Marruecos : Nuevos y viejos Paradigmas de una relacion en un mundo en mutacion" in: J.J. SANCHEZ SANDOVAL Y EL FATIHI ABDERRAHMAN (eds): "Relaciones España –Marruecos : Nuevas perspectivas y enfoques" Impresión : Artes Gráficas Nuevas , 1^{ra} edición, Marzo, 2007 P:46 .

⁴ - JAVIER VALENZUELA y ALBERTO MASEGOSA : " la ultima frontera : Marruecos el vecino inquietante" Temas de Hoy , 1996.

⁵ - ZAKYA DAOUD : " Gibraltar: improbable frontière : de Colomb aux clandestins" collection : les colonnes d'HERCULE Editions : séguier, Paris ,2002 P: 123.

⁶ - EL AMRANI ABDELLAH : "Cohabitation" la vérité, N° 457 du 28 Mai au 03 Juin 2011 P:05.

⁷ - روضولفو خيل بن أمية: صحفي، مستعرب، مؤرخ متخصص في تاريخ الأندلس ومحلل.

⁸ - محمد العربي المساري : "إسبانيا الأخرى"، منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، الطبعة الأولى 2015، ص: 147.

علما أن هذه الكتابات قد شملت مختلف المجالات العلمية خاصة: الاستشراق الإسباني في دراسته للحضارة العربية الإسلامية في شقها المغربي⁹. الإسهامات التاريخية التي استأثر باهتمامها: الوجود الإسباني في المنطقة الشمالية، حرب الريف والمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية¹⁰. والدراسات الصحراوية في جانبها الأنثروبولوجي والتاريخي والقانوني¹¹. ناهيك عن الكتابات الصحفية التي جعلت من المغرب مادة للإثارة.

يضاف إلى ذلك كله، أعدادا مهمة من الأطاريح الأكاديمية التي جعلت من المغرب والعلاقات المغربية الإسبانية إشكالية دراستها. ونسجت الفرضيات العلمية حول إمكانيات التعاون الثنائي وإكراهات الواقع الدولي وميكانيزمات اشتغال آليات إتخاذ القرار الخارجي في الضفتين¹².

فأمام هذا الواقع، لابد من مجهود وعمل فكري مقابل من الضفة الجنوبية يساهم في فهم والتقدم بهذه العلاقة من وجهة نظر مغايرة. حيث نجد من الجانب المغربي عسر في الكتابة عن الطرف الإسباني، وعن محاولة كشف الغطاء عن واقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ففي كثير من الأحيان نجد تناولات صحفية لأقلام تخصصت في العلاقات المغربية الإسبانية¹³ بما تحمله الكتابة الصحفية من مثالب وقصور، تتمحور حول مراكمة

⁹- من بين أهم المستشرقين الإسبان نذكر "ميغيل أسين بلاسيو" وخوليان ريبيرا".

¹⁰- من بين الكتابات في هذا المجال والتي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة:

- ELOY MARTIN CORRALES (ed) : "Marruecos y el colonialismo español [1859-1912] : de la guerra de Africa a la penetración pacífica", Edicions Bellaterra , 2002 , Barcelona .

- J.A GONZALEZ ALCANTUD (ED) : "Marroquies en la guerra civil española : campos equivocados" Anthropos Editorial; Barcelona , 2003.

¹¹- RAFAEL VINES TABERNA : " Notas históricas sobre el sahara occidental " Ediciones del CABILDO DE CANARIA, 2003 من بين آخرين

¹²- من بين الأطاريح الأكاديمية:

- ميغيل هيرناندو دي لارامندي : " السياسة الخارجية للمغرب"، ترجمة عبد العالي بروكي، سلسلة ضفاف منشورات الزمن، الطبعة الأولى، 2005.

- وفي دراسة للنخب البرلمانية المغربية نجد:

- M ANGUSTIAS PAREJO FERNANDEZ : " las elites políticas marroquies : los parlamentarios: 1977 – 1993", Ediciones: Mundo Arabe e Islam ; Madrid ;1999.

- وفي نظرة الصحافة الإسبانية للحراك السياسي في المغرب نجد:

- INMACULADA SZMOLKA VIDA : "Marruecos ; 1984 – 1999 : Dinamicas políticas internas y su representación en el diario El Pais", Siglo XXI de España Editores, Madrid, 2007.

من بين عشرات الأعمال الأكاديمية التي لا يتسع المجال لجردها كاملة.

¹³- من بين الأقلام الصحفية المغربية التي تخصصت واهتمت بالجارة الشمالية هناك، بوغالب العطار، محمد العربي المساري، حسين مجدوبي، ونبيل دريوش.

المعلومات، التسرع في قراءة الأحداث والاندفاع نحو استخلاص النتائج.

ويبقى الإطار الطاعني في الدراسات المغربية للجانب الإسباني، هو التناول التاريخي لعلاقات البلدين. وقد برز في هذا المضمار مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. الذي اهتم بقضايا طرد الموريسكيين والحضارة الأندلسية¹⁴. في محاولة لتجاوز النظرة الرومنسية للإرث الأندلسي في اتجاه دراسته على هدى من المناهج الحديثة. متمما بذلك ما بدأت كليات الآداب بشعبها الإسبانية من دراسات تاريخية وأدبية على الخصوص¹⁵.

وبناءً على ما سبق، تستمد هذه الدراسة أهميتها من المساهمة في خلق تراكيم معرفي أكاديمي، ينبع من إيمان بضرورة ملء النقص على مستوى الضفة الجنوبية في الأبحاث والأطاريح التي تتناول إشكالات العلاقات المغربية الإسبانية بالدرس والتحليل. وتثري النقاش من زاوية نظر ومنطلقات قد تكون غير تلك التي تحرك الباحث الإيبيري.

ومن المفيد من جهة أخرى الإشارة إلى أن هذه الدراسة حول العلاقات المغربية الإسبانية يؤطرها بشكل عام الواقع الدولي لما بعد الثنائية القطبية - la post bipolarité

ومتاهة الأحداث وتسارعها¹⁶. حيث أصبح بمقدور الكل التواصل مع الكل في زمن التأثير المعلوماتي وتطور وسائل الإتصال، وأهمية شبكات التواصل الاجتماعي وإعلاء شأن الإعلام الموازي. بشكل إنهارت معه الفواصل الجغرافية بحيث لم تعد الطبيعة عائقاً أمام التفاعل بمختلف جوانبه. وأصبح هناك "مجتمع دولي" في وارد البناء والتأسيس¹⁷.

بموازاة مع بروز الهويات الجماعية ذات النزوع العرقي والديني، ما شكل عودة قوية

¹⁴ - وذلك من خلال سلسلة المعرفة الأندلسية التي تهتم بنشر المساهمات العلمية حول التاريخ المشترك للضفتين. وسلسلة دراسات أندلسية التي عنيت بجمع شتات الدراسات حول الحضارة الأندلسية ومحنة الموريسكيين.

¹⁵ - لقد ساهمت شعب دراسة اللغة والأدب الإسبانيون في كليات الآداب المختلفة في المملكة في دراسة العلاقات المغربية الإسبانية من جوانبها التاريخية والأدبية والحضارية من خلال الأطاريح والندوات التي أشرفت عليها والتي شكلت مادة دسمة لهذه الدراسة. وهو مجهود يقف خلفه ثلة من الأساتذة من أمثال: المؤرخ محمد بن عزوز حكيم، عبد الواحد أكيمير، عبد المجيد بن جلون، مصطفى مرون من بين آخرين.

¹⁶ - BERTRAND BADIE ET MARIE CLAUDE SMOUTS : "le retournement du monde : sociologie de la scène internationale", presse de la Fondation nationale des sciences politiques ed DALLOZ, P :11.

¹⁷ - BERTRAND BADIE : "Le diplomate et l'intrus : l'entrée des sociétés dans l'arène internationale" Fayard, 2008, P : 9 .

للتقافات والثقافات المتزايد للمقدس في المسرح الدولي¹⁸. بشكل إنهارت معه التوازنات الدولية التقليدية. ونال من قداسة مفهوم "السيادة" الذي كان مشمولاً بالحماية القانونية الدولية.

وهو ما سيتمخض عن تحديات وإشكالات عميقة من شأنها أن تهز أركان النظام الدولي من أبرزها: إنتشار العنف والإرهاب، المشاكل البيئية والأمراض الفتاكة، التزايد السكاني وضغط الهجرة، الدول الأشباح؛ المافيا والكرتيلات وشبكات الإجرام وانتشار التهريب بكل أنواعه (تهريب الأسلحة، المخدرات، البشر...)، الأزمة الاقتصادية وإشكال التنمية الاجتماعية وإنتشار البطالة والفقر، خرق حقوق الإنسان وإشكال التحولات الديمقراطية. هذه العوامل الأخيرة التي عصفت بالعالم العربي وأفرزت واقع الثورات العربية و"الربيع العربي" الذي لم يكن المغرب في منأى عن إرتداداته.

لنصل إلى خللة الدور المركزي الذي كانت تلعبه الدولة كفاعل رئيسي في العلاقات الدولية. أمام فاعلين جدد يتزايد عددهم ودورهم (منظمات إرهابية، منظمات غير حكومية، أفراد، جمعيات المجتمع المدني، ملتقيات للنخب...) ¹⁹.

وهو ما سيجعلنا أمام اللاإستقرار المنفلت من كل عقل، بل يتعداه إلى اللانظام أو الفوضى chaos والتشظي. الذي يعتبر من المفاهيم الرحالة التي ولجت حقل العلاقات الدولية من عالم العلوم الفيزيائية والرياضية للتعبير عن واقع دولي يتسم بالتشويش والتعقد²⁰.

¹⁸ - BERTRAND BADIE et MARIE CLAUDE SMOUTS, op cit P: 23 .

¹⁹ - AZIZ HASBI : "Théories des relations internationales" L'HARMATTAN, 2004 , P: 271.

²⁰ - خالد ميار الإدريسي : " خطاب ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية : دراسة تحليلية ونقدية لاستراتيجية تفكيك النماذج النظرية" أطروحة لنيل الدكتوراة في الحقوق، شعبة العلوم السياسية. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن II عين الشق الدار البيضاء، السنة الجامعية 2001/2000 ص: 121.

الأمر الذي سيفضي إلى بروز خطاب النهايات الذي ساهم في واقع التعقيد الأنف الذكر. فمع نهاية التاريخ لفوكوياما²¹. أصبحنا أمام نهايات متعددة على صعد ومستويات مختلفة منها: نهاية الديموقراطية، نهاية اليوتوبيا²² UTOPIE، نهاية الجيوسياسية والنظام العسكري²³، نهاية السياسة، نهاية التربية أو المدرسة الوطنية²⁴، نهاية الجغرافيا ...

وهو ما ساهم في تعقد الحقل الابستمولوجي المعرفي النظري للعلاقات الدولية. من خلال الإطاحة بالمناهج والأدوات التي كان الباحثون يتوصلون بها لتفسير وتحليل الواقع الدولي. فالنظرية أصبحت تعيش "عطبا" وفقدت يقينياتها وبوصلتها²⁵. ومن أهم تجليات ذلك، الهزة المفاهيمية التي أصابت المجال. حيث أصبحنا مجبرين على إعادة التفكير في المفاهيم الأولية ك: القوة، النظام، الصراع، الأمن وغيرها من المفاهيم²⁶.

فنظرية العلاقات الدولية أصبحت غير قادرة على إقترح براديغمات تستوعب الانفجار الذي يعرفه النظام الدولي. أو بالأحرى أصبحنا نعيش عصر انفجار البراديغمات²⁷. بشكل أصبح معه تبني منطق البراديغم الواحد في تفسير المتغيرات الدولية مرفوضا. وهو ما يدع إلى التعامل مع آفاق نظرية جديدة تتجاوز حدود التخصص وتندمج العلاقة بين العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية.

وعلى هدى مما سبق، تتبلور الأهمية الملحة لدراسة العلاقات المغربية الإسبانية، والتي تشكل نموذجا صارخا لتعقد بنية العلاقات الدولية وتحولها. فعلاقات المغرب / إسبانيا كالمرجل الذي تعتمل وتغلي بداخله عوامل مختلفة ومتباينة. تحمل في طياتها كثافة وتعقيد

²¹ - فرانسيس فوكوياما: "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم ورضا الشايب، مركز الإنماء القومي بيروت، 1993.

²² - راسل جاكوبي: "نهاية اليوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة" ترجمة: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة عدد 269، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001.

²³ - BERTRAND MAURICE : la fin de l'ordre militaire' presses de la fondation nationale des sciences politiques, 1996 .

²⁴ - مصطفى محسن: "العولمة والنظام الدولي"، أطروحة نهاية التربية في الخطاب العولمي الجديد عناصر وملاحظات نقدية للتفكير والتساؤل"، سلسلة كتب المستقبل العربي رقم 38، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2004 ص: 148.

²⁵ AZIZ HASBI, op cit p : 270.

²⁶ BERTRAND BADIE et M . C . SMOUTS, ' le retournement du monde ' op cit p :146

²⁷ - محمد سعدي: "مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام"، سلسلة أطروحات الدكتوراه، عدد 58، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2006 ص: 48.

النظام الدولي من حضور للحضارات حتى لا نقول صراعا للحضارات، الإرهاب، الهجرة، التهريب، النزاعات الترابية، حضور الاقتصادي، المتغيرات الإقليمية والدولية وغيرها من العوامل التي سنتطرق لها. وهو ما يفضي إلى صعوبة إيجاد خطاطة تفسيرية مبسطة ونسق نظري قادر على استيعاب وفهم للإشكاليات القائمة بين البلدين.

فهذه الدراسة المونوغرافية تسمح وتتيح لنا فرصة تجريب والتفكير في قضايا نظرية على درجة من الأهمية في مجال العلاقات الدولية. فمهمة تذليل صعوبات هذه العلاقات وفهم ميكانيزمات اشتغالها، وإن كانت صعبة فإنها غير مستحيلة.

فما يسترعى الإنتباه، هو طبيعة العلاقات المغربية – الإسبانية المتسمة بعدم الاستقرار. والأزمات الدورية، بحيث لا تكاد تخرج من أزمة وجفاء بين الجارين إلا لتسقط في أزمة أخرى. وذلك حتى في ذروة فترات الصفاء والتوافق بين الطرفين. وكمثال على ذلك فترة الحكم الاشتراكي مع بداية ثمانينيات القرن الماضي، ورئاسة "فليبي غونزاليس" للحكومة في الجارة الشمالية. وما تلاه من تحكيم منطوق رجل الدولة في التعاطي مع النزاعات الترابية بين الطرفين. وتوقيع إتفاق الصيد البحري لسنة 1983، وتبني السياسة الشاملة تجاه المغرب العربي. والقائمة على الإعتماد المتبادل وتداخل المصالح. وهو ما لم يمنع من دخول نفق الأزمة مع صدور قانون الهجرة والأجانب الإسباني لسنة 1986.

ونفس السياق مع حكومات الاشتراكي "خوسي لويس رودريغز ثاباتيرو" منذ سنة 2004. فرغم شهر العسل المعلن في علاقات البلدين لم يمنع من وقوع أزمة سنة 2007 على إثر زيارة ملك إسبانيا لمدينتي سبتة ومليلية. وأزمة سنة 2010 على خلفية قضية الناشطة أمينتو حيدر.

وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية المركزية التالية: إذا كانت مجمل العلاقات المغربية الإسبانية وما يعتريها ويعتمل فيها من متغيرات نحو الإنفراج أو الأزمة، تشكل متغيرا تابعا. فما هو المتغير المستقل المفسر لهذه الظاهرة والمتحكم فيها سلبا أو إيجابا؟

فجوهر هذه الدراسة هو الإجابة عن سؤال لماذا؟ لماذا تتوتر العلاقات المغربية

الإسبانية في مرحلة وتستقر في أخرى؟ ما هو سبب هذا التوتر وهذا الاستقرار؟ أي المتغير أو المتغيرات المستقلة المفسرة لتقلبات العلاقات المغربية الإسبانية.

ومحاولة الفهم هذه، والخوض في الأسباب، تدفعنا إلى تفكيك الإشكالية المركزية إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تصب في سياق فهم آليات اشتغال علاقات البلدين.

أ. ماهي أهمية البعد الثقافي والإرث التاريخي في توجيه هذه العلاقات اليوم؟

ب. هل النزاعات الترابية بين الطرفين هي المحرك الأساسي لهذه العلاقات؟

ج. ما مدى فاعلية الإشكالات الأمنية من قبيل الإرهاب، التهريب بكل أشكاله

(المخدرات، البشر، السلع...) في هذه العلاقات؟

د. هل يمكن الرهان على المتغير الإقتصادي والسوق في إعطاء هذه العلاقات طابع

الإستقرار؟

هـ. هل للواقع الإقليمي والدولي دور في تكييف العلاقات الثنائية للبلدين؟

وللعمل على تفكيك إشكالية هذه الدراسة، في محاولة لتجاوز إغراء الصورة الذهنية

الأولى، حسب تعبير باشلار. والغوص في أعماق العوامل الحقيقية المؤثرة في العلاقات

المغربية الإسبانية. خاصة أمام واقع التعقيد والتداخل الذي تعرفه هذه العلاقات والمشار إليه

أنفا.

فإننا سننطلق من فرضية مفادها كون: بعد ومتغير واحد ليس من شأنه زعزعة أو

تحسين العلاقات المغربية الإسبانية على المدى المتوسط و/أو الطويل. ولكن تظافر الأبعاد

والمتغيرات في لحظة معينة هو الذي من شأنه إحداث ذلك.

وسنعمل على التعاطي مع هذه الدراسة من خلال مقارنة تحليلية تعتمد على البحث في الأسباب. وتأخذ بعين الاعتبار تعدد المتغيرات Multivariable²⁸، وتجربتها. وهو ما يتناسب مع طبيعة العلاقات الدولية، المتسمة بتداخل الاختصاصات وشساعة حقل الدراسة. وذلك في أفق وضع خطاطة تفسيرية لموضوع الدراسة²⁹. متوخين في رصد ذلك وتتبعه، الموضوعية والحياد العلمي اللازم. حتى لا يتأثر مضمون المتغيرات وتحديد العلاقة المتداخلة بينها بالتوجهات الذاتية للباحث، كما أشار إلى ذلك "ريمون بودون"³⁰.

ويبقى من أهم منطلقات الدراسة، تحديد الإطار الزمني القادر على مساعدتنا في فهم ومحاولة مقارنة الإشكالية المركزية. حيث أن علاقات البلدين تقتقر إلى الحداثة، وما زالت تؤطرها أحداثا تاريخية ضاربة في القدم. فالتاريخ هنا مازال نشطا وتمتحن منه العديد من السلوكات وردود الأفعال السياسية الراهنة. وخير مثال على ذلك مفهوم "المورو" القديس الذي يغذي المخيال الشعبي الإسباني اليوم. ومن محطات تشكل المفهوم، أسطورة القديس "سان خورخي" SAN JORJE الذي يعتقد أنه عاش سنة 275 ميلادية. كما أن وزيرة الخارجية الإسبانية "أنا بلاتيو" أثناء اندلاع أزمة جزيرة تورة / ليلي سنة 2002 أعطت المثال في أوائل تصريحاتها حول الحدث بمعركة "كوبادونغا" التي تمت بين الضفتين سنة 711 ميلادية. ناهيك عن محطات تاريخية من قبيل: 1492 م التي تؤرخ لسقوط غرناطة، 1609 م وبداية طرد الموريسكيين. و 1504 تاريخ وصية الملكة إيزابيلا الكاثوليكية، وغيرها من الأحداث التي تصب في اتجاه صعوبة وضع إطار زمني محدد لهذا العمل.

²⁸- على المستوى المنهجي تمت الاستعانة أساسا بالإضافة إلى مراجع أخرى على:

-GRAWITZ MADELEINE : " Méthodes des sciences sociales", Editions: DALLOZ, 10^{ème} édition 1996, P:82 P:384 P:500 à 501 et P:509 à 511.

-MOUCHOT CLAUDE : "Introduction aux sciences sociales et à leurs méthodes" Les Editions TOUBKAL, Presse universitaires de Lyon, 1^{ère} édition Marocaine, 1986, P:249 à 250.

- DE COSTER MICHEL: "L'analogie en sciences Humaines", éditions : PUF, 1^{ère}édition 1978, P:74 à 80.

²⁹- MARIE - CLAUDE SMOUTS, BATTISTELLA DARIO et VENNESSON PASCAL: "Dictionnaire des relations internationales", Editions : DALLOZ, 2006 P:X.

³⁰- BOUDON RAYMOND : "Les méthodes en sociologie", que sais- je ? N°1334, 11^{ème} éditions 1998, Editions : PUF, P:24.

كما سنعمل على مقارنة موضوع الدراسة من خلال المتغيرات والعوامل التي تعرفها العلاقات المغربية الإسبانية الثنائية من جهة. وتأثيرات المتغيرات والأبعاد الإقليمية والدولية في هذه العلاقات من جهة أخرى. وعليه سيكون التصميم كالتالي:

◆ القسم الأول: الإطار الثنائي للعلاقات المغربية الإسبانية

◆ القسم الثاني: العلاقات المغربية الإسبانية في سياق متعدد الأطراف.

القسم الأول: الإطار الثنائي للعلاقات المغربية الإسبانية

تعرف العلاقات المغربية الإسبانية الكثير من الملفات والمواضيع الشائكة التي شكلت صلب هذه العلاقات، وقطب الرchy في المد والجزر الذي تعيشه. ومن أهم هذه المواضيع: البعد الثقافي التاريخي لهذه العلاقات. والنزاعات الترابية التي تمخضت عن هذا الاحتكاك التاريخي من جهة (الفصل الأول). ومن جهة أخرى، إشكالات تحمل طابع الجدة والراهنية، ولعل أهمها: الهجرة والإشكالات الأمنية الجديدة. والتي سنحاول رصد إمكانية تجاوزها من خلال الاعتماد المتبادل بين الطرفين على المستوى الاقتصادي (الفصل الثاني).

وعليه ستكون معالجة هذا القسم كالتالي:

الفصل الأول: أهمية البعد الثقافي التاريخي وثقل المطالب الترابية على علاقات البلدين.

الفصل الثاني: الهجرة والإشكالات الأمنية وأهمية البعد الاقتصادي في تجاوزها.

الفصل الأول:

أهمية البعد الثقافي التاريخي وثقل المطالب الترابية على علاقات البلدين

سنحاول في هذا الفصل معالجة الأبعاد والمحددات الثقافية التاريخية في علاقات البلدين. وما تنطوي عليه من محطات وتواريخ فاعلة في تحديد السلوك السياسي لهذا الطرف أو ذاك (المبحث الأول). والمطالب الترابية العالقة بين الطرفين والمتمثلة أساسا في استمرار الحضور الإسباني في كل من سبتة ومليلية والجزر التابعة لها (المبحث الثاني). وملف قضية الصحراء الذي مازالت المواقف منه تكيف علاقات الطرفين (المبحث الثالث). وبناءا عليه سيكون تناول هذا الفصل كآتي:

- المبحث الأول: أهمية البعد الثقافي التاريخي في علاقات البلدين.
- المبحث الثاني: استمرار التأثير السلبي بالحضور الإسباني في سبتة ومليلية والجزر المجاورة لها.
- المبحث الثالث: تفاعلات ملف قضية الصحراء.

المبحث الأول:

أهمية البعد الثقافي التاريخي في علاقات البلدين

هذا الجانب يتمركز حول المضامين التي تؤثت هذا البعد وتعمل فيه (المطلب الأول). ثم رصد القيمة الحقيقية لهذا البعد. والعمل على تقييمه في علاقات الطرفين من خلال مناقشة نماذج وشواهد تاريخية تشكل علامات بارزة في توجيه الرأي العام في الضفتين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: المضامين المؤثرة للبعد الثقافي التاريخي للبلدين:

إن كلا من المغرب و إسبانيا له تصوراته وتمثلاته عن الطرف الآخر. والتي ليست وليدة اليوم. بل تشكلت عبر تاريخ من العلاقات والاحتكاك المتبادل. وهي تصورات تستمد قوتها وأهميتها من توجيهها للرأي العام والفاعل السياسي في الضفتين على السواء. وهو ما يدفعنا لطرح التساؤل حول ما هية هذه المضامين. فما هي محددات المخيال الجمعي الإسباني تجاه المغرب (الفقرة الأولى)؟ وما هي محددات التمثلات المغربية للجانب الإسباني (الفقرة الثانية)؟

الفقرة الأولى: محددات المخيال الجمعي الإسباني تجاه المغرب:

وهي محددات تتجاذبها أسس نظرية، تنبني عليها مواقف الإسبان من المغرب (أولا) ومحطات تاريخية بعينها. اكتست من الأهمية، ما جعلها فاعلة في بلورة صورة المغرب في إسبانيا (ثانيا).

أولا: الأسس النظرية للمواقف الإسبانية من المغرب:

نظرة الجانب الإسباني للمغرب توطرها أسس فكرية وتاريخية؛ يمكن اعتبارها معطيات فاعلة في فهم تصورات الجار الشمالي لنا، ولعل أهم هذه الأسس:

أ. مفهوم المورو EL MORO:

فكلمة مورو لغويا حسب مزجد الأكاديمية الملكية الإسبانية تتحدر من الإصطلاح اللاتيني "موروس maurus"، وكانت تطلق على سكان شمال افريقيا المنحدرين من منطقة موريتانيا اليوم، والتي كانت تضم خليطا من الأجناس العربية البربرية والسوداء³¹. وسيطلقه الإسبان بعد ذلك على المسلم المقيم في إسبانيا بعد فتح الأندلس³²، وتوسعا على المسلمين عامة وعلى ساكنة المنطقة الغربية من شمال افريقيا خاصة³³.

البعد الديني هذا في تحديد مفهوم "المورو" سيتعزز أكثر من خلال اعتباره، كل ما هو ضد مسيحي³⁴.

وسيتقلص هذا المعنى في مراحل متقدمة، ليصبح ما هو عربي في لغة سرفانتس مرادف لساكنة المشرق العربي. في حين "موروس" (جمع مورو)³⁵ تحيل إلى المغرب والجزائر. لنصل إلى مرحلة أكثر دقة حيث سيطلق هذا الاصطلاح على المغاربة فقط³⁶. وهو الأمر الذي ذهب إليه صاحب منجد المعين الوسيط³⁷.

أما بالنسبة لمضمون هذا المفهوم، فقد كان يحيل إلى أبناء حضارة عريقة وإلى تمثلات إيجابية وذلك إلى حدود القرن الخامس عشر. لكن بعد طرد المسلمين من الأندلس وبداية سياسة التمسح القصري على يد الكنيسة الكاثوليكية لمن بقي منهم، سيأخذ مصطلح

³¹ - CHAKOUR MOHAMED : « prejuicios hispano marroquies : el moro en el imaginario espanol in Actas del encuentro : "España marruecos : dialogo y convivencia : del 23-25 de octubre de 1998 en tetuan y chauen ; publicaciones de la asociacion tetuan-asmir ; p : 119

- خوان باندو "التاريخ السري لحرب الريف". ترجمة سناء الشعيري. منشورات الزمن سلسلة ضفاف عدد 12 مطبعة النجاح الجديدة البيضاء الطبعة الأولى 2008 ص 19

³² - خوان غويتيسولو : في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية" خوان غويتيسولو: ترجمة كاسم جهاد، نشر الفينك 1997 ص 10

³³ - BENREMDANE AHMED : « la doble imagen del «moro» en la literatura española de tema africana », In «el siglo XVII hispanomarroqui» Mohamed salh i (coord), publicaciones de la facultad de letras y de ciencias humanas- rabat- serie : coloquios y seminarios N : 64ano 1997, P:65.

³⁴ - ALAUI MY ABDELHADI : « le maroc face aux convoitises européennes:1830-1912 », imprimerie beni snassen – sale, 2001 . P 62.

-CHAKOUR MOHAMED:« Prejuicios hispano, marroquies » op. cit p : 119.

³⁵ - Ibid, p : 119.

³⁶ - DE LA SERNA A : « al sur de TARIFA : marruecos española un malentendido histórico” Marcial Pons Ediciones de historia, Madrid 2006 p : 34.

³⁷ د. يوسف محمد رضا: "المعين الوسيط: قاموس إسباني - عربي" مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى 1995 ص. 281

المورو بعدا تحقيريا وسيتم تصغيره إلى "موريسكي"³⁸، كما سيضاف إليه كلمة أخرى وهي "السيء malo" وذلك لتبرير كل الفضاعات التي ارتكبت في حق مسلمي الأندلس، لنصبح أمام عبارة "المورو مالو «el moro malo»³⁹.

وقد شق المصطلح بعد ذلك طريقه على درب الغموض واللاواقعية التي سيحاط بها تدريجيا، من خلال المضامين التي ستؤثره تباعا. والتي ستشكل النواة الصلبة للأحكام الجاهزة والكلشيهات والاستيهامات الإسبانية حول المغرب والمغاربة.

ولعل أبرز هذه المضامين التي عرفها مفهوم الموروس على امتداد القرن السادس عشر والسابع عشر هناك: الطغيان، الخيانة، القدرية⁴⁰، الجمود، الاستيكان والكسل. بالإضافة إلى الخرافة والسحر⁴¹.

لنجد بعد ذلك، مع انتشار ظاهرة القرصنة التي طبعت الوجدان الإسباني⁴²، ظهور أوصاف مثل: القسوة واللصوصية والتعصب والمورو مصاص الدماء⁴³. ناهيك عن مضامين ذات حمولة جنسية كثيفة مرتبطة أساسا بفكرة الحريم⁴⁴ مثل: المغتصب، الغيور، المهووس جنسيا والشبق⁴⁵، وما شئت من الصفات والأوصاف القذحية التي يوجد لها في كل مرة مبررات أخلاقية وسياسية وتاريخية ودينية حسب الطلب. وستضاف الأسطورة إلى هذا الخليط؛ بحيث سيرتبط المفهوم بـ:

³⁸ - وجهة نظر: عبد الواحد أكميز: "العلاقات الإسبانية - المغربية: مقاربات للتأويلات والتحولات" إعداد: بوغالب العطار، الاتحاد الاشتراكي: عدد 7640 في 13/07/2004 ص 08.

³⁹ - عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت": إسبانيا وأحداث إلخندو" منشورات الزمن، كتاب الجيب رقم 28، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2001، ص: 105

⁴⁰ - BERNABE LOPEZ GARCIA : « marruecos y espana : una historia contra toda lógica » taller de editores Andaluces, 1ra edicion, julio 2007 p 356.

⁴¹ - BERAMDAN AHMED : « la doble imagen del « moro » op. cit p : 66 et 67.

⁴² - ELOY MARTIN CARRALES : « la imagen del magrebi en España : Una perspectiva historica siglos XVI-XX » Ediciones :Bellaterra, 2002 p : 41. TRIBAUD cécile : « Espagne – maroc : l'ambellie » L'expresse international N : 2787 p : 37.

⁴³ - خوان غويتيسولو: "في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية" ص: 36

⁴⁴ - CHAKOUR MOHAMED : « Prejuicios hispano Marroquies » op. cit p : 127.

⁴⁵ - BENREMDANE AHMED : « marruecos y espana en reivindicacion del conde don Julian de Juan Goytisolo o la destruccion de mitos in « huellas comunes y miradas cruzadas coordinador : - MUNDOS ARABE. Iberico E Iberramericano" SALHI MOHAMMED; publicaciones de la facultad de letras y ciencias humanas rabat serie : coloquios y seminarios N 45. Imprimerie Fédala mohammadia 1995 p : 177.

"سنتياغو ماتاموروس santiago matamoros" أي قاتل الموروس. وهو فارس حواري، قديس، مسيحي. يجسد الأخلاق النبيلة وانتصار الخير على الشر. يظهر في الحروب الحاسمة ضد الموروس ليرجح كفة المسيحية⁴⁶.

وقد امتزج بهذه الأسطورة ما يسمى باحتفالات "الموروس والمسيحيين" las fiestas de moros y cristianos والتي ستزيد المفهوم حرارة من خلال إنعاش الذاكرة الجماعية الإسبانية دوريا وجعلها محطة تاريخية لتذكير الأجيال الصاعدة بالرواية الرسمية الإسبانية لطرد المسلمين من الأندلس.

ومن أشهر هذه الاحتفالات تلك التي تتم في غرناطة في الثاني من يناير من كل سنة، مذكرة بيوم استرجاعها el dia de la toma حيث يتم إعادة تمثيل المعركة في جو كرنفالي يختم دائما بانهازم الموروس والسخرية منهم⁴⁷.

وهناك أيضا احتفالات "ألكوي alcoy" وهي بلدة في مدينة "أليكانت" تجسد المعركة التي دارت في هذه البلدة سنة 1276 عندما اشتبك المسيحيون مع قوات القائد المسلم الأزرق والتي تحولت إلى أسطورة من خلال الاعتقاد بمشاركة "سان خورخي san jorge" وهو فارس يعتقد أنه عاش من 275 أو 280 إلى 23 أبريل 303. حيث يظهر كل حين لمحاربة أشرار الموروس، وهو الذي سيقرب موازين المعركة لصالح المسيحيين. الأمر الذي يتم إعادة تجسيده أيام 21 و22 و23 أبريل من كل سنة في قالب احتفالي.

ناهيك عن المظاهر المسيئة للإسلام وللحضارة الأندلسية وللرسول صلى الله عليه وسلم في احتفالات "الموروس والمسيحيين" السنوية. خاصة في قريتي بوكايرنت bocairent "وبني جامع beneijama" التابعتين لإقليم فلنسية. حيث يرمز للذبي بدمية من الخشب والورق المقوى بطول ثلاثة أمتار، يتم تفجيرها مع متم الحفل⁴⁸.

⁴⁶- E.M. Corrales : "la imagen del magrebi en españa," Op. cit. P : 47. CHAKOUR MOHAMAD : « prejuicios hispano- marroquíes... » Op. cit p : 154.

⁴⁷- José A. Gonzalez Alcantud : « lo moro : las logicas de la derrota y la formacion del estereotipo islamico » Coleccion : pensamiento critico/ Pensamiento Utopico N : 122. Anthropos editorial, Barcelona, 2002 ; p : 16.

⁴⁸- عبد الواحد أكميز : "على هامش قمة اسطنبول حول تحالف الحضارات: تحالف الحضارات أي مصداقية؟ العلم، عدد 20596 في 2006/12/08 ص 05.

الإبداع الأدبي سيساهم هو الآخر في إعطاء المفهوم أبعاداً أخرى بجعله أداة للنقد الاجتماعي والسياسي والديني من داخل جدلية الرفض والقبول⁴⁹. مع قاسم مشترك في كلتي الحالتين، وهو عدم واقعية تلك التصورات وإطلاق العنان للخيال الجامح في وصف وتصوير عدو مفترض. الأمر الذي ستتلقفه الثقافة الشعبية وستعمل من خلاله على صياغة وإنتاج الكثير من الأمثال والأقوال الشعبية مكرسة البعد السلبي لمفهوم الموروس. والغموض والضبابية التي تلفة، ومن أبرزها:

♦ هناك موروس على الشاطئ⁵⁰ - hay moros en la costa.

ويراد بها أن هناك خطراً يقترب حيث تستعمل أساساً لإخافة الأطفال الصغار، أو استعمالها بصيغة النفي بمعنى لا يوجد خطر⁵¹.

♦ المورو الأفضل هو المورو الميت⁵² - el mejor moro es el moro muerto.

وهي مقولة غنية عن كل شرح؛ بحيث لا يتم قبول المورو وإعطائه أفضلية إلا إذا كان ميتاً وهو ما ينم عن الإقصاء التام للآخر.

♦ المورو ينتقم حتى الجيل الرابع⁵³

- el moro es vengativo hasta la cuarta generación.

♦ هناك موروس ومسيحيون⁵⁴ - haber moros y cristionos.

وهي مقولة تحيلنا إلى الحروب التي دارت بين الطرفين وهي كناية عن المكان الذي توجد به خلافات ومعارك طاحنة.

⁴⁹- EL ARBI EL HARTI: « el tema del moro entre la historiografía y la ficción » In « el siglo ... hispanomarroquí » XVII Op. cit p: 96 et 100.*- BENREMDANE AHMED: « la doble imagen del « moro » en la literatura española de tema africano » Op. cit p : 71 * CHAKOUR . M. « prejuicios hispano marroquíes » Op. cit : p : 125. * A. de la Serna : « al sur de tarifa ... » Op. cit : p : 44

⁵⁰- *N. AFAYA ET D. GUERAOU: « l'image de l'Espagne au Maroc » Publication de l' ARCI. 1^{ere} edition Avril 2005, p, 146.* Sebastian Balfour : « el otro en la guerra colonial y la guerra civil » in : « marroquíes en la guerra civil española campos equivocados. Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico. José A. G Alcantud, editor, anthros editorial barcelona, 1ra edición 2003 , p: 103.

⁵¹ - no hay moros en la costa.

-عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت" ص. 120.

⁵² - CHAKOUR MOHAMED: "Préjuicios hispano- morroquíes" Op. cit. p: 125.

⁵³ - Ibid.

⁵⁴ - CHAKOUR MOHAMED: "Préjuicios hispano- morroquíes" Op. cit. p: 125.

♦ وتستعمل هي الأخرى لتخويف الصغار.⁵⁵ ! que viene el moro muza -

♦ يريد الذهب والمورو⁵⁶ - quiere el oro y el moro

ويراد بها الشخص الذي يريد الاستحواذ على كل شيء وهناك أيضا تلميح إلى خصلة البخل وجمع الثروة التي تم إلصاقها بالمورو.

♦ طفل مورو⁵⁷ - Niño moro

تطلق على الطفل حديث الولادة والذي لم يتم تعميده بعد في الكنيسة. ويراد بها التلميح إلى كفر المورو فهو ليس مسيحي وغير معمد.

والعشرات من العبارات الشعبية والأمثال التي تسير في نفس السياق. وتساهم في تغذية اللاوعي الجماعي لجيراننا في الشمال، بالنظر للباس القدحي والسلبى الذي ارتداه اليوم مفهوم المورو. في حين أن عبارة "المورو الصديق" لم تتم صياغتها إلا مؤخرا⁵⁸ في إطار يعزز العداء للمغرب، ومرتبطة أكثر بالموقف من ساكنة الصحراء الغربية.

وخلاصة القول، كما ذهب إلى ذلك خوسي مارية جوبير⁵⁹؛ فإن مفهوم المورو يبقى الأكثر حدة وشيوعا في الوعي التاريخي للإسباني.⁶⁰ مع كونه يعبر عن موضوع شاسع وغير قابل للتعريف⁶¹، الأمر الذي حدى بالمختص في العلاقات المغربية الإسبانية "برنابي لوبيز غارسية" إلى تشبيهه بالطواحين الهوائية⁶²، التي تحيل إلى الحروب الوهمية للدونكيشوت.

⁵⁵ - CHAKOUR MOHAMED: "Préjuicios hispano- morroquiés" Op. cit. p: 125.

⁵⁶ - عبد الواحد أكمير: "الهجرة إلى الموت" ص 72 و 120

⁵⁷ - Alfonso de la Serna: «marruecos –España : un malentendido historico» Op. cit p : 35

⁵⁸ - Maximo Cajal : «Ceuta, Melilla olivenza y Gibraltar donde acaba España ?», Siglo XXI Espana editores, madrid, octubre 2003, p : 115.

⁵⁹ - José. Mario Jover.

⁶⁰ - B. Lopez garcia : «marruecos y españa una historia contra toda logica » Op cit p : 356.

⁶¹ - Miguel A. Moreta: la imagen del moro en la literatura de la guerra civil Española », In huellas comunes y miradas cruzadas. Op. cit, p : 82.

⁶² - BELGUENDOUZ ABDELKERIM : «lahrig du Maroc l’Espagne et l’UE : plus d’europe ... sécuritaire», Boukili impression, juin 2002. P : 29.

ويبقى الإشكال مع هذا المفهوم أنه تجاوز العامة إلى النخب السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية التي تستحضره مرارا. وهو ما يزيد المفهوم حضورا وخطورة.

ب- وصية الملكة إيزابيلا.

التي تعتبر حدثا مهما في تاريخ التوجه الإيبيري نحو الجنوب، وفي إعطاء المغرب أهمية قصوى في العمل الخارجي لإسبانيا منذ القرن الخامس عشر. فهذه الوصية التي تركتها الملكة إيزبيل الكاثوليكية في 12 أكتوبر 1504 والموجهة إلى ابنتها وريثة العرش وزوجها الملك المستقبلي لإسبانيا تحثهم فيها على:

"إتمام احتلال إفريقيا والمحاربة من أجل الإيمان ضد الكفار"⁶³ وقد شكلت هذه الوصية إعلان حرب مقدسة ضد المغرب،⁶⁴ استمر قائما لقرون، كما أسست للكثير من الأفكار التي حكمت علاقة إسبانيا بالمغرب فيما بعد. ومنها الوحدة عن طريق النقاء العرقي ووحدة الثقافة والدين، والتي لا مكان فيها للآخر سواء كان يهوديا أو مسلما، كما بصمت على الانتقال من مفهوم المورو إلى الموريسكي اللاجئ والمطروود.⁶⁵ زد على ذلك أن هذه الوصية شكلت جوهر النظرة الدينية تجاه المغرب كأرض للكفر والاضلال ومحرك للعمل التبشيري مما سيتمخض عنه مقولة الحقوق التاريخية في هذه الأرض.⁶⁶

الأمر الذي سيشكل خلفية أيديولوجية مهمة لكل الحملات التي سيعرفها المغرب والقادمة من الضفة الشمالية. وسيظهر هذا أيضا في البعد الدلالي والاسميائي لتسمية مدينة الداخلة عند احتلالها على اسم الكاردينال ثيسنيروس الذي قاد محاكم التفتيش في عهد الملكين الكاثوليكين.⁶⁷

⁶³ - ALAOUI MY ABDELHADI : « le maroc face aux convoitises européenne : 1830-1912 », P : 61

⁶⁴ - MOHAMED IBN AZZUZ HAKIM : « el testamento de Isabel la catolica y sus consecuencias nefastas sobre las relaciones hispano marroquies », In : « huellas comunes y miradas cruzadas ... », Op. cit, p : 116.

⁶⁵ - خ . م مونيوت: "الإسلام والمسلمون في إسبانيا " ص: 05.

⁶⁶ - عبد الرحيم برادة: "إسبانيا والمنطقة الشمالية" الجزء الأول مطابع إفريقيا الشرق؛ المغرب 2007، ص: 34.

⁶⁷ - محمد العربي المساري: "30 سنة: مسيرة من لاهاي إلى بيوكر"، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة الأولى 2005، ص: 469.

وستكون أولى النتائج المباشرة لهذه الوصية، الحماس الكبير الذي منحتة للجالسين على العرش بعدها والذي توج باحتلال سبتة سنة 1415 في سياق أشبه بحرب صليبية⁶⁸.

ج- الفكر الافريقاني:

و هو التيار الذي اعتبر أحد متغيرات الاستشراق الغربي⁶⁹. والذي عني بدراسة المغرب وبأهميته الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية. وهي نظرة امتزج فيها الرومانسي في الكتابات الأدبية بالعسكري والاقتصادي.

ويمكن أن نتحدث عن الفكر الافريقاني على مستوى كل النخب، فقد ظهر هذا التوجه أساسا بعد فقدان إسبانيا لمستعمراتها في أمريكا الجنوبية. وأيضا تحت تأثير الوعود الوردية بالثروات الطبيعية والاقتصادية الهائلة للجار الجنوبي. علاوة على واقع السباق الأروبي المحموم نحو حجز مواقع وبقاع في القارة الافريقية في حمأة الحملة الاستعمارية الواسعة التي بدأ يعرفها العالم الغربي.

وقد تأسس هذا الفكر على عدة مرتكزات منها: الخطر القادم من الجنوب⁷⁰، والذي أطر توجهات عدة منظرين في هذا التيار ومن أبرزهم "كانوفاس ديل كاستيو" وهو أبرز الساسة الإسبان خلال الربع الأخير من القرن 19 بترأسه حكومة بلاده خمس مرات ما بين 1876 و1898 حيث يقول:

"هناك قاعدة تاريخية لاحظت أنها تتكرر عبر القرون في علاقاتنا مع المغرب الأقصى. هذه القاعدة تقول وبوضوح أن الشعب الذي ينجح في غزو إحدى ضفتي مضيق جبل طارق لابد أن يكون قبل ذلك وبمدة قد نجح في السيطرة على الضفة الأخرى، إن هذه القاعدة لن تتغير أبدا... لذا قد يأتي يوم نفقد فيه استقلالنا وتختفي أمتنا ربما دون أي إمكانية لانبعاثها من جديد. توجد قبالتنا في الضفة الأخرى قضية يعتبر الحسم فيها بالنسبة لنا

⁶⁸ - RACHID LAZRAK : « le contentieux territorial entre le Maroc et l’Espagne » DAR EL KITAB casablanca 1ère edition 1974 P : 107.

⁶⁹ - José A . Gonzalez Alcantud. Op. cit p : 16

⁷⁰ - BENREMDANE AHMED: « marruecos y españa en reivindicacion del don Julian de Juan Goytisolo o la destruccion de mitos » Op. cit p : 176.

عبد الرحيم برادة: "اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956" الجزء الاول، ص. 22

موضوع حياة أو موت . لذا لا يمكن نسيانها أو النظر إلى جهة أخرى غيرها ... إن حدودنا الطبيعية توجد في الأطلس وليس في مضيق جبل طارق.⁷¹

وهو ما يبين أن قضية الاندلس مازالت حاضرة في الفكر السياسي الحديث للإسبان .⁷² والحدود الجنوبية والخطر القادم منها حسب "خوسي مارية جوبير" يعتبر المبدأ الأكثر انتشارا في الوعي التاريخي الإسباني⁷³ كما أسلفنا.

علاوة على أن الفكر الأفريقي، جعل من مشروعه الأفريقي القائم على حضور إسبانيا في المغرب هدفا ومغناطيسا يضمن الوحدة الوطنية ويعبئ كل القوى في اتجاه واحد .⁷⁴ وهو ما أدى إلى بروز المغرب في الحسابات الداخلية الإسبانية كرقم لا يمكن تجاوزه بأي حال.

وخلاصة القول أن هذه العوامل الثلاث اعتبرت محددة وبنوية في تأطير نظرة الإسبان إلى المغرب . كما أنها متداخلة ومعززة لبعضها البعض وهو الأمر الذي لم تعمل الأحداث والوقائع إلا على تأكيده عبر محطات تاريخية ساخنة.

ثانيا: محطات تاريخية محددة في بناء صورة المغرب بإسبانيا

الاحتكاكات التاريخية كان لها مفعول مهم في تكريس وصنع صورة سلبية للجار المغربي في إسبانيا . ذلك أن التاريخ كما أشار إليه سامويل هانتنغتون: "لا يخدم أبدا على العكس هو دائما نشيط وقاتل"⁷⁵.

ومن أهم أحداث التاريخ المعاصر التي فعلت فعلها في العلاقات الثنائية للبلدين وطبعت الذاكرة الإسبانية بقوة نجد:

⁷¹ عبد الواحد أكمير: "الهجرة إلى الموت: إسبانيا وأحداث إليخيدو" مرجع سابق ص 107

⁷² حوار مع: بيدرو مارتينيث مونتافث. عبد الواحد أكمير: "الهجرة إلى الموت" مرجع سابق، ص: 132

⁷³ - Bernabé. Lopez Garcia : « l'Espagne entre le maghreb et l'europe : imaginaire et interférences de l'opinion dans la politique maghrébine de l'Espagne » In : « le maghreb l'europe et la France » sous la direction de KACEM BASFAOU et JEAN ROBERT HENRY. AL KALAM édition, diffusion CNRS. P : 139.

⁷⁴ - Jose A. Alcantud Op. cit p : 198.

⁷⁵ - محمد سعيدي: "مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام" سلسلة أطروحات رقم 58. نشر مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، يونيو 2006، ص: 128

أ- حرب افريقيا 1860:

وتسمى أيضا حرب تطوان، وقد جاءت على خلفية المناوشات التي كانت تقوم بها القبائل المتاخمة للثغور الشمالية المحتلة. وصادفت تلك الهجمات أزمة داخلية إسبانية خانقة، دفعت إلى الاستنجاد بالمورو من خلال تعبئة الرأي العام ضده⁷⁶، وخلق أجواء تعيد رسم صورة إسبانيا الامبريالية والقوة العظمى مهابة الجانب من جهة. ومن جهة أخرى، إلباسها مسوحا دينية وكأنها حلقة أخرى من حلقات الحروب الصليبية⁷⁷. وقد قاد الحملة الجنرال "أودنيل" ⁷⁹ الشهير حاكم إسبانيا حينها.

وأمام عمق الحملة الدعائية والتعبوية ضد كل ما هو مغربي، سيظهر في الأدب الإسباني ما سمي بالرومانسيرو ⁸⁰ el romancero وهي قصائد شعبية تتغنى بمجد إسبانيا وتندد بالعدو وتشيطنه. ومثال ذلك قولهم:

الحرب الحرب على الافريقي الجسور

الحرب الحرب على المغربي الكافر

الذي أهان شرف إسبانيا

فالحرب الحرب حتى النصر أو الموت⁸¹

ب- حرب مليلية 1893:

حيث قام الاسبان ببناء حصن، صغير قرب مدينة مليلية؛ غير بعيد عن ضريح الولي سيدي ورياش. الشيء الذي اعتبره سكان قبيلة فرخانة استفزازا لهم خصوصا أن تشييده

⁷⁶ - ALAOUI MY ABDELHADI, Op. cit p: 62

⁷⁷ - JAVIER RUBIO :« qué ha sido la politica exterior para España ? »In : « la politica exterior de Espana 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coordinador).Editorial Ariel, Barcelona, 2003. P : 556

⁷⁸ - ALFONSO DE LA SERNA Op cit P: 174

⁷⁹ - ALVAREZ CURIEL FRANCISCO: « romances desde una guerra », In "marruecos, España y Portugal: hacia nuevos espacios de dialogo » coordindor SALHI MD serie: coloquios y seminarios N82, Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie najah el jadida, casablanca, 1999, p :83.

⁸⁰ - ibid, p : 174.

⁸¹ - ميكل مرتين: "الاستعمار الإسباني في المغرب 1860-1956"، ترجمة: عبد العزيز الودي منشورات التل، الطبعة الأولى، الرباط، 1988 ص: 13.

⁸² - AKMIR ABDELWAHED : « los origenes de la guerra del rif en la obra de german ayache » In : « Marruecos España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » , Op. cit : p : 141.

وقع داخل ترابهم. فقاموا بالهجوم على الحصن الأمر الذي خلف الكثير من الضحايا الإسبان من بينهم الجنرال "مار غايو" حاكم مليالية وقتها⁸². فكانت التعبئة من جديد في إسبانيا ثأرا للكرامة الوطنية⁸³. وهو مازاد في تعميق الصورة السلبية للمورو.

ج-وهدة الذئب 1909 el baranco del lobo

وتسمى أيضا حرب الريف الأولى⁸⁴ أو "الحروب الصغيرة" هي وحرب مليالية آذفة الذكر⁸⁵. وقد كانت أولى الأحداث التي سيعرفها القرن العشرين والتي ستساهم في طبع المخيال الجمعي الإسباني تجاه صفته الجنوبية. فقد اعتبرتها الكتابات الإسبانية كارثة⁸⁶. كانت الحكومة الإسبانية قد قررت إرسال قوات إلى الريف لاختماد مقاومة محمد أمزيان، والتي كانت قد أحدثت الكثير من الخسائر البشرية الإسبانية.

وأمام طلب الدعم اعترضت الجموع القطر التي تحمل الجنود، كما قام البعض بإحداث عاهات في أنفسهم حتى لا يذهبوا إلى الحرب. وأعلن البعض الآخر التمرد حيث لم يحضر من أصل 600 جندي تم استدعاؤهم إلا اثنان⁸⁷. وتمت الدعوة للإضراب العام وأدت الأحداث في آخر أسبوع من يوليو إلى ما سمي: الأسبوع المأساوي لبرشلونة، والذي انتهى باغتيال المفكر الفوضوي فيرير ferrer والحكم بالاعدام على 110 من المناضلين. والاعتقالات الواسعة التي بلغت 5000 في برشلونة و1700 في مطارو، و1200 في صباديل و1000 في طرغونة و300 في خرونة. بموازاة مع الهزيمة التي منيت بها القوات الإسبانية على سفوح جبل الكوروكو حيث اعترف وزير الحرب بحوالي 1000 قتيل إسباني⁸⁸. فيما ذهبت مصادر أخرى إلى أرقام أكبر بكثير⁸⁹.

⁸²-المعروزي محمد: سبتة ومليالية حتى لا ننسى ص. 110 وص 92.

⁸³- MARIA ROSA DE MADARIAGA: « la guerra de Melilla 1893: ofensiva colonial y resistencias locales »In : «Morruecos, España y Portugal ... », Op. Cit, p : 39 et 41.

⁸⁴- أحمد إحدوثن: "المغرب وإسبانيا: الهجرة والتعليم والتربية" سلسلة شراع رقم 47، يناير 1999، ص 84.

⁸⁵- ALFONSO DE LA SERNA, Op.cit, p : 188.

⁸⁶- YVES ZURLO : « Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves espagnoles », l'harmattan, 2005 p : 28 et 196.

-BENJELLOUN ABDELMAJID : « l'attitude des partis ouvriers espagnols a l'égard du Maroc 1909-1936 », In ; « marruecos, España y Portugal ... » Op. Cit, p : 208

⁸⁷- عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت" مرجع سابق ص: 109.

⁸⁸- ميكيل مارتين، مرجع سابق، ص: 34.

⁸⁹- تضاربت الأرقام في عدد الضحايا الإسبان في موقعة وهدة الذئب ومن بين الأرقام التي تم تداولها أيضا: 1284 قتيل حسب

Yves zurlo

وقد كرسست وهذه الذئب طابع كل الحملات الإسبانية في المغرب من حيث نتائجها: بحيث تبدأ بمقتل شخصيات إسبانية من الصف الأول وقتلى كثير. يليها غليان شعبي ثم سقوط حكومات وتغييرات داخلية مهمة.

د- حرب الريف 1921.

ستشكل أكبر الصدمات⁹⁰ والجروح الغائرة في ذاكرة الاسبان تجاه المغرب أو بالأحرى الموروس. وستعمل على خلق العديد من الاوصاف والاساطير حوله. وقد بدأ هذا الاندحار العسكري من فاتح يونيو 1921 بهزيمة حامية إبران التي شكلت سابقة في المغرب الإسباني، ومع منتصف شهر يوليو سقطت حامية إغربين. كما سيسجل يوم 22 يوليو 1921 نكبة انوال وتدمير قوات الجنرال سلفستر وانتحاره وسقوط 1000 قتيل، يليه استسلام حامية دار الكبداني وما خلفته من سقوط لأزيد من 950 قتيل إسباني. وهو ما سيفتح الطريق أمام سقوط سلوان ثم جبل عرويت الذي تمخض عن 3000 قتيل⁹¹.

الأمر الذي تسبب في سقوط المنطقة الاستعمارية التي كلفت إثنا عشر سنة من العناء. وراح ضحيتها عشرة آلاف من الاسبان، وأرخت لحفر نعش النظام.⁹² حيث كانت من أسباب سقوط النظام الملكي وقيام دكتاتورية الجنرال بريمودي ريبيرا سنة 1923⁹³.

وكما أشارت الباحثة المتخصصة في تاريخ العلاقات المغربية الإسبانية "مارية روسادي ماداريغا" فإن الآثار النفسية والاجتماعية لهذه الحرب مازالت مستمرة في إسبانيا حتى اليوم بسبب الروايات الشفهية للجنود.⁹⁴ والكتابات التي خلدت الحدث، دون إغفال

⁹⁰ - JOSE A CONZALEZ ALCANTUD. « lo moro las logicas de la derota ». Op cit p : 240

⁹¹ - خوان باندو: "التاريخ السري لحرب الريف: المغرب ... الحلم المزعج" ترجمة: سناء الشعيري، منشورات: الزمن سلسلة ضفاف عدد 12 مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 2008 ص 422 إلى 437. وقد كشف خوان باندو في ثنايا كتابه عن حرب وفوضى الأرقام المتعلقة بعدد الضحايا حيث يرجح أن تكون أكثر بكثير من الاحصاءات الرسمية الإسبانية.

⁹² - نفس المرجع ص 191

⁹³ - JOSÉ A CONZALEZ ALCANTUD : « marroquíes en la guerra civil española... » P : 94

- حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية" مطبعة الخليج العربي- تطوان، الطبعة الأولى 2002 ص 127

⁹⁴ - وجهة نظر: عبد الواحد أكميز في: العلاقات الإسبانية- المغربية: مقاربات للتأويل والتحويلات "إعداد: بوغالب العطار، الاتحاد الاشتراكي عدد 7641 في 14 يوليو 2004.

المبالغات والروايات اللاواقعية.⁹⁵

لتأخذ أسماء "ابران" "إغربين" "أنوال" و"سلوان" وغيرها من المواقع الحربية مكانها في الصدارة من بين الأحداث المأساوية التي عرفها التاريخ الإسباني. فأصبح ينظر إلى المغرب من خلالها كـ: "مقبرة شاسعة"⁹⁶.

هـ ثورة أستورياس 1934.

حيث جلبت حكومة خيل روبلس Gil. Robles النظاميين المغاربة المذخرطين في الجيش الاستعماري الإسباني، وقوات اللفييف، لإخماد ثورة عمال المناجم بأستورياس.⁹⁷ فهي الثورة التي تم اخمادها بعنف كبير ومبالغ فيه، فحسب ميغل مارتين فإن:

"الدم العمالي في المحاجر المنجمية جاء ليشكل ستارا جديدا من عدم التفاهم بين الشعبين الإسباني والمغربي".⁹⁸

ليظهر من جديد استيهاام المورو الكافر ومغتصب النساء والهمجي ... في حملة صحفية يسارية طيلة سنة 1934⁹⁹. وهو ما دفع في اتجاه توحيد النظرة السلبية للأجار الجنوبي من قبل كل التيارات السياسية الإسبانية سواء تعلق الأمر باليمين أو اليسار.

و-الحرب الأهلية 1936

والتي قامت نتيجة انقلاب فرانكو على الجمهورية. وقد استتجد في حربه ضد الجمهوريين بحملة تجنيد واسعة في صفوف المغاربة من أبناء المنطقة الشمالية¹⁰⁰.

⁹⁵ - من نماذج المبالغات الكبيرة والأخبار المكذوبة التي ساهمت في صنع التصورات والكلشيهات الإسبانية تجاه المغرب ما أورده خوان باندو في كتابه: التاريخ السري لحرب الريف: "ومن جهة الفجاج الجبلية؛ ظهرت فجأة مجموعات أخرى من الجلادين، كانت غالبيتهم من الشباب والشيوخ المسلحين "غميات gumies" كان الغضب يملكهم فراحوا يبحثون عن الجرحى فيجهزون عليهم دون رحمة ولا شفقة غير عابئين بتوسلاتهم، فيقضون عليهم وينزعون عنهم سراويلهم ليبيتروا في عصبية شديدة أعضائهم التناسلية ويضعونها في أفواههم" الصفحة 194.

⁹⁶ - ELOY MARTIN CORRALES :« la imagen del magrebí en españa : una perspectiva historica siglos XVI- XX” Op. cit p : 130

⁹⁷ - مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" ص: 252

⁹⁸ - ميغل مارتين، مرجع سابق، ص. 111.

⁹⁹ - خوان غوينيسولو: "في الاستشراق الإسباني..." مرجع سابق ص: 59.

¹⁰⁰ - لقد تضاربت الآراء حول أعداد المغاربة الذين تم تجنيدهم من قبل فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية؛ فهناك من ذهب إلى القول بـ مائة ألف مجند وهو رقم جد مبالغ فيه في حين أن مارية روسادي ماداريغا قالت بـ 80000 وذهب Richard Panuel إلى حصر العدد بين 60 و70000. صاحب كتاب "التاريخ السري لحرب الريف خوان باندو أوقف العدد عند 62000 في حين ذهب الباحث عبد المجيد بن جلون إلى أن عددهم لم يتجاوز 50000.

وستعتبر هذه المشاركة آخر مسمار تم دقه في نعش اي تعاطف أو صورة ايجابية للمغاربة، حيث سيتم تحميل "المورو" مسؤولية كل ما وقع من فظاعات في هذه الحرب ومن أبرزها: بتر الاعضاء، جدد الانوف، قطع الأذان، وقطع الخصي¹⁰¹، وغيرها من الممارسات التي تنتمي إلى القرون الوسطى.¹⁰²

كما سيتم احياء وإعادة إنتاج والترويج لمقولات وكليشيهات من قبيل "المورو الشبق"¹⁰³، المغتصب والسارق¹⁰⁴.

وقد تم استغلال مشاركة المغاربة من طرف فرانكو في خوض حرب نفسية¹⁰⁵ من خلال تهويل، وتضخيم هذه المشاركة وإضفاء طابع اسطوري على سلوكياتها.

وهو ما ساهم في خلق وتكريس كل ما قيل حول مصطلح المورو من أساطير ستحتفظ بها الذاكرة الجماعية الإسبانية إلى الابد. خاصة امام فظاعة نتائج هذه الحرب بشريا وماديا. ومن أهم الارقام الدالة على ذلك: تدمير البنية التحتية بشكل شبه تام، وضياع 60% من الآليات المتنقلة. و40% من الاسطول البحري التجاري. وتدمير أكثر من 250000 بناية، وما يقارب نفس العدد في حالة سيئة. وأكثر من 5.3% من الساكنة الإسبانية قضت نحبها في المعارك. علاوة على العدد الكبير من المساجين والمبشرين.¹⁰⁶

وتبقى أخطر نتيجة سلبية سياسية تمخضت عنها الحرب؛ ورهنت المستقبل السياسي للبلاد، هي ديكتاتورية فراكو. وما تلاها من إعدامات وعمليات قمع وتنكيل، وهو ما خلدته

¹⁰¹ - مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" مرجع سابق ص 197.

¹⁰² - J. DELPERRIÉ DE BAYAC : « les brigades internationales : 1936-1938 l'épopée de la guerre d'Espagne » Collection : marabout université ; Editions Librairie Arthème Fayard 1968 P :19

¹⁰³ - ELOY MARTIN CORRALES , Op. cit p : 159

¹⁰⁴ - مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" مرجع سابق ص 206.

¹⁰⁵ - FUAD ABDELMUMNI :« marruecos española, o la miopia de las élites »In « espana-marruecos ... desde la orilla sur : la relacion hispano- marroqui : opiniones e ideas »CARLA FIBLA CARCIA SALA (coordinadora).I caria/ antrzyt, al fanar traductores N 228 2005 p : 69.

- MARIA ROSA DE MADARIAGA: "la Guerra colonial llevada a española: las tropas marroquies en el ejército franquista »In : J. A. Conzalez Alcantud : « marroquies en la Guerra civil Española" Op cit p 87.

¹⁰⁶ - BEEVOR ANTONY :« la guerre d'Espagne »Traduit de l'anglais par Jean François Sené Edition : calmin- levy, 2006 p : 545.

الاعمال الادبية والابداعية كجزء من تركة المورو في المنطقة.¹⁰⁷

و ستشكل هذه الحرب الاهلية، أهم حدث سيطبع الوعي التاريخي الاسباني تجاه المغرب، و ستعطي لكل التبسيطات والتعميمات والصور الثابتة سلفا في لوعي الذخب والعامه على السواء في إسبانيا؛ مبررا للحياة. وهي الصورة والتصورات حسب خوان غويتيسولو التي: "تؤلف موروثا يتلقى كوصية فكرية" ¹⁰⁸ في الأوساط الاسبانية.

فما هي طبيعة الاشياء بالنسبة للطرف المغربي؟ وما هي العوامل المحددة لصورة إسبانيا في المغرب؟

الفقرة الثانية: العوامل المحددة لصورة اسبانيا في المغرب.

فيما سبق لبست صورة إسبانيا في العالم ككل لباسا سلبيا مبذيا على التعصب للمذهب الكاثوليكي. والحروب التي خاضتها في مختلف القارات.¹⁰⁹ وغيرها من العوامل التي لخصها الدكتور عبد الرحيم برادة بقوله:

" للإسبان مجموعة ثابتة من الملامح وعلى رأسها العنف والقسوة، فتاريخ البلاد هو تاريخ محاكم التفتيش والقمع في الاراضي المنخفضة وقهر الوطنيين الهنود في أمريكا وحرمان أهليتان خلال القرن 19 والحرب الاهلية المدمرة التي نحن بصدها....وقد ارتبط العنف والقسوة المذكوران بالتعصب الذي لا يعرف الحدود الوسطى، وخير مثال على ذلك التعصب للمذهب الكاثوليكي.¹¹⁰

هذا الإطار التاريخي العام لم تسلم منه العلاقات المغربية الاسبانية. فصورة إسبانيا في المغرب تتأرجح بين سلبية العوامل التاريخية من جهة. والتأثيرات الايجابية للعوامل الراهنة من جهة أخرى.

¹⁰⁷ - حسين مجدوبي: "فتح ملفات الغازات السامة ومشاركة المغاربة في الحرب الأهلية وإشكالية الموريسكيين" الأيام: عدد 349 في 17.23 أكتوبر 2008 ص: 15

¹⁰⁸ - خوان غويتيسولو: " في الاستشراق الإسباني "مرجع سابق، ص. 166

¹⁰⁹ - MORENO JUSTE ANTONIO: «del problema de españa « a » la España europeizada » : excepcionalidad y normalizacion en la posicion de España en europa »In: PEREIRA JUAN CARLOS (COORD) : la politica exterior de España (1800-2003) » Op. cit p : 299

¹¹⁰ - عبد الرحيم برادة: "اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956" الجزء الثاني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص:30.

أولا : سلبية العوامل التاريخية:

تجدر الإشارة إلى أن كل العوامل التاريخية التي أثرت في الذاكرة الجماعية الإسبانية ودفعتها إلى الاحتفاظ بصورة سلبية عن المغرب أو "المورو" كان لها نفس الفعل والتأثير في الجانب المغربي، ولم تمر دون ترك آثارها السلبية والسوداء على الوعي التاريخي للمغاربة. مما جعل مفاهيم مثل "الذصراني" "المحتل" "المستوطن" "المتعالي" 111 "دار الحرب" وغيرها من أوصاف المعجم القدحي تجد لها مكانا في الذاكرة الجماعية للمغاربة اتجاه جارتهم الشمالية.

ومن أبرز الأحداث التي ساهمت في تبلور هذه الصورة نجد:

أ. استمرار احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها:

لقد جاء احتلال سبتة ومليلية في إطار حملة صليبية تأسست كما أسلفنا على وصية الملكة إيزابيلا الكاثوليكية من جهة. ومن جهة أخرى، مدفوعة بالأطماع التوسعية للأجالة الشمالية. الأمر الذي حدى بالمغاربة إلى إعلان الجهاد¹¹² منذ الوهلة الأولى. وهو ما أسفر عن 11 حصارا لسبتة وأكثر من 113 هجوما على مدى قرون. و14 حصارا لمليلية، وأزيد من 59 هجوما ناهيك عن ما عرفته الجزر التابعة لها¹¹³.

الأمر الذي خلف حالة الحرب الدائمة¹¹⁴؛ وقوافل من الشهداء. وجراحا في الذاكرة لم تندمل بعد. بل أنتجت حقدا وكرها مغربيين للمحتل¹¹⁵.

واستمرار هذا الاحتلال حتى اليوم؛ يشكل عقبة كأداء في وجه تعاون متين وسوي بين الطرفين. بفعل واقع الاحتلال للتغرين، وهو ما ذهبت إليه حتى الكتابات الإسبانية. فقد أكد

¹¹¹ - AFFAYA NOUREDIN ET GUERRAOUI DRISS « l'image de l'Espagne au maroc » Op cit P : 10.

¹¹² - حسين مجدوبي: "ما وراء جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية" ص: 170.

¹¹³ - ابن عزوز، محمد حكيم: "سبتة ومليلية في عهد الحماية: وثائق تاريخية: من خلال النصوص التشريعية والتنظيمية التي تعترف بمغربية المدينتين" الناشر: الهلال- العربية للطباعة والنشر: الرباط 1988 مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ص: 207.

¹¹⁴ - IBN AZZUZ HAKIM MED : « el testamento de Isabel la católica y sus consecuencias nefasta... » Op. cit p : 119.

- DE LA SERNA ALFONSO : « al sur de tarifa : marruecos-españa : un malentendido historico » Op cit p : 291.

¹¹⁵ - ALAOUI MY ABDELHADI ; Op. cit p : 65.

على هذا من بين آخرين كل من ماريا روسيا دي ماداريا غا¹¹⁶ وميغل إرناندو دي لا راميندي الذي حسب رأيه :

"أدى استمرار التواجد الإسباني في الشمال الغربي لأفريقيا إلى تلطيخ صورة إسبانيا في المغرب وتعطيل تقدم التعاون الثنائي الذي بدت بوادره أثناء زيارة السلطان محمد الخامس لإسبانيا في فبراير 1957¹¹⁷".

ب- طرد الموريسكيين 1609:

وهي "كارثة تاريخية لا يتم الحديث عنها إلا حديثا مواربا¹¹⁸" وقد عملت على رسم الموقف السلبي للمغاربة من إسبانيا على مر الأجيال.¹¹⁹ فبعد نهاية حروب الاسترداد la reconquista بسقوط غرناطة سنة 1492. ستبدأ فصول مرحلة سوداء وتراجيديا انسانية عاشها مسلموا إسبانيا. ففي 14 فبراير 1502 تحت حكم إيزابيلا الكاثوليكية وفردناند تم تخيير الموريسكيين بين اعتناق المسيحية أو ترك إسبانيا، ليتم التحول إلى التنصير القسري.¹²⁰ لكن مع بداية القرن السابع عشر وتحت حكم الملك فيليب الثالث سيتم إصدار مرسوم في 09 أبريل 1609 يقضي بطرد كل الموريسكيين الذين اعتنقوا المسيحية، والذين ظل مشكوكا في عقيدتهم النصرانية. وقد تم تقدير أعدادهم بـ 325000 وهو ما يشكل 5.3% من ساكنة إجمالية قدرت بـ 5.8 مليون نسمة¹²¹.

وقد امتزج كل ما سبق بمحاكم التفتيش، التي اعتبرت فصلا أسودا في التاريخ الكندي الغربي. وما ارتبط بها من اضطهاد ديني لليهود والمسلمين على السواء. فقد كان مندوب البابا يتجول في أنحاء البلاد بحثا عن مسلمين أو يهودا مفترضين وأناس يبدون المسيحية ويخفون ممارسات ذات صلة بثقافة المورو. حيث كانت تعقد مجالس كنسية مؤقتة اعتبرت

¹¹⁶ - بوغالب العطار: سبتة ومليلية مغاربة تحت الاحتلال "مطبعة دار النشر المغربية، الطبعة الأولى: 1996 ص: 303.

¹¹⁷ - ميغل هيرناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" ص: 299.

¹¹⁸ - ماريا روزا مينوكال: "الاندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح" ترجمة: عبد المجيد جحفة ومصطفى جبارسلسلة: معالم: دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006، ص. 204.

¹¹⁹ - ALAOU MY ABDELHADI, Op. cit p: 65.

¹²⁰ - ماريا روزا مينوكال: مرجع سابق ص: 198.

¹²¹ ، تاريخ الزيارة : نونبر 2015 - www.ar.m.wikipedia.org.

بمثابة محاكم للتفتيش تحل بعد مطاردة المتهمين والتنكيل بهم والحكم عليهم في إطار مفاهيم "تؤمن بالطهرانية" و"صفاء العقيدة" و"صفاء الدم".

ورغم طول الأمد؛ فإن موضوع طرد الموريسكيين وما ارتكبت في حقهم من فظاعات مازال يحتفظ براهنيته. فوفق الأرقام المتداولة. فإن أكثر من أربعة ملايين من أحفاد الموريسكيين موزعين بين كبريات المدن العريقة المغربية.¹²² كما أن الأسر الأندلسية مازالت تتوارث مفاتيح منازلها بالأندلس.

وتقضي القوانين الإسبانية حالياً، بمنح اليهود السفارديم وهم أحفاد يهود شبه الجزيرة الأيبيرية أيام الاندلس، الجنسية الإسبانية بعد سنتين فقط من عيشهم بإسبانيا. فيما يشبه اعترافاً بخطأ طرد أجدادهم وتشريدتهم. إضافة إلى نفس المعاملة بالنسبة لأحفاد الموريسكيين في أمريكا اللاتينية؛ سواء من المسيحيين أو اليهود.¹²³ غير أن هذه القوانين لا تطبق على أحفاد الموريسكيين المسلمين. الأمر الذي يستمر في إلهاب ذاكرة هؤلاء نحو جحdan إسبانيا لحقوقهم، إضافة إلى ظلاله القاتمة التي يسدلها على الرأي العام المغربي تجاه إسبانيا .

ج- حرب إفريقيا 1860:

التي تمخضت عن احتلال ظرفي لتطوان. كان لها نصيباً في نحت الصورة السلبية للمغاربة نحو الجار الشمالي. فتأسيساً على مفهوم غامض للشرف ووهم "الحقوق التاريخية" في المغرب؛ قامت إسبانيا بحرب غير مدروسة وتدخل غير مؤطر في استراتيجية عسكرية واضحة¹²⁴.

فقد كان لهذه الحرب تأثيراً كبيراً على المغرب الحديث؛ بالنظر إلى الصدمة النفسية التي أحدثها احتلال حاضرة الشمال تطوان من جهة¹²⁵. ومن جهة أخرى نتائجها الاقتصادية والسياسية المتمثلة في المديونية الكبيرة التي خلفتها على المخزن. الأمر الذي

¹²² - جمال وهبي: "الضمير الإسباني الرسمي يرفض الاعتذار للموريسكيين" المساء، عدد 826 في 18 ماي 2009، ص: 03.

¹²³ - "الموريسكيين يطالبون الدولة الإسبانية بالاعتذار الرسمي"، المساء : عدد 1016 في 28 دجنبر 2009 ص: 07.

¹²⁴ - DE LA SERNA ALFONSO : Op. cit p : 180.

¹²⁵ DE LA SERNA ALFONSO : Op. cit p : 183.

أدى إلى رفع الضرائب؛ ورهن مداخل الموانئ. إضافة إلى تسطير نظام حماية الأشخاص من طرف القوى الأجنبية، وهو ما نال من هيبة الدولة ومهد لدخول الاستعمار.

د- حرب الغازات السامة¹²⁶

التي استعملتها إسبانيا لآخمد ثورة الريف عقب كارثة معركة أنوال. وقد تم وصف هذا الاستعمال غربيا بكل الأوصاف المشينة الممكنة¹²⁷. حيث أن تسخير إسبانيا لحربها في الريف لمليون ونصف جندي واستعمالها للمدفعية والطيران المكثف تم ختمه بالاستعمال المفرط حينها للغازات السامة¹²⁸. وذلك منذ سنة 1923 حتى 1927. وهي الفترة التي أُلقت فيها إسبانيا على الريف 110 طن من غاز اللوست و10000 قنبلة كل واحدة تزن ما بين 20 إلى 100 كيلو غرام مع قوة تدميرية تصل إلى 2500 متر مربع. وذهبت بعض المراجع إلى احتمال استعمال 400 طن من غاز اللوست الخطير¹²⁹.

إضافة إلى استعمال غازات أخرى أكثر خطورة ك: الفوسجين والكلوروبيكارين cloropicrin والفسفور الأصفر ومادة الاكسول المحضرة عالميا¹³⁰.

وقد كان لألمانيا دورا مخزيا في تمكين الإسبان من هذه الصناعة الخطيرة وتقديم المساعدة في الحملة الريفية للغازات السامة¹³¹، التي عرفت قصف الدور السكنية والأسواق الأسبوعية كما كان حال سوق خميس أنجرة بمدينة شفشاون. وتسميم مياه الأنهار

¹²⁶ - وقع تعتيم كبير على الاستعمال الإسباني للغازات السامة في المغرب والوثائق المحفوظة في الأرشيف العسكري الإسباني تشير إليها من خلال شفرات ورموز تقاديا لذكر أسمائها. وقد انتظر الباحثون حتى سنة 1990 مع صدور كتاب: "حرب الغازات السامة بالمغرب: عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي" للصحفي الألماني روبرت كونز والمؤرخ "رولف ديتر مولر" لمعرفة تفاصيل أكثر عن ملف الغازات الإسبانية وحجم الكارثة. وقد تمت ترجمته سنة 1996 من طرف عبد العالي الأمrani، كما سلط المؤرخ الهولندي: "يان هوفنار" مزيد من الضوء على الموضوع سنة 1991 بنشره دراسة تحت عنوان "المغرب كحقل تجارب للغازات الألمانية السامة"

¹²⁷ - BALFOUR SEBASTIAN : « el otro moro en la guerra colonial y la guerra civil », In JOSE. A. GONZALEZ ALCANTUD : « marroquies en la Guerra civil española », Op. Cit, p : 99 -Cajal, - Maximo : « ceuta ; melilla, olivenza y Gibraltar donde acaba España ? » Op cit p : 150.

¹²⁸ - ميغيل مارتين، مرجع سابق، ص: 55.

¹²⁹ - الحمداوي أحمد: "الانعكاسات النفسية والاجرامية للسلاح الكيميائي على سكان الريف" في: "الحرب الكيميائية ضد الريف" إشراف رشيد راخا: ميمون شرقي وأحمد الحمداوي. أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجا. الناظور في 24 فبراير 2004، سلسلة: التاريخ والانتروبولوجيا. الناشر: إيديسيون أمازيغ، مطبعة بني يزناسن- سلا، الطبعة الأولى 2005 ص: 34.

¹³⁰ - مصطفى مرون: "منطقة شمال المغرب في مواجهة حرب الغازات السامة (1921-1927) أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة حرب الريف نموذجا" مرجع سابق، ص: 25.

¹³¹ - PACO SOTO : « gaz toxiques contre le rif », op cit, p : 73

والجداول وهو ما أدى سنة 1925 إلى انتشار وباء التفويد الناتج عن تلوث الغازات.¹³² ونتيجة لهذه الأعمال، فم منطقة الريف تعرف اليوم أكثر من 60% من مجمل مرضى السرطان بالمغرب.¹³³ والعلاقة السببية بين هذه النسبة والغازات السامة التي استعملت إسبانيا تقول بها الدراسات والأبحاث الإيبيرية نفسها، وهو ما ذهب إليه "روني بيتا" أستاذ في المدرسة العسكرية للدفاع بمدير. وخلصات شعبة علم التسمم والصيدلة بجامعة كومبلتينسي بمدير أكد على أن غاز الخردل يتسبب في مرض السرطان ويعمل على تغيير الجينات والنقل الوراثي لهذا المرض.¹³⁴

وهي معطيات تجعل الموضوع أكثر راهنية من ذي قبل خاصة أمام دفع شبكة المجتمع المدني الريفي، بكون انتشار مرض السرطان يعتبر جريمة إنسانية دولية غير قابلة للتقادم. ورفع جمعية ضحايا الغازات السامة بالريف الملف إلى محامي الشعب الإسباني.

وقد صرح مصطفى المنصوري سنة 2009، وهو رئيس لمجلس النواب وزعيم لحزب التجمع الوطني للأحرار حينها، أن الظرفية مناسبة للمطالبة بفتح ملف استعمال إسبانيا للغازات السامة في الريف.¹³⁵ وسعيد وزير الخارجية المغربي سعد الدين العثماني سنة 2012 نفس السيناريو أمام البرلمان، من خلال دعوة إسبانيا إلى تعويض سكان الريف عن استعمال الغازات السامة وفتح حوار رسمي في الموضوع مع الحكومة المغربية.¹³⁶ وهي كلها معطيات تصب في أهمية هذا الملف في الذاكرة الجماعية المغربية. وفي استعادة هذه الذاكرة خاصة إذا انضاف إلى كل ما سبق الاهتمام الذي توليه الأحزاب القومية الإسبانية للموضوع. فقد سبق وأن تقدم حزب اليسار الجمهوري الكتلاني والحزب الباسكي وحزب اليسار الموحد بمشروع قانون إلى البرلمان الإسباني ينصف الريفيين عبر مبادرات سياسية ومالية في منطقة الريف.¹³⁷

¹³² - سعيد محمد عبد الكريم الخطابي: "الحرب الكيماوية القذرة في الريف" أعمال الندوة الدولية حول: "استعمال الغازات السامة. حرب الريف نموذجا" مرجع سابق، ص: 19

¹³³ - عبد الله الدامون: "لويس بلاناس سفير الوقت الضائع" المساء، عدد 783 في 28-29 مارس 2009 ص: 14
¹³⁴ : تاريخ الزيارة دجنبر 2015. - www.nadorcity.com

¹³⁵ - المساء، عدد 807 في 25-26 أبريل 2009 ص: 01 .

¹³⁶ - المساء، عدد 1810 في 18 يوليوز 2012 ص: 01.

¹³⁷ - حسين مجدوبي: "فتح ملف الغازات السامة ومشاركة المغاربة في الحرب الاهلية وإشكالية الموريسكيين: استيقاظ الذاكرة المغربية التاريخية تجاه إسبانيا" الأيام عدد 349 في 17-23 أكتوبر 2008 ص: 15.

هـ- الحرب الأهلية الإسبانية:

شكلت نقطة سوداء في الذاكرة الجماعية للشعبيين المغربي والإسباني على السواء، فقد عانى الجانب المغربي هو الآخر من اسقاطاتها ونتائجها. وكان هو الآخر ضحية لنارها المستعرة. فقد تم تجنيد أعداد مهمة من القوات النظامية المغربية المشاركة في صفوف فرانكو بالقوة، كما أن تزامن هذه الحرب مع مواسم الجفاف وقلة المحاصيل في الريف شكل ضغطا مهما على ساكنة الريف ودفع بهم إلى المشاركة فيها¹³⁸ هربا من المجاعة وسوء الأحوال المعيشية.

وقد كانت نتائج هذه الحرب كارثية بالنسبة للمشاركين المغاربة؛ حيث تم استعمالهم كمقدمة لفوهات المدافع¹³⁹؛ وتم الزج بهم في المعارك الانتحارية. وهي ممارسة استعمارية عريقة عرفت أيضا الحرب العالمية الأولى والثانية. ويلخص فداحة الخسائر المغربية، قول السيد عبد السلام بوطيب "رئيس مركز الذاكرة المشتركة والمستقبل"، وهي أول هيئة مغربية تشغل على ملفات الماضي بين المغرب وإسبانيا:

"عدد القتلى المغاربة وفقا للوثائق المتوفرة، بما فيها الدراسات التي قام بها باحثون ومؤرخون إسبان يقدر بحوالي 163 ألف مغربي بينهم 63 ألفا تقريبا لا يزال مصيرهم مجهولا، علاوة على 10 آلاف طفل من أبناء الريف تقل أعمارهم عن 12 سنة تم ترحيلهم قسرا على متن سفينة إسبانية وإنزالهم في السواحل الإسبانية لكي يشكلوا طابورا في وجه المقاتلين الجمهوريين".¹⁴⁰

بالإضافة إلى العدد الهائل للقتلى المغاربة في الحرب الأهلية، وشمّت الذاكرة المحلية بمأساة طابور الأطفال سالف الذكر، والذي تمت إبادة عن آخره وعرف أيضا بطابور "الليما" فحين كان الصغار يسقطون صرعى كانوا يصرخون "ألليما".¹⁴¹

¹³⁸ - MARIA ROSA DE MADARIAGA :« la guerra colonial llevada a España : las tropas marroquies en el ejercito franquista » Op. cit p : 74.

¹³⁹ - مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" مرجع سابق، ص: 197.

¹⁴⁰ - إدريس العنبري: "ملف المغاربة ضحايا الحرب الأهلية الإسبانية على مكتب القاضي غارتون" المساء، عدد 640 في 10 أكتوبر 2008 ص 01

¹⁴¹ - الحسين بوجداد: "لكي لا ننسى: آثار وانعكاسات الحرب الأهلية الإسبانية على شمال المغرب من خلال المکتوب والموروث الشفهي الريف نموذجا" الجزء الثاني. العلم، عدد 20194 في 10 شتنبر 2005 ص 07

وهي معطيات تبين حجم المعاناة المغربية من آثار الصراعات الداخلية الإسبانية والإرث التاريخي لعلاقات البلدين.

لكن الظاهرة المثيرة للانتباه، هي أن صورة إسبانيا في المغرب تتجاذبها عوامل ايجابية ايضا وجانب مهم من المغاربة لا ينظرون إلى إسبانيا بعدائية.¹⁴² فما مدى ايجابية هذه الصورة؟ وما هي العوامل المساهمة في خلقها؟

ثانيا : العوامل المساهمة في خلق صورة إيجابية.

وهي عوامل تنقسم إلى تاريخية من جهة، ومعاصرة من جهة أخرى. ولعل أبرزها يبقى:

أ- الحنين إلى الأندلس:

تشكل الأندلس حالة فريدة في تاريخ الضفتين؛ بالنظر إلى مستوى التقدم والرقى الذي بلغته الممالك العربية في شبه الجزيرة الأيبيرية. فقد أخذت هذه البقاع من "دار الإسلام" سابقا؛ إشعاعا عربيا وإسلاميا غير مسبوق. فالحنين إلى الفردوس المفقود؛ الأندلس، شكل حالة وجدانية خاصة في المغرب، بحكم القرب الجغرافي وأيضا بحكم مساهمته في هذا البناء الحضاري منذ الوهلة الأولى.

فقد تحولت الأندلس إلى أسطورة متجذرة في الذاكرة الجماعية العربية،¹⁴³ كنقطة مشرقة في تاريخ الإنسانية. مما دفع إلى خلق نوع من الخلط بين الأندلس التاريخية وإسبانيا الديمقراطية اليوم¹⁴⁴. ويعد الانقطاع عن أخبار الجارة الشمالية وطول الأمد ثم الجهل بالواقع، من الأسباب التي تحولت تدريجيا إلى نوع من الحب لإسبانيا ورموزها الثقافية في خلط مع الأندلس¹⁴⁵. الأمر الذي ساهم في إحيائه بشكل كبير؛ السياسة العربية لنظام

¹⁴² - VERDASCO PEDRO (director general: trade maroc consulting) « entrevista con » kántara, n 08 julio agosto 2011, p : 67.

¹⁴³ - MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI :« perception espagnole du maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique »In « le maghreb, l'europe et la France » Op. cit : p : 167.

¹⁴⁴ MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI :« perception espagnole du maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique »In « le maghreb, l'europe et la France » Op. cit : p : 167.

¹⁴⁵ - CHAACHOO ABDESLAM :« carta abierta a TVE » Actas del encuentro España marruecos: dialogo y convivencia” del 23-25 de octubre de 1998 en tetuan y chouen.Publicaciones de la asociacion tetuan asmir; altopress, tanger 1 era edicion octubre 1999 P : 134.

فرانكو، والتي كان يريد منها فك العزلة عن نظامه بعد المقاطعة التي وجدها من الأنظمة الغربية الديمقراطية من جهة، والمعسكر الشيوعي من جهة أخرى.

وهذه السياسة العربية، عملت على اللعب على هذا الوتر الحساس المتمثل في الدنين إلى الاندلس. وزادت من تغذيته في توجه رسمي نحو ذلك. وقد كان من نتائج هذه السياسة، الحضور الإسباني الايجابي في منطقة الحماية الإسبانية، منذ انتهاء المقاومة إلى تاريخ خروج الإسبان من المغرب في 07 أبريل 1956. والذي ساهم هو الآخر في رسم معالم الصورة الايجابية لإسبانيا التي نلحظها اليوم. حيث قام نظام فرانكو بالكثير من الأعمال التي طبعت مواقف العديد من المغاربة بمن فيهم المثقفين، ونرصد هنا نموذج المؤرخ محمد بن عزوز حكيم الذي ألقى في ندوة "المغرب - إسبانيا" حوار وتعايش بتطوان، خطابا تمجيدا لكل إيجابيات الحماية الإسبانية، التي تميزت حسب رأيه في عهد فرانكو بإطلاق الحريات ودعم الصحافة وإرسال البعثات التدريبية للمشرق العربي¹⁴⁶.

ب- إسبانيا الديمقراطية:

فحسب استطلاع للرأي قام برصد صورة إسبانيا في المغرب، تبين أن 40 ٪ . 69¹⁴⁷ من عينة الدراسة تبدي تعاطفا وتقديرا لإسبانيا نتيجة ما وصلت إليه ديموقراطية من حريات؛ واقتصاديا من مؤشرات للنمو المتزايد. بحيث أصبحت إسبانيا الديمقراطية نموذجا يحتذى وقوة في هذا المضمار من قبل المغاربة¹⁴⁸. وهو ما يعطي ويفتح آفاقا لإمكانية تطوير علاقات حسن الجوار، والتعاون بين الطرفين في إطار شراكة قائمة على الاحترام المتبادل. وعلى العمل على تقليص عوامل التوتر والتحكم بها.

¹⁴⁶- HAKIM MOHAMED IBN AZUZ : "una vision realista del protectorado ejercido por España en marruecos" Actos del encuentro : " España- marruecos : dialogo y convivencia " Op. cit p : 49.

¹⁴⁷ - AFFAYA NOURDINE ET GUERRAOUI DRISS : « l'image de l'espagne au maroc » Op. cit, P : 62 et 133.

¹⁴⁸ - ALAOUI ALI : « les relation maroco espagnoles de 1974 a 2004 la perception marocaine de la position espagnole concernant la question du sahara » Thèse de doctorat nationale, université HASSAN II Ain chock faculté des sciences juridique économique et sociales casablanca Département : droit public/ sciences politique UFR : droit international et relations internationales année universitaire 2005.P : 200.

- CHAACHOO, ABDESLAME : « carta abierta a TVE » Op. cit p : 133.

هذا في حين أن نسبة الأشخاص الذين يحملون تصورات سلبية عن إسبانيا، حسب الدراسة المشار إليها أنفاً تبلغ %50 . 25 من المستجوبين وهوما يبقى واضح الدلالة.

ج- كرة القدم.

والتي لم تعد مجرد لعبة. ويكفي في هذا السياق أن نشير إلى مقولة المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي الذي اعتبر كرة القدم مملكة الحرية الانسانية الممارسة في الهواء الطلق¹⁴⁹. فأمام شعبية هذه اللعبة وانتشارها العالمي؛ تم استعمالها سياسياً إلى أبعد الحدود. وهو الأمر الذي لم تسلم منه السياسة الخارجية للدول.¹⁵⁰ فقد كانت سبباً في دخول هندوراس وسلفادور حرباً مفتوحة عام 1966 عقب مباراة تأهيلية لكأس العالم.¹⁵¹ كما ساهمت في التقارب الياباني الكوري الجنوبي عقب التظيم المشترك لكأس العالم 2002. وجنبت ساحل العاج حرباً أهلية سنة 2008 وساهمت في تأزيم العلاقات الجزائرية المصرية سنة 2010. فقد اعتبرتها مجلة التايمز اللندنية؛ اقتباساً من مقولة كلوزويتز CLAUSEWITZ استمراراً للحرب بطرق أخرى¹⁵².

والشاهد عندنا أن كرة القدم تساهم في تحسين صورة الدول والرفع من شعبيتها.¹⁵³ وهو واقع الحال في العلاقات المغربية الإسبانية، فأمام عشق المغاربة للعبة وانتشارها الكبير بين كل الفئات. وبالنظر للحضور العالمي للبطولة الإسبانية وخاصة مباريات فريق ريال مدريد وبرشلونة. فقد وجدت لها صدى في الشارع المغربي.

وهو ما أكد عليه المفكر الإسباني "خوان غويتيسولو" من أن شعبية إسبانيا في المغرب ترجع أساساً إلى كرة القدم¹⁵⁴. وخاصة فريق ريال مدريد وبرشلونة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه التطبيع الكروي أو دبلوماسية كرة القدم. ويكفي أن نشير هنا إلى

¹⁴⁹ - IGNACIO RAMONET : « un fait social total » in « football et passions politiques », Manière de voir N : 39, bimestriel, mai/juin 1998 p : 06.

¹⁵⁰ - الغزالي اسامة حرب: "كرة القدم والسياسة الخارجية" مجلة: السياسة الدولية، عدد 179 في يناير 2010 ص: 06.

¹⁵¹ - نفس المرجع.

¹⁵² - BONIFACE PASCAL : « Géopolitique du football » Manière de voir n 39 p : 11

¹⁵³ - Ibid, p : 12

¹⁵⁴ - interview avec : " JUAN COYTISOLO " L'express international 2787 p : 40.

تصريح رئيس فريق ريال مدريد في كأس العالم للأندية الذي استضافه المغرب ؛ حيث أكد على أن فريقه في المغرب يلعب في بلاده بالنظر إلى أعداد المغاربة الذين حجوا لمشاهدة مباريات فريقه. وهي كلها معطيات تصب في تحسين صورة إسبانيا في المغرب. وبالنظر إلى كل ما أسلفنا من معطيات؛ يبقى الإشكال المعلق هو تقييم العامل الثقافي التاريخي وحجم تكييفه لعلاقات البلدين؟

المطلب الثاني: تقييم لحضور العامل الثقافي - التاريخي في علاقات البلدين

لا شك في أن للبعد الثقافي التاريخي حضوره الوازن في العلاقات الدولية. ويشكل اليوم أكثر من أي وقت مضى عاملاً مهماً في فهم تناقضات الصراع الدولي، ويكفي أن نذكر بنظرية سامويل هانتغتون صراع الحضارات،¹⁵⁵ القائمة أساساً على أننا دخلنا طوراً جديداً من السياسة العالمية قائماً على الثقافة والعوامل الحضارية كباعث على الانقسامات الرئيسية بين الشعوب.

وهو ما يجد نوعاً ما صدقاً له في العلاقات المغربية الإسبانية. فما هو حجم وأهمية هذا البعد الثقافي التاريخي في علاقات البلدين (الفقرة الأولى) ؟ وما هي المبادرات والحلول المتبعة للتخفيف من وطأة هذا البعد (الفقرة الثانية)؟

الفقرة الأولى: حجم وأهمية البعد الثقافي-التاريخي:

وهو حجم وأهمية تتحدد من خلال رصد الحضور الوازن لهذا البعد في علاقات البلدين بشكل عام (أولاً) ثم العمل على تفكيك آليات اشتغال هذا البعد من خلال دراسة نموذج الحرب الأهلية الإسبانية (ثانياً) دون إغفال تقييم البعد الثقافي التاريخي من خلال الاستعمال التبريري له، الذي تلجأ إليه مختلف أصناف النخب الإسبانية (ثالثاً).

¹⁵⁵ - محمد سعدي: "مستقبل العلاقات الدولية" مرجع سابق، ص: 113.

أولاً: الحضور الوزن للبعد الثقافي-التاريخي

إن مفهوم "الآخر" الذي يشكل جانباً من معرفتنا الشاملة بانفسنا حسب خوان غويتيسولو¹⁵⁶. بشكل يصعب معه تحديد مجموعة "نحن" بأي طريقة كانت دون الآخر المغاير¹⁵⁷. وهو الأمر الذي يسلط الضوء على أهمية الذاتي في الوعي الفلسفي الأوروبي والغربي بحيث لا يتم الإثبات إلا من خلال الذاتي. والأنا لا يتم إدراكه إلا من خلال الآخر المختلف¹⁵⁸.

وبالنظر إلى أهمية مفهوم الآخر، دخلنا إلى ما اصطلح عليه بـ "إحداث الآخر"¹⁵⁹ حيث قام الغرب باختراع شرقه¹⁶⁰.

لنصل إلى حالة من التماهي والقرب يصبح الآخر فيها "كجزء من الذات"¹⁶¹. لتبرز في هذا الإطار "الصورة". صورة الآخر التي يتم من خلالها محاولة اختزاله من جهة؛ وفهمه من جهة أخرى.

وكما أسلفنا في المطلب الأول عند التطرق للمخيال أو الوعي الجمعي¹⁶² الإسباني تجاه المغرب؛ والمغربي تجاه إسبانيا، فإن صورة الآخر تشيد دائماً على ميدان التاريخ. وتمتدح من تعقيدات وثقل الوعي التاريخي¹⁶³ لعلاقات محددة. لكن ما يثير الانتباه هو أن صورة الآخر ليست هي الآخر بالضرورة. فهي بناء في المخيال؛ وتصور ذهني قد لا

¹⁵⁶ - خوان غويتيسولو: "في الاستشراق الإسباني" مرجع سابق، ص. 240.

¹⁵⁷ - مايك كرانغ: "الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافية في تفسير الظواهر الإنسانية" ترجمة سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة، عدد 317 في يوليو 2005، مطابع السياسة، الكويت ص: 89.

¹⁵⁸ - محمد سعدي: "مستقبل العلاقات الدولية" مرجع سابق، ص. 187.

¹⁵⁹ - مايك كرانغ: "الجغرافيا الثقافية" مرجع سابق، ص: 90.

¹⁶⁰ - الطاهر لبيب: "الآخر في الثقافة العربية" في: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه "تحرير: الطاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع الطبعة الأولى، غشت 1999. ص. 192.

¹⁶¹ - نفس المرجع ص: 22.

¹⁶² - لقد عرف دوركايم الوعي الجمعي أو الجماعي باعتباره: مجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة بين متوسط أعضاء مجتمع واحد. إن أساس هذا الوعي لا يرتبط بعضو واحد أو عضوين فهو مستقل عن الشروط الخاصة التي يعيش فيها الأفراد بمعنى أنه مستقل عن الوعي والوجدان الفردي للأشخاص رغم أنه لا يمكن أن يتحقق إلا بها، فهو منتشر في المجتمع برمته "انظر رشيد مقتدر: "الإرهاب والعنف السياسي: من تفجيرات الدار البيضاء إلى قضية بلعيرج" منشورات: مدارك: مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى، ماي 2008 ص: 62.

¹⁶³ - CHIKHI DJAMILA : « les relations hispano-marocaines à l'épreuve de la crise persil » LEILA » In « les relations moroco-espagnoles » Revue : paix et sécurité internationales N 01 juin 2003 p :91.

يكون واقعيًا؛ وقد تكون انعكاسًا لغموض في فهم الصورة الحقيقية¹⁶⁴.

وفي نفس السياق؛ نجد الأفكار النمطية والكليشيهات اللاعقلانية، التي يتم نحتها على مدار قرون. فهي جزء من الميراث الاجتماعي للمجتمع؛ ويصعب الهروب من تعلمها. فحسب علماء النفس الاجتماعيين فإن الأفكار النمطية هي: "الصورة والمعتقدات التي نتمسك بها عن الآخرين أفرادًا أو جماعات؛ وتتكون من مجموعة من السمات أو الخصائص (قد تكون إيجابية أو سلبية) التي تميز جماعات معينة"¹⁶⁵.

وحسب "والتر ليبمان" فإن تعقيد العالم من حولنا وتتابع الأحداث التي يصعب إدراكها ووضع خطاطة لفهمها، يدفع إلى بناء نماذج مغرقة في التبسيط وتكتسب صلابة مع الزمن¹⁶⁶. وهو مبرر وجود الأفكار النمطية التي تدفع مع الوقت إلى التعصب؛ على اعتبار أن العلاقة بينهما هي علاقة جدلية وقوية. فالأفكار النمطية تؤدي إلى مزيد من التعصب والتعصب يبرز الأفكار النمطية. ويرى "روبرت بارون" أن التعصب:

"اتجاه – في الغالب سلبي – ضد أعضاء جماعة ما، ليس إلا لعضويتهم وانتمائهم لهذه الجماعة"¹⁶⁷.

ومن سوء الطالع؛ أن التعصب والأفكار النمطية الناتج عنها، والتبسيطات والتعميمات والصور الثابتة؛ تتناقل بين الأجيال. وتؤلف موروثًا يتلقى كوصية فكرية¹⁶⁸. فهي عنيدة¹⁶⁹؛ ولها أرواح عديدة؛ بحيث تستمر في الزمن¹⁷⁰. وتشكل مصدرا رئيسيا للنزاعات وبث روح عدم التسامح¹⁷¹.

¹⁶⁴ - DE LA SERNA ALFONSO : « al sur de tarifa : marruecos-España : un malentendido historico », Op. Cit : p : 34.

- الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص: 21

¹⁶⁵ - أحمد زايد: " سيكولوجية العلاقات بين الجماعات: قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات " سلسلة عالم المعرفة، عدد 326 في أبريل 2006، ص 127

¹⁶⁶ - نفس المرجع ص: 76.

¹⁶⁷ - نفس المرجع ص: 66

¹⁶⁸ - خوان غوبينيسولو: "في الاستشراق الإسباني" ص: 166

¹⁶⁹ - AFAYA .N. ET GUERAOUI .D:« l' image de l'Espagne au maroc »Op. cit p :11

¹⁷⁰ - FLORENCIO RAFAEL NUNEZ: "la imagen de españa en el mundo: la "marca España" In Juan Carlos Pereira, op. cit p: 199.

¹⁷¹ - روبرتو توسييرياني وماريا مانسي: "ما بعد الأحكام المسبقة" في: الطاهر لبيب: "صورة الآخر: العربي ناظرًا ومنظورًا إليه" مرجع سابق، ص: 142.

وقد شكلت العلاقات المغربية الإسبانية نموذجا مثاليا لأهمية العامل الثقافي الديني في العلاقات الدولية. وتجسيدا فريدا للتعقيد النظري الذي اسلفنا، وهو ما دفعنا إلى تجريب هذا البراديغم والبحث في مداه. الأمر الذي تكشف عن زخم العامل الثقافي¹⁷²، وكثافة حضوره في علاقات البلدين.

فالقرب الجغرافي بينهما تمخض عن تاريخ مشترك.¹⁷³ وزخم من الروابط التاريخية؛ لم تتيسر لغيرهما من شعوب البحر الأبيض المتوسط¹⁷⁴. مما يجعل أي قراءة للتاريخ الإسباني لا تستحضر البعد المغربي تبقى ناقصة على المستوى الموضوعي والمنهجي.¹⁷⁵ بحيث نلاحظ الوجود الدائم للمغرب في التاريخ الإسباني¹⁷⁶. كما ثبت تاريخيا أنه عند غياب الحضور المغربي في إسبانيا؛ فإن العكس هو الحاصل أي حضور إسبانيا في المغرب¹⁷⁷. فقد ذهب السياسي الإسباني المخضرم "مانويل أثانيا"، الذي كان رئيسا للجمهورية الإسبانية قبل اندلاع الحرب الأهلية في الثلاثينيات إلى أن: "المغرب يهيمن علينا أكثر مما نهيمن عليه نحن".¹⁷⁸ وهي هيمنة بمعنى الحضور المستمر وكثافة التأثير في المذيال الجماعي الإسباني، فحسب "مارية روسادي مادارياغا" قلما يوجد إسباني اليوم ليس لأبيه أو جده ذكريات مرتبطة بالمغرب¹⁷⁹. زد على ذلك أن الحروب التي خاضتها إسبانيا خلال 150 سنة الأخيرة، باستثناء كوبا والفلبين، كانت ضد المغرب¹⁸⁰. وهو ما جعل

¹⁷²- RUEDA BEATRIZ MOLINA: "El entendimiento hispano marroquí desde las cosmovisiones de paz."

In actas del encuentro : « España –marruecos dialogo y convivencia » Op. cit p : 91.

¹⁷³ - AFAYA .N ET GUERAOUI D: « l' image de l'Espagne au maroc » op. cit p : 07.

¹⁷⁴ - وجهة نظر: محمد الخشاني: "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للثوابت والتحديات" إعداد: بوغالب العطار؛ الاتحاد الاشتراكي، عدد 7636 في 09 يوليوز 2004.

¹⁷⁵ - بوهادي بوبكر: "المغرب من قضية استعمارية إلى مشكلة سياسية خطيرة بالنسبة لإسبانيا" في:

"Marruecos, España y Portugal: hacia nuevos espacios de dialogo" op. cit p : 17

¹⁷⁶- IBN AZZUZ HAKIM: MOHAMED: « la oposicion de los dirigentes nacionalistas marroquies a la participacion de sus compatriotas en la guerra civil española » In : J.A CONZALEZ ALCANTUD : « marroquies en la guerra civil española : Campos equívocos » op. cit p : 15.

¹⁷⁷- interview: FERAHATE HALIMA (historienne), Le journal, N 324 du 10-16 November 2007 p: 31.

¹⁷⁸ - حسين مجدوبي: "أسباب الهوس الإسباني الدائم لتأزيم العلاقات مع المغرب" الأيام عدد 374 في 17-23 أبريل 2009 ص 20.

¹⁷⁹ - مارية روسا دي مادارياغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" ترجمة : كنزة الغالي، تقديم : محمد العربي المساري، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، عدد 10، طبع : مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 2006، ص 06.

¹⁸⁰ - حسين مجدوبي: "إسبانيا تسن سياسة دفاع وطني جديدة: أطروحة المغرب كعدو جنوبي تتضاءل" الأيام، عدد 177 في 30 مارس 04 أبريل 2005 ص: 12

التاريخ المشترك للبلدين يلبس رداءا عدائيا¹⁸¹؛ منظورا إليه من زاوية سلبية كمسلسل من الصراعات.

ينضاف لهذا الحضور وكثافة العلاقات التاريخية؛ الغموض الذي يلف هذا البعد الثقافي في علاقات البلدين. والهالة التي يتمتع بها؛ ولعل أهم دليل على ذلك هو مفهوم "المورو" الذي يؤثث الذاكرة الجماعية الإسبانية¹⁸²، والذي اعتبره المستعرب "مارتينس مونتافت" مفهوما خرافيا طبعه الاسبان بخصوصية لا توجد عند غيرهم.¹⁸³ والذي يشكل قطب الرحى في هذا العامل الثقافي.

فالمورو هنا أصبح ابتكارا خياليا، واستيهاما¹⁸⁴ هاجعا في العالم الذهني للاسباني في قطيعة مع الواقع. ويبقى أهم تصوير وتمثيل لذلك قول المفكر الاسباني خوان غويتيسولو: "المورو أشبه ما يكون عندنا بالمغناطيس الجاذب إليه كوكبة من الصور الازدرائية والصفات العنصرية المتكررة على نحو مدهش والى حد الهوس إن صورة الآخر التي صنعناها لنقل من شأنه، والتي يستحضرها البعض والبعض الآخر كلا من موقعه الخاص، إنما تنتهي إلى اخافتنا نحن أنفسنا".¹⁸⁵

وهو ما ذهب إليه أيضا "دي ماداريغا" في دراستها عن صورة المورو في الكتاب المدرسي الاسباني ما بين 1938 و 1990. حيث أكدت أن الاطفال الذين أخذوا عن هذه الكتب أصبحوا يطلقون أحكام قيمة جاهزة عن المورو، يعجزون هم أنفسهم عن فهمها أحيانا. كما أكدت الباحثة على ان الكتاب المدرسي الذي صدر بعد سنة 1990، تجاهل

¹⁸¹ - THIBAUD CECILE: "Espagne –maroc : l’embellie » L’express international N : 2787 p : 37.

- خيما مارتين مونيز: "العلاقات بين المغرب وإسبانيا تتراوح بين المد والجزر" ترجمة: سهيلة الريكي. الأحداث المغربية، عدد 609 في شتنبر 2000 ص: 03.

¹⁸² - تعبير الذاكرة الجماعية أدرج لأول مرة سنة 1940 على لسان هليواشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي جملة من الأفكار والرؤى والاحاسيس المحفوظة من الماضي، يتشارك فيها ويجمع عليها عادة معظم أفراد مجتمع ما، وتعتبر هذه الذاكرة جزءا من عملية بناء المعنى والعبر من الماضي. انظر: المصطفى مرادا: "الذاكرة الجماعية... حوار النسيان والتذكر" المساء، عدد 1347 في 21 يناير 2011 ص: 20 والذاكرة الجماعية ليست معطى جاهزا؛ بل هي كيان بينى وينمو ويشيخ ويصبح له حضورا وحياة ذاتية.

¹⁸³ - عبد الواحد أكميز: الهجرة إلى الموت" مرجع سابق، ص: 120 و 133.

- ALCANTUD JOSE A. CONZALEZ: «lo moro : las logicas de la derrota y la formacion del estereotipo islamico » Op. cit p : 161.

¹⁸⁴ - خوان غويتيسولو: "في الاستشراق الإسباني" ص 127 و 32.

¹⁸⁵ - نفس المرجع، ص: 30.

التطرق للمورو؛ وهو موقف أخطر من العداء حسب "مادارياغا"¹⁸⁶.

كما أن العداء للمورو يضرب أطنابه في النخب السياسية؛ سواء اليمينية أو اليسارية.¹⁸⁷ بحيث يمكن أن نعتبره اليوم جزءا من الثقافة السياسية الاسبانية. أي انه تغلغل في بذيات تفكير النخب وكل الشرائح. حيث لا يمكن التفكير في المغرب واسبانيا دون الرجوع إلى هذا البراديغم الذي يطرح نفسه بإلحاح، والذي أصبح ثابتا من ثوابت الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية للشعب الاسباني.

وبالتالي أصبح أي حدث أو ظاهرة جديدة في علاقات الضفتين يتم النظر إليها من خلال مفهوم المورو؛ وترسيخ سلبيته. ومثال ذلك ملفات كالهجرة، المخدرات، الإرهاب الصادات الفلاحية، وغيرها من المواضيع.

وقد رافق هذا الوضع، ونتج عنه أيضا في عملية جدلية؛ جهل عام بالمغرب؛ وما يجري فيه نتيجة الافكار الجاهزة والقناعات المشوهة.¹⁸⁸ ويؤكد ذلك استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الأبحاث الاجتماعية الاسباني سنة 1998، والذي بين أن نسبة 69.8 % من عينة البحث لم تتواصل مع أي مغربي على الإطلاق، و 91.60 % لم تزر المغرب من قبل و صرحت 48.10 % أنها غير معنية بإجراء هذه الزيارة، و 40.50 % تعتقد أنه لا يوجد أي نوع من العلاقات الاقتصادية بين المغرب واسبانيا¹⁸⁹.

وهو جهل متبادل بين الطرفين تمخض عن الخلافات والصراعات الثنائية.¹⁹⁰ وغذى لدى جيراننا الشماليين مقولة الخطر القادم من الجنوب. وأعطى المغرب حسب "خ. ك

¹⁸⁶ - عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت" مرجع سابق. ص: 112

¹⁸⁷ - GOYTISOLO JUAN : « el problema del sahara » Editorial : ANA GARAMA, Barcelona, 1979 P : 108 ALCANTUD JOSE A. CONZALEZ : « lo moro : las lógicas de la derrota » Op. cit p : 205.

¹⁸⁸ - خيما مارتين مونيوت: "الإسلام والمسلمون في إسبانيا : من خلال دراسات ميدانية" ترجمة: الدكتور كزرة الغالي سلسلة ضفاف، عدد 11 منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، 35

¹⁸⁹ - CAJAL MAXIMO, Op. cit p : 209.

¹⁹⁰ - GARCIA, BERNABE LOPEZ: « marruecos y españa : una historia contra toda logica » Op. cit p : 374.

- SEHIMI MUSTAPHA : « ce que cache l'affaire AMINATOU HAIDAR en duplicité, intrigue et subversion : le double jeu de l'Espagne », Maroc hebdo international, N :866 du 18-24 décembre 2009, p : 23.

خمنيس ردونديو "صفة عدو الأمة enemigo de la nacion"¹⁹¹.

وقد عززت استطلاعات الرأي التي قام بها مركز الأبحاث الاجتماعية الإسبانية هذا التوجه. ففي سنة 2002 وبخصوص البلدان التي تمثل تهديدا مباشرا لإسبانيا، احتل المغرب المرتبة الأولى بنسبة 67%. متبوعا بالولايات المتحدة الأمريكية بنسبة 19%¹⁹²؛ وقد استمر المغرب في احتلال المقدمة في استطلاع الرأي الذي أجرته مؤسسة "سيكما دوص" سنة 2008، حيث أجزم أكثر من 50% من الأسبان على أن المغرب لا يمكن أن يكون صديقا لإسبانيا عكس ما هو عليه الحال مع فرنسا والبرتغال. كما اعتبر 45% أن المغرب يشكل تهديدا للأمن القومي الإسباني.¹⁹³

وهي كلها معطيات تصب في أهمية البعد الثقافي؛ و الموروث التاريخي؛ وفي أهمية البعد الديني والروحي والخلافات القائمة حوله؛ وفي أهمية حضور هذه العوامل في العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية.

ومن الخلاصات التي نستشفها مما سلف، أن المغرب من خلال كثافة علاقاته التاريخية بإسبانيا. شكل الشماعة التي علق عليها كل الاحباطات والمشاكل الداخلية والخارجية. في حين أنه هو الآخر عانى من هذا التاريخ وتم تحميله أكثر مما يحتمل.

وتبقى الحرب الأهلية الإسبانية هي النموذج الأمثل لتبيان ذلك، أمام تعذر سرد وإيراد كل المعطيات التاريخية الأخرى؛ والتي سبق وأن أشرنا إلى بعض منها في المطلب الأول.

ثانيا : المغرب كضحية للتاريخ المشترك للبلدين: الحرب الأهلية الإسبانية نموذجا.

إن اختيار الحرب الأهلية كنموذج، لتبيان زروح المغرب تحت وطأة العامل الثقافي التاريخي في علاقته بإسبانيا، وتشويه صورته لدى الجارة الشمالية ليس اعتباطيا. حيث كما أسلفنا؛ مازالت هذه الحرب تغذي الذاكرة الجماعية الإسبانية من جهة، و من جهة أخرى ملفها لم يطو بشكل تام ونهائي .

¹⁹¹ - REDONDO, JUAN CARLOS JIMENEZ :« de SUAREZ a RODRIGUEZ ZAPATERO : La politica exterior de la espana democratica »Op. cit p : 117.

¹⁹² - محمد العربي المساري: "الانتخابات الإسبانية بأعين مغربية" دفاتر سياسية، عدد 61 في مارس 2004 ص. 08

¹⁹³ - الأيام، عدد 342 في 01-07 شتنبر 2008 ص. 21 العلم، عدد 2145 في 08 شتنبر 2008 ص 01

فالمشاركة المغربية في هذه الحرب، كانت نتيجة أوضاع اقتصادية صعبة بالريف، ناتجة عن السياسة الاستعمارية الإسبانية¹⁹⁴. ولم تكن بدافع انتقام المورو أو بدوافع دينية كما تم الترويج له¹⁹⁵.

كما أن الحرب الأهلية كانت طريقة لتصفية مشاكل داخلية إسبانية، واعتبرت دلالة على عجز دولة ومجتمع بكل مؤسساته على إيجاد طرق سلمية لفض خلافاته؛ والتعايش بكل أطيافه¹⁹⁶.

فالسلكات الوحشية واللاإنسانية التي رافقت الحرب والتي تم إلصاقها بالمغاربة المشاركين؛ كانت سمة الحروب الاستعمارية. وقام بمعظمها جنود الليف الأجنبي بكل قسوة. وقد كان مكونا من جنسيات أوروبية وأمريكية لاتينية¹⁹⁷. وهي أعمال كانت مقبولة لدى الإسبان عندما مورست في المغرب لأن الأمر يتعلق "بشعب بدائي". لكنها لم تقبل في إسبانيا كبلد "متحضر" ضد أناس "متحضرين"¹⁹⁸.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن الحديث عن جيش أفريقي لم يعد ممكنا منذ حصار مدريد إذ دخل ضمن وحدات مختلطة. وفي دجنبر 1936 اندمجت طوابير النظاميين وألوية الليف ضمن فرق أخرى أيضا¹⁹⁹. وهو ما يصعب معه تحميلها مسؤولية أعمال بعينها.

دون أن ننسى عامل الدعاية والحرب النفسية. حيث عمدت آلة الدعاية الفرنكاوية إلى تضخيم أعداد المغاربة المشاركين إلى جانبها، وأيضا إلى اضعاف طابع اسطوري وخيالي على قدراتهم في الميدان، وعلى غرابة الأعمال الوحشية التي يقومون بها²⁰⁰. وقد تلقفت الروايات الشفهية والحكايات الشعبية تلك الدعاية وأضافت عليها الكثير من اللاواقعية والخيال. وساهمت في ذلك أيضا الدعاية الجمهورية التي كانت تستغل وقائع معزولة

¹⁹⁴ - عبد الرحيم برادة: "إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956" الجزء الثاني مرجع سابق ص: 40

¹⁹⁵ - BENJELLOUN, ABDELMAJID : " las causas de la participacion de marroquies en la Guerra civil Española (1936-1939)" In : J.A . CONZALEZ : ALCANTUD« marroquies en la guerra civil espanola » Op. cit p : 50

¹⁹⁶ - عبد الرحيم برادة، مرجع سابق، ص. 09

¹⁹⁷ - مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو" ص: 197

DEMADARIAGA, MARIA ROSA : « la guerra colonial llevada a españa : las tropas marroquies en el ejército franquista » Op. cit p : 87.

¹⁹⁸ - مارية روسادي ماداريغا، مرجع سابق، ص: 198

¹⁹⁹ - نفس المرجع، ص: 181.

²⁰⁰ - CORRALES ELOY MARTIN : « la imagen del magrebí en España » Op. cit p : 152.

لتعممها وتجعلها نموذجا للسلوك العام للمحاربين المغاربة²⁰¹.

كما أن القيادات العسكرية لفرانكو، جعلت من "المورو" الشماعة التي علقت عليها كل الأعمال اللا إنسانية للحرب. وكل الأخطاء والاستراتيجيات والخطط التي أمر بها ونفذها الجنرالات الأسبان. فقد أشار الباحث "ميخائيل كوتسوف" إلى أن القيادات العسكرية الفرانكوية كانت تتفادى الإحراج الإعلامي الأجنبي بنسبة فظاعات الحرب للمورو الهمج "Cosas de los moros , Gente salvaje".²⁰²

والجدير بالملاحظة، أن المغاربة لم يقاتلوا إلى جانب فرانكو فقط. فحسب تعبير الأسباني اغناسيو سمبريرو: "الجمهورية هي الأخرى كان لها نصيبها من المورو"²⁰³.

فقد أوردت جريدة "البرافدا" السوفياتية بتاريخ 20 شتنبر 1939 خبر كتيبة مغربية تقاتل إلى جانب الجبهة الشعبية بقيادة شاب مغربي يدعى مصطفى بن قاق. كما أن القنصلية الإسبانية بطنجة؛ التي ظلت مخلصه للجمهورية استطاعت أن تجند أعدادا مهمة من المغاربة والجنسيات المختلفة لمحاربة الديكتاتورية²⁰⁴.

فالمشاركين العرب والمغاربة في الحرب الأهلية تحت راية الجمهورية لم يتم انصافهم من قبل التاريخ. مع العلم أن أعدادهم كانت أكبر من النمساويين والاسكندنافيين والكنديين والبلجيكيين،²⁰⁵ والعديد من الجنسيات الأخرى.

وفي سياق آخر، فإن المحاربين المغاربة في صفوف الديكتاتورية لم يكونوا الأجانب الوحيدين المشاركين إلى جانبها. فقد كان هناك "المورو الأشقر" los moros rubios كناية عن الألمان بالدرجة الأولى والإيطاليين بالدرجة الثانية. والذين ساندوا فرانكو مساندة مهمة. فقد تم ربط أول جسر جوي في التاريخ من خلال نقل الطائرات

²⁰¹ - BEEVOR ANTONY : "la guerre d' Espagne" Op. cit p: 344.

²⁰² - CORRALES, ELOY MARTIN , Op cit p : 171.

²⁰³ - EL Pais DE 26/07/1998. In BEN SALEM ABDELATIF : « la participacion de los voluntarios arabes en las brigadas internacionales : una memoria rescatada » In J.A. GONZALEZ ALCANTUD : « marroquies en la guerra civil española » op. cit p : 113.

²⁰⁴ - الحسين بوجداد: "الكي لا ننسى: آثار وانعكاسات الحرب الأهلية الإسبانية على شمال المغرب من خلال المکتوب والموروث الشفهي- الريف نموذجا" الجزء الثاني. العلم، عدد 20194 في 10 شتنبر 2005 ص. 07.

²⁰⁵ - BEN SALEM ABDELATIF, op. cit p: 120.

وقد أورد BEEVOR ANTONY في كتابه المشار إليه أنفا قصص مصابين مغاربة دفاعا عن الجمهورية أنظر الصفحة 275.

²⁰⁶ - MORETA. MIGUEL A. "la imagen del moro en la literatura de la Guerra civil Española" In : « huellas comunes y miradas cruzadas : mundo arabe, iberico e iberoamericano » Op. cit p : 84.

الالمانية والايطالية، لجيش افريقيا الاسباني من المغرب نحو شبه الجزيرة الايبيرية مع بداية الحرب الاهلية.²⁰⁷

إضافة إلى أن أعداد الايطاليين الذين شاركوا إلى جانب فرانكو تم تقديرهم ب 50 الف مقاتل.²⁰⁸ وهو عدد جد مهم، ومن شأنه ان يغير موازين الحرب بالنظر إلى طبيعة الاسلحة والتدريب الذي كانت توليه فاشية موسوليني اهتماما كبيرا.

ناهيك عن الدور الالاماني الذي لم يتم تجريمه بالقدر الكافي، حيث شكلت الحرب الاهلية الاسبانية بالنسبة للنازية ميدانا ومجالا خصباً ونموذجيا لتجريب الاسلحة والخطط العسكرية.²⁰⁹

كما أنه في الاتجاه الآخر، كان الاتحاد السوفييتي يزود الجمهوريين بأسلحة فاسدة وغير صالحة للقتال.²¹⁰

وهي كلها معطيات تصب في اتجاه أن وزر الحرب الاهلية الاسبانية، وفظاعاتها وما تمخضت عنه من قتل واستبداد؛ لا يمكن بحال أن نحمل مسؤوليته للمقاتلين المغاربة. ولعل ذنبهم الكبير حسب الباحثة "مادارياغا" هو أنهم "مورو"²¹¹ بكل ما يحمل ذلك من حمولات وتمثلات في الذاكرة الاسبانية.

ليبقى التساؤل مشروعا: هل كان التصالح الداخلي الاسباني على حساب المغرب؟ أو بالأحرى : هل تم اعتبار التشكيلات المغربية المشاركة في الحرب الاهلية، هي المسؤولة عن كل ما حدث؟

ثالثا : الاستعمال التبريري للبعد الثقافي التاريخي:

ورغم كل ما سلف فإن اعطاء العامل الثقافي التاريخي اكثر من حجمه، يبقى مجازبا للصواب. خاصة أمام عمليات استغلال التاريخ والثقافة سياسيا، عسكريا، اقتصاديا وإعلاميا.²¹² لنجد انفسنا أمام " التاريخ الهدام la historia

²⁰⁷ - J. DELPERRIE DE BAYAC: "les brigades internationales" P : 35.

²⁰⁸ - MADARIAGA MARIA ROSA: "la Guerra colonial llevada a España : las tropas marroquíes en el ejército franquista" Op. cit p : 88.

²⁰⁹ - BEEVOR ANTONY, op. cit p: 574.

²¹⁰ - Ibid, p: 180

²¹¹ - MADARIAGA MARIA ROSA, op. cit p: 88.

²¹² - AFAYA N. ET GUERAOU D. « l'image de l'Espagne au maroc » Op. cit p : 14 et 170.

213 "desestructurante" لعلاقات الجوار والتعاون المتبادل بين البلدين من خلال العمل على شيطنة الآخر وتحقيره²¹⁴.

ذلك ان التاريخ شبيه بنزل ومأوى اسباني سنجد فيه كلما نريد ايجاده²¹⁵. وهو ما تعكسه آراء المفكرين الاسبان من المغرب حيث نجد:

"مغرب "خواكين كوسطا" (مفكر له فهم متحرر للتاريخ المشترك) وهناك مغرب "كريستوبال ديل كاستيو" (رئيس حكومة في أواخر القرن 19) كان يرى أن إسبانيا تنتهي في جبال الاطلس. هناك مغرب "أوضونيل" (رئيس حكومة) قاد بنفسه معركة احتلال تطوان ... تذكر به شوارع بلا عدد في مجموع الجغرافيا الاسبانية ... وهناك المغرب الذي يصفه "خوسي ميغل ثالضو" (عضو لجنة ابن رشد ورئيس الجانب الاسباني في هيئة المؤلفين الاسبانيين والمغاربة²¹⁶).

كما أن طبيعة إسبانيا كبلد عاش تاريخا داخليا من الصراعات الوجودية وعدم الاستقرار، كان من شأنها حسب "خوسي مارية اثنار" رئيس الوزراء الاسباني السابق، أن تعصف باستمرار وجود إسبانيا كبلد.²¹⁷ دفع تاريخيا وحتى اليوم إلى خلق مفهوم "المورو" كعدو للأمة، حيث شكل لخدمة للمجتمع وسلاحا ايدولوجيا؛²¹⁸ وقاسما مشتركا بين جميع القوميات المشكلة للشعب الاسباني على اختلاف مواقفها السياسية تجاه أي ملف آخر.

فقد ذهب "جون بودان" إلى أن الحرب تساهم في الوحدة الداخلية للدول وأكد "ميكيافيلي" على أن وجود عدو خارجي يدفع على التعبئة ويخلق قضية مشتركة لدى

²¹³ - BEN OTHMANE, MOHAMED LARBI: "marruecos-España: un uso destructurante de historia" + In CARLA FIBLA GARCIA- SALA, op. cit p : 67

²¹⁴ - BEN OTHMANE, MOHAMED LARBI: "marruecos-España: un uso destructurante de historia" + In CARLA FIBLA GARCIA- SALA, op. cit, p: 68.

²¹⁵ - BENJELLOUN, ABDELMAJID: "l'arrière plan des relations entre le Maroc et l'Espagne: mythe et réalité" Lamalif, N :126 juin 1981 p : 49. « l'histoire est un peu comme une auberge espagnole on y trouve ce que l'on veut bien trouver ».

²¹⁶ - محمد العربي المساري: "المغرب وإسبانيا ذاكرتان لفضاء واحد" المساء، عدد 486 في 11 أبريل 2008 ص: 17.

²¹⁷ - AZNAR, JOSE MARIA: "ocho años de gobierno: una visión personal de España" Editorial, planeta, Barcelona , 2005 p : 233.

²¹⁸ - ADILA MUSTAPHA: "por un mayor entendimiento entre marruecos y españa" In: J.J. SANCHEZ SANDOVAL e EL FATHI ABDERAHMAN : (eds) : "relaciones España Marruecos: nuevas perspectivas y enfoques" Edita : universidad de CADIZ. Aula universitaria del estrecho 1 ra edicion marzo, 2007. P : 159.

الشعب.²¹⁹ وهو الدور الذي لعبه المغرب بالنسبة لإسبانيا من خلال القراءة الانتقائية للتاريخ.

ومن الأمثلة الشاهدة على استعمال العامل الثقافي لأغراض سياسية نجد حرب تطوان (1859-1860) التي كانت دوافعها إسبانية داخلية.²²⁰ من خلال البحث عن الإجماع الداخلي وتصريف الازمة الاقتصادية.

كما تشهد عليه في التاريخ القريب الازمة السياسية لسنة 2001 و2002 حيث تشكل إجماع وطني إسباني حول الموقف الرسمي لحكومة "أثار الثانية" ضم حتى الأحزاب القومية الباسكية والكتلانية التي لا تكن الكثير من الود لحكومة مدريد.²²¹ وهو ما يرسخ مقولة : أن المغرب بالنسبة لإسبانيا ليس فقط موضوعا للسياسة الخارجية؛ بل يتجاوز ذلك بكثير.²²²

ونرصد في هذا الإطار، تحول البعد الثقافي التاريخي وصورة "المورو" إلى ذلك المارد الذي يظهر ويطفو على السطح كلما تأزمت علاقات البلدين؛ مصحوبا بكل الأفكار النمطية والاستيهامات والكلشيهات التي تفصح عن وجهها القبيح. وبالمقابل تختفي وتتوارى في فترات الصفاء والتوافق. وهو ما يبدو جليا عند الأحداث والأزمات ذات الطابع السياسي (أزمة جزيرة ليلى وقضية الصحراء) أو الاقتصادي (عدم تجديد اتفاقية الصيد البحري) أو الاجتماعي (مثل ما تعرض له المهاجرون المغاربة من اعتداءات في بلدة اليخيدو). وغيرها من الأزمات.²²³ حيث يكون المورو باعثا على الإجماع الوطني.²²⁴

²¹⁹ - محمد سعدي: "مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام" مرجع سابق، ص: 189 و 185.

²²⁰ - BERNABE LOPEZ CARCIA: "marruecos y España: una historia contra toda logica" Op. cit p : 53 - CORRALES ELOY MARTIN. Op. cit p : 54.

²²¹ - مساوي عادل: "الدبلوماسية المغربية: السمات والتحديات" وجهة نظر، عدد 18 شتاء 2003 عدد خاص: المغرب بين سنتين 2003-2002 ص: 44.

²²² - محمد العربي المساري: "المغرب وإسبانيا ... ذاكرتان لفضاء واحد" المساء، عدد 486 في 11 أبريل 2008. ص: 17.

²²³ - CHIKHI DJAMILA, op. cit p: 94.

- وجهة نظر: عبد الواحد أكمير. "العلاقات الإسبانية - المغربية: مقاربات للتوابع والتحويلات" إعداد: بوغالب العطار الاتحاد الاشتراكي: عدد 7640 في 13 يوليوز 2004.

²²⁴ - ABRIGACHE, MOHAMED: "el africanismo de PEDRO ANTONIO DE ALARCON en diario de un testigo de la Guerra de Africa" In : SALHI MOHAMMED : « marruecos, españa y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » Op. cit p : 157.

وهو ما يعكس نوعا من الاستغلال الظرفي والاستعمال المبتذل للعامل الثقافي التاريخي. وهي ظاهرة عاشتها كل النخب الإسبانية بمختلف أطيافها.

فعلى مستوى النخبة العسكرية شكلت وصية الملكة ايزابيلا الكاثوليكية المحرك والمبرر لتدخلاتها المستمرة في المغرب²²⁵. علما أن المغرب في واقع الحال شكل بالنسبة للجيش "الدجاجة التي تبيض أو سمة وترقيات"، وسلما للارتقاء²²⁶. فقد أفرزت حرب تطوان أحد عشر ماريشالا للميدان و 27 جنرال فرقة. إضافة إلى ترقيات أخرى، ومندوب "دوق كونت" وثلاثة مركيزات²²⁷.

كما شكلت المواجهات مع المغرب في القرن العشرين فرصة لاستعادة الجيش هيئته بعد الهزيمة في حرب كوبا. ووسيلة لشغل الأجيال الجديدة من الضباط خاصة أن الجيش كان يضم ضابطا لكل خمسة جنود²²⁸.

وبالنسبة للنخب الفكرية، نرصد وجود لوبي إسباني يقتات على العداوة للمغرب ويروج لأفكار في غالب الأحيان مغلوطة مستغلا غياب معرفة تامة لدى المواطن العادي لخلق تصورات ومواقف سلبية لديه. وهو لوبي ليس وليد اليوم بل يجد جذوره في بعض رواد حركة الاستعراب الإسباني من خلال العداء للإسلام والعرب والاستخفاف بترائهما الأندلسي بعيدا عن البحث العلمي الجاد الرصين. ويعد "كلاوديو ألبورنس" من أبرز رواد هذا التوجه²²⁹.

كما يمكن أن نذكر من بين آخرين كثر؛ يحملون لواء العداء للمغرب اليوم، ويشكلون جزءا من هذا اللوبي الذي ما فتئ يبث الروح في الأفكار النمطية والكليشيهات الجاهزة

²²⁵ - ALCANTUD JOSE A. CONZALEZ :« lo moro : las lógicas de la derrota y la formacion del estereotipo islamico »Op. cit p : 185.

²²⁶ - BENREMDANE AHMED:«el colonialismo español en marruecos y la descolonizacion de SIDI IFNI a través de los articulos de prensa, entrevistas y reportajes de JUAN GOYTISOLO » In SALHI MOHAMMED, op. cit p : 194.

²²⁷ - ماداريغا مارية روسا: "مغاربة في خدمة فرانكو" ص: 19.

²²⁸ - ماداريغا مارية روسا: "مغاربة في خدمة فرانكو"، ص: 21.

- ALAMI OUAHHABI:«la présence marocaine dans la vie politique espagnole: 1909-1921»In : SALHI, MOHAMMED, op. cit p : 243.

²²⁹ - فريد أمعشوشو: "الاستشراق الإسباني والتراث العربي الإسلامي بالأندلس: ميغيل أسين بلاثيوس نموذجا" وجهة نظر: عدد 52، 2012 ص: 60.

حول "المورو" : "ليون كلاين" ويكفي الإشارة إلى عنوان كتابه الأخير: "المغرب: العدو الجنوبي: الصراع الحتمي"²³⁰.

كما أن هناك نخبا فكرية تستند بمفهوم "المورو" كنوع من الكسل الفكري وكنوع من التفسير والقراءة لواقع لم تستطع سبر كنهه.²³¹ والاطمئنان إلى خلق التوازن الذهني لدى العامة؛²³² من خلال ثنائية الأنا والآخر.

في حين أن الاستعمال التبريري للبعد الثقافي التاريخي والإفراط في استعماله يضرب أطنابه على مستوى النخب السياسية. وهي ممارسة عريقة في التاريخ السياسي الإسباني ففي القرن التاسع عشر أثناء ديكتاتورية "بريمودي ريبيرا":

"المشكل المغربي ... اعتبر أبرز محرك للصراعات الداخلية في إسبانيا وقتئذ ... والذي كان المطية لانتقاد كل شيء والعلة لتفسير فشل الحكومات."²³³

وهي مقولة مازالت نسبة مهمة منها صالحة حتى اليوم. فقد عرف القرن العشرين في إسبانيا العديد من الأحداث السلبية المرتبطة بالمغرب؛ افرزت أدبيات سياسية معادية له لم تستطع النخب السياسية التحرر منها.²³⁴

وقد أولت إسبانيا الديمقراطية أهمية خاصة للمغرب في حياتها السياسية بالنظر إلى العملية الانتخابية. و تحول المغرب إلى رهان انتخابي، على اعتبار ان القضايا الخلافية بين الدولتين تحتل الصدارة في عملية الاستقطاب.²³⁵ حيث يدق الباب مشرعا للاستعمال السياسي لمفهوم "المورو" والعداء له. والأفكار النمطية حوله، والتعبئة على أساسها. واعطائها حجما اكبر من حجمها. في إطار الاستقطاب والإحراج السياسي وتصفية الحسابات.²³⁶ خاصة بين عملاقي الساحة السياسة الإسبانية: الحزب الشعبي والحزب الاشتراكي.

²³⁰ - LEON KLEIN: "marruecos: el enemigo del sur: el conflicto inevitable" Coleccion geopolica: 2 Editorial: pyre Producciones y representaciones editoriales 1ra edicion, octubre 2002.

²³¹ - DE LA SERNA, ALFONSO, op. cit p: 34.

²³² - ALCANTUD JOSE A. CONZALEZ: «lo moro : las logicas de la derrota y la formación del estereotipo islámico » Op. cit p: 160.

²³³ - برادة عبد الرحيم: "إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956" الجزء الأول. مرجع سابق ص: 229.

²³⁴ - محمد العربي المساري: "30 سنة: مسيرة من لاهاي إلى بيكر" مرجع سابق ص 295.

²³⁵ - محمد العربي المساري: الأحزاب السياسية الإسبانية تجاه العلاقات مع المغرب "وجهة نظر، عدد 48، ربيع 2011 ص 39.

²³⁶ - محمد العربي المساري: "المغرب وإسبانيا ... ذاكرتان لفضاء واحد" المساء، عدد 486 في 28 في 11 أبريل 2008 ص: 17.

فأثناء أزمة جزيرة ليلى لجأت حكومة "أثنار" إلى الحل العسكري. وهو ما رفع من شعبيته بشكل ملفت.²³⁷ وعلى طول مدة الازمة، ظهرت في المونكلوا la moncloa²³⁸ وفي القطاعات الحكومية الرسمية كل استيهامات الماضي حول المورو الخائن والجبان²³⁹، في عملية استقطاب وحشد الدعم للموقف الرسمي.

فصباح 17 يوليوز 2002 مع اندلاع أزمة جزيرة ليلى، صرحت وزيرة الخارجية الإسبانية في البرلمان "أنا بلاثيو":

"باستثناء حادث "كوفاضونغا" (موقعة جرت لمقاومة نزول جيش طارق بن زياد) فإن إسبانيا تريد أن تكون لها مع المغرب أفضل العلاقات²⁴⁰".

وهو ما يبين رجوع الوزارة إلى حدث تاريخي تم سنة 711م الأمر الذي لا يخلو من البراءة والعفوية في استحضار انتقائي للتاريخ حشدا للدعم.

ورئيس الوزراء الإسباني السابق "خوسي مارية أثنار" طالب في محاضرة ألقاها حول الارهاب في الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة اعتذار المسلمين عما أسماه "احتلالهم لإسبانيا" وأكد على أن مشكلة بلاده مع الارهاب لم تبدأ مع تنظيم القاعدة بل بدأت منذ القرن الثامن الميلادي مع وصول طارق بن زياد لشبه الجزيرة الأيبيرية²⁴¹.

ومع سقوط الحزب الشعبي سنة 2004 في الانتخابات عقب تفجيرات مدريد. تفنن في توظيف المغرب كأداة للمعارضة والاحراج من خلال الملفات المشتركة؛ كالهجرة وسبته ومليلية والصادرات الفلاحية والصيد البحري وغيرها. في توجه نحو جعل المغرب ثابتا من ثوابت استراتيجية المعارضة للحزب الحاكم²⁴².

كما نجد أن الوافد الجديد اليوم على الساحة السياسية الإسبانية حزب "قادرين podemos" والصاعد بقوة ينتهج نفس النهج من خلال احراج خصومه بالورقة المغربية

²³⁷ كرسى الاعتراف مع: اغناسيو صمبريرو المساء، عدد 60 في 28 نونبر 2006، ص: 20.

²³⁸ وهو مقر رئيس الحكومة الإسبانية على غرار البيت الأبيض بالنسبة للرئيس الأمريكي

²³⁹ CEMBRERO IGNACIO: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos", Glaxia gutenberg/ círculo de lectores Barcelona 2006, p : 258.

²⁴⁰ محمد العربي المساري: "المغرب وإسبانيا ... ذاكرتان لفضاء واحد" مرجع سابق ص: 17

²⁴¹ "اليمين الإسباني لا يبدوا سعيدا بقانون الاعتراف بجريمة الطرد" المساء، عدد 1016 في 28 دجنبر 2009 ص: 07.

²⁴² حسين مجدوبي: "إسبانيا تسن سياسة دفاع وطني جديدة: أطروحة المغرب كعدو جنوبي تتضاءل" الأيام عدد 177 في 30 مارس- 04 أبريل 2005 ص: 12.

وابدء الدعم اللامشروط لجبهة البوليساريو. هذا في وقت أصبحنا نلمس فيه نضجا سياسيا للأحزاب التقليدية تجاه المغرب.

النخب الاقتصادية هي الأخرى لم تشذ عن القاعدة، حيث تستغل قضية رفض "المورو" كتبرير من قبل رجال الأعمال وكبريات الشركات الإسبانية لخدمة مصالحها. خاصة اللوبي الفلاحي من خلال اعتراض شاحنات السلع المغربية التي تعبر نحو بلدان الاتحاد الأوروبي.²⁴³ ولعل ابرز حدث هي الأعمال التخريبية التي يشهدها ميناء الجزيرة الخضراء دوريا بالتزامن مع تصعيد هذا اللوبي من لهجته. وسائل الاعلام هي الأخرى لها نصيب الأسد من هذا الاستعمال والاستغلال للعامل الثقافي التاريخي.

فهي عموما لها سلطتها الخاصة²⁴⁴، وتعتبر العلبة السوداء لصناعة الرأي العام.²⁴⁵ حيث تتحكم في جزء مهم من عملية بناء الصورة والتصورات عن الآخر والترويج لها²⁴⁶، والإعلام الإسباني لا يشذ عن هذه القاعدة. فالأحكام المسبقة المعادية للمورو ليست اشباحا من الماضي حسب "خوان غويتيسولو"، بل تملأ الصحافة الحرة والديموقراطية.²⁴⁷ فالصحافة الإسبانية تلعب دورا كبيرا في "إعادة بناء المتخيل التاريخي"²⁴⁸، وتغذية تلك الأحكام الجاهزة.²⁴⁹ بل إنها في كثير من الأحيان تخلق صورة قاتمة عن المغرب ليس لها وجود في الواقع؛²⁵⁰ تعمل على تسميم الذاكرة المشتركة للشعبين²⁵¹. أمام ما يحمله ذلك الانخراط الاعلامي السلبي من مبالغات وتهيبج وإساءة رافقت كل المحطات الساخنة بين

²⁴³ عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت" مرجع سابق، ص: 138.

²⁴⁴ إليزابيت لونغنس: "في معضلة الباحث ووضع البحث في العلوم الاجتماعية حول العالم العربي في الجامعة الفرنسية" في: الطاهر لبيب: "صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه" مرجع سابق، ص: 548.

²⁴⁵ - CHIKHI DJAMILA, op. cit p: 92.

²⁴⁶ جوزي أنطونيو غونزالس الكنتود: "أصل الشغب بالآخر لدى حركات الانتليجنسيا الطلائعية في اوروبا" في: الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص: 180.

²⁴⁷ - خوان غويتيسولو: "إسبانيا في مواجهة التاريخ ... فك العقد" مرجع سابق ص: 133.

²⁴⁸ - BOUAYACH AMINA: "la prensa española ? un medio de proximidad?" In CARLA FIBLA GARCIA SALA, op. cit p : 76.

²⁴⁹ - M.H.D.E LARAMANDI: « perception espagnole du maghreb ... » In : KACEM BASFAOU et JEAN ROBERT, op. cit p : 167.

²⁵⁰ - N. AFAYA et D. GUERAOU, op. cit p : 174.

²⁵¹ - BOUDCHICHE BOUCETTA, BOUCHRA: "marruecos y España: en la política de seguridad del mediterráneo" Coordinador de la edición : instituto de estudios hispano-lusos. Rabat. Editions et impressions bouregreg, 1ra édition, diciembre 2008 p : 118.

البلدين.

وهو ما دفع رئيس الوزراء الإسباني الأسبق "فليبي غونزالس" إلى القول أن: "ورقة الصحافة لا تساهم في تحسين الفهم المتبادل بين إسبانيا والمغرب"²⁵².

ونجد شهادات عدد مهم من الصحفيين الإسبان تصب في هذا المنحى فقد صرح "خابيير فالنزوئلا"²⁵³ على أن قلة قليلة من الصحفيين الإسبان هم الذين ينظرون إلى المغرب نظرة موضوعية.²⁵⁴ كما أن "بيدرو كناليس" الصحفي المهتم بالعالم العربي يحمل وسائل الاعلام الإسبانية مسؤولية الجهل الكبير داخل إسبانيا بالواقع المغربي وبتاريخه²⁵⁵. كما ذهب "سيرخيو سيربيان" مدير موقع أنترنيت خاص بالمغرب، أن الصحافة الإسبانية اليوم غارقة في الاحكام المسبقة عن المغرب²⁵⁶.

حجم وأهمية هذه الحملة الاعلامية الشرسة هي التي دفعت الصحفي المتخصص في المغرب "اغناسيو صمبريرو" إلى القول على أن المغرب حتى ولو حاول التواصل مع الطرف الإسباني فلن يحصل على نتائج ايجابية كبيرة؛ نظرا لكثافة الاحكام المسبقة الموجودة عنه²⁵⁷.

ولعل من أهم أسباب وجود هذا اللوبي الاعلامي، هو اعتبار المغرب من أهم مواضيع الاثارة في إسبانيا. ويدقق مبيعات ضخمة ومضمونة للإعلام الذي احترف هذه الاثارة، وهي ظاهرة ليست وليدة اليوم في الصحافة الإسبانية.²⁵⁸ دون اغفال دور وحضور السلطة السياسية إعلاميا من خلال توجيهه وتحويله إلى اداة سياسية، يتم من خلالها تصريف المواقف²⁵⁹. وقد كانت من اهم الانتقادات على الحزب الشعبي في فترة حكم "اثنار"²⁶⁰ مع العلم أن لكل مؤسسات الدولة بما فيها الجيش²⁶¹؛ ومجموعات الضغط بمختلف أطيافها

²⁵² - CEMBRERO IGNACIO: «vecinos alejados : los secretos de la crisis entre españa y marruecos » Op. cit p : 253.

²⁵³ - خافيير فالنزوئلا javier valenzuela مراسل سابق لجريدة إلبايس بالمغرب وصاحب كتاب: "أسفار مع ثباتيرو"

²⁵⁴ - حوار مع الصحفي خافيير فالنزوئلا. الاتحاد الاشتراكي، عدد 8588 في 19 يونيو 2007 ص: 07.

²⁵⁵ - المساء، عدد 479 في 03 أبريل 2008 ص: 05.

²⁵⁶ - حوار مع "سيرخيو سيربيان" مدير موقع marruecos digital المساء، عدد 740 في 22 دجنبر 2008 ص: 10.

²⁵⁷ - كرسى الاعتراف مع: "اغناسيو صمبريرو" والمساء عدد 65 في 04 دجنبر 2006، الحلقة 05 ص: 20.

²⁵⁸ - عبد الواحد أكيمير: "الهجرة إلى الموت" مرجع سابق ص: 65.

²⁵⁹ - BOUAYACH AMINA, op. cit p: 74.

²⁶⁰ - ARTAL ROSA MARIA: "11-M" 14-M: onda expansiva: quién miente ? "Ediciones : espejo de tinta, 1ra edicion, abril, 2004 p : 172.

²⁶¹ - احمد إحدوثن: "المغرب واسبانيا: الهجرة والتعليم والتربية" سلسلة شراع، رقم 47، يناير 1999 ص: 84.

صدي وموقعا بالمشهد الاعلامي الاسباني.

وقد كان هذا الاعلام صانعا للحدث في العلاقات المغربية الإسبانية أكثر من مرة. ولعل أهم نموذج على ذلك، الازمة السياسية التي نشبت بين الطرفين سنة 2001. فقد دعمت الحكومة الإسبانية حينها الحملة الاعلامية ضد المغرب²⁶². واستدعى هذا الأخير سفيره بمدير للتشاور في أكتوبر من نفس السنة²⁶³. وكان من الأسباب التي عدد وزير الخارجية أمام البرلمان؛ الحملة الإعلامية التي استهدفت رموز البلاد بما فيها الملك²⁶⁴. ناهيك عن السخرية من المسلسل الديموقراطي المغربي والانخراط الكبير والمنحاز في ملف الصحراء²⁶⁵.

وأثناء اندلاع أزمة جزيرة ليلى، أكد المفكر الإسباني "ماكسيمو كا خال" أن الصحافة الإسبانية اكتشفت وجود الجزيرة بين عشية وضحاها وانخرطت في تأجيج الأزمة: "دون التوقف عن الكذب؛ متخذة مواقف"²⁶⁶

كما أنه عند قيام أحداث العيون المتعلقة بمخيم "الكديم ايزيك" وتفكيكه من طرف السلطات المغربية في 08 نونبر 2010، عملت قناة "اندين تريس" على الترويج لصور من أحداث قطاع غزة سنة 2006 على أنها من العيون. وتحدثت عن عشرات القتلى واربعة آلاف جريح، كما أوردت صوراً لجريمة قتل، كانت قد تمت بمدينة الدار البيضاء على أنها من فعل قوات الأمن في مدينة العيون. وذلك كله من أجل ايجاد الذرائع للخوض في مواضيعها المفضلة المتمثلة في التباكي على حقوق الشعب الصحراوي ودعم البوليساريو؛ وإحياء صورة المورو القاتل والمغتصب.

²⁶²- FELIU LAURA Y SALOMON MONICA: "territorios en aguas turbulentos: la crisis entre España y Marruecos" Revue :Paix et sécurité internationales Dossier : « les relations Maroc espagnoles » N : 01 juin 2003 p : 81.

²⁶³ - HAMLILI, MOHAMMED: "les relations moroco-espagnoles : 1975-2004 », Université SIDI MED BEN ABEDLLAH, Faculté des sciences juridique : eco et sociales Fes mémoire DESA. Année universitaire 2004-2005 P : 103.

²⁶⁴- CEMBRERO IGNACIO: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre españa y marruecos" Op. cit p : 26

²⁶⁵- إينما كولا سمولكا: "النخب السياسية الإسبانية وأزمة العلاقات المغربية الإسبانية" ترجمة بتصرف: حاتمي محمد. وجهة نظر، عدد 17 نونبر 2002 ص: 41.

²⁶⁶ - CAJAL MAXIMO: "ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar donde acaba España ?" Op. cit p: 217.

وفي يناير 2011 روجت قنوات اسبانية منها "TVE"، وقناة "24 horas"، أخبار زائفة عن المغرب مفادها أنه قام بتحريك قواته المرابطة بالصحراء وأعاد نشرها في ضواحي مدن الرباط والدار البيضاء تحسبا لأي مظاهرات شعبية ضد النظام. وهو ما أدى إلى استدعاء السفير الإسباني بالمغرب "ألبرطو نفاو" من قبل وزير الخارجية المغربي الطيب الفاسي الفهري لإبلاغه استياء المغرب من الترويج لأخبار زائفة من شأنها التأثير على استقرار البلاد²⁶⁷.

وبالنظر لأهمية الاعلام ودوره المؤثر فقد تمخضت أشغال الجامعة الصيفية حول المغرب بمالقا ما بين 14 و 18 يوليوز 2008، عن أن جزءا كبيرا من تحسن العلاقات المغربية الإسبانية يبقى رهينا بمدى مساهمة وسائل الإعلام في تبني خطاب إعلامي بناء بعيدا عن الأحكام المسبقة²⁶⁸.

وكل ما أسلفنا يصب في أهمية تبني مبادرات وحلول للتخفيف من وطأة العامل الثقافي التاريخي. ورهنة لعلاقات البلدين، فما هي هذه المبادرات؟ وما هي سبل تطويرها؟ لتطويق المارد الثقافي التاريخي؟

الفقرة الثانية: مبادرات وحلول الطرفين للتخفيف من وطأة العامل الثقافي- التاريخي.

إن الجهل المتبادل حسب تعبير الملك خوان كارلوس²⁶⁹، أو " صدام الجهالات " حسب المفكر ادوارد سعيد²⁷⁰، هو الذي يدفع إلى خلق واستمرار الافكار النمطية. ومن ثم أهمية إطلاق مبادرات في اتجاه الرأي العام والنخب على السواء، لتعزيز التعارف المتبادل؛ واشاعة ثقافة الحوار. وهو ما سنتطرق اليه من خلال رصد المبادرات الرسمية من جهة. ومبادرات المجتمع المدني من جهة أخرى.

²⁶⁷ عزيز الساطوري: "الاعلام الاسباني يتسبب في أزمة جديدة بين الرباط ومريد"، الاتحاد الاشتراكي عدد 9696 في 01 فبراير 2011 ص. 01.

²⁶⁸ الأيام، عدد 340 في 25-31 يوليوز 2008 ص: 12.

²⁶⁹ ADILA MUSTAPHA: "por un mayor entendimiento entre marruecos y España" In: J.J SANDOVAL, EL FATHI ABDERRAHMAN (eds) Op. cit p: 155.

²⁷⁰ N. AFAYA et D. GUERAOU. Op cit p : 151.

أولا : المبادرات الرسمية:

ولعل أهم مبادرة في هذا الاتجاه: لجنة ابن رشد التي تم التخصيص عليها في أشغال اللجنة العليا المشتركة بين المغرب وإسبانيا المنعقدة بالرباط بتاريخ 5 و 6 فبراير 1996. وتضم لجنة ابن رشد ثمانية شخصيات من كل بلد تنتمي إلى عالم السياسة والثقافة والأعمال والإعلام²⁷¹، يجتمعون دوريا للتفكير في أسباب عدم التفاهم بين البلدين والعمل على تجاوز الاحكام المسبقة وتوجيه الرأي العام. وذلك من خلال ثلاثة أوراق للعمل: التاريخ والتربية، الاقتصاد والمجتمع المدني ثم التواصل والثقافة²⁷².

وقد تمت تسمية اللجنة كنوع من التمثيل لعقلانية المفكر الاندلسي في أشغال اللجنة وفي علاقات البلدين²⁷³.

وتعتبر اللجنة نموذجا مثاليا وصارخا لمحدودية المبادرات الرسمية وهيمنة الخلافات السياسية عليها. فقد تم اقرار لجنة بن رشد من طرف فيليبي غونزالس رئيس الوزراء الإسباني على بعد أسابيع من الانتخابات. ومع وصول الحزب الشعبي للحكم اعتبرها مناورة من الاشتراكيين لتوريثه في تمكين الملك الحسن الثاني من آلية لتطبيق فكرة خلية التفكير حول مستقبل سبتة ومليلية²⁷⁴. وهو ما جعل انطلاق أشغال اللجنة يتأخر إلى مارس 1997.

ولكن بعد وفاة الملك الحسن الثاني في يوليو 1999، ثم زيارة رئيس الحكومة الإسبانية "خ م أنار" لمدينتي سبتة ومليلية سنة 2000، بصفته الحزبية؛ وما تلاها من تعثر لعلاقات البلدين، تم تنويعه بإلغاء الملك محمد السادس لقاء كان مبرمجا مع وزيرة الخارجية الإسبانية. ثم أحداث بلدة إلخدو العنصرية ضد المهاجرين المغاربة. ناهيك عن

²⁷¹ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 1997/1998 مجلة أبحاث عدد 46-47 ص: 23

²⁷² - ADILA MUSTAPHA , op. cit p : 156.

²⁷³ - LOPEZ GARCIA BERNABE : « la sociedad civil y las relaciones con Marruecos el comité Averroes un instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? », In : M.H de LARRAMENDI Aurelia mañé ESTRADA (eds). « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto elcano, 1 edicion Abril de 2009, p : 198.

²⁷⁴ - Ibid p : 198

الازمة السياسية التي ضربت علاقات البلدين منذ سنة 2001، والتي كان من مؤشراتهما سحب السفير المغربي في مدريد. لتعصف بعد ذلك أزمة جزيرة ليلى في يوليوز 2002 بالبقية الباقية.

وهي كلها أحداث وأزمات بينت محدودية عمل لجنة ابن رشد التي لمعت بغيابها مدللة على استحالة قيامها بعمل استباقي نحو الأخطار المحدقة بعلاقات البلدين. زيادة على انحصار أشغالها وعدم وصولها للرأي العام في البلدين²⁷⁵.

ومع تجديد أعضائها. وفي نسختها الثانية؛ مع أول اجتماعاتها في يناير 2005 بعد وصول حكومة ثباتيرو الاشتراكية للحكم. ستعاني أعمال لجنة ابن رشد ونتائجها من العجز السابق نفسه، فقد سيطرت على أشغالها المواضيع ذات الطابع الاقتصادي. ولم تتمكن من خلق بوابة اليكترونية للجنة خوفا من تحولها لمكان لاثارة القضايا الخلافية بين البلدين.

زد على ذلك ادارة اللجنة لاجتماعاتها بشكل مغلق وعدم استضافة أطر وكفاءات من خارج اللجنة في المواضيع المطروحة للنقاش. و عدم اثاره الاهتمام من خلال أنشطتها وهو ما عكسه قلة الاهتمام الاعلامي بها. كما أن اللجنة لم تملك القدرة على الاجتماع ذاتيا وظلت تحت رحمة المسؤولين الرسميين. ناهيك عن غياب وضوح الرؤية وعدم وجود تصور لمستقبل العلاقات بين البلدين²⁷⁶.

كما أن المعاهد الثقافية والمؤسسات التعليمية تعتبر من أهم مكونات المبادرات الرسمية للتقارب بين البلدين. وتشكل معاهد "سربانتيس" الإسبانية قطب الرchy في هذه العملية فبعد البرازيل يعتبر المغرب ثاني أكثر بلد يضم معاهد من هذا النوع²⁷⁷. فقد بلغ عددها عشرة معاهد في المدن الكبرى المغربية؛²⁷⁸ تضطلع بمهمة تعليم اللغة الإسبانية

²⁷⁵ - LOPEZ GARCIA BERNABE :« la sociedad civil y las relaciones con Marruecos el comité Averroes un instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? », op cit, p : 203.

²⁷⁶ - LOPEZ GARCIA BERNABE :« la sociedad civil y las relaciones con Marruecos el comité Averroes un instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? », op cit, p : 205.

²⁷⁷ - MENJRA HICHAM :« dia del español : en honor de la lengua cervantina »Kantara, n : 08 julio-agosto 2011.P : 109.

²⁷⁸ - BOUDCHICHE BOUCETTA BOUCHRA :Op. cit p : 178.

ونشر الثقافة الايبيرية.²⁷⁹ كما تتوفر المملكة على احدى عشر اعدادية وثانوية مدرسية اسبانية تضم في المجموع أكثر من ستة آلاف تلميذ.²⁸⁰

وقد ساهمت هذه المجهودات؛ إضافة إلى الحضور الاسباني السابق في المغرب، في وجود أزيد من أربعة ملايين متكلم بالاسبانية في المغرب حسب المندوبية السامية للتخطيط.²⁸¹ وهو ما ساهم في معرفة كافية باسبانيا في المملكة كما اسلفنا.

وسوف يكون مناسباً لو أن المغرب قام بالأمر نفسه من الحضور بالمنتديات والمؤسسات الاسبانية.²⁸² من خلال تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة المغربية بالآجارية الشمالية.

التعاون الجامعي والعلمي من شأنه هو الآخر أن يكون فاعلاً في مجال تجاوز الأفكار النمطية والسلبية من خلال اخضاعها للبحث والتمحيص انطلاقاً من كون "التاريخ ليس مقدساً"²⁸³ ففي سنة 1985 وبمبادرة من وزارة الثقافة المغربية تم تنظيم "الملتقى المغربي الاسباني للعلوم التاريخية"، لتدارس مواضيع الذاكرة الجماعية المشتركة. وتوج بقاء ثاني في غرناطة سنة 1989 وثالث بمراكش²⁸⁴، وجمع خيرة الأساتذة الجامعيين المهتمين بتاريخ البلدين. كما أن هناك 18 اتفاقية بين جامعية لمشاريع بحث مدمجة؛ ومنح جامعية للطلبة المهتمين بعلاقات البلدين تجاوزت بالنسبة للطرف الاسباني أزيد من 115 سنوياً.²⁸⁵

دون إغفال ذكر معهد "الدراسات الاسبانية البرتغالية" الملحق بجامعة محمد الخامس بالرباط والذي تم تأسيسه بظهير ملكي في 17 يوليوز 2002، وبدأت دراساته وأبحاثه في

²⁷⁹ - "Guia de Marruecos para españoles". Casa de España, Tetuai.

²⁸⁰ - Entretien avec : Luis Planas Puchades ambassadeur d'Espagne a rabat. Diplomatica, N : 26, 2009 P : 27.

²⁸¹ - دافيد ألبارادو: "العلاقات المغربية الاسبانية الجديدة على خلفية الحكم الذاتي للصحراء"، دفاتر سياسية: عدد 90، أبريل 2007، ص: 14.

²⁸² - حوار مع "ميغيل هيرناندو دي لاريمندي: "المغرب- إسبانيا : حوار العدوتين" إنجاز: نادية بنسلام. العلم: عدد 19734 في 02 يونيو 2004 ص: 05.

²⁸³ - CARLA FIBLA GARCIA-SALA. Op. cit p : 217.

²⁸⁴ - ADILA MUSTAPHA. Op. cit p: 154.

²⁸⁵ - BOUDCHICHE BOUCETTA BOUCHRA Op. cit p : 178.

2005 كآلية للدبلوماسية الثقافية والجامعية من خلال الاسهام في التقارب بين الشعبين ودراسة موروثهما المشترك.

والقاسم المشترك بين هذه المبادرات الجامعية هو عدم الاستمرارية والانقطاع. الأمر الذي يفسر الهوة بين النخب الجامعية للبديلين²⁸⁶.

بالإضافة إلى مؤسسة الثقافات الثلاث المسيحية والإسلامية واليهودية. التي تم تأسيسها سنة 1998 لدعم السلام والحوار والتسامح بين الشعوب بمبادرة من حكومة الأندلس والمملكة المغربية²⁸⁷.

و مؤسسة "التراث الأندلسي" التي تقف وراءها حكومة الأندلس. مقرها بقرطبة مع رئاسة شرفية للملك خوان كارلوس. تلعب هي الأخرى دورا مهما في إعلاء ثقافة التسامح الأندلسية وفي تنظيم لقاءات وأعمال تصب في إشاعة ثقافة الحوار بين الضفتين.

و"البيت العربي" وهو فضاء آخر تم تأسيسه سنة 2006 من طرف وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإسبانية. يعنى بتطوير علاقاتها بالعالم العربي. وهي مؤسسة تتوفر على مقربين بكل من مدريد وقرطبة، وتجعل من أولوياتها الحوار بين الثقافات؛ تعليم اللغة العربية، الاشراف على دراسات وتحاليل إجتماعية وسياسية حول العالم العربي²⁸⁸ ومنارة لارشاد الاستثمارات الإسبانية لوجهة أخرى غير أمريكا اللاتينية²⁸⁹.

كما أن رئاسة الحكومة الإسبانية في عهد "ثباتيرو" وفي غمرة الحملة الدولية لمحاربة الارهاب وما استتبع ذلك من الخلط واللاغط حول "صراع الحضارات"، تبنت مشروع "تحالف الحضارات²⁹⁰ la alianza de civilizaciones وفي إطار هذا المشروع، اقترح رئيس الوزراء الإسباني سنة 2007 تولى إسبانيا تشييد "جامعة

²⁸⁶ - entretien avec HADDAD MUSTAPHA de l'université de tétouan. Aujourd'hui le maroc N 923 du 16 juin 2005 p : 05.

²⁸⁷ - BOUDCHICHE BOUETTA BOUCHRA Op. cit p : 177.

²⁸⁸ - www.casaarabe.es Quiénes somos ?

²⁸⁹ - interview avec : jean LOUIS GUI GOU, délégué général de l'institut de prospective économique du monde méditerranéen. Challenge N : 154 du 28/07 au 31/08/ 2007.P : 17.

²⁹⁰ - REDONDO JIMENEZ, JUAN CARLOS :« de SUAREZ a RODRIGUEZ ZAPATERO : la politica exterior de la españa democratica »Op. cit p : 146.

الملكين" في اقليم تطوان علما أنه مشروع سبق للبلدين مناقشته في تسعينيات القرن الماضي²⁹¹.

وفي إطار مبادرات تحسين الصورة المتبادلة بين الضفتين، اقترح الباحث الاسباني المهتم بالشؤون المغربية "ميغيل ارناندو دي لا راميندي" إعطاء مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج دورا فاعلا ومهما في تأطير المهاجرين ومواكبتهم حتى يساهموا في تشكيل صورة ايجابية عن بلدهم في إسبانيا²⁹².

لكن وبالنظر إلى ثقل الموروث التاريخي الذي ترزح علاقات البلدين تحت وطأته. وخبث الاستعمالات السياسية لهذا التاريخ المشترك. تبقى الجهات الرسمية في الضفتين مطالبة بالكثير من العمل، وتفعيل المبادرات في اتجاه فهم متبادل ونظرة متوازنة من كل طرف تجاه الآخر.

ثانيا : مبادرات المجتمع المدني:

هذه المبادرات تعكس الرهان القائم على المجتمع المدني في الضفتين لتحسين العلاقات المغربية الإسبانية وتخفيف عوامل التوتر التي تكتنفها وزيادة مذهب المعرفة المتبادلة للشعبين.

وفي هذا السياق نرصد الدور الفاعل والرائد الذي يمكن أن تنتصب له النخب الفكرية والمتقفة من الجانبين. فقد كانت أولى المبادرات لقاءات المثقفين الاسبان والمغاربة في مارس 1979 بمدينة مدريد، والتي انتهت أشغالها على وقع بيانها الختامي الذي تم نشره في جريدة "البابيس الإسبانية"، والذي حث على أهمية العوامل الثقافية والتاريخية والفكرية وفهمها في تجاوز أزمات علاقات البلدين. وتم الحديث عن إنشاء "جمعية الصداقة والثقافة للشعبين الاسباني والمغربي" والتي لم تر النور حتى اليوم²⁹³.

²⁹¹ - المجذوبي حسين: "المغرب يقاطع منتدى تحالف الحضارات وسبتيرو يطرح جامعة الملكين في تطوان ضمن مقترحات تفعيل التحالف" الأيام، عدد 312 في 19-25 يناير 2008 ص: 22.

²⁹² - حوار مع: ميغيل ارناندو دي لاراميندي: "المغرب-إسبانيا: حوار العدوتين" إنجاز: نادبة بنسلام العلم عدد 19734 في 02 يونيو 2004 ص: 05.

²⁹³ - LOPEZ GARCIA BERNABE : « la sociedad civil y las relaciones con marruecos » Op. cit p : 196.

كما تم الاتفاق على جعل هذه اللقاءات دورية وهو فعلا ما تم خلال اللقاء الثاني في مدينة مراكش في دجنبر من نفس السنة. كما تلاه لقاء ثالث بمدينة برشلونة في يونيو 1980 والذي اعتبر الاخير في مبادرة كان يرجى منها الكثير.

وفي دجنبر 1987 تأسست في مدريد بمبادرة من باحثين من الضفتين: "الجمعية الايبيرو مغربية للصدقة والتعاون" والتي جعلت من أهدافها النهوض بالعلاقات الثقافية بين المغرب، إسبانيا وإيبرو أمريكا.²⁹⁴ والتي لم يكتب لها الاستمرارية هي الأخرى.

وعلى خلفية صدور قانون الأجانب الإسباني الذي مس الوضع القانوني لمغاربة سبتة ومليلية سيعرف يوليو 1987 أولى رسائل المثقفين المغاربة لنظرائهم الإسبان والتي تدعو إلى الحوار والتفاهم من جهة وإلى التفكير في مستقبل المدينتين من جهة أخرى.²⁹⁵

وبعد مواقف حكومة "ثباتيرو" المؤيدة للمغرب في قضية الصحراء عمد 470 من المثقفين الإسبان من كل المشارب إلى توجيه رسالة لرئيس الحكومة يحثونه فيها على التزام الموقف التقليدي لإسبانيا المساند للبوليزار يو²⁹⁶. وهو ما أدى بنظرائهم المغاربة إلى توجيه رسالة مضادة في اتجاه المثقفين الإسبان تم نشرها في جريدة ألباييس الإسبانية في يونيو 2005. وبالنسبة للموقعين على النداء فإن المثقفين الإسبان يعيشون علاقات البلدين باعتبارها "مصدر أحقاد" ناتجة عن الماضي الاستعماري. وعن إذلال ناتج عن المسيرة الخضراء والخروج من الصحراء.²⁹⁷ وهي في العمق مبادرات حولت التوتر من الجانب الرسمي إلى المجتمع المدني في علاقات البلدين.

كما تم سنة 1996 التوقيع من طرف مثقفين إسبان على عارضة لمنع احتفالات المسلمين والنصارى التي سبق وأن أشرنا إليها. والتي تعمل على إيقاف الذاكرة التاريخية الإسبانية سنويا نحو أحداث تمت منذ 500 سنة. ويوجد من بين الموقعين على العارضة: "فيدريكو ماريو سارا غوثا" رئيس لجنة الحكماء المسؤولة عن مشروع تحالف الحضارات

²⁹⁴ - ADILA MUSTAPHA, op. cit p: 155.

²⁹⁵ - بوعالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال ص: 305.

²⁹⁶ - GONZALO MAURE Y OTROS: "le sahara et les intellectuels Marocains", Aujourd'hui le maroc N : 954 du 29-31 juillet 2005 p : 06.

²⁹⁷ - برنابي لوبيز غارسيا: "المثقفون والعلاقات المغربية-الإسبانية: خنادق من ورق" الصحيفة المغربية في 16-22 شتنبر 2005 عدد 01 ص: 41

لاحقاً، والمدير العام السابق لليونيسكو، و "خوسي سراماغو" الحاصل على جائزة نوبل للآداب. والموسيقار الراحل "كارلوس كانو" و وزير الشغل الإسباني السابق "مانويل بيمنتيل"²⁹⁸ من بين آخرين .

والملاحظ في إطار مبادرات المثقفين ودور النخب؛ الاهتمام الضعيف للنخب المغربية بما يجري في الجارة الشمالية؛ حيث أن الحضور الفرنكوفوني القوي في أوساط هذه النخبة، يحجب عنها حقيقة التطور الذي عرفته إسبانيا في العقود الأخيرة.²⁹⁹ ومن المؤشرات الدالة على ذلك أن % 1.8 فقط من هذه النخب سبق وأن زارت إسبانيا.³⁰⁰ وهو ما يبين عمق الهوة بين مثقفي الضفتين.

ومن بين المؤسسات المحسوبة على المجتمع المدني والتي لا يخلو وجودها من فائدة في إطار تمهيد الطريق للتعارف المتبادل بين الضفتين وكذا استثمار التاريخ المشترك من داخل تصورات ايجابية. نجد "مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات"، الذي يديره اليوم الدكتور عبد الواحد أكميز. والمركز له صفة مؤسسة دولية غير حكومية³⁰¹، تم تأسيسه بالرباط في شتنبر 2000.

دون أن ننسى "المركز المغربي للذاكرة المشتركة والمستقبل" والذي يذشط بالمنطقة الشمالية و"الجمعية الوطنية للدفاع عن ضحايا إدارة الاستعمار الإسباني والوحدة الترابية للمغرب" و"المركز الإسلامي المسيحي" وعشرات الجمعيات التي تعنى بالهجرة ومحاربة العنصرية والتي أوردتها المفكر "لوي مارتن كورالس" بالتفصيل.³⁰² حيث تساهم في خلخلة بنية التصورات الجاهزة عن العمال المغاربة بإسبانيا.

ومن المهم في هذا السياق الإشارة إلى منشورات "كوروب للنشر" بمدينة قادس الإسبانية والمهتمة بترجمة الأعمال الأدبية والفنية المغربية إلى لغة سربانتس، وهو الأمر الذي يدفع إلى التقارب وتجسير الهوة بين الضفتين.

²⁹⁸ عبد الواحد أكميز: "على هامش قمة إسطنبول حول تحالف الحضارات: تحالف الحضارات أية مصداقية؟" العلم، عدد 20596 في 08 دجنبر 2006.

²⁹⁹ وجهة نظر: بوغالب العطار: "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للتأويل والتحويلات" إعداد بوغالب العطار. الاتحاد الاشتراكي، عدد 7648 في 21 يوليوز 2004 ص: 08

³⁰⁰ - N. AFAY et D. GUERAOUY op. cit p : 134

³⁰¹ حوار مع عبد الواحد أكميز: مدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. المساء، عدد 1016 في 28 دجنبر 2009 ص: 07

³⁰² - ELOY MARTIN CORALES: "la imagen del Magrebi en España" Op. cit p : 233.

وأمام المعطيات السالفة التي تصب في إطار عدم استمرارية المبادرات الرسمية وغير الرسمية الهادفة إلى تحسين علاقات الطرفين. يبقى هناك الكثير من العمل والجهد المطلوب بذله من طرف كل الفاعلين على مستوى الـضفتين من أجل إسقاط جدار وحائط التمثلات والأفكار النمطية عن الآخر. خاصة انه لا يمكن نفي أن إسبانيا تملك مشتركا أكبر مع "الموروس" لا يجمعها بأوروبيين مثل الألمان والسلاف³⁰³.

والتقييم الحقيقي للبعد الثقافي التاريخي يتم عبر التطرق لبقية الأبعاد المحددة لعلاقات البلدين.

³⁰³ - EDKHIL BACHIR: "relaciones hispano-Marroquies: Vecinos incomunicados" In CARLA FIBLA GARCIA-SALA , Op. cit p : 90.

المبحث الثاني: استمرار التأثير السلبي بالحضور الإسباني في مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها.

تشكل سبتة ومليلية والجزر التابعة لها أحد أهم المحاور والملفات التي تكيف العلاقات المغربية-الإسبانية، بالنظر إلى حساسية المطالب الترابية في العلاقات الخارجية للمغرب. وأيضا حالة التشويش التي يضيفها الحضور الإسباني في الثغور الشمالية للمملكة على علاقات البلدين في كل المراحل السابقة. ناهيك عن رهن مستقبل هذه العلاقات بالمجهول في ظل استمرار هذا الوضع.

وهو ما سنتعاطى معه من خلال التعريف بمناطق النزاع وحجج كل طرف من حقيقة انتمائها من جهة، (المطلب الأول) ومن جهة أخرى، الإسقاطات السياسية لهذا الحضور وتأثيره على علاقات البلدين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: التعريف بالمناطق المتنازع عليها وحجج كل طرف حول إنتمائها.
أي العمل على حصر المناطق المتنازع عليها في هذا الإطار. والتعريف بها (الفقرة الأولى) ثم إمطة الأثام عن دفعات كل طرف وحججه حول أحقيته في ضم المناطق المتنازع عليها (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: التعريف بالمناطق المتنازع عليها.
سنتناولها أولا من خلال سبتة ومليلية التي يطلق عليها في الأدبيات الإسبانية الحصون الكبرى presidios mayores³⁰⁴ وثانيا من خلال الجزر التابعة لها أي الحصون الصغرى presidios menores.

³⁰⁴- Yeves zurlo: “ Ceuta et Melilla: histoire représentation et devenir de deux enclaves espagnoles”
L’harmattan, Paris, 2005.P : 16.

أولاً: سبتة ومليلية

أ. سبتة:

تمتد على مساحة 19 كيلومترا مربعا، وتعتبر شبه جزيرة يحيط بها البحر من الشمال والشرق والجنوب³⁰⁵. ونظرا لأهميتها الإستراتيجية، فقد كان مرغوبا فيها من طرف الجميع،³⁰⁶ بدءا من الفينيقيين سنة 800 قبل الميلاد.³⁰⁷ وهو ما أدى بالإسبان إلى أن يطلقوا عليها من القدم لقب: "لؤلؤة المتوسط"³⁰⁸.

وهذه الأهمية هي التي أعطت سبتة ذلك الصيت الذي تتمتع به اليوم وأثار إليها انتباه علماء ومؤرخين قدامى من أمثال: ابن الحوقل، البكري والإدريسي³⁰⁹.

وقد احتلت من قبل البرتغاليين سنة 1415 على يد الأمير هنري المعروف بالبحار تحت حكم الملك جون الأول.³¹⁰ لكن بعد هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن في غشت 1580 ومصرع الملك سبستيان، سيتم ضم البرتغال إلى إسبانيا من طرف فليپ الثاني. وبذلك أصبحت سبتة تحت الحكم الإسباني. فبعد أن حصلت البرتغال على استقلالها، سيعترف بالحقوق الإسبانية في المدينة بموجب اتفاقية لشبونة 1668³¹¹.

وفي نفس السياق، اختلف الباحثون على أسباب هذا الاحتلال؛ فهناك من ألبسه مسوحا دينية على اعتبار أنه استمرارا للحروب الصليبية، ونظرا للأصدي الذي أحدثه في العالم المسيحي كله³¹².

في حين ذهب المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" إلى أن احتلال سبتة جاء نتيجة أهميتها الإستراتيجية، ورغبة البرتغاليين في السيطرة على الملاحة في البحر الأبيض

³⁰⁵ - أكمير عبد الواحد: "الجالية العربية في إسبانيا" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، أكتوبر 2013، ص: 283.

³⁰⁶ - ZAIM FOUAD : « le Maroc et son espace mediterranéen histoire économique et sociale », Collection : confluences Imprimerie : EL MAARIF AL JADIDA, Rabat, 1990P: 31

³⁰⁷ - LAZRAK, RACHID : « le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne » DAR ELKITAB, Casablanca, 1ère édition, 1974 P :107

³⁰⁸ - REZETTE ROBERT : « les enclaves espagnoles au Maroc » Nouvelles éditions LATINES, Paris, 1ère édition, 1976 P : 07

³⁰⁹ - ZAIM FOUAD : Op. cit p : 43

³¹⁰ - Ibid ; p : 42

³¹¹ - Ibid.

³¹² - REZETTE ROBERT, Op. cit p: 29

المتوسط من جهة، ومن جهة أخرى، الحاجة المتزايدة إلى الذهب الإفريقي، الذي كانت تعتبر سبته محطته الأخيرة عبر تجارة القوافل القادمة من عمق القارة.³¹³ وهو ما ذهب إليه الباحث فؤاد الزعيم أيضا³¹⁴.

وقد ذهب رشيد الأزرق إلى أن هذا الاحتلال جاء في سياق الحد من حملات القراصنة المغاربة التي أصبحت تعرقل الملاحة الإيبيرية في المتوسط³¹⁵.

ب. مليلية:

تمتد على مساحة 12 كيلومترا مربعا في الشمال الشرقي للمملكة ولا تفصلها عن قبيلة بني شيكر المغربية إلا بضع مئات من الأمتار³¹⁶.

وفي شتنبر 1497 خمس سنوات بعد سقوط غرناطة واكتشاف أمريكا، ستجد اسبانيا موطن قدم لها في الجهة الشرقية من الواجهة المتوسطية المغربية من خلال مدينة مليلية.

وهو ما قام به "بدرو دي استوبينان Pedro de estopinan، عسكري ملحق بعائلة "دون خوام دي كوزمان don Juan de guzmán دوق "ميدينا سيدونيا"³¹⁷. وفي حينه كانت المدينة شبه خالية ولا تضم إلا أعدادا متواضعة للقوات المغربية. وقد بقيت تحت تسيير "دوق ميدينا سيدونيا" حتى سنة 1556؛ حيث سيسلمها للتاج الإسباني نتيجة تكاليف احتلالها الباهظة³¹⁸.

وقد برزت أهميتها بالنسبة للأسبان في جعلها آنذاك نقطة انطلاق لاحتلال مواقع أخرى في الواجهة المتوسطية وأهمها: مرس الكبير في تونس (1505م) ووهران (1509) وجزيرة صخرة الجزائر (1510)، وطرابلس (1510)³¹⁹ من بين مواقع أخرى.

³¹³- CHARLES ANDRE JULIEN : "le Maroc face aux impérialismes : 1415-1956" Edition : J. A, Paris, 1978.P : 20

³¹⁴ - ZAIM FOUAD: Op. cit p: 80

³¹⁵ - LAZRAK. RACHID: Op. cit p: 107

³¹⁶- أكمر عبد الواحد: الجالية العربية في اسبانيا"مرجع سابق ص. 283

³¹⁷ - REZETTE ROBERT, Op. cit p: 31

³¹⁸ - ALAOU MY ABDELLAH : "le Maroc face aux convoitises européennes 1830-1912"Op. cit p : 58

³¹⁹ - YVES ZURLO, Op. cit p: 13

وهذا الحضور الإسباني في المدينتين، جاء في حمأة التوسع الذي باشره: الملوك الكاثوليك (إيزابيل وفرديناند) وشارل كينت وفليب الثاني. والذي امتد زمنا إلى القرن 16 الذي توج إسبانيا كقوة عظمى من خلال الحضور في القارات الثلاث (أوروبا، إفريقيا، وأمريكا)،³²⁰ وهو الأمر الذي طبع المخيال الإسباني إلى اليوم.

وقد كان من نتائج هذا الاحتلال لمدينتي سبتة ومليلية إعدام الواجهة المتوسطية للمغرب؛ وهو ما دفعه إلى التواصل مع الخارج عبر شواطئه الأطلسية. الأمر الذي سيتعزز أكثر باحتلال الجزر التابعة للمدينتين.

ثانيا: الجزر التابعة لها:

وهي: صخرة باديس، جزيرة الذكور، الجزر الجعفرية، جزيرة البرهان، وجزيرة تورة، وقد كشفت الأزمة التي تمخضت عن هذه الأخيرة سنة 2002 عن المنسوب الصدامي الكبير الذي تختزنه هذه الجزر.³²¹ وهو ما يجعل التطرق لها ضرورة ملحة للإلمام بخبايا النزاع الترابي المرتبط بمدينتي سبتة ومليلية.

أ. صخرة باديس:

ويطلق عليها في الأدبيات الإسبانية "بينيون دي باليز دي لا كوميرا peñón de velez de la gomera تقع في الجنوب الشرقي لمدينة سبتة على بعد 300 متر من الساحل، وتبلغ مساحتها 260 مترا في الطول، و100 متر في العرض³²². وقد تم احتلالها سنة 1508 من طرف الأميرال "بيدرو نافارو pedro navarro تحت حكم الملك فرديناند الخامس"³²³. وتم استرجاعها ليتم احتلالها من جديد سنة 1564 من قبل الدوق "غارسية دي توليد don García de tolede نائب ملك كاتلونيا.³²⁴ وهي اليوم تشهد حضورا عسكريا محدودا.

³²⁰ - ZAIM FOUAD: Op. cit P: 91

³²¹- MUNOZ- ALONSO ALEJANDRO: "España en primer plano: ocho años de política exterior (1996-2004) "Editorial Fundacion FAES/ Gota-Gota 1ra edición, Madrid, septiembre de 2007, p: 380.

³²² - YVES ZURLO: Op. cit p: 16.

³²³ - LAZRAK RACHID, Op. cit p: 108.

³²⁴ - ALAOU MY ABDELLAH, Op. cit p: 58.

ب. جزيرة النكور:

وتعرف اسبانيا بـ "بينيون دي الحسيمة peñón de alhucemas وهي جزيرة صخرية مساحتها 14000 متر مربع، تقع على بعد 600 متر من خليج الحسيمة. وتتبع لها جزيرتان صغيرتان هما: جزيرة الأرض وجزيرة البحر.³²⁵ وقد تم ضمها من قبل الاسبان سنة 1673 بعد أن تخلى عنها الملك السعدي الغالب بالله لفائدة شارل الثاني مقابل منعه العثمانيين من السيطرة على الشواطئ المتوسطية للمغرب.³²⁶

ج. الجزر الجعفرية:

وهي عبارة عن أرخبيل مكون من ثلاثة جزر: جزيرة "كونغريسو"، جزيرة الملك فرانسيسكو" وجزيرة "إيزابيلا الثانية" ومساحتها الإجمالية تقارب كيلومترا مربعا واحدا.³²⁷ وتقع قبالة مصب نهر ملوية. غير بعيد عن مدينة مليلية والحدود الجزائرية. وقد تم احتلالها في يناير 1847 تحت حكم الملكة إيزابيلا الثانية من قبل الجنرال سيرانو؛ لاستعمالها كدرع واقى متقدم لحماية مدينة مليلية من التقدم الفرنسي القادم من الجزائر.³²⁸

ويمكن قراءة حدث احتلال الجزر الجعفرية في إطار المنافسة الاستعمارية التي شهدتها القرن التاسع عشر ومحاولة قطع الطريق على المطامع الفرنسية في شمال المغرب. خاصة أن اسبانيا كانت قد بدأت في فقدان مستعمراتها بأمريكا اللاتينية.³²⁹

د. جزيرة البرهان:

تعتبر "البران alboran في الأدبيات الإسبانية من أبعد الجزر عن السواحل المغربية، تقع جنوب مدينة ألمرية الإسبانية بـ 90 كيلومترا و تبلغ مساحتها 71200 متر مربع³³⁰. تم احتلالها سنة 1540 في سياق محاربة أنشطة القرصنة الشائعة آنذاك.

³²⁵ - YVES ZURLO, Op. cit p: 16.

³²⁶ - LAMOURI MOHAMED: "le contentieux relatif aux frontières terrestres du Maroc" 2ème semestre 1979, p : 24.

³²⁷ - YVES ZURLO, Op. cit p: 17.

³²⁸ - LAZRAK RACHID, Op cit p: 108.

³²⁹ - برادة عبد الرحيم: "اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية: 1931-1956" الجزء الأول مرجع سابق، ص 16.

³³⁰ WWW.WIKIPEDIA.COM تمت الزيارة في يناير 2016.

هـ. جزيرة تورة

تسمى أيضا جزيرة ليلي، وفي الكتابات الإسبانية يطلق عليها جزيرة البقدونس Perejil، وتعتبر نموذجا مثاليا لخطورة النزاعات الترابية على مستقبل العلاقات المغربية الإسبانية بالنظر لحجم التوتر الذي عرفته هذه العلاقات في صيف سنة 2002. فالجزيرة لا تتجاوز 13 هكتارا، وتوجد على بعد 147 مترا من السواحل المغربية و11 كيلومترا غرب مدينة سبتة³³¹. فهي عبارة عن صخرة خالية من السكان دون أهمية تذكر من الناحية الاقتصادية، عكس ما هو عليه الحال من الناحية الاستراتيجية³³². والشواهد التاريخية تعزز ذلك، فمع بداية غزو نابليون لإسبانيا حاولت بريطانيا استغلال هذا الوضع وتعزيز حضورها بجبل طارق بالعمل على احتلال مدينة سبتة. حيث ارتأت بريطانيا اللجوء إلى مساعدة المغرب من خلال الحصول على إذن من السلطان باحتلال الجزيرة التي تراقب المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط. الأمر الذي سيسهل عليهم محاصرة المدينة والتحكم في الإمدادات التي تصلها من إسبانيا³³³. لكن مع اندحار قوات نابليون تم العدول عن هذا المخطط.

والموقف الإسباني في التعاطي مع الوضع القانوني لجزيرة تورة عرف الكثير من التخبط والاضطراب؛ حيث قامت الحكومة الاشتراكية بإقحام الجزيرة في المجال البحري لمدينة سبتة في مشروع قانون الحكم الذاتي للمدينة، والذي تم تقديمه للبرلمان في 26 فبراير 1986. لكن أمام الاحتجاج المغربي تم حذف الإشارة لجزيرة تورة في القانون الأساسي للحكم الذاتي لمدينة سبتة المنشور في الجزيرة الرسمية الإسبانية في 14 مارس 1995³³⁴.

³³¹- I. Cembrero: «vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos» Op cit, P : 28.

³³²- محمد المعزوي وجعفر بنحجيبة: "سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق. ص : 198.

³³³- فتيحة الحامدي: "جيو استراتيجية سبتة ومليلية" رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا. ص: 120.

³³⁴- دينة السمار: "إدارة الأزمات في العلاقات المغربية- الإسبانية: أزمة جزيرة تورة/ ليلي كنموذج" رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، أكدال، الموسم الجامعي 2005-2006. ص. 64.

علما أن الخارطة L-5 التي تم نشرها من طرف المصالح الجغرافية الإسبانية منذ سنة 1988 ولست سنوات متتالية تمنح الجزيرة ضمنيا للمغرب، عكس ما هو عليه الأمر في خرائط عسكرية أخرى. وهو نفس التخطيط الذي عرفه الأطلس الوطني الإسباني في نسخته لسنوات 1995 و1998³³⁵.

وعند اندلاع ما عرف بأزمة جزيرة ليلى في صيف سنة 2002 وجدت الدبلوماسية الإسبانية نفسها في وضع غير مريح قانونيا³³⁶، فحسب المؤرخة "ماريا روسا دي ما داريغا":

"أعدنا بدقة مراجعة كل الاتفاقيات التي جمعت إسبانيا والمغرب أو بين قوى أخرى في علاقة مع المغرب ... منذ الاتفاق الموقع في 01 مارس 1799 إلى اتفاق 29 دجنبر 1916 دون أن نجد أدنى إشارة إلى الجزيرة ... ونستنتج من ذلك أن إسبانيا لم تصل أبدا إلى بسط سيادتها على الجزيرة... حيث كانت جزءا مما سيشكل منذ سنة 1912 منطقة الحماية الإسبانية"³³⁷.

والشاهد عندنا في هذه الأزمة، أنها بصمت بصفة قطعية على أهمية وخطورة النزاعات الترابية على علاقات البلدين. حيث كادت أن تقضي إلى نزاع مسلح وحرب مفتوحة بين الطرفين. وهو النزاع المسلح الذي سبقته حرب أخرى، وهي حرب الحجج القانونية حول السيادة على المناطق المتنازع عليها ككل.

- فما هي هذه الحجج؟ وما مدى صدقيتها؟

³³⁵ - Maximo cajal : « Ceuta , Melilla, olivenza y Gibraltar: donde acaba Espana?» Op cit. P : 227.

وهذا الاضطراب في الموقف الإسباني نجده عند كتاب إسبانيين آخرين معززا بشواهد أخرى مثل:

- Yeves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire représentation et devenir de deux enclaves espagnoles", P : 18.

-Alejandro Muñoz Alonso: « España en brimer plano: ocho años de política exterior 1996-2004, Op cit, P: 417.

³³⁶ - Ignacio Cembrero : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos» Op . cit. P : 30.

³³⁷ - Maria Rosa de Madariaga: "El falso contencioso de la isla de perejil" el país 17 julio 2002 In : Maximo Cajal : "Ceuta et Melilla olivenza y gibraltar: donde acaba España?" Op. cit. P: 223.

الفقرة الثانية: حجج كل طرف حول الانتماء الحقيقي لمناطق النزاع:

وهو ما سنتناوله من خلال رصد حجج الطرف الإسباني (أولا) ثم حجج الطرف المغربي (ثانيا).

أولا: الحجج الإسبانية:

بلور الاسبان على امتداد الزمن ترسنة من الحجج القائمة أساسا على اسبانية المدينتين والجزر التابعة لها. وهي حجج وبراهين تستند إلى مرجعيات من أهمها المرجعية التاريخية، فحسب الأطروحة الإسبانية فإن مناطق شمال إفريقيا التي تضم سبتة ومليلية كانت منذ القرن الثالث الميلادي تعتبر مقاطعة وجزءا من اسبانيا الرومانية تحت إسم:

Nova hispania ulterior tingitania

حيث تحولت بعد ذلك مدينة طنجة إلى عاصمة إقليم الدوقية الاسبانو-قوطية لإفريقيا

338. la province ducale hispano-wisigothique

وقد جاءت بعد ذلك الاحتلال المتلاحقة للمناطق الشمالية في القرن الخامس عشر والتي استمرت حتى اليوم، لتشكل قطب الرحي في هذه المرجعية التاريخية. والتي سيتم الاستناد إليها أيضا في الجدالات والملاسنات التي ستعرفها فيما بعد أروقة الأمم المتحدة. فالاسبان يعتبرون أن انتماء هذه المناطق للتاج الإسباني كان قبل قيام المملكة المغربية كدولة. حيث تعتبر في منطق التفكير هذا، مليالية إسبانية قبل "navarra" 339. وهي نفس الحجة التي تم الاستناد إليها من طرف وزير الخارجية الإسباني فرناندو مارية كاستية سنة 1960 في الأمم المتحدة على إثر المطالبة المغربية بالثغرين والجزر التابعة لهما. 340 وقد لأك "خايم بينيس" ممثل اسبانيا في اللجنة الرابعة للأمم المتحدة نفس الخطاب في أكتوبر من السنة الموالية. 341

338 - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire représentations et devenir de deux enclaves espagnoles", Op cit . P : 131.

339 - Leon Klein: « Marruecos : el enemigo del sur ... » Op cit p: 125.

ونفارا: منطقة في شبه الجزيرة الأيبيرية.

340 - Yves zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ... » Op cit p : 130.

341 - Rachid Lazrak: "le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne", p : 106 et 310.

كما يعتبر الاحتلال الإسباني المتواصل ودون انقطاع لهذه المناطق حجة إسبانية أخرى تستند إلى البعد التاريخي وإلى التقادم الذي قد يصيب "الحقوق" المفترضة لأي كان. بالإضافة إلى المرجعية التاريخية، تستند المواقف الإسبانية أيضا إلى الحجج القانونية التي تعتبرها دامغة في الرد على الأطروحات المغربية. فعلى رأس هذه الأدلة القانونية يدفع الإسبان بالاتفاقيات الموقعة بين الطرفين والتي تعترف ضمنيا وتقر بهذا التواجد الإسباني. ومن أهمها اتفاق السلم والتجارة الموقع بين ملك إسبانيا دون كارلوس الثالث ووسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله في 28 ماي 1767.

حيث نص الاتفاق في بنده العاشر على رد كل الهاربين من سبتة ومليلية والجزر المجاورة لها إلى إسبانيا في حالة دخولهم المغرب. كما نص البند الخامس عشر على اعتبار كل مسيحي أو مارق لجأ إلى الجيوب حر وتحت حماية ملك إسبانيا. وقد تطرق البند التاسع عشر إلى تعيين الأشخاص الذين سيعملون على ترسيم الحدود بين الطرفين.

كما أن اتفاق مكناس الموقع بين ملك إسبانيا دون كارلوس الرابع والسلطان مولاي سليمان في 01 مارس 1799 أعاد صياغة نفس الترتيبات المشار إليها في الاتفاق السابق، وأعطى في البند الخامس عشر منه "للجيوب الإسبانية" الحق في الرد على تحرشات القبائل المجاورة التي لا تمتثل لأوامر السلطان في الحفاظ على حسن الجوار مع هذه المناطق.

ومن جهة أخرى، جاء في اتفاق 24 غشت 1859 الموقع بين إيزابيلا الثانية ملكة إسبانيا ومولاي عبد الرحمن ملك المغرب. والذي عرف باتفاق توسيع المجال الخاضع لمليلية وتكريس الإجراءات الضرورية لأمن الحصون الإسبانية المتواجدة في شمال إفريقيا. فقد نص البند الأول على توسيع المجال الترابي لمليلية إلى الحد الذي يضمن أمنها. وأسند البند الثاني هذه المهمة إلى مهندسين مغاربة وإسبان. كما أشار البند الرابع إلى خلق منطقة عازلة ومحايطة بين المدينة والمناطق المجاورة لها. وأوكل البند السادس حماية هذه الحدود إلى الطرف المغربي شريطة أن يتم عبر قوى نظامية وليس عبر القبائل المجاورة.

وتجدر الإشارة إلى أن حدود مدينة مليلية اليوم هي نفس الحدود التي تمخض عنها هذا الاتفاق، دون أن نغفل اتفاق تطوان في أبريل من سنة 1860 والذي سار في نفس أفق التفكير المشار إليه أعلاه من تكريس احتلال الأسبان للجيوب الشمالية . وهي الاتفاقات التي شكلت حجر الزاوية في الحجج القانونية الإسبانية.

هذا الإطار القانوني الذي يرصعه أيضا القول "بالحق في الاجتياح"، والذي كان يضمنه القانون الدولي الكلاسيكي في حينه. حيث كان للدول "المتحضرة" الحق في مد سيادتها إلى أراض لا تنتمي للعالم المتحضر.³⁴² وتماشيا مع هذا الذسق فإن استعمال القوة والاجتياح العسكري كان يرتدي رداء الشرعية شريطة أن يقبل به الضحية من خلال اتفاقات سلام على سبيل المثال؛ متممة لانتقال السيادة³⁴³. وهو ما ينطبق على الثغور الشمالية حسب وجهة النظر الإسبانية.³⁴⁴

وقد احتج الأسبان قانونيا أيضا بمبدأ "الأرض الخلاء terra nullius فيما يتعلق بمدينة مليلية. ويعني الاقليم الذي لا تمارس عليه أية دولة سيادتها، وقابل لأن يتم ضمه من خلال الاحتلال.³⁴⁵ فقد اعتبرت بعض الأصوات الإسبانية أن مليلية عند احتلالها كانت تشمل هذه الشروط.³⁴⁶

ومع دخول القانون الدولي مرحلة جديدة، من خلال الاعتراف بحق الشعوب في الانعتاق، وموجة التحرر التي عرفتها الشعوب التي عاشت تحت نير الاستعمار. وظهور مبادئ قانونية جديدة تؤثت المشهد الدولي، وتسطر القطيعة مع ما سبقها من قواعد القانون الدولي الكلاسيكي، التي تعترف بالاتفاقات غير المتكافئة، وبشرعية استعمال القوة لغاية احتلال اقاليم أخرى. دون أن ننسى تقسيم العالم إلى أمم متحضرة تنعم بالقوانين والضوابط؛ وأخرى "بربرية" و"بدائية" وفي حاجة إلى التأهيل، بحيث لا تطبق عليها أبسط القواعد الدولية العامة.

³⁴² - Dictionnaire de droit international public ; Sous la direction de Jean Salmon Etablissements Emile Bruylant, Bruxelles 2001 p:193.

³⁴³ - Ibid p: 237.

³⁴⁴ - Maximo Cajal : " Ceuta, Melilla Olivenza y Gibraltar donde acaba España"? P: 174.

³⁴⁵ - Dictionnaire de droit international public P : 1075 et 1079.

³⁴⁶ -Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire.... » P : 129.

ومع بزوغ هذه المرحلة من عمر المجتمع الدولي، تكيّفت الحجج الإسبانية حول شرعية احتلالها للثغور الشمالية، لتجد لنفسها موطئ قدم في المشهد القانوني الجديد، ففي 11 نونبر 1960 وضعت إسبانيا لائحة بالأقاليم التي تسيروها والتي يمكن اعتبارها حسب قواعد القانون الدولي للتحرر: "الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي" وهي قاعدة تم تسطيرها من طرف ميثاق الأمم المتحدة في فصله الحادي عشر تحت عنوان: "تصريح متعلق بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي"، وتنسحب على الأقاليم التي لا تسيروها من طرف ساكنتها؛ بل تسيروها من طرف سلطة مسيرة عليها التزامات في هذا الجانب.

وحسب توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة (XV) 1541 الصادرة في 15 دجنبر 1960؛ لتطبق مقتضيات الفصل الحادي عشر من ميثاق الأمم المتحدة على إقليم معين يجب أن يراعى مبدآن: الأول أن يكون الإقليم مسطر كإقليم مستعمر، والثاني أن هذا الإقليم الذي سيُعترف له بصفة الإقليم غير المتمتع بالحكم الذاتي، ليس جامداً، بل يتطور ويتقدم نحو أن يمتلك القدرة على تسيير نفسه بنفسه.³⁴⁷

وبناء عليه فاللائحة الإسبانية المشار إليها قد ضمت أقاليم: إفني، الصحراء وغينيا الاستوائية كأقاليم غير متمتعة بالحكم الذاتي. وأسقطت سبتة ومليلية والجزر التابعة لها على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من التراب الإسباني.³⁴⁸

وهو ما صادف الاستراتيجية المغربية القائمة على المطالبة المغربية بأقاليمه الجنوبية وفق أجندة تعطي الأولوية لقضية الصحراء. مما جعل قضية الثغور الشمالية لا تثار أمام لجنة 24 التابع للأمم المتحدة المسؤولة عن قضايا الأقاليم الخاضعة للاستعمار.³⁴⁹ وبالتالي جاءت لائحة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي التي نشرتها المنظمة الدولية سنة 1962 دون أن تتضمن سبتة ومليلية والجزر التابعة لها³⁵⁰. وهو الدليل القانوني الذي سنجده صدها فيما بعد في كل الكتابات الإسبانية حول هذه الثغور.

³⁴⁷ - Dictionnaire de droit international public. Op cit P: 1078.

³⁴⁸ - Yves zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ».op cit P : 110.

³⁴⁹ - Paloma Gonzalez del Miño: "las relaciones entre España y Marruecos: Perspectivas para el siglo XXI " Los libros de la catarata, Madrid, 2005 P: 147

³⁵⁰ - R. LAZRAC: "le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne" Op cit P : 123.

بل هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك بالاستناد إلى الدليل المشار إليه أعلاه. فقد دعا Yves Zurlo إلى أن تحتج اسبانيا بالفقرة السادسة من التوصية الصادرة عن الجمعية العامة رقم 1514 في 16 دجنبر 1960 والتي تنص على عدم المس بالإقليم الوطني المتمثل هنا في الثغرين والجزر التابعة لهما، من طرف المغرب ما داما لم يردا في لائحة الأمم المتحدة للأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي³⁵¹.

و علاوة على الجانب القانوني؛ نجد الاسبان يدفعون بالعامل الديموغرافي كمبرر لاسبانية الثغور الشمالية. ذلك أن السواد الاعظم لساكنة هذه الثغور إسبانية³⁵². وقد احتج وزير الخارجية الاسباني فرناندو موران في حديث للتلفزة الانجليزية في 29 يناير 1984 بهذا العامل للتدليل على عدم وجود أي شك في إسبانية سبتة ومليلية³⁵³.

السنة	عدد السكان المغربية	ملاحظة
1875	96	-
1888	أكثر بقليل من 200	-
1935	2717	غالبيتهم جنود
1940	أكثر بقليل من 4400	غالبيتهم نظاميون
1960	تتجاوز 7000	-
2006	27000	من جميع الفئات

تعداد الساكنة المغربية لمدينة سبتة حسب المصادر الإسبانية³⁵⁴.

إلا أن هذا العامل أصبح يشكل بالنسبة للإسبان مصدر خوف وتوجس أمام التزايد المطرد للساكنة المغربية من جهة، ونسبة ولاداتها المرتفعة جدا من جهة أخرى. وهو ما دفع البعض إلى التنبؤ بإمكانية أن تصبح سبتة ومليلية مدن عربية ومسلمة وبأقلية مسيحية.

³⁵¹ - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ..." op cit P : 129.

³⁵² - Ibid p: 39 et 129.

³⁵³ - Maximo Cajal : "Ceuta, Melilla, Olivenza ..." Op cit P: 191.

³⁵⁴ - Ibid P.: 159 Et Ignacio Cembrero: "vecinos alejados ..." P: 229.

³⁵⁵ في حين يتساءل الصحفي إغناسيو سمبريرو " حول امكانية أن يحقق المغرب مطالبه الترابية في المدينتين من خلال النمو الديموغرافي وتحويلها إلى مدن مغربية بالفعل. حيث أشار إلى الاستطلاع الذي قام به المعهد الملكي ألكانو في دجنبر 2005، والذي يبين أن 68% من الاسبان المستجوبين يخشون من التطلعات المستقبلية للسكان المسلمة في الانضمام إلى المغرب.³⁵⁶

وعلى صعيد آخر، هناك من الأعلام الإسبانية من سلط الضوء على عامل سياسي مثير للتدليل على اسبانية المدينتين، ويتمثل الأمر حسب هذه الآراء في "النزعة التوسعية للمغرب" و"حلم" و "وهم المغرب الكبير gran Marruecos" الذي يوجه السياسة الخارجية للمملكة.³⁵⁷ وغالبا ما يتم في هذا الإطار الإشارة إلى أفكار الزعيم الوطني الراحل علال الفاسي والبيان الذي تم تحريره في يناير سنة 1944 من جهة؛ والذي يتحدث فيه عن المغرب في حدوده التاريخية من نهر السنغال حتى البحر الأبيض المتوسط.³⁵⁸ ومن جهة أخرى، خارطة المغرب الكبير التي تم نشرها من قبل حزب الاستقلال قبيل استقلال البلاد.

والمتتبع للكتابات السياسية الإسبانية حول المغرب يفاجأ بالحجم الذي تم إعطاؤه لهذه الأفكار وطريقة تقديمها للقارئ الإسباني بحيث تخلق لديه الوهم بأن المغرب يطالب بكل هذه الأراضي من نهر السينغال إلى سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وهي الأفكار التي يزيد من ترسيخها لدى المواطن الإسباني العادي؛ تاريخ علاقات البلدين الذي عرف الكثير من التنازلات الترابية من الطرف الإسباني (طرفاية 1958، إيفني 1969 والصحراء 1975).

³⁵⁵ - Manuel Leria y Ortiz de Saracho: "Ceuta y Melilla en la polémica", Editorial; San Martin, Madrid 1991 P: 234.

³⁵⁶ - Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos", Op cit, p: 229.

³⁵⁷ - Leon Klein: "Marruecos: el enemigo del sur el conflicto inevitable" Colección geopolítica" Editorial Pyre 1ra edición, octubre 2002 P: 119.

³⁵⁸ - Paloma Gonzalez Del Mino: "las relaciones entre España y Marruecos: Perspectivas para el siglo XXI" Op cit P: 173.

وخلاصة القول أن القيمة القانونية والتاريخية والواقعية لهذه الحجج الإسبانية قد تكون عامل خلاف بيننا وعدم إجماع؛ كل حسب زاوية نظره وموقعه. لكن النتيجة الحتمية التي تمخضت عنها التعبئة لهذه الحجج وإعادة صياغتها على نطاق واسع هي من جهة؛ المساهمة في إفراز رأي عام إسباني لا يتصور التشكيك في إسبانية هذه الثغور. وموسوم بالعاطفة الجارفة في هذا الصدد.³⁵⁹

ومن جهة أخرى، خلق تعنت رسمي لا يقبل هو الآخر التشكيك في إسبانية المدينتين ويرفض أي حوار في هذا المجال. ناهيك عن تحويل الموضوع إلى عقيدة غير قابلة للنقاش dogma indiscutable³⁶⁰ وثابت من الثوابت الموجهة للسياسة الخارجية الإسبانية.

وبالموازاة مع ذلك تبنت النخب الإسبانية نفس المواقف وتشكلت لديها نفس القناعات التي تلخصها مقولة مورييسيو ترنكوسو يريغاد Mauricio Troncoso y Reigada:

"نختم بالتأكيد على أن المطالبة المغربية حول سبتة ومليلية، ليست محمية من طرف القانون الدولي، تشكل فعلا امبرياليا، اعتداءا ضد سلامة التراب الإسباني وخطرا على السلام في غرب المتوسط"³⁶¹

وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة وقيمة الحجج المغربية؟

ثانيا- الحجج المغربية:

الجانب المغربي هو الآخر لا يعدم الحجج حول مغربية الثغور المحتلة والجزر التابعة لها، بحيث أن هناك ترسانة من الأدلة التي اعتمدتها الجهات الرسمية المغربية من جهة؛ والطبقة السياسية والنخب المهمة بالموضوع من جهة أخرى.

وعلى رأس هذه الأدلة نجد تلك التي تتأسس على خلفية تاريخية. فمن أهم الحجج

³⁵⁹ - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histor... » op cit P : 131.

³⁶⁰ - Alejandro Muñoz Alonso: "España en primer plano: ocho años de política exterior (1996-2004)" Colección gota gota, Editorial: fundación FAES S.L.U 1ra edición, septiembre 2007, P: 380.

³⁶¹ - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire..." Op cit P: 130.

التاريخية المغربية والتي تناولتها الكتابات الإسبانية أيضا، نجد المقاومة التاريخية للاحتلال الإسباني لسبتة ومليلية والجزر التابعة لها. والحروب التي خاضتها الدولة والقبائل المجاورة لهذه الثغور، والتي سبق أن أشرنا إليها آنفا. ذلك أن الحضور الإسباني والبرتغالي قبله لم يكن مرحبا به³⁶² "في دار الإسلام".

وشكلت هذه المقاومة وما تترجمه من عدم القبول بالوضع القائم، لازمة تم تكرارها في كل مراحل التاريخ المغربي القديم والحديث.

وقد عمل الإسبان في إطار التعبئة لاسترجاع مستعمرة جبل طارق من الانجليز إلى الاستتجاد بنفس الدليل. فهم لم يقبلوا قط بهذا الحضور الانجليزي. وقد بدأوا سلسلة من الحصارات والمناوشات على الصخرة منذ احتلالها في 1704³⁶³. واعتبروا هذه المقاومة وعدم القبول بواقع الاحتلال أهم دليل على إسبانية جبل طارق. والأمر نفسه ينطبق على سبتة ومليلية والجزر التابعة لها.

وعلى مستوى آخر نجد سياسة التخلي التاريخية عن هذه الثغور. والتي تعتبر وصمة سوداء على جبين "إسبانية" الجيوب الشمالية. فحسب المؤرخ المغربي ابراهيم بوطالب: "في التاريخ لم يسبق أبدا لإسبانيا أن عاملت هذه الثغور، معاملة الجزء الذي لا يتجزأ من ترابها"³⁶⁴، فدوريا عمد الواقعيون الإسبان إلى اقتراح بيعها أو التخلي³⁶⁵ عنها حسب الظروف.

فظهرت الفكرة للمرة الأولى منذ سنة 1764 في عهد الملك شارل الثالث، وتمحورت حول الحصون الصغرى³⁶⁶ presidios menores والتي حددت في: مليلية، صخرة الحسيمة (جزيرة النكور) وصخرة باديس؛ حيث تم استثناء سبتة. وقد شكلت لجن إسبانية من أجل دراسة الموضوع وخلصت إلى الموافقة على مشروع التخلي الذي كان

³⁶² - Maximo Cajal : « Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar : Dondé a caba España » Op cit P: 100.

³⁶³ - لمزيد من المعلومات حول تاريخ المقاومة الإسبانية لاحتلال الانجليز لجبل طارق انظر:

- R. LAZRAK : « le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne » P : 209 et les pages suivantes.
³⁶⁴ - بوغالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" ص. X.

³⁶⁵ - ALAOUI My ABDELHADI "le Maroc face aux convoitises européennes 1830-1912" P :59

³⁶⁶ - فتيحة الحامدي: "جيوستراتيجية سبتة ومليلية" ص 144.

وراءه وضعية الحرب الدائمة التي أصبحت تعيشها إسبانيا مع جيرانها. وقرب العهد بالحصار الطويل الذي فرض على سبتة ما بين 1700 و 1726.³⁶⁷ بالإضافة إلى انحصار التجارة الإسبانية في شمال إفريقيا. إلا أن هذه المبادرة لم تصل إلى نهايتها.

وفي سنة 1791 ستظهر الفكرة من جديد³⁶⁸ مع الملك شارل الرابع. وهي السنة التي عرفت تخلي إسبانيا عن وهران ومرس الكبير الجزائريتان. وبدأت في دراسة التخلي عن الحصون الصغرى لفائدة المغرب لكن أمام وصول غودوي Godoy إلى الحكومة تبدلت المعطيات لأن الحكومة الجديدة بدأت تخطط لغزو المغرب.³⁶⁹

بالإضافة إلى فترة "حرب الاستقلال" بعد اجتياح نابليون لإسبانيا؛ حيث عاشت صعوبات اجتماعية واقتصادية دفعت الكورتيس الإسباني إلى مناقشة مقايضة الحصون الصغرى (مليلية جزيرة النكور وجزيرة باديس)³⁷⁰ بمحاصيل زراعية³⁷¹؛ وتوسيع للمجال الترابي لمدينة سبتة. ففي اجتماع الكورتيس بقادس سنة 1811 تم النقاش حول "هل تشكل هذه الحصون الصغرى جزءا من التراب الإسباني؛ أم لا؟" حيث تم التصويت في 26 مارس 1811، على أنها ليست جزءا من التراب الإسباني وبالتالي يمكن مقايضتها. إلا أن السلطان المغربي اعتبر المطالب الإسباني مبالغا فيها³⁷².

وفي سنة 1821، أذن الكورتيس الإسباني مرة أخرى بتسليم الجيوب الشمالية للمغرب³⁷³ لكن الأحداث التي عرفتتها نهاية حكم السلطان المولى سليمان من جهة؛ وسقوط النظام الدستوري الإسباني في 1823 من جهة أخرى حالت دون إتمام الأمر.

وبعد ذلك تلاحقت عدة مشاريع للتخلي عن الحصون الصغرى واختلفت خلفياتها

³⁶⁷ - R. LAZRAK : "le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne" Op cit P : 210.

³⁶⁸ - Maximo Cajal : "Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar..." Op cit P : 108

³⁶⁹ - Yves Zurlo : " Ceuta et Melilla : histoire représentation et de venir de deux enclaves espagnoles. P : 59.

³⁷⁰ - تم استثناء سبتة فقط لأن جزر كبدانة/الجزر الجعفرية لم يتم احتلالها بعد.
³⁷¹ - تم التقدم بشكل كبير في الإجراءات والمقابل الذي سيقدّمه المغرب إلى درجة مناقشة مواد المقايضة بشكل دقيق من خلال أعدادها وأنواعها (قمح؛ شعير، أبقار، غنم) أنظر: حسن الفكيكي: "المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية (1859-1967)" سلسلة رسائل وأطروحات رقم 39 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط مطبعة النجاح الجديدة البيضاء الطبعة الأولى 1997 الصفحات من 365 إلى 380.

³⁷² - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla" Op cit P: 59.

³⁷³ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: "سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق، ص: 225.

ودوافعها لتظهر سنوات 1831، 1863، 1846، 1866 و 1872³⁷⁴. فالحصون المغربية لم تكن بدعة في هذا الإطار، فقد عمدت اسبانيا إلى بيع مستعمراتها في الفلبين و بور توريكو للولايات المتحدة بمبلغ 20 مليون بسيطة في 13 غشت 1898 حسب معاهدة باريس. وباعت لألمانيا ثلاثة أجزاء مما تبقى من امبراطوريتها الاستعمارية وهي: بالايوس، ماريانس وكارولينا بمبلغ 25 مليون بسيطة سنة 1899³⁷⁵. ولولا المشاكل الداخلية التي كان يعرفها المغرب نهاية القرن التاسع عشر لكانت اسبانيا تخلت عن الجيوب الشمالية للمغرب.

وفي نفس السياق المشار إليه أعلاه، تعززت فلسفة التخلي الإسباني عن الثغور الشمالية على لسان الجنرال "ميغيل بريمو ديربيرا" الذي سيصبح حاكما لاسبانيا بعد ست سنوات في خطابه الشهير الذي ألقى بقاديس في الأكاديمية الملكية الإسبانية الأمريكية في 25 مارس 1917³⁷⁶. حيث اقترح مبادلة جبل طارق بالمناطق التي تحتلها اسبانيا شمال المغرب:

"ليس المغرب ولا أية جهة في افريقيا اسبانيا عيها، إن الدماء السخية والغزيرة التي أريقت في افريقيا لا يمكن أبدا أن تستثمر بشكل أشرف ولا أنفع من كونها تجعلنا في موقع نملك فيه شيئا يصلح لاسترجاع جبل طارق، ولئن كانت في اسبانيا ذات مرة سياسة افريقية مجيدة، فلقد كانت هناك سياسة التخلي عن افريقيا التي لا تقل مجدا. وإذا كانت ايزابيلا الكاثوليكية قد طرحت فكرا مؤيدا لتوسعنا الافريقي؛ فإنها أكدت أيضا في توصية جازمة أننا لن نتخلى أبدا عن جبل طارق ولو افترضنا أن الاختيار طرح على ايزابيل لكنا نميل إلى الاعتقاد أن فكرها الموهوب سيحسم الأمر لصالح الطرف الثاني."³⁷⁷

³⁷⁴ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: "سبئة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق، ص: 225.

- Maximo Cajal "Ceuta, Melilla, Olivenza ..." Op cit P: 108.

- Yves Zurlo : " Ceuta et Melilla : histoire..." Op cit P : 61 et 62.

³⁷⁵ - عبد الرحيم برادة: "اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية" الجزء الأول ص: 56

³⁷⁶ - Bernabé Lopez Garcia: "Marruecos y Espana: una historia contra toda lógica" Rd editores 1ra edición, julio 2007 P: 153.

- عبد الرحيم برادة: "اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية" الجزء الأول افريقيا الشرق 2007 ص: 177.

³⁷⁷ - ميكيل مرتين: "الاستعمار الإسباني في المغرب 1860-1956 ترجمة: عبد العزيز الودي ص: 49.

وبعد وصوله للحكم عمل سنة 1927 من خلال السفير "ميري ديل بال" على طرح فكرة المبادلة على الانجليز³⁷⁸. لكن أمام رفض هؤلاء تم اقبال المشروع في حينه. والمثير في الأمر أن فكرة التخلي عن الحصون الصغرى على الأقل، ما زالت تنعم بالحياة بين عدد كبير من الساسة الاسبان حتى اليوم حسب إغناسيو سمبريرو³⁷⁹، وإن كان بصوت خافت لا يغادر الصالونات الخاصة.

في ضوء ما تقدم، نستنتج أن اسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها يلف حولها الكثير من الشك. ولا تدعمها الشواهد التاريخية. بله إذا أثرنا العامل الجغرافي الذي يعتبر أحد أهم الأدلة التي يلوح بها الطرف المغربي. ويتجلى ذلك في افريقية سبتة ومليلية³⁸⁰. أي انتمائهما للقارة الافريقية، وعدم وجود تواصل واستمرار ترابي بينها وبين اسبانيا³⁸¹. وهو ما عكسه أيضا المعجم اللغوي المستعمل لتوصيف هذه المناطق فهي حتى في الكتابات الاسبانية تعتبر "ثغور" "حصون" "وجيوب".

الى جانب الحجج المشار إليها أعلاه؛ فإن الطرف المغربي لم يغيب عن ذهنه الجانب القانوني لإثبات مغربية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وكما أشار إلى ذلك المؤرخ ابراهيم بوطالب:

"في القانون لا تتوفر اسبانيا على أدنى وثيقة تحمل خط أي ملك من ملوكنا لا في العهد السعدي ولا في العهد العلوي يعترف لها بملكية سبتة أو مليلية أو ما إليها"³⁸². وبالتالي نسجل غياب أي وثيقة أو معاهدة معترف بها دوليا يتنازل بموجبها المغرب عن السيادة على هذه المناطق المحتلة لفائدة العرش الاسباني³⁸³. وما دون ذلك يبقى

³⁷⁸ - Maximo Cajal : "Ceuta , Melilla Olivenza y Gibraltar ..." Op cit P: 109

³⁷⁹ - Ignacio Cembrero: "vecinos alejados ..." Op cit P: 241.

³⁸⁰ - Manuel Leria y Ortiz de Saracho. "Ceuta y Melilla en la polémica" Editorial: San Martin, Madrid, 1991 P: 140.

³⁸¹ - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire »Op cit P : 132.

³⁸² - بوغالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" ص X.

³⁸³ - Bouchra Boudchiche Boucetta: "Marruecos y España en la política de seguridad del mediterráneo"

Coordinador de la edición: Instituto de estudios hispano lusos, Rabat Editions et impressions : bouregreg , rabat 1^{re} edicion diciembre 2008 P: 138.

قراءات وتفسيرات وتأويلات لبندود اتفاقيات تم توقيعها في ظروف غير متكافئة؛³⁸⁴ في حماة غبار سنايك الخيول. مستثمرة غالبا ضعف المخزن والمشاكل الداخلية المغربية. ومع ظهور "الحق في التحرر" مع منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح يشكل قطعة مركزية في ترسانة الحجج القانونية التي يلوح بها المغرب أيضا. والتحرر أو الاستقلال هو "سياق - أضفت عليه ممارسة منظمة الأمم المتحدة قيمة إلزامية دوليا - يهدف إلى وضع حد للسيطرة السياسية والاستغلال الاقتصادي الممارس من طرف بعض الدول - المسماة قوى استعمارية - على شعوب تقطن في أراض منفصلة جغرافيا، إثنيا، وثقافيا عن المتربول".³⁸⁵

ومن خلال التعريف المشار إليه أعلاه؛ ومقتضيات التوصية (XI) 1514 الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 14 دجنبر 1960، فإن إقليما معيننا ليعتبر غير متمتع بالحكم الذاتي وتسري عليه مقتضيات الفصل XI من ميثاق الأمم المتحدة إذا توفر فيه أحد ثلاثة شروط هي:

❖ أن يكون جغرافيا منفصلا.

❖ أو اثنيا.

❖ أو ثقافيا مختلفا عن البلد الذي يسيره³⁸⁶.

وإذا كانت إسبانيا تستطيع أن تجادل في الشطرين الأخيرين. فإن الشرط الأول القائم على الانفصال الجغرافي يعتبر حاسما لصالح القراءة القانونية المغربية للتوصية أعلاه. وإن كانت إسبانيا أغفلت كما أسلفنا ضم سبتة ومليلية والجزر التابعة لها لللائحة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي التي قدمت للأمم المتحدة. وهو ما حدى بالمغرب تأسيسا على القراءة القانونية السابقة أساسا، أن يسجل في 30 يناير 1975 قضية الثغور المحتلة شمالا في جدول أعمال لجنة 24 تحت مرجع -أ- أس 109/475.³⁸⁷

³⁸⁴ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" ص: 209.

³⁸⁵ - Dictionnaire de droit international public" Op cit P : 305.

³⁸⁶ - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire ... » Op cit P : 38 et 133.

³⁸⁷ - دينة السمار: "إدارة الازمات في العلاقات المغربية- الإسبانية: أزمة جزيرة تورة/ ليلي كنموذج" مرجع سابق، ص: 37.

من جانب آخر، تتعزز الحجج المغربية بالعامل الجيو-سياسي من خلال إقامة المماثلة مع مستعمرة جبل طارق، الذي يعتبر نوعا من صمام الأمان بالنسبة للمطالب المغربية. بحيث عند حصول اسبانيا على هذه المستعمرة لن تقبل أي قوة دولية بأن تراقب هذه الأخيرة ضفتي المضيق، ولن يكون أمامها إلا الدخول في مفاوضات مع المغرب للوصول إلى تحرير سبتة ومليلية والجزر التابعة لها.

وقد أشار الملك الراحل الحسن الثاني إلى هذا العامل الجيو-سياسي للمرة الأولى في 25 نونبر 1975؛ حيث صرح في ندوة صحفية بما يلي:

"أعتقد أنه في يوم ما في المستقبل؛ فإنه من الناحية المنطقية على انجلترا أن ترجع جبل طارق إلى اسبانيا. وهذه الأخيرة عليها أيضا أن تعيد لنا سبتة ومليلية"³⁸⁸

الطبقة السياسية الإسبانية هي الأخرى أصبح حاضرا لديها هذا التماثل بين جبل طارق ومدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. إلى الدرجة التي أعلن فيها "نارسيسو سيرا"، في 27 ماي 1977 وهو وزير للدفاع لاحقا، عن هذا التماثل من خلال استحالة الاحتفاظ بسبتة ومليلية والجزر التابعة لها أمام التخلي المتوقع في المستقبل البعيد لإنجلترا عن صخرة جبل طارق³⁸⁹.

وقد انبرت بعض الأقسام الإسبانية إلى التقليل من جدية وحجية هذا العامل الجيو-سياسي بين جبل طارق وسبتة ومليلية والجزر التابعة لها؛ على اعتبار أن اسبانيا لا تعترف لهذه الأخيرة لدى الأمم المتحدة بوضع "الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي" في حين تمتع انجلترا صخرة جبل طارق بهذا الوضع لدى المنظمة الدولية.³⁹⁰

وإن كانت سبتة ومليلية والجزر التابعة لها تتمتع بإجماع المغاربة على أنها ثغور محتلة، وبقايا مرحلة بائدة، فضلا على أنها آخر المستعمرات في القارة السمراء. فإن الجانب الإسباني لا يجمع على إسبانية الثغور المحتلة وينقسم حول الانتماء الحقيقي لهذه

³⁸⁸ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص: 214.

- Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ..." Op cit P : 135.

³⁸⁹ - Manuel Leria y Ortiz de Seracho: "Ceuta y Melilla en la polémica" Op cit P: 134.

³⁹⁰ - Maximo Cajal : "Ceuta; Melilla Olivenza y Gibraltar Donde acaba Espana? Op cit P: 195

المدن. وهو عدم إجماع وانقسام نرصده لدى الأحزاب السياسية الوطنية والقومية. كما نرصده لدى النخب السياسية والفكرية على السواء.

وهو ما شكل دليلا مغربيا آخر على عدم اسبانية هذه الجيوب. وعلى طابعها المغربي الذي لا يرفضه المنطق السليم والفكر المتنور الذي يتمرد على الأفكار الجاهزة؛ بحيث يمعن فيها النظر ويخضعها للتمحيص.

فعلى مستوى الأحزاب السياسية، نرصد موقف الحزب الشيوعي الاسباني الذي لم يتعاطف منذئذ قط مع اسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. فمنذ مؤتمره لسنة 1924 نادى بتسليم المدينتين للمغرب.

وفي 20 فبراير 1961، عمت اللجنة المركزية للحزب ورقة تدعو كل الاسبان والشباب خاصة لفرض إخلاء المدينتين من الاسبان وسحب كل الجنود في أفق تسليمها للمغرب³⁹¹. وفي "البرنامج - البيان" الذي أصدره الحزب من منفاه الفرنسي، دعا سنة 1975 في النقطة الثلاثين من البرنامج إلى نفس الموقف المشار إليه أعلاه³⁹²، وهو ما عبر عنه أيضا الزعيم السابق للحزب سانتياغو كاريو في 02 فبراير 1986³⁹³.

والمؤتمر الثاني عشر للحزب في 22 فبراير 1988، وافق هو الآخر على إعادة سبتة ومليلية والجزر التابعة لها إلى المغرب بعد مدة تحضيرية تتراوح بين 22 و25 سنة³⁹⁴. بعد ذلك سنة 1990 وقع الحزب الشيوعي وهو مكون أساسي في حزب اليسار الموحد الجديد، على بيان مشترك مع حزب التقدم والاشتراكية المغربي يدعو فيه إلى استقلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها عن اسبانيا³⁹⁵.

ومن المواقف المسجلة أيضا في هذا الإطار، تصريح "خوسي كابو برافو" المسؤول في العلاقات الدولية للحزب لوكالة المغرب العربي بمناسبة مؤتمر الرابطة الاشتراكية

³⁹¹ - Manuel Leria y Ortiz de Saracho: "Ceuta y Melilla en la polémica" Op cit P: 130

³⁹² - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire.... » Op cit P : 155

³⁹³ - محمد المعزوي وجعفر بنعجيبة: سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" ص: 228

³⁹⁴ - ابو غالب العطار : " سبتة ومليلية : مغاربة تحت الاحتلال " مرجع سابق ص : 442.

³⁹⁵ - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ... » Op cit P : 157.

الافريقية المنعقد بالعاصمة السينغالية في 17 يناير 1995 حيث قال:

"إن احتلال مدينتي سبتة ومليلية تعتبر إحدى ذكريات الحقبة الاستعمارية التي يجب حلها عن طريق تفاهم بين الملك الحسن الثاني والملك خوان كارلوس الأول"³⁹⁶.

الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني هو الآخر عرف سابقا بمواقفه التقدمية المعادية للوجود الإسباني في الثغور الشمالية للمملكة. وهي المواقف التي سيعبر عنها الحزب وقادته حتى نهاية السبعينات من القرن الماضي. ومن نماذج ذلك ما صرح به النائب البرلماني فرناند وموران، مستشار الأمين العام للحزب في الشؤون الدولية، ووزير الخارجية في الحكومة الاشتراكية الأولى حيث صرح:

"بأنه من الضروري تهيئة الرأي العام الإسباني حتى لا يصدح بحل قادم للنزاع الإسباني المغربي حول سبتة ومليلية"³⁹⁷.

ولكن بعد دستور 1978 الإسباني وظهر انتقال ديموقراطي حقيقي، بدأت تلوح في الأفق إمكانية وصول الحزب إلى دفة الحكم، فعمل هذا الأخير إلى تغيير جلدته والتخلي عن الكثير من مواقفه السابقة في مغازلة للرأي العام الإسباني وتزلفا للمؤسستين العسكرية والملكية³⁹⁸.

فكان من جملة المواقف التي طالها التغيير، الموقف المبدئي بتسليم سبتة ومليلية والجزر التابعة لها للمغرب؛ بموقف انتهازي على خلفية انتخابية تضمن له انتشارا واسعا في إسبانيا، وذلك بالقول بإسبانية الثغرين المحتلين والجزر التابعة لهما.

التيارات اليمينية هي الأخرى كان لها حظها من القول بمغربية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. ونعطي نموذجا بحزب "الإصلاح الديموقراطي" بزعامة مانويل فراغا، وهو الحزب الذي سيشكل فيما بعد نواة الحزب الشعبي الذي ينافس على الحكم في إسبانيا اليوم، فقد أعلن مانويل فراغا عن موافقته المبدئية فتح مفاوضات مع المغرب حول مستقبل المدينتين³⁹⁹.

³⁹⁶- بوغالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" مرجع سابق ص 335.

³⁹⁷- محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: سبتة ومليلية... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص: 225.

³⁹⁸- حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديموقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية" مطبعة الخليج العربي- تطوان، الطبعة الأولى 2002. ص: 174.

³⁹⁹- حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديموقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية"، مرجع سابق، ص: 171.

كما ان حزب الإصلاح الديمقراطي نشر في دجنبر 1976 كتابا أبيضا من أجل الإصلاحات الديمقراطية، وفيما يتعلق بسبته ومليلية والجزر التابعة لها أعلن الكتاب: "أن اسبانيا لم يبق لها خيارات أكثر على المدى البعيد، إلا التفاوض مع المغرب حول وضع مماثل للذي تقترحه على بريطانيا العظمى من أجل جبل طارق"⁴⁰⁰.

وفي ذات منطق التفكير أعلاه، تسير مواقف الأحزاب القومية، التي تقف على القول باستعمارية الدولة الإسبانية وضمها مناطق مستعمرة ككتالونيا وإقليم الباسك وإقليم غاليسيا كما هو الشأن بالنسبة لسبته ومليلية والجزر التابعة لها. ومن أمثلة هذه الأحزاب نذكر حزب الوفاق والتجمع الكاتلاني والحزب القومي الباسكي واليسار الجهوي الكاتلاني⁴⁰¹ من بين آخرين، والذين لا يضيعون أي فرصة للاصطفاف إلى جانب المغرب في قضية سبته ومليلية والجزر التابعة لها.

النخب الإسبانية هي الأخرى بكل تصنيفاتها احتضنت الفكر المناهض لاسبانية سبته ومليلية والجزر التابعة لها، وقبل الخوض في نماذج من مواقف هذه النخبة نشير إلى أن توجهاتها في هذا الإطار تكيفها ثلاثة إكراهات وعوامل لا بد من الإشارة إليها:

أولاً: بعد سيطرة الديكتاتورية الفرانكاوية على اسبانيا تم قمع الحريات وفرض الصمت حول الكثير من المواضيع، من جملتها قضية سبته ومليلية والجزر التابعة لها. حيث أصبحت "الاسبانية غير قابلة للنقاش" *la incuestionable*⁴⁰² *espanolidad* للثغور المحتلة أحد الطابوهات الداخلية التي فرض النظام. وهو ما ألجم النخب الفكرية في هذا الصدد لمدة طويلة عززت من تضليل الرأي العام الإسباني وانتشار الرأي الوحيد.

ثانياً: دخول الاعلام على الخط في المرحلة المعاصرة، خاصة أمام حساسيته نحو الموضوعات المتعلقة بالمغرب كما أسلفنا، وهو ما جعل الحملة المسعورة والتشويه والعزل

⁴⁰⁰ - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire ... » Op cit P : 151.

⁴⁰¹ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي – العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص. 175.

⁴⁰² - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla: histoire » Op cit P : 63.

مصير كل مثقف يجرؤ على التشكيك اليوم في اسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها . والنموذج الصارخ في هذا الإطار هو "خوان غويتيسولو"، الذي أصبح يعيش عزلة ثقافية داخل اسبانيا، بسبب الحملة الاعلامية ضده نتيجة مواقفه الايجابية من القضايا المغربية العالقة بين الطرفين . وخاصة موضوع سبتة ومليلية والجزر التابعة لها وقضية الصحراء .

ثالثا: أمام التوجه الرسمي نحو اسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، تجد النخب الاسبانية نفسها تحت اكراه وضغط المناصب الرسمية إما من أجل الحفاظ عليها أو طمعا في الوصول إليها . وهو ما يكيف موقفها من الثغور المحتلة ويدفعها إلى تبني مواقف علنية قد تكون في أحيان كثيرة تخالف معتقداتها وقناعاتها الفكرية.

ومن بين النماذج الصارخة لهذا السلوك نجد "خايمي دي بينييس" الذي كان مندوبا دائما لاسبانيا في الأمم المتحدة لمرتين في الفترة الفرانكاوية، وهو دبلوماسي مدحك وقد دافع من منبر المنظمة الدولية عن اسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وكان الباحث المغربي رشيد لزرق قد أتعب نفسه في الرد على أطروحاته⁴⁰³. ولكن بعد التخلص من إكراهات المناصب الرسمية ساند مغربية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها⁴⁰⁴. كما أشار في كتابه "تصفية الاستعمار في الصحراء موضوع لم ينته" الصادر سنة 1990 على أنه:

"في اليوم الذي نتمكن من استعادة جبل طارق إلى السيادة الاسبانية، سيكون من الصعب تخيل ان المجموعة الدولية ستقبل أن نراقب ضفتي المضيق."⁴⁰⁵

إضافة إلى ان ضغط هذا العامل الثالث، جعلنا نرصد الظاهرة التي أفصحت عنها الكثير من الكتابات الصحفية والأكاديمية. والمتمثلة في البوح من طرف المسؤولين والمتقنين عل السواء في الدردشات والصالونات الخاصة عن آراء ومواقف تخالف

⁴⁰³ - R. LAZRAK: "le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne" Op cit P : 106.

- وأشهر تدخل لدينييس في الأمم المتحدة كان خطابه أمام اللجنة الرابعة في 17 أكتوبر 1961 على إثر أوائل المطالبات المغربية بالثغور المحتلة، وقد كان عبارة عن مراعاة حقيقية في اسبانية الثغور المحتلة.

⁴⁰⁴ - Maximo Cajal : Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar Donde acaba España ?" Op cit P: 23.

⁴⁰⁵ - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبة المغربية بسبتة ومليلية" دفاثر سياسية، عدد 107، دجنبر 2009، الصفحة 12.

تصريحاتهم الرسمية المساندة لإسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها⁴⁰⁶.

والنخب التي تحدثت العوامل المشار إليها أعلاه، وعبرت عن مواقفها المساندة لمغربية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، ليست بالقليلة نذكر منها:

♦ بدرو مارتينيث مونتافث: مستعرب، أستاذ جامعي ونائب رئيس جمعية الصداقة الإسبانية المغربية. يعتبر سبتة ومليلية من المناطق القليلة في العالم شأن جبل طارق التي ما زالت خاضعة للاستعمار⁴⁰⁷.

♦ ماكسيمو كخال: دبلوماسي إسباني،⁴⁰⁸ أصدر سنة 2003 كتابه: "سبتة ومليلية، أوليبيانا وجبل طارق: أين تنتهي إسبانيا؟"، يهاجم فيه جمود الموقف الإسباني حول سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. ويدعو إلى الانسحاب من هذه المناطق⁴⁰⁹. كما أن أطروحة الكتاب تهاجم الغموض الذي يلف حدود الدولة الإسبانية وعدم وضوحها.

♦ فلييب سهغون: دكتور في العلاقات الدولية، جامعة كومبلوتنس مدريد، يعتبر سبتة ومليلية والجزر التابعة لها من بقايا المرحلة الاستعمارية في القارة الأفريقية⁴¹⁰.

♦ مرسيدس غرسية رودريغز: مؤرخة، تعتبر العلاقات المغربية الإسبانية جيدة. ولكي تبقى في هذا الإطار يجب الدخول في مفاوضات للوصول إلى حل للمشكل⁴¹¹.

بيبا بالو: صحفي، يعزي القول بإسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها إلى جهل الرأي العام الإسباني بهذه المناطق ويعتبرهما إفريقيتان⁴¹².

⁴⁰⁶ - Felipe Sahagún: "España frente al sur" in "la política exterior española en el siglo XX" ediciones de las ciencias, sociales Madrid, 1994 p: 247. Et Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Ediciones: galaxia gutenberg y circulo de lectores, 2006 P: 247.

⁴⁰⁷ - عبد الواحد أكير: "الهجرة إلى الموت: إسبانيا وأحداث أليخيدو" منشورات الزمن: كتاب الجيب رقم 28 مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، 2001، ص. 52.

⁴⁰⁸ - سفير إسبانيا في: كواتيمالا، السويد، مجلس حلف الشمال الأطلس وفرنسا، قنصل عام في لشبونة ومون ربال وكاتب عام في السياسة الخارجية سابقا.

⁴⁰⁹ - Máximo Cajal : Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar Dónde acaba España? Siglo XX de Espana, editores Madrid, 2003 P: 18.

⁴¹⁰ - Felipe Sahagun: "España frente al sur " in "la política exterior española en el siglo XX "R. Calduch (coor) Ediciones: ciencias sociales, 1999 p: 247.

⁴¹¹ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: سبتة ومليلية... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص: 229.

⁴¹² - نفس المرجع، ص 230.

♦ ماريا روسادي ماداريا غا: مؤرخة إسبانية،⁴¹³ تهتم بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية وتعتبر أن المغرب لم يقبل أبدا باحتلال المدينتين وقاوم من أجل استرجاعهما كما تعتبرهما بقايا مهجورة من وضعية استعمارية لم تعد مقبولة⁴¹⁴.

♦ روبير طو ميصا: أستاذ في القانون الدولي بجامعة كومبلوتنسي بمدريد؛ فبالنسبة له سبّنة ومليلية قضية استعمارية. وحلها يكمن في فتح مفاوضات مع المغرب خاضعة لجدول زمني محدد. وتتأسس على احترام الاسبان المتواجدين بالمدينتين والحقوق المشروعة للمغرب في سيادته على المدينتين المحتلتين.⁴¹⁵

ولا يقتصر الأمر في النيل من اسبانية سبّنة ومليلية والجزر التابعة لها، على العوامل السالفة الذكر. بل نجد الطرف المغربي يثير أيضا مواقف الدعم والتأييد التي تلقاها من طرف بعض المنظمات والهيئات الدولية، كإحدى الحجج الدامغة على صدقية مطالبه وعدالتها.

فعلى الصعيد العربي، هناك قرارات مجلس جامعة الدول العربية، خاصة القرار رقم 3234 بتاريخ 26 أبريل 1975⁴¹⁶، المندد بالاحتلال الإسباني والداعي إلى إرجاع الثغور المحتلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى المغرب. وهو القرار المرجعي الذي ذكرت به الأمانة العامة للجامعة في 28 نونبر 2007، إثر تنديدها بالزيارة التي قام بها ملك اسبانيا لسبّنة المحتلة.

مجلس الاتحاد البرلماني العربي، ندد هو الآخر بالطابع الاستعماري للحضور الإسباني بالمدينتين السليبتين. ففي الدورة الثالثة عشرة له في 8 فبراير 1983⁴¹⁷، المنعقدة بمقر مجلس النواب بالرباط تم تدارس هذا المشكل، وصادقت اللجنة السياسية للمجلس بالإجماع على قرار يدين احتلال المدينتين ويدعوا إلى إرجاعهما للمغرب.

⁴¹³ - مؤرخة إسبانية مهتمة بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية ولها كتابات في هذا الصدد.

⁴¹⁴ - بوغالب العطار: "سبّنة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" ص. 304.

⁴¹⁵ - نفس المرجع ص: 303.

⁴¹⁶ - الاتحاد الاشتراكي، عدد 8713 بتاريخ 2007/11/09.

⁴¹⁷ - محمد المعزوي وجعفر بنعجيبة: "سبّنة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص: 233.

على المستوى الأفريقي، منظمة الوحدة الأفريقية ساندت المغرب بشكل مطلق من خلال القمة المنعقدة في أديس أبابا في 15 فبراير 1975⁴¹⁸. وهو ما انعكس على مواقف منظمة التضامن الأفرو-آسيوية في مؤتمرها السادس المؤيد لحق الشعوب في تقرير مصيرها، والذي خرج بتوصية تدعم المطالب المشروعة للمغرب في سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وهو الأمر الذي أعيد التأكيد عليه في الدورة الرابعة عشرة للمنظمة المنعقدة في موسكو بتاريخ 14 ماي 1986⁴¹⁹.

وفي 31 يناير 1988، جاءت توصية المؤتمر الرابع للأمم المتحدة للاشتراكية الأفريقية⁴²⁰؛ لتدع إلى انسحاب إسبانيا من المدينتين السليبتين لفائدة المغرب. وعلى المستوى الإسلامي أيضا، ذهبت مواقف منظمة المؤتمر الإسلامي في نفس الإطار المندد بالاحتلال الإسباني للمدينتين، وكذلك كان الشأن بالنسبة لمنظمة دول عدم الانحياز في مؤتمرها المنعقد بليما في غشت 1975⁴²¹.

وبمناسبة انعقاد المؤتمر الأرو-متوسطي في نونبر 1995 ببرشلونة، دشنت منظمة الحقوقيين التي يوجد مقرها بنفس المدينة، حملة تضامنية تحسيسية لفائدة الرأي العام الإسباني والدولي لشرح الحقوق المشروعة في استرجاع المدينتين المحتلتين والجزر التابعة لها⁴²².

كما أن أمريكا اللاتينية هي الأخرى كان لها حظها من التتديد بالوضعية الاستعمارية لسبتة ومليلية؛ ففي مؤتمر عالمي للشباب في غشت 2004 بفنزويلا تم التأكيد في البيان الختامي على الحقوق المشروعة للمغرب في ثغوره المحتلة. وهو البيان الذي تم توقيعه من طرف ممثلي بلدية قرطبة التي يسيروها حزب اليسار الموحد، بدعم من الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني. وممثلين عن بلدية أشبيلية التي كان يسيروها في تلك الفترة الحزب

⁴¹⁸ - Yves Zurlo: "Ceuta et Melilla: histoire" Op cit P: 114

⁴¹⁹ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة: "سبتة ومليلية ... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص: 233

⁴²⁰ - Miguel H. de Larramendi y Jesus A. Nuñez: "la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995)" Los libros de la catarata; 1996 p: 155

⁴²¹ Yves Zurlo : " Ceuta et Melilla : histoire..." Op cit p : 114

⁴²² - بوغالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال. مرجع سابق ص: XVIII

الاشتراكي العمالي الاسباني⁴²³.

وهي كلها منظمات وأحداث من بين أخرى يصعب جردها بشكل شامل، تصب في دعم الأطروحة المغربية، وتنبئ بعزلة اسبانية دولية في حالة نشوب نزاع حول المدينتين⁴²⁴، بالنظر إلى التعاطف والتفهم الدوليين للوضع الاستثنائي للمدينتين والجزر التابعة لهما.

والمعطيات السالفة تصب في شرعية المطالبات المغربية بالثغرين المحتلين. وهي المطالبات التي لها تأثير بالغ على العلاقات المغربية الاسبانية. ودفعت بملف المدينتين إلى واجهة العلاقات الثنائية للبلدين في غير ما مرة.

- فما هو سياق هذه المطالبات؟ وما طبيعة تأثيرها على علاقات البلدين؟

المطلب الثاني: تأثير سبته ومليلية على علاقات البلدين وإمكانية الحل.

لا اختلاف على التأثير السلبي، بل والكارثي في أحيان كثيرة، لاستمرار احتلال سبته ومليلية والجزر التابعة لها على العلاقات المغربية الاسبانية. وهو ما يعكسه سياق المطالبات المغربية بالثغرين (الفقرة الأولى) وتؤكد المتغيرات الراهنة بهما. مما يدفع في اتجاه ضرورة إيجاد حل لإنهاء هذا الوضع (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: سياق المطالبات بسبته ومليلية وتأثيرات استمرار احتلالهما

رغم مبدئية المطالب المغربية بسبته ومليلية والجزر التابعة لها. إلا أن أسباب وقوع ذلك وسياقه لم يكن عبثيا (أولا) كما أنه لم يخل من تأثير على العلاقات البلدين سياسيا، عسكريا واقتصاديا (ثانيا).

⁴²³ - Gustavo de Aristegui: "la yihad en España: la obsesion por reconquistar AL Andalus" La esfra de los libros, 5 edición, 2005.P: 324

⁴²⁴ - حسين مجدوبي: "ماوراء جبل طارق: الانتقال الديموقراطي- العلاقات المغربية الاسبانية" مرجع سابق ص: 194

أولاً: سياق المطالبات المغربية:

مسلسل المطالبات المغربية بسبّطة ومليلية والجزر التابعة لها عرف عدة حلقات تأثرت بالواقع الدولي والإقليمي والثنائي، والثابت فيها ظل هو الظلال القاتمة التي ألقت بها على علاقات البلدين. حيث أدخلتها من حين لآخر في أزمت دورية. خاصة أن الموقف الإسباني من الثغرين ذهب في اتجاه التشبث بإسبانيتهما.

وأولى المطالبات المغربية الرسمية بالثغرين والجزر التابعة لهما، جاءت في الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 07 نونبر 1960،⁴²⁵ في إطار السياق العام الدولي المندد بالفترة الاستعمارية، وموجة الدعم لحركات التحرر. كما أنها كانت وسيلة للتذكير بالحقوق التاريخية المغربية في هذه المناطق⁴²⁶؛ على بعد أربعة أيام من وضع اللائحة التي طالبت الأمم المتحدة إسبانيا بوضعها لدى اللجنة الرابعة والعشرين للمنظمة حول الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي.

نفس المعطيات المشار إليها أعلاه جعلت من الجمعية العامة للأمم المتحدة حلبة للصراع؛ في سنة 1961⁴²⁷ حول "مناطق السيادة" كما يسميها إسبانيا. خاصة أيام ظهور الموقف الإسباني المتصلب من إسبانية هذه المناطق. وهو ما عززه المقترح السري الذي تقدم به الجنرال فرانكو للملك محمد الخامس بالتنازل عن أفني، التي كانت حينها تحت السيطرة الإسبانية والجزر المتوسطية مقابل توسيع المجال الترابي لسبّطة ومليلية⁴²⁸.

غير أن المتغيرات التي عرفها الفضاء الإقليمي المغربي، وخشية المغرب من سياسة المحاور التي بدأت تتبلور في المنطقة، دفعته إلى تسطير أولوياته في مجال استكمال وحدته الترابية. سلم الأولويات هذا لم تحدث فيه قضية سبّطة ومليلية والجزر التابعة لها مكان الصدارة.

⁴²⁵ - Yves Zurlo: "Ceuta et melilla: histoire ..." Op cit P: 110.

⁴²⁶ - محمد المعزوي وجعفر بنعجيبة: «"سبّطة ومليلية... حتى لا ننسى" ص: 212.

⁴²⁷ - Maximo Cajal : Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar Donde acaba Espana?" P: 02.

⁴²⁸ - Yves Zurlo: " Ceuta et Melilla ..." Op cit p: 111.

فمنذ استقلال الجزائر سنة 1962 والنزاعات الحدودية بين الطرفين والتي تم تتويجها بحرب الرمال شرقا، والإشكال الموريتاني جنوبا، دون أن ندسى الحضور الفرنسي المقلق في الداخل⁴²⁹. دفع المغرب إلى عدم استعداد إسبانيا شمالا، من خلال العمل على تجميد مطالبته بسبته ومليلية والجزر التابعة لها. والفصل بينها وبين مطالبته بالصحراء وإفني. وهو التوجه الجديد الذي عرف في أدبيات الدراسات المغربية الإسبانية، بـ "روح براخاس el espiritu de barajas⁴³⁰ نسبة إلى مطار براخاس الإسباني بمدريد؛ والذي شهد في 06 يوليوز 1963 اللقاء الذي جمع الجنرال فرانكو والملك الحسن الثاني، وخرج بنتيجة إبقاء الوضع على ما هو عليه statu quo في قضية سبته ومليلية⁴³¹.

هذا التوجه سيستمر حتى بداية السبعينات، ولن يقلقه إلا الحراك الذي بدأت تعرفه قضية الصحراء. فقد غيرت الدبلوماسية الإسبانية من سياساتها وبدأت تخطط لخلق كيان مستقل في المنطقة تابع لها، من خلال إحصاء الساكنة والتحضير لاستفتاء لتقرير المصير. لتتحول الاستراتيجية المغربية في ملف سبته ومليلية من المطالبة بها لذاتها سابقا، إلى ورقة ضغط وأداة للدبلوماسية من أجل تحقيق مكاسب على مستوى ملف قضية الصحراء. لتطف من جديد المطالبات بالثغور المحتلة شمالا. فقد أعلن الملك الحسن الثاني في ندوة صحفية في 17 شتنبر 1974⁴³²، أنه راسل زعماء ورؤساء الحكومات في العالم لشرح قضية احتلال سبته ومليلية والجزر التابعة لها.

وعرفت سنة 1975 أقوى ضغط مغربي في هذا الاتجاه⁴³³، ففي 27 يناير قدم إدريس السلاوي ممثل المغرب لدى الأمم المتحدة المذكرة المرجعية: A/C.

⁴²⁹ - ABDELKHALEQ BERRAMDANE : « le Maroc et l'occident » Editions : KARTALA 1987 p : 255

⁴³⁰ - R. LAZRAC: "le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne" P : 290. Yves Zurlo : « Ceuta et Melilla : histoire ... » P : 37 et 111. Maximo Cajal : Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar Dondé acaba España?" P : 175.

⁴³¹ - R. LAZRAC: "le centetieux territorial..." P : 347 Et Abdelkhaleq Berramdan ; « le maroc et l'occident ». Op cit p 256.

⁴³² - Maximo Cajal: "Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar Dondé acaba España?" Op cit P : 177

⁴³³ - Yves Zurlo : « Ceuta et Melilla : histoire ... » .Op cit P: 113

434 475/109 إلى رئيس لجنة الأربعة والعشرين المكلفة بقضايا تصفية الاستعمار، يؤكد فيها على أن سبتة ومليلية وصخور الحسيمة وباديس والجزر الجعفرية تشكل بقايا الاستعمار في شمال إفريقيا. ولا تختلف عن السياق التاريخي لاحتلال جبل طارق؛ وتدعوا إلى إدراجها هي الأخرى في لائحة الأقاليم غير المتمعة بالحكم الذاتي ليشملها القرار الأممي 1514.435

وقد زاد من حدة هذه الضغوط، واستعمال الثغور كسلاح تفاوض⁴³⁶ سياسي فعال؛ الوضع الصحي المتدهور للجنرال فرانكو⁴³⁷. وعدم استقرار الوضع الداخلي الإسباني. زد على ذلك مركزية قضية الصحراء وأولويتها بالنسبة للنظام المغربي.

وهي ضغوط ساهمت في إخراج إتفاق مدريد الذي سينهي الوجود الإسباني بالصحراء إلى الوجود. وقد تحدثت بعض الكتابات عن وجود اتفاق سري في هذه المرحلة برعاية فرنسية أمريكية يضم من بين مقتضياته شرط عدم مطالبة المغرب بسبتة ومليلية والجزر التابعة لها إلا بعد مرور عشر سنوات من توقيع الاتفاق، الذي تم سنة 1976، والذي كان من أهدافه العمل على إنجاح الانتقال الديمقراطي في إسبانيا بضمان عدم تدخل المؤسسة العسكرية بحجة الدفاع عن مناطق يعتبرها إسبانية.⁴³⁸

واستراتيجية المطالبات المغربية المعلن عنها أعلاه ستخدم التوجهات الدبلوماسية لكلا البلدين. فإسبانيا تهتم بتعزيز حضورها في "مناطق السيادة" وتعتبر ذلك أولوية تقدم من أجلها التنازلات. في حين المغرب لديه أولويات أخرى على رأسها قضية الصحراء التي يؤجل من أجلها ما دون ذلك من القضايا بما فيها سبتة ومليلية.

وهو التوجه الذي سيتعزز أكثر من خلال إثارة قضية الثغور المحتلة في نونبر 1978 من طرف الأمين العام لحزب الاستقلال، ووزير الخارجية المغربي آنذاك، محمد

⁴³⁴ - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبة المغربية بسبتة ومليلية" دفاتر سياسية عدد 107 في دجنبر 2009 ص. 12.

⁴³⁵ - ميغيل إرناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" منشورات الزمن ص 314.

⁴³⁶ - Maximo Cajal : Ceuta, Melilla, Olivenza” Op cit p: 177.

⁴³⁷ - Yves Zurlo: “ Ceuta et Melilla : histoire ...” Op cit p : 113.

⁴³⁸ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي – العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية" ص. 170.

و"اتفاق سري بين فرانكو والحسن الثاني" الصحيفة المغربية عدد 10 من 18 إلى 24 نونبر 2005 ص 13.

بوستة إثر محاضرة ألقاها في جامعة جورج تاون الأمريكية⁴³⁹، على خلفية حضور ممثل عن حزب اتحاد الوسط الديمقراطي الإسباني للمؤتمر الرابع لجبهة البوليساريو المنعقد بالجزائر.⁴⁴⁰

وفي أكتوبر 1982 بعد فوز الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني⁴⁴¹، المعروف بمواقفه اليسارية ذات الاصطفاف الشرقي في إطار أجواء الحرب الباردة؛ والمالية للجزائر، والمساندة والداعمة بشكل مطلق لجبهة البوليساريو. عمل الملك الحسن الثاني من جديد إلى التلويح بالمطالبة بسبّية ومليلية والجزر التابعة لهما⁴⁴² كورقة ضغط مهمة لتذكير الحكام الجدد بزعامة رئيس الحزب فليبي كونزالس بمركزية قضية الصحراء بالنسبة للمغرب؛ وطبيعة الإكراهات التي سيعيشها ساكن قصر "المونكلوا"⁴⁴³. الأمر الذي سيدفع الحزب الاشتراكي إلى تغليب منطق الدولة من خلال سياسة التعاون التي سينهجها تجاه المغرب وتفهم قضاياها الحساسة وعلى رأسها قضية الصحراء.

لكن سنة 1985 ستشكل منعطفا مهما في بواغث وأسباب المطالبات المغربية بسبّية ومليلية والجزر التابعة لها. فبعد أن كان الدافع مرتبطا بقضية الصحراء سابقا، سيتحول بعد ذلك إلى ارتباط وثيق بتعديل الوضع القائم في الثغور المحتلة، أي خلخلة المعطيات على الواقع في المدينتين واتخاذ إجراءات تتقدم في مسلسل أسبنة المدينتين.

وهو ما يكشف عن التفكير المغربي الذي يؤجل قضية الثغور ولا يفرط فيها. وقد كانت النقطة التي أثارت الجانب المغربي في هذه المرحلة: قانون الأجانب الذي صادق عليه البرلمان والحكومة في فاتح يوليوز 1985⁴⁴⁴. والذي يميز الساكنة المغربية

⁴³⁹- Miguel H de Larramendi: "perception Espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique" In « le Maghreb l'europe et la France » Sous la direction de Kacem Basfao et Jean Robert Henry.

-ALKALAM éditions- diffusion CNRS éditions P : 160.

⁴⁴⁰- ميغيل ارناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق ص: 328.

⁴⁴¹- Miguel H. de Larramendi y Jesus A. Nuñez : "la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995)" Op cit P: 149.

⁴⁴²- Paloma Gonzalez del Miño: "las relecciones entre España y Marruecos: Perspectivas para el siglo XXI" Los libros de las catarata 2005 P: 149.

⁴⁴³- وهو القصر المخصص لإقامة رئيس الحكومة المنتخب من جهة ومقر الحكومة من جهة أخرى.

⁴⁴⁴- بوغالب العطار: "سبّية ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" مرجع سابق ص 441

للمدينتين ويدخلها في حكم الأجانب تمهيدا لطردها وحرمانها من الحقوق المدنية والسياسية. ولكن أمام تحسن العلاقات الرسمية بين الطرفين في هذه الفترة، بحكم السياسة الشاملة التي تبنتها الحكومة الاشتراكية في المنطقة المغربية. والتي ميزت المغرب كشريك محوري، مما جعله أكبر مستفيد من سياسة التعاون وفلسفة "بساط المصالح colchon de intereses القائمة على تعدد وكثافة الاتفاقات التجارية، والاعتماد المتبادل. وهو ما جعل مهمة المطالبة والتدبير بالقانون المتعلق بالأجانب والأحداث القمعية التي رافقته تؤول إلى الأحزاب السياسية وفعاليات المجتمع المدني المغربي.

فقد انتقد الأمين العام لحزب الاستقلال السيد محمد بوسنة من الناضور بشدة الحكومة الإسبانية في فبراير 1986 واتهمها بقيادة حملة عنصرية واستعمارية ضد الساكنة المسلمة في سبتة ومليلية وطالب بالنضال من أجل تحريرهما⁴⁴⁵.

وكذلك كان ديدن حزب الاتحاد الاشتراكي؛ حيث أعلن الزعيم الراحل عبد الرحيم بوعبيد في 23 غشت 1986 بأن انسحاب انجلترا من جبل طارق يجب أن يتبعه انسحاب اسباني من مدينتي سبتة ومليلية⁴⁴⁶.

وقد كان البرلمان المغربي هو الآخر قد أدلى بدلوه في هذا السياق، من خلال تنديده بالممارسات العنصرية في الثغرين⁴⁴⁷ وهو ما تم تنويجه في 08 أكتوبر 1988 بمطالبة وزير الخارجية المغربي السيد عبد اللطيف الفيلالي بفتح الحوار حول الثغرين المحتلين، وذلك بمناسبة انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة⁴⁴⁸.

وكان قد سبق هذا الحدث دعوة الملك الراحل الحسن الثاني إلى تشكيل خلية للتفكير في الحلول الممكنة لهذا الإشكال العالق والذي ما فتئ يكدر صفو العلاقات الثنائية من حين لآخر.

⁴⁴⁵ - Leon Klein: "Marruecos El enemigo del sur: El conflicto inevitable" Colección geopolítica: 02, editorial pyre 1ra edition, octubre, 2002 p: 129

⁴⁴⁶ - بوغالب العطار: مغاربة تحت الاحتلال" ص. 445

⁴⁴⁷ - بوغالب العطار: مغاربة تحت الاحتلال"، ص. 442.

⁴⁴⁸ - Yves Zurlo: Op cit P: 118.

ومن أبرز هذه الفترات وأكثرها كثافة للتعبئة والمطالبة المغربية بسببة ومليلية والجزر التابعة لهما، والتي جاءت على خلفية تغيير الوضع الداخلي للثغرين، نجد سنوات 1994 إلى 1996 حيث دفع تمتيعهما بالحكم الذاتي إلى توتير العلاقات الثنائية للبلدين.⁴⁴⁹

وضع الحكم الذاتي هذا، قد شرع في بلورته منذ سنة 1982، لكن أمام غياب توافق بين القوى السياسية الإسبانية من جهة. وحرص الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني على العلاقة الجيدة التي أصبحت تربط إسبانيا بالمغرب، وتغليبها منطلق الدولة؛ من جهة أخرى⁴⁵⁰. دفع إلى تأجيل المشروع حتى حدود 1994. حيث صادق عليه مجلس النواب في دجنبر 1994، ومجلس الشيوخ في دجنبر 1995، وبدأ سريانه في 05 مارس 1995 بعد موافق الملك خوان كارلوس عليه.⁴⁵¹ والحكم الذاتي الذي تم منحه للمدينتين يكتسي طابعا إداريا نظرا لعدم منحه إياهما القدرة التشريعية.⁴⁵² إضافة إلى أنهما أصغر مناطق الحكم الذاتي،⁴⁵³ مما جعلهما حالة فريدة في النظام السياسي الإسباني.

وهو ما لم يمنع من تدهور العلاقات المغربية الإسبانية استنادا لهذا العامل الذي كان يعني التقدم أكثر في إضفاء الصبغة الإسبانية على الثغرين. وقد حملت الأحزاب السياسية المغربية منذ بداية بلورة نظام الحكم الذاتي للمدينتين، مشعل المطالبة بمغربيتهما. ففي 11 يناير 1994 في الذكرى الخمسين لتقديم وثيقة الاستقلال بادر حزب الاستقلال بإثارة موضوع سببة ومليلية⁴⁵⁴.

وفي خطاب العرش بتاريخ 03 مارس 1994 جدد العاهل المغربي مطالبة المغرب باستقلال مدنه الشمالية المحتلة. وأعاد التأكيد على خلية التفكير التي سبق وأن طرحها. وهو ما سيعود إلى تكراره شهرا بعد ذلك بتاريخ 09 أبريل 1994⁴⁵⁵.

⁴⁴⁹ - Bernabé Lopez García: "Marruecos y España: una historia contra toda lógica" Op cit P: 315.

⁴⁵⁰ - Yves Zurlo: Op cit P: 72.

⁴⁵¹ - بوعالب العطار: "سببة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" ص 364.

⁴⁵² Yves Zurlo: Op cit P: 77.

⁴⁵³ - سببة بمساحة تقدر ب 18.50 كلم مربع وساكنة لا تتجاوز 75708 ومليلية ب 12 كلم مربع و65488 نسمة. انظر:

Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit p: 222.

⁴⁵⁴ - Yves Zurlo: Op cit P: 120.

⁴⁵⁵ - León Klein: Marruecos el enemigo del sur : el conflicto inevitable » Op cit P: 142.

ومع تعيين حكومة عبد اللطيف الفلالي التكنوقراطية في يونيو 1994، بادر هذا الأخير إلى وضع المطالبة بإرجاع سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما من أولويات جدول أعمال حكومته.⁴⁵⁶ والتي تضمنها التصريح الحكومي الذي ألقاه أمام البرلمان. وقد أوفى الوزير الأول المغربي بوعدده بعد أن أثار قضية إرجاع سبتة ومليلية للمغرب في الدورة التاسعة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في شتنبر 1994⁴⁵⁷، وفي الدورة الموالية في أكتوبر 1995⁴⁵⁸. وجاء دور ممثل المغرب الدائم لدى الأمم المتحدة في السنة الموالية؛ حيث ربط في خطابه أمام المنظمة الدولية انسحاب إسبانيا من سبتة ومليلية بحصول هذه الأخيرة على صخرة جبل طارق⁴⁵⁹. وهي كلها أحداث لم تمر دون ترك آثارها على علاقات البلدين. وقد أعطت بصفة متكررة الانطباع على الطبيعة المتوترة لهذه العلاقات.

و تجدر الإشارة إلى أن مطلع القرن الواحد والعشرين سيكشف عن خلفية جديدة للمطالبات المغربية، تتمثل في النفس السياسي العام للعلاقات الثنائية بين البلدين. بحيث ان المطالبة بالثغرين المحتلين جاءت كورقة ضغط على التوجه العام للحكومة اليمينية بزعامة خوسي ماريَا أثنار والتي اتخذت مواقف سياسية لا تسير المصالح المغربية سواء في قضية الصحراء أو ملف الهجرة أو التعاطي الإعلامي مع المغرب أو في غيرها من المجالات والتي سيرد ذكرها لاحقا.

فبمناسبة الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة أثنار إلى سبتة ومليلية بصفته، زعيم الحزب الشعبي في إطار الحملة الانتخابية، جاءت المطالبات المغربية والتنديد بخرق قاعدة عرفية تتمثل في عدم زيارة قيادات الصف الأول لهذه المناطق المتنازع عليها⁴⁶⁰. وشكل خطاب وزير الخارجية المغربي في 12 شتنبر 2000 أمام الدورة الخامسة

⁴⁵⁶ - Yves Zurlo: Op cit P: 120.

⁴⁵⁷ Leon Kelein: « Marruecos el enemigo del sur... » Op cit P: 143.

⁴⁵⁸ - Yves Zurlo: Op cit P: 122.

⁴⁵⁹ - Ibid, p: 112.

⁴⁶⁰ - Maximo Cajal : “Ceuta , Melilla, Olivenza y Gibraltar Donde acaba España” Op cit p: 198.

والخمسین للجمعية العامة للأمم المتحدة⁴⁶¹، أول المطالبات الأممية بالثغرين في عهد الملك محمد السادس؛ حيث دعا إلى إيجاد حل يضمن سيادة المغرب على مدنه المحتلة ويحافظ على الحقوق الاقتصادية والثقافية للإسبان المقيمين بها.

وفي نفس السياق التصعيدي بين البلدين جاء خطاب محمد بن عيسى وزير الخارجية بنيويورك في 12 نونبر 2000 مؤكدا الهدف الاستراتيجي الذي يتبناه المغرب في بناء علاقات جيدة مع اسبانيا. وهو ما سيتم عبر قنطرة الاعتراف بالحقوق المشروعة للمغرب في السيادة على مدنه المحتلة والجزر التابعة لها.⁴⁶²

لكن مشكل جزيرة تورة / ليلي سيشكل منعطفا خطيرا في تاريخ العلاقات الثنائية للبلدين. فقد شكل مناسبة للتذكير بمشكل المدينتين على المستوى الأممي،⁴⁶³ وانعكس على حدة المطالبة المغربية ومستواها. فقد شدد الملك محمد السادس في خطاب العرش في 30 يوليوز 2002؛ على الحقوق التاريخية للمغرب في هذه المدن والجزر التابعة لها، كما وصف التواجد الاسباني بالاسعماري وغير اللائق⁴⁶⁴. بحيث سجل موقفا مثيرا، فقد خصص لها 500 كلمة⁴⁶⁵.

ولم يقف الأمر عند هذا المستوى، بل أعاد الكرة وزير الخارجية أمام الدورة السابعة والخمسون للجمعية العامة للأمم المتحدة في 14 شتبر 2002 داعيا إلى ضرورة إنهاء احتلال سبتة ومليلية.⁴⁶⁶

وعادت من جديد سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما، لتصبح سبب توتر في علاقات البلدين لذاتها، وأن تتصدر واجهة الأحداث، إثر زيارة الملك خوان كارلوس للثغرين التي تحولت إلى المحرك الأساسي للأزمة التي عرفتها علاقات البلدين. حيث قفزت إلى الواجهة

⁴⁶¹ - Maximo Cajal : "Ceuta , Melilla, olivenza y Gibraltar Dondé acaba España" Op cit , p: 19

⁴⁶² - Ibid, p: 20

⁴⁶³ - Carla Fibla Garcia- Sala: "España- Marruecos; desde la orilla sur: La relación hispano- marroquí; opiniones e ideas " I caria antragy-alfanar N 228 P: 204

⁴⁶⁴ - Leon Kelein: "Marruecos el enemigo del sur ..." p: 144- Yves Zurlo Op cit P 128- Alejandro Muñoz Alonso: "España en primer plano: ocho años de política exterior (1996-2004)" P: 431.

⁴⁶⁵ - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبات المغربية بسبتة ومليلية" دفاتر سياسية، عدد 107 دجنبر 2009 ص. 11

⁴⁶⁶ - Carla Fibla García- Sala: "España Marruecos: desde la orilla sur: la relación hispano-marroque: opiniones e ideas" Op cit p: 13

رغم الاستقرار الذي كانت تعرفه الملفات الأخرى. ففي حينه وصف المسؤولون الإسبان علاقات البلدين بالجيدة و الاستراتيجية على جميع الأصعدة.⁴⁶⁷ لتدخل بعد ذلك على خلفية زيارة ملك اسبانيا خوان كارلوس في 05 و 06 نونبر 2007 أزمة معلنة تمخضت عن استدعاء السفير المغربي باسبانيا للتشاور لمدة غير محددة. بالإضافة إلى إثارة الملك محمد السادس لقضية احتلال المدينتين للمرة الثانية خلال حكمه⁴⁶⁸. وقد شكلت هذه الواقعة مبرر لموجة المطالبات المغربية التي لحقتها.

و خلاصة القول أن سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، شكلت في الممارسة الدبلوماسية المغربية وسيلة ضغط فعالة، للتأثير على المواقف الإسبانية، ودفعها إلى مساندة التوجهات المغربية في قضايا متعددة وعلى رأسها قضية الصحراء⁴⁶⁹. كما أن الممارسة المغربية حاولت أن تجعل من أهدافها الإبقاء على الوضع القائم في المدينتين والحوول دون التقدم أكثر في إسبانيتهما. دون أن تجعل الثغرين من أولوياتها؛ كما أفصح عن ذلك الملك محمد السادس في لقائه في دجنبر 2001 بـبثباتيرو، بصفته السكرتير العام للحزب الاشتراكي العمالي الإسباني.⁴⁷⁰

واستنادا إلى هذا العامل الأخير، نلاحظ أن المطالبات المغربية جاءت في قسم منها كردة فعل وفي سياق استراتيجي تذكيريية de estrategia recordatorio⁴⁷¹ بالحقوق التاريخية للمغرب.

وإن كان المغرب قد نجح في هدفه الأول المعلن أعلاه في الضغط على اسبانيا، ودفعها إلى ممارسة دبلوماسية التنازلات⁴⁷² الترابية والسياسية. فقد فشل في الحد من

⁴⁶⁷ - Luis de Vega y Luis Ayllon: "Marruecos "rechaza" la visita de los reyes a los "ciudades expoliadas" ABC de 02/11/2007 N 33560 p: 1.

⁴⁶⁸ - Ignacio Cembrero: "Mohamed 6 a de quoi être fâché" Le journal du 10 au 16/11/2007 p: 2.

⁴⁶⁹ - Alejandro Muñoz Alonso: « España en primer plano ocho años de politica exterior (1996-2004)» P: 393. Et + Yves Zurlo: Op cit P : 123 + J I Alguero Cuervo; "el sahara y España: claves du una descolonización pendiente" Ediciones Idea 1ra edición 2006 p: 3.

⁴⁷⁰ - Ignacio Cembrero: "vecinos alejados" Op cit P: 22.

⁴⁷¹ - Laura Feliu y Monica Solomon: "teritorios en aguas turbulentas: la crisis entre España y Maroco" in revue: paix et securité internationales N 1 juin 2003 p: 8

⁴⁷² - EL AALLAOUI ALI "les relations Moroco Espagnoles de 1974 á 2004, la perception Marocaine de la position espagnole concernant la question du sahara » Doctorat en droit public université Hassan II. Ain chouk, casablanca. P : 49.

التقدم في اسبانية المدينتين من خلال الطرح الخجول⁴⁷³ والموسمي لقضية الثغور المحتلة في المنتديات الدولية وخاصة الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ثانيا : التأثير السلبي لاستمرار وجود اسبانيا في المدينتين:

تشبث كل طرف بموقفه، واعتبار سبتة ومليلية والجزر التابعة لها أراضا مغربية تشكل بقايا الاستعمار في القارة الافريقية⁴⁷⁴، من جهة. ومن جهة أخرى، اعتبارها اسبانية بشكل لا يدع مجالا للاشك⁴⁷⁵، لن يمر دون أن يلقي بظلاله السلبية على علاقات البلدين رغم تطمينات لغة المجاملة الدبلوماسية⁴⁷⁶ ونرصد هذا التأثير على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي.

فالتأثيرات السياسية، العسكرية، تبرز من خلال الأهمية الاستراتيجية التي يوليها الاسبان للثغور الشمالية. حيث أنها تشرف على الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق، وهو ما يجعل اسبانيا كمدتل لهذه المناطق في قلب المخططات الاستراتيجية الدولية، ويعطيها الحضور لدى القوى العظمى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

والعقيدة العسكرية التي تم ترسيمها من خلال مخططات القيادة العامة المشتركة الاسبانية تتأسس على أن مركز الثقل في استراتيجيتها يضم مضيق جبل طارق والطرق المؤدية منه إلى جزر البليار، وجزر الكناري في المحيط الأطلسي⁴⁷⁷.

وهو ما يفترض أن أهم تحد يواجه المؤسسة العسكرية هو الدفاع عن سبتة ومليلية. وقد عبر "ميغل هيرناندو دي لاماندي" المهتم بالعلاقات المغربية الإسبانية عن الأمر بالقول أن: "العقلية الأفريقية من طرف قواتنا المسلحة، تقاوم التخلي عن فكرة "العدو الأخضر"

⁴⁷³ - ABDELATIF FILALI: "le Maroc et le monde arabe" Editions, scali, Paris 1ère edition 2008.P 51.

⁴⁷⁴ - Yves Zurlo Op cit p :116

⁴⁷⁵ - Mignel H. de Larramendi y Jesús A. Nuñez : « la politica exterior y de cooperacion de España en el Magreb (1982-1995)" P: 25 - Paloma Conzalez del Miño: "las relaciones entre España y Morruecos: proyección para el siglo XXI" P: 146

⁴⁷⁶ - فحسب تصريح لرئيس الحكومة آنذاك فليبي غونزالس في 18 فبراير 1983 فإن: سبتة ومليلية لن تكونا أبدا عائقا أمام العلاقات الجيدة مع المغرب".

In : manuel Leria y Ortiz de Saracho : "ceuta y melilla en la polémica" p: 132

وتصريحات مارية تريزا فرنانديز دي لافيغا نائبة رئيسة الحكومة لاحقا حين قالت: "في الوقت الراهن ليس هذا موضوعا يكيف علاقاتنا"

Le matin du sahara et du Maghreb, N : 12513 au 25/04/2005.

⁴⁷⁷ - Yves Zurlo : Op cit P 141

الذي ستنتم المواجهة معه في وقت ما بشكل حتمي من أجل قضية سبتة ومليلية⁴⁷⁸ الأمر الذي سيتم الإفصاح عنه بشكل صريح في المخطط العسكري المشترك ليناير 1983؛ من أن المغرب هو العدو المفترض. وقد تم وضع سيناريو لحرب مفترضة بين الدولتين تحت مسمى "بييستا Ballesta"⁴⁷⁹، وهي اللازمة التي سيتم تكرارها في المخططات العسكرية الإسبانية اللاحقة حتى اليوم⁴⁸⁰.

بيد أن الفكرة المشار إليها آنفا لم تبقى حبيسة التقارير والأدبيات العسكرية، بل انتقلت إلى الرأي العام الإسباني. وأصبحت تغذي مارد الخطر القادم من الجنوب الذي يقبع في مخياله الجماعي كما أسلفنا.

فوفق نتائج استطلاع الرأي الذي أعده معهد سيكما دوص باسبانيا، ونشرته جريدة الموندو في 13 غشت 2008؛ أعرب 70% من الإسبان المستجوبين أن حكومة مدريد مطالبة بحماية المدينتين أمام أي هجوم مغربي محتمل مقابل 25% يرون أنه يجب إعادتهما إلى المغرب⁴⁸¹.

والمعطيات السابقة تصب في إطار أهمية وخطورة النزاع الترابي المتعلق بسبتة ومليلية والجزر التابعة لها على علاقات البلدين. فهو يحمل في ثناياه إمكانية التحول إلى نزاع عسكري مفتوح. وفي الوقت ذاته نزاع يحيل إلى مفاهيم مرتبطة ب: الوحدة الترابية، الحس القومي، سلامة التراب الوطني والسيادة من بين أخرى ذات حساسية كبيرة بالنسبة للطرفين وقادرة على إعادة العلاقات المغربية الإسبانية إلى نقطة الصفر والقفز على تاريخ طويل من التعايش والعلاقات التي يراد لها أن تكون جيدة.

وقد ذهب عدد كبير من المهتمين بعلاقات البلدين من الضفتين إلى ما ارتأيناه اليوم؛ فحسب محمد العربي بنعثمان فإن الأمن في المنطقة يتوقف على استقرار الوضع في الثغور

⁴⁷⁸ - Mignel H de Larramendi y Jesus A. Núñez, « la politica exterior y de cooperacion de España en el magreb (1982-1995) » Op cit p : 85.

⁴⁷⁹ - رأي مصطفى السحيمي في كتاب:

- Carla Fibla Garcia Sala : « España-Marruecos : desde la orilla sur : la relacion hispano-marroquí opiniones e ideas » op cit P: 157 Et: Miguel Hernando de Larramendi: "perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique" Op cit p : 163

⁴⁸⁰ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي للعلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص : 183.

⁴⁸¹ - محمد طارق حيون: "هذه صورة المغرب والمغاربة عند الإسبان" العلم، عدد 21145 في شتنبر 2008 ص 01.

المحتلة⁴⁸² في حين يشير فتح الله ولعلو إلى أن:

"مصير العلاقات الإسبانية المغربية مرتبط بشكل عميق مع تطور الخلافات المتصلة بسببة ومليلية"⁴⁸³.

والتوتر الدوري الذي تعرفه علاقات البلدين تعزیه "بالو ما غونزالس ديل ميديو" للمطالبات المغربية بسببة ومليلية والجزر التابعة لها،⁴⁸⁴ وما تحمله هذه الأخيرة من رصيد صدامي وفق تصور "ألخندرو ديل بالي غالبيز":

"الرصيد الصدامي غير المألوف للأقاليم الإسبانية في إفريقيا يتمخض عن عدم أمن ولا استقرار دائم"⁴⁸⁵

فالأمر يتعلق ببركان خامد يحمل من المقومات الذاتية ما من شأنه أن يحدث تصدعات بنيوية في العلاقات المغربية الإسبانية، وسنسوق مثالين صارخين لهذا الاستنتاج.

المثال الأول:

واقعة جزيرة ليلى ثورة ففي يوم الخميس 11 يوليوز 2002، ستة من القوات المساعدة المغربية يحطون في الجزيرة ويضعون العلم المغربي فوقها،⁴⁸⁶ وفي نفس اليوم سيعقد اجتماع طارئ للحكومة الإسبانية، وسيتم بعد ذلك الترويج لفكرة "احتلال المغرب" للجزيرة.

يوم 12 يوليوز في قصاصة لوكالة المغرب العربي للأنباء حديث عن إقامة المغرب نقطة مراقبة في الجزيرة، سيليهها بلاغ للخارجية المغربية عن إقامة نقطة مراقبة في الجزيرة في إطار الحملة ضد الإرهاب والهجرة السرية، مع الإشارة إلى أن الجزيرة تقع

⁴⁸² - Mohammed Larbi Benothman: "le couple Maroc-Espagne et le nouvel espace euro-Mediterranéen» Revue : Maroc- Eroupe : N : 09, 1996 p : 206.

⁴⁸³ - بوغالب العطار: "سببة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" مرجع سابق ص: 399.

⁴⁸⁴ - Poloma Gonzalez del Miño: "las relaciones entre España y Marruecos: perspectivas para el siglo XXI." Op cit P: 122.

⁴⁸⁵ - Alenjandro del Valle Galvez: "España-Marruecos: nuevos y viejos paradigmas de una relación en un mundo en mutación" in: relaciones España-Marruecos: nuevas perspectivas y enfoques "servicio de publicaciones de la universidad de Cádiz 1ra edición, marzo, 2007 Op cit p: 45.

⁴⁸⁶ - Ignacio Cembrero: "vencinos alejados ..."

اعتمدنا على الكتاب في سرد حيثيات واقعة جزيرة ليلى من الصفحة 28 إلى 49.

في المياه الإقليمية المغربية وأنها من جملة الأراضي التي عادت إلى حضيرة الوطن بعد نهاية فترة الحماية سنة 1956.

وسيتّم لقاء بين وزير الخارجية المغربي السيد محمد بنعيسى وكاتب الدولة في الخارجية محمد الفاسي الفهري بسفير إسبانيا بالرباط "فرناندو أرياس سلغادو" في 15 يوليوز سيتم التأكيد خلاله على أن الأمر يتعلق بإجراء لمحاربة التهريب ولا يستهدف سبتة ومليلية.

في حين سيعرف يوم الثلاثاء 16 يوليوز استدعاء السفير الإسباني من أجل التشاور لأجل غير محدد، وسيلي هذا الإجراء إعطاء مهلة للمغرب حتى الرابعة صباحا بتوقيت غرينتش الأربعاء 17 يوليوز للانسحاب من الصخرة.

وسيعرف منتصف ليلة الثلاثاء لقاء بين وزير الخارجية المغربي وسفيرة أمريكا بالرباط "مارغريت توت ويلر" بمقر السفارة الأمريكية سيعرب فيه الوزير عن نية المغرب الانسحاب من الجزيرة في اليوم الموالي.

لكن أمام انقضاء المهلة التي حدد الإسبان ستعبّر ستة مروحيات المضيق، ثلاثة منها من نوع كوغار cougar تحمل واحدا وعشرين عنصرا من القبعات الخضر الإسبانية، وثلاثة عناصر من القوات الخاصة للجيش وثلاثة مروحيات أخرى من نوع HU-10 تحوم حول الجزيرة لحماية المهاجمين. وقد استعانت إسبانيا في الانزال بنصف قوتها البحرية⁴⁸⁷.

وسيعرف يوم الانزال اجتماعا وزاريا طارئا بالمغرب برئاسة الملك محمد السادس؛ سيندد بالحدث ويعتبره "إعلان حرب"، ولن ينتهي الأمر إلا بوساطة أمريكية من خلال كاتب الدولة في الخارجية كولن باول. حيث سيتم التوصل إلى اتفاق سيصبح ساري المفعول في 20 يوليوز 2002 على الساعة الثامنة مساء بتوقيت غرينتش، ينص على

⁴⁸⁷ - Djamila Chikhi: "les relations hispano – marocaines a l'épreuve de la crise Persil-leila" in Revue : paix et sécurité internationales, dossier : les relations Maroc-Espagnoles, N 01 juin 2003.Op cit P : 97.

إعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل 11 يوليوز.

ويبقى التساؤل مشروعا مع ييف زولو Yves Zorlo حول:

"كيف يمكن تصور أن هذه الصخرة غير المأهولة والمكونة من 13.50 هكتارا والواقعة على بعد 200 متر من السواحل المغربية؛ وثمانى كلمترات غرب سبتة والتي كنا نأتي على ذكر وجودها بشكل عرضي. يمكن أن تكون مصدر أزمة حادة؟، وبالتأكيد الأكثر خطورة منذ عشرات السنين بين المغرب واسبانيا"⁴⁸⁸، وهو منطق التفكير الذي يمكن إسقاطه على صخرة النكور/ الحسيمة وصخرة باديس وجزر كبدانة/ الجزر الجعفرية⁴⁸⁹. ومن المعطيات السابقة يمكن أن نخرج بالكثير من العبر تهم مستقبل العلاقات الثنائية للبلدين تبقى أهمها:

أ- "قرار التدخل العسكري في برخيل ... تم اتخاذه منذ اللحظة الأولى"⁴⁹⁰؛ فقد أعلنت المصادر الإسبانية يوم 11 يوليوز 2002؛ اليوم الذي وضعت فيه نقطة المراقبة المغربية في الجزيرة عرف وضع خطة الانزال العسكري الاسباني. والتي أطلق عليها اسم عملية روميو سييرا operacion Romeo Sierra⁴⁹¹. وهو ما يبين الحزم الاسباني في التعامل مع الملف التراخي في علاقات البلدين دون اللجوء إلى ركاب الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين. خاصة اتفاق الصداقة وحسن الجوار الذي ينص على الحل السلمي للمنازعات بين الطرفين. وقد عبر أثنار عن خيار القوة هذا لاحقا فيما يتعلق بسبتة ومليلية في سياق تعليقه على أحداث الجزيرة:

"ستتحرك اسبانيا بكل حزم وحسم في أي خطر محتمل نحو سبتة مليلية"⁴⁹²

⁴⁸⁸ - Yves Zurlo: Op cit P: 19.

وقد أعلن كاتب الدولة في الخارجية كولن باول للمجلة الأمريكية GO في ماي 2004 أنهم وجدوا صعوبة في تحديد الصخرة على الخرائط ومع ذلك تطلبت منه مجهودا دبلوماسيا مكثفا لمنع قيام حرب مفتوحة بين حلفاء أمريكا في غرب البحر الابيض المتوسط.

⁴⁸⁹ - Alejandro Muñoz Alonso: "España en primer plano: ocho años de políticas exterior (1996-2004)" P: 380.

⁴⁹⁰ - José Maria Aznar: "ocho años de gobierno: una visión personal de España" Editorial: Planeta, Barcelona, 1ra edición en colleccion Booket, mayo 2005. P: 167

⁴⁹¹ - Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit p:33.

⁴⁹² - Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit, p: 221.

ب- التعاطي الإعلامي الإسباني مع الأزمة، وخاصة التدخل العسكري الإسباني الذي شكل موضوع إجماع بين محرري كل الافتتاحيات في الصحافة كيفما كان توجهها.⁴⁹³ مبشرين بشرعيتها وبانقضائها دون إراقة قطرة دم.

وهو ما يبين خطورة الحدث في اتجاهين: الأول تعبئة الرأي العام في اتجاه المواجهة والتصعيد وإذكاء المشاعر القومية والوطنية. وهو ما يعتبر مساهمة لهذا الاصطفاف الإعلامي في رسم صورة قاتمة عن مستقبل علاقات البلدين.

والثاني يتمثل في تغييب دور السلطة الرابعة في النقد والتوجيه، وهو ما يجعلنا نشك في مستوى التدخل الرسمي في تسطير التوجهات الكبرى والحساسية لهذا الإعلام.

ج- وجود أغلبية مهمة من الإسبان أصبحت تؤمن بالحقوق السيادية لبلادهم في الثغور المحتلة؛ ففي استطلاع للرأي قام به مركز البحث الاجتماعي بعد انقضاء أزمة جزيرة ليلى بين أن 6% . 75 من المستجوبين أيدوا التدخل العسكري لبلادهم.⁴⁹⁴

د- في الجانب المغربي شكلت الأزمة نوعاً من الصدمة التي دفعت إلى الاهتمام بتطوير القدرات العسكرية البحرية لفرض مستوى من التوازن أمام الجيش الإسباني. حيث تم اتخاذ قرار تشييد قاعدة بحرية بالقصر الصغير دشن بداية الاشتغال بها رئيس الأركان المسلحة الملك محمد السادس في 24 مارس 2008.⁴⁹⁵

⁴⁹³ - Djamila Chikhi, Op cit p: 96.

⁴⁹⁴ - Djamila Chikhi, Op cit p: 97.

⁴⁹⁵ - أنس مزور: "الجيش المغربي ينتظر الضوء الأخضر للتحرك بالصحراء" الأيام عدد 327 في 02 إلى 08 ماي 2008، ص: 07.

وخلاصة القول إن أزمة جزيرة ليلى/برخيل شكلت منعطفا في علاقات البلدين،⁴⁹⁶ وقضية رمزية حاول كل طرف من خلالها أن يفصح عن تصوراته.

المثال الثاني:

زيارة الملك خوان كارلوس لمدينتي سبتة و مليلية أيام 05 و 06 نونبر 2007، وهي الزيارة التي ستعرف بعد الإعلان عنها استدعاء السفير المغربي للتشاور لمدة غير محددة، و صدور بلاغ عن الديوان الملكي في 06 نونبر يندد بالزيارة⁴⁹⁷. ويمكن أن نتفق مع "حيزام أمير فرنانديز" مدلل سابق مختص في شؤون العالم العربي في المعهد الملكي إلكانو في اسبانيا، على أن: "ردة الفعل المغربية ليست هي ما يدعوا إلى الغرابة، ولكن السرعة التي تدهورت بها العلاقات بين البلدين هي المفاجأة"⁴⁹⁸.

وهو ما يؤشر على خطورة الملف الترابي، خاصة في مرحلة كانت تعيش فيها علاقات البلدين شهر عسل غير معلن في ظل الحكومة الاشتراكية لثباتيرو. أما على المستوى الاقتصادي، فإن المؤشرات تدل على أهمية هذا المعطى بالنسبة لاسبانيا؛ بحيث يصبح التنازل عن الثغرين المحتلين بمثابة دبح الدجاجة التي تبيض ذهباً. فقد كان هناك توجه رسمي اسباني نحو إعطاء هذه المناطق أهمية اقتصادية؛ والتشجيع على الإقامة بها نظرا لطابعها العسكري سابقا من خلال تحويلها إلى موانئ حرة منذ إصدار مرسوم 18 ماي 1863⁴⁹⁹. وهو ما سيتم تعزيزه بإصدار قانون النظام الاقتصادي والمالي لسبتة ومليلية والذي تم نشره بتاريخ 22 دجنبر 1955⁵⁰⁰.

⁴⁹⁶ - Leon Klein: Op-cit p: 07.

⁴⁹⁷ - Taieb Chadi et Hicham Bennani : « Maroc-Espagne : les royaumes sous tension », Le journal hebdomadaire du 10 au 16 Novembre 2007. P : 21.

⁴⁹⁸ - جريدة المساء، عدد 355 في 09 نونبر 2007 ص:05.

⁴⁹⁹ - Yves Zurlo, Op cit p: 82.

⁵⁰⁰ - Ibid, p: 82.

ينضاف إلى ذلك؛ التسهيلات الضريبية التي تم منحها لمناطق السيادة، ومن بينها التخفيض بنسبة 50% من الضريبة على دخل الأشخاص الطبيعيين المقيمين بالمدينتين. ونفس الشيء بالنسبة للضريبة على الثروة وعلى أرباح الشركات. كما أن الضرائب غير المباشرة تستفيد من تخفيضات مهمة كما هو الشأن بالنسبة لتسجيل بعض العقود القانونية. ويبقى أهم إجراء في هذا الصدد هو إعفاء هذه المناطق من الضريبة على القيمة المضافة على المواد المستهلكة. والإعفاء الشامل للمواد الكحولية والمحروقات من الرسوم⁵⁰¹. والمعطيات السابقة نتج عنها ازدهار التهريب الموجه إلى المغرب بنسبة كبيرة. فحسب الغرفة التجارية لمدينة سبتة ومليلية فإن 70% من اقتصادها موجه إلى التهريب نحو المغرب.⁵⁰² كما أن هناك مصانع إسبانية لا تنتج لأي سوق آخر غير السوق المغربي.⁵⁰³ وهي معطيات كشفت عنها الحملة التي قادتها السلطات المغربية، ضد التهريب سنة 1996. الأمر الذي نتج عنه انهيار اقتصاد المدينتين وشلله بشكل استدعى تدخل حكومة مدريد لمساعدتها⁵⁰⁴.

⁵⁰¹ - Yves Zurlo, Op cit, p: 87.

⁵⁰² - Ahmed Reda Benchemsi: "la sainte colère du roi" Telquel N : 297 du 10 au 16 Novembre 2007. P : 04.

⁵⁰³ - محمد المعزوزي وجعفر بنعجسية مرجع سابق ص: 77.

⁵⁰⁴ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص: 178.

والأرقام المهمة التي تقيم حجم التهريب وحصيلة هذا الاقتصاد الموازي، تعزز من منطق التفكير أعلاه.

فقد نشرت جريدة الباييس في 24 يونيو 2001، دراسة قامت بها وزارة الفلاحة الإسبانية في تقييم لحجم المبادلات غير الشرعية التي تمت بين المدينتين والمغرب فيما يتعلق بالمواد الاستهلاكية والمشروبات والسجائر؛ حيث بلغت سنة 1994 إلى 260.29 مليون يورو، وسنة 1995 إلى 216.38 مليون أورو.⁵⁰⁵ وهو ما شكل ثلاثة مرات حجم المبادلات الرسمية في نفس المواد.

وقد ارتفعت الحصيلة الاجمالية سنة 2000 حسب النشرة الاقتصادية الصادرة عن الغرفتين التجاريتين لسبته ومليوية لتصل إلى قرابة المليار دولار،⁵⁰⁶ وهي الأرقام التي ستبقى في تزايد مطرد خلال السنوات اللاحقة. فقد أعلن مدير وكالة تنمية أقاليم الشمال سنة 2003، عن تقييم لتجارة التهريب أسفر عن إجمالي قدر بمليار و300 مليون أورو.

في حين اعتبر عبد الرزاق المصدق وزير الاقتصاد ومدير الجمارك حينها أن المبلغ يتجاوز مليار و500 مليون يورو، وهو ما وافق الاحصاءات التي تقدمت بها الغرفة التجارية الأمريكية المتواجدة بمدينة الدار البيضاء.⁵⁰⁷ وستعرف سنة 2004 هبوطا لهذه الأرقام نتيجة منافسة السلع الصينية والتشدد النسبي المغربي اتجاه التهريب؛ حيث بلغ حجم المبادلات 800 مليون يورو⁵⁰⁸.

ناهيك عن أن السلطات المغربية سبق وأن أعلنت أن 7% من الاستهلاك الداخلي للبلد يتم من خلال السلع والمواد المهربة والتي تغطي منها تجارة سبته ومليوية حصة الأسد⁵⁰⁹. الأرقام والمعطيات السالفة تصب في أهمية حجم المبادلات الموازية وغير الرسمية المتمحورة أساسا حول أنشطة التهريب بين الثغور المحتلة والمناطق الشمالية للمملكة. وهو

⁵⁰⁵ - Yves Zurlo: Op cit p: 95.

⁵⁰⁶ - حسين مجدوبي: مرجع سابق ص: 188.

⁵⁰⁷ - Ignacio Cembrero: op cit P: 233.

⁵⁰⁸ - حسين مجدوبي: "مقترح في البرلمان الإسباني لتحويل سبته إلى محطة جمركية بين المغرب والاتحاد الأوروبي" الأيام، عدد 371 في 27 مارس إلى 02 أبريل 2009 ص 20

⁵⁰⁹ - Fuad Abdelmumni: "Marruecos-España, o la miopía de los élites" in Carla Fibla Garcia-Sala: "Espane-marruecos: opiniones e ideas" Op cit p: 59

ما سيكون له آثار سلبية على النسيج الاقتصادي للبلد. الأمر الذي وافقته الآراء الرسمية؛ بحيث أن كل منصب شغل في التهريب يسبب ضياع أو عدم خلق عشرة مناصب في الاقتصاد الرسمي حسب الغرفة التجارية الأمريكية بالدار البيضاء.⁵¹⁰ وحسب إدريس بنهيمه مدير وكالة تنمية أقاليم الشمال في حينه فإن: "التهريب يعاقب ظهور اقتصاد سليم"⁵¹¹.

الآراء المشار إليها تأخذ أبعادها الحقيقية والمهولة إذا علمنا أن التهريب الذي يتخذ سبته ومليوية مصدرا له يشغل بشكل مباشر 45000 شخص، نسبة 75% منهم نساء، ويشكل مصدر عيش بشكل غير مباشر لحوالي 400000 شخص⁵¹².

بيد أن المثير للانتباه في هذا الصدد؛ أن السلطات المغربية تتصالح مع هذا الواقع التهريبي وتقبل به إلى درجة أن وزير الخارجية المغربي محمد بنعيسى اعتبر في مداخلته أمام البرلمان في 31 أكتوبر 2001 أن تشديد إسبانيا لحملاتها التفتيشية على معابر المدينتين المحتلتين يعتبر أحد العوامل السبعة، التي كانت وراء اندلاع الأزمة الدبلوماسية التي عرفت علاقات البلدين في تلك الفترة⁵¹³.

منطق التحليل هذا يحيلنا إلى الأهمية الاستراتيجية الاقتصادية للثغرين المحتلين بالنسبة للطرف الإسباني، وهو ما يشكل أحد أهم العوامل المساهمة في التثبيت بهذه المناطق.

فهل تعزز المتغيرات الراهنة ما أسلفنا؟ وما هي الملامح التي ترسم في الأفق لمستقبل سبته ومليوية والجزر التابعة لها؟

⁵¹⁰ - Ignacio Cembrero: Op cit P: 235

⁵¹¹ - Ibid.

⁵¹² - Ibid p: 234

وعدد المغاربة الذين يشغل التهريب بشكل مباشر تضاربت حوله المصادر حيث يحدده Yves Zurlo ب 30.000 منصب شغل ومحمد خشاني ب 40.000 [وجهة نظر في إطار سلسلة حوارات من إعداد: بوغالب العطار تحت عنوان: العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للثوابت والتحديات] جريدة العلم الاشتراكي، عدد 7636 في 09 يوليوز 2004

⁵¹³ - Ibid, p: 25

الفقرة الثانية: الوضع الراهن للتغور المحتلة والحلول الممكنة

لقد ألقى تعقد المشهد الدولي وظهور تهديدات دولية وإقليمية، بظلاله على المتغيرات الراهنة لواقع احتلال المدينتين (أولا). ما يعجل ويدفع بضرورة إيجاد حل و تسوية لهذا النزاع الترابي العالق بين الطرفين (ثانيا).

أولا-المتغيرات الراهنة التي تعرفها سبتة ومليلية والجزر التابعة لها

أهم ما تعرفه التغور المحتلة اليوم هو التقدم الكبير في عملية أسبنتها، والمؤشرات الدالة على ذلك متعددة؛ فمنذ المصادقة على نظام الحكم الذاتي الخاص بالمدينتين في 13 مارس 1995، واستراتيجية الأسبنة la españolidad تأخذ طريقها قدما.⁵¹⁴ وقد اعتمدت اسبانيا في ذلك على تكتيك خلط الأوراق. ففي الوقت الذي وصلت فيه الحكومة الاشتراكية لخوسي لويس ثباتيرو لسدة الحكم؛ وبعد إعلان المغرب أولوية دبلوماسية، والانخراط في دعم الحل السياسي لقضية الصحراء. تم أيضا وبالموازاة مع ذلك إعلان رئيس الحكومة في 11 ماي 2004 أمام مجلس الشيوخ دراسة الحكومة مقترح تعديل دستوري ليضم وضع سبتة ومليلية كمناطق حكم ذاتي اسبانية.⁵¹⁵

وهو ما يعني قطع أشواط مهمة في المسلسل المشار إليه أعلاه، والذي سيتعزز من خلال الزيارة التي قام بها ثباتيرو للمدينتين في 21 يناير 2006، بصفته رئيسا للحكومة.⁵¹⁶ الأمر الذي شكل سابقة تاريخية مهمة مرت أمام صمت رهيب من طرف الجهات الرسمية المغربية. وهو ما عجل بزيارة الملك خوان كارلوس في نونبر من السنة الموالية. فقد صرح المحلل السياسي "جون ببيير تيكوا": "أن السبب الرئيسي للزيارة، هو ضعف الرد المغربي أثناء زيارة ثباتيرو"،⁵¹⁷ وهي أحداث دفعت إلى بروز رأي عام متزايد يؤمن باسبانية المدينتين، وفي نفس الوقت أصبحت الأصوات المعارضة لذلك من داخل اسبانيا، خافتة ولا تعبر عن نفسها بصراحة.

⁵¹⁴ - Maximo Cajal Op-cit p: 187

⁵¹⁵ - Ignacio Cembrero: Op-cit p: 226

⁵¹⁶ - Luis de Vega, Luis Ayllón: "Marruecos" rechaza "la visita de los Reyes a las "ciudades expoliadas" ABC, de 02/11/2007 N: 33560 p: 10

⁵¹⁷ - يوسف جبيلي: "اسبانيا تستفز المغرب كلما فتح أسواقه لمقاولات أجنبية" المساء، عدد 353 في 07 نونبر 2007 ص: 09.

على صعيد آخر، فإن التقدم في مسلسل الأسبنة هذا تم بموازاة مع ظهور متغيرات لا تخدم هذا الهدف. فعلى المستوى العسكري، تقلصت الأهمية الاستراتيجية للمدينتين والجزر التابعة لها، في ظل ظهور مفاهيم حربية جديدة كنظرية "النار عن بعد" المتمحورة على سلاح الجو. زد على ذلك الأجيال المتقدمة من المعدات العسكرية خاصة البوارج الحربية وحاملات الطائرات، والوصول إلى مستوى متقدم من الفيالق المحمولة جوا وبحرا.⁵¹⁸

كما أن المتغيرات التي عرفها مفهوم الأمن، وانتشار أجيال جديدة من التهديدات التي ترتبط بالدول. جعل احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها مصدر نقمة بالنسبة لإسبانيا. ففي مجال الارهاب الدولي؛ أصبح تحرير سبتة ومليلية هدفا معلنا لتنظيم القاعدة. فقد ذكر بذلك الرجل الثاني في التنظيم، أيمن الظواهري في إطار تطهير أرض الإسلام من الوجود المسيحي.⁵¹⁹ كما أن المدينتين شكلتا نقطة بارزة في سياق الإعداد لتفجيرات 11 مارس 2004 التي هزت مدريد؛ حيث تحولت سبتة ومليلية إلى قاعة انتظار بالنسبة للمرشحين "للجهاد". وكمية 40 كيلو غرام من الدشيش التي بيعت وكانت ثمنا للمتفجرات التي استعملت مجموعة لغانس le ganés تم تهريبها عن طريق مدينة سبتة.⁵²⁰

وأغلبية المتهمين في التفجيرات وفي غيرها من العمليات: جمال حميدان، الأخوان بنيعيش، رفا زهير، الأخوان أولاد أكشا، عبد النبي خونجاع، عامر العريزي، بيدير روبير، أبو عبد الرحمان وسعد حسين من بين آخرين؛ جعلوا⁵²¹ من المدينتين مخابأ أو طريق عبور أو منطقة حرة لمقايسة المتفجرات والمخدرات وغيرها من الممنوعات.

⁵¹⁸ - Yves Zurlo: Op-cit p: 80.

⁵¹⁹ - نبيل الدريوش: "الرباط ومدريد تعيشان أزمة غير معلنة" المساء، عدد 481 بتاريخ 05 و06 أبريل 2008 ص: 09.

⁵²⁰ - Abdelhak Najib: "terrorisme, drogue, contrebande, immigration clandestine ... sebtá, ville dangereuse" La gazette du Maroc, N 429 du 18 au 24 juillet 2005 P : 17.

⁵²¹ - Ibid, p: 18 .

ما عزز نسق التفكير أعلاه، ان اسبانيا بعد تفجيرات 11 مارس 2004، خصصت ربع عناصرها المتخصصين في مكافحة الارهاب البالغ عددهم 357؛ للعمل بمدينتي سبتة و مليلية،⁵²² ودلالات الأمر لا تحتاج إلى تفسير.

في الوقت نفسه، تعتبر سبتة ومليلية اليوم أكبر تجسيد للمشاكل التي تفرزها الهجرة السرية، نتيجة وجودها على الحدود بين القارة الأوروبية والافريقية. وما يعنيه ذلك من فوارق اقتصادية وسياسية واجتماعية.⁵²³ لتتحول إلى قاعدة انتظار الفردوس الأروبي.⁵²⁴ ليس فقط بالنسبة للمهاجرين المغاربة، ولكن أيضا وأساسا بالنسبة للمهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء.

وقد ساهمت المدينتان في إعطاء صورة سلبية عن اسبانيا بعد أحداث 30 شتتبر 2005؛ حيث عرفت الحدود الوهمية بالمدينتين اقتحام الأسلاك الشائكة من طرف المئات من الأفارقة. فقد وصلت هذه المحاولات إلى خمسة في ظرف أسبوعين،⁵²⁵ وأسفرت عن سقوط جرحى وخمسة قتلى.⁵²⁶

ناهيك عن اعتبار المدينتين سوقا مفتوحة للاتجار في المخدرات وتبييض الاموال الناتجة عن ذلك.⁵²⁷ ومن المؤشرات الدالة على ذلك. والتي أوردها "خوان غويتسولو" في دراساته حول الموضوع. نجد نسبة صرف العملة بسبتة سنة 1997، التي مثلت 20.1% وطنيا، ومليلية التي حطمت كل التوقعات ب 42.10% من مجموع ما تم صرفه في اسبانيا، وذلك حسب تقرير لوزارة الداخلية نشرته صحيفة "مليلية اليوم" في 02 شتتبر 1998، ومن العملات الأكثر تداولها هناك العملة الهولندية والكرونة الدنماركية والليرة الإيطالية، وهي العملات المستعملة تقليديا لتمويل عمليات تهريب الحشيش نحو امستردام وإيطاليا.⁵²⁸

⁵²² - Abdelhak Najib: "terrorisme, drogue, contrebande, immigration clandestine ... sebtà, ville dangereuse, op cit, p :17.

⁵²³ - Yves Zurlo, op-cit p: 81, 93, 145 et 146.

⁵²⁴ - خوان غويتسولو: "اسبانيا في مواجهة التاريخ ... فك العقد" ترجمة عبد العالي بروكي. سلسلة ضفاف، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الاولى، 2008، ص: 145.

⁵²⁵ - عزيز الساطوري: "جدار جديد حول سبتة المحتلة" الاتحاد الاشتراكي عدد 8245 في 12 ماي 2006 ص: 01.

⁵²⁶ - عمر لبشيرين وجمال وهبي: "رصاص مؤكد وقتلى تضاربت الآراء حول عددهم" الصحيفة المغربية، عدد 04 في 07 إلى 13 أكتوبر 2005 ص: 15.

⁵²⁷ - كرسى الاعتراف مع: إغناصيو صميريرو (الحلقة الثالثة) المساء،؟ عدد 62 في 30 نونبر 2006 ص: 20.

⁵²⁸ - خوان غويتسولو: "اسبانيا في مواجهة التاريخ ... فك العقد" مرجع سابق ص: 146.

وفي ارتباط بالتطور العام الذي أشرنا إليه أعلاه، أصبحت المدينتان وكر للجريمة والاختلالات الأمنية.

وما زاد من قتامة الصورة، أن الامتيازات الاقتصادية التي تجنيها إسبانيا من احتلالها للمدينتين، والتي شكلت أحد العوامل في تشبثها بهذا الاحتلال، أصبحت في تقلص مستمر وتتهدها المتغيرات الاقتصادية الراهنة والمتمثلة في غزو السلع الصينية للأسواق الشمالية للمغرب. دخول اتفاقية التبادل الحر بين المغرب والاتحاد الأوروبي حيز التنفيذ سنة 2012 وهو ما قلص أهمية السوق الحرة للمدينتين.⁵²⁹ بالإضافة إلى التحركات المغربية الأخيرة، والتي يبدو أنها تصب في إطار مخطط استراتيجي سري، للتضييق على الثغرين، وهو ما يدل عليه حماس في إنجاز سلسلة من الاستثمارات الهادفة إلى خلق أقطاب اقتصادية ونقط جذب مهمة في المنطقة⁵³⁰. والمثال الصارخ على ذلك الميناء المتوسطي قرب مدينة سبتة، والذي من شأنه أن ينعش اقتصاد المنطقة وينافس المدينة المحتلة.

والخلاصة مما تقدم، أن الكثير من النقاط الإيجابية التي تقدمها المدينتان المحتلتين للدولة الإسبانية في تراجع مستمر. ناهيك عن مقومات الصدام التي تحملها والتي يمكن أن تتطور إلى ما لا يمكن التدبؤ به اليوم. الأمر الذي يجعل الخوض في الحلول الممكنة والواقعية لإنهاء مشكل احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها لا يخل من أهمية.

ثانيا: الحلول الممكنة لإنهاء احتلال المدينتين والجزر التابعة لها:

نظرا للأهمية القصوى لمشكل احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، وما يمكن أن يفرز في المستقبل من أزمات على علاقات البلدين. فإن إثارة والخوض في إمكانية رصد الحلول الممكنة تبقى من الأولويات المهمة، والتي لا بد من إثارتها في صدد تناول هذا الموضوع.

⁵²⁹ - حسين مجدوبي: مقترح في البرلمان الإسباني لتحويل سبتة إلى نقطة محطة جمركية بين المغرب والاتحاد الأوروبي " الأيام، عدد

371 في 27 مارس إلى 02 أبريل 2009 ص: 20

⁵³⁰ - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبات المغربية بسبتة ومليلية" دفاثر سياسية عدد 107 في دجنبر 2009 ص: 11

وهذه الحلول يمكن تقسيمها إلى حلول غير واقعية؛ وغير مجدية؛ ولن تكون على علاقات البلدين؛ إلا وبالا بالنظر إلى نتائجها الكارثية. ومنها الحل العسكري. أي فض النزاع من خلال حرب ولو كانت محدودة. فهي التي سيكون لها تأثيرا مهما على الضفة الشمالية من خلال هجرة الاسبان من المدن المحتلة وتأثر الاقتصاد الاسباني. وخاصة الصناعة السياحية التي تشكل مداخلها 10% من الناتج الإجمالي للبلاد. دون إغفال الخسائر البشرية والمادية بحكم قرب منطقة الأندلس ووقوعها تحت النيران المغربية.⁵³¹

ونفس التأثيرات ستعرفها الضفة الجنوبية، إضافة إلى خطورة الوضع على الاستقرار السياسي في البلاد. ناهيك عن انخراط أطراف دولية أخرى في الصراع بحكم الاصطفافات الثقافية والسياسية، وهو ما سيهدد بتوسع نطاق الحرب.

وفي سياق آخر نجد الحلول الواقعية والمنطقية، والتي تسير التراكم الايجابي الذي حققته علاقات البلدين. وهي القائمة أساسا على الحوار وتفادي خلق المزيد من المشاكل.⁵³²

أولى الأفكار التي تسير في هذا الاتجاه، هي وجهة النظر التي طرحها المغرب منذ مدة والمتمثلة في تصور حل، من خلال علاقة ثلاثية بين المغرب وبريطانيا وإسبانيا.⁵³³

وقد شكل هذا التماثل والمقارنة بين جبل طارق ووضع سبتة ومليلية، إحدى الأوراق التي استعملها المغرب طويلا في تصوره للنزاع.⁵³⁴ وهو ما آمنت به حتى الأطراف الإسبانية من خلال التصريح بعدم قبول تنازل انجلترا على صخرة جبل طارق لإسبانيا، وهي تحتل سبتة ومليلية حتى لا تصبح سيدة المضيق الوحيدة.⁵³⁵ وبالتالي تصوره الحل في إطار هذه العلاقة الثلاثية يبقى واقعا.

ومن بين الأصوات التي اقترحت خطوات عملية للحل قائمة على هذا التصور نجد، "خايمي دي بينييس" الذي قال بإرجاع الجزر الجعفرية للمغرب، وفتح مفاوضات متعلقة

⁵³¹ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية" ص: 183 و184

⁵³² - Abdelatif Filali: "le Maroc et le monde Arabe" Op cit P : 57

⁵³³ - Maximo Cajal : Op. cit p: 195

⁵³⁴ - Yves Zurlo Op.cit p: 116

⁵³⁵ - Leon Klein Op. cit p: 41

بمليلية قد تصل إلى عشرين سنة تنتهي بنقل السيادة للمغرب، والحفاظ على مصالح الساكنة الإسبانية. ويبقى مصير سبتة مرهونا باستعادة إسبانيا سيادتها على صخرة جبل طارق.⁵³⁶ وقد آمن الملك الراحل الحسن الثاني بأهمية ونجاعة الحلول المبنية على التفاوض؛ فقد صرح في حوار له مع جريدة الشرق الأوسط أن:

"الحل لمشكلة سبتة ومليلية لا يمكن أن يكون إلا حلا سياسيا، والدليل على هذا أن المجموعة الأوروبية. وضعت تحفظا فيما يخص قضية سبتة ومليلية عند دخول إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة"⁵³⁷.

وهو الحل الذي قال به حتى العقلاء من الطرف الإسباني، بحكم وضعه في عين الاعتبار المصالح المشتركة للبلدين. فقد قال "روبير طوميسا" بأن: الحل الوحيد لمشكل سبتة ومليلية هو فتح مفاوضات مع المغرب، خاضعة لجدول زمني مسطر، ومحدد سلفا قائما على حفظ حقوق المغرب في سيادته على المدينتين المحتلتين، وفي احترام تام لحقوق الساكنة الإسبانية للمدينتين⁵³⁸.

وقد شكلت سنة 1987 محطة مهمة في سياق الأفكار الرامية إلى إيجاد حل لقضية الثغرين المحتلتين. فبمناسبة زيارة وزير الداخلية الإسباني "خوسي باريو نويبو" للمغرب لإتمام اتفاق متعلق بمكافحة المخدرات، حمّله الملك الحسن الثاني مسؤولية إبلاغ الطرف الإسباني بمقترح إنشاء خلية تفكير مشتركة بين البلدين، لدراسة واقتراح الحلول الممكنة لمشكل سبتة ومليلية والجزر التابعة لها مع مراعاة مصالح البلدين⁵³⁹.

وبقي هذا أحد المقترحات المهمة المستندة إلى خلفية سياسية تفاوضية. وقد ظل شبح خلية التفكير هذه يقض مضاجع الفئات الاستعمارية المحافظة في إسبانيا. وهو ما أدى بها إلى إفشال وتجميد عمل كل الأجان المشتركة القائمة على الحوار بين النخب الفكرية والسياسية، حتى لا تتحول إلى خلية تفكير في مستقبل المدينتين المحتلتين. وأهم مثال على

⁵³⁶ - بوغالب العطار: سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال " مرجع سابق ص: 286.

⁵³⁷ - محمد العزوي وجعفر بنعجيبة، مرجع سابق ص: 223. أجري الحوار مع جريدة الشرق الأوسط في 09 يناير 1985.

⁵³⁸ - بوغالب العطار، سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال ص: 303.

⁵³⁹ - Yves Zurlo: Op. cit P : 117.

ذلك نجد لجنة ابن رشد التي بقيت هيكلًا فارغًا.

وعلى صعيد آخر، تم اقتراح فكرة السيادة المشتركة على المدينتين⁵⁴⁰، كحل مثالي لا يغضب أيًا من الطرفين. وهي فكرة مستمدة من حالة إمارة "أندورا" التي تقع في قلب جبال البرانس بين إسبانيا وفرنسا. فهي تتوفر على كل المؤسسات الدستورية والنيابية والحكومية وسيادتها الشرفية مشتركة بين رئيس جمهورية فرنسا وأسقف بلدة أرخيل القريبة من ليريدا وهي أقرب مدينة كاتالانية للإمارة.⁵⁴¹

كما أن مواقف العديد من الشخصيات البارزة صبت في هذا الاتجاه، ومن أبرزها موقف الزعيم الراحل علال الفاسي في خطابه بفاس في 26 يونيو 1966. فخلال حديثه عن الوحدة الترابية اقترح تسوية لمشكل المدينتين من خلال منح الجنسية المغربية للإسبان القاطنين في المدينتين لممارسة حقوق المواطنة الكاملة إلى جانب جنسيتهم الإسبانية.⁵⁴² وهو ما ذهب إليه أيضا المفكر خوان غويتيسولو.⁵⁴³

ومن الأفكار التي تسترعي الانتباه في سياق الخوض في الحلول الممكنة لقضية سبتة ومليلية، نجد الرأي الذي عبر عنه "أمنو دي ميغيل"، عالم اجتماع وصحفي إسباني؛ حيث اقترح مفاوضات رباعية بين إسبانيا وإنجلترا والمغرب وحلف الشمال الأطلسي، وهي المفاوضات التي أطلق عليها اسم "إقرار السلم بالمضيق"؛ بحيث:

"تؤول سبتة ومليلية بمقتضى ذلك إلى المغرب، وجبل طارق إلى إسبانيا، ويقيم الحلف قواعد عسكرية في كل من سبتة وجبل طارق بقوات إسبانية وبريطانية ومغربية. يكون كل من سبتة ومليلية وجبل طارق متمتعًا بوضعية قانون حكم ذاتي خاصة لأجل ممارسة الحقوق الثقافية والمصالح الاقتصادية لسكان كل من المنطقتين"⁵⁴⁴.

⁵⁴⁰ - Bernabe Lopez Garcia: " Marruecos y España: una historia contra toda lógica" Op cit p: 351.

⁵⁴¹ - بوغالب العطار، مرجع سابق، ص: 243.

⁵⁴² - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبات بسبتة ومليلية" دفاثر سياسية، عدد 167، دجنبر 2009 ص: 12.

⁵⁴³ - بوغالب العطار، مرجع سابق ص: 317.

⁵⁴⁴ - دينة السمار: "إدارة الأزمات في العلاقات المغربية الإسبانية: أزمة جريدة تورة / ليلي كنموذج" بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، الموسم الجامعي 2005-2006 مرجع سابق.

وعموماً، الخوض في الحلول الممكنة لقضية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها لأمناص من أن يكون مسبوقاً بالكثير من الإجراءات الانتقالية؛ التي ستمهد الطريق نحو اقناع الطرف الإسباني بالوصول إلى درجة البحث عن المخارج المناسبة من ورطة احتلال هذه الثغور.

وعلى رأس هذه الإجراءات المضي في مسلسل الإصلاح السياسي بالمغرب، والوصول إلى مستوى من الديمقراطية وحقوق الإنسان على نفس القدر من دول الجوار الأوربي على اعتبار أن الكثير من الآراء الإسبانية رفضت في السابق تسليم المناطق المحتلة للمغرب بشرط الإصلاح الديمقراطي.

إضافة إلى العمل على تأهيل الاقتصاد الوطني والاهتمام بالمناطق الشمالية المتاخمة للثغور المحتلة. وهو ما سيضمن تقليص الفوارق الاقتصادية والمالية بين الطرفين، وسيشكل عامل جذب للمغاربة المقيمين بالمدينتين. ناهيك عن تقليص الأهمية الاقتصادية لهذه المناطق المحتلة، القائمة أساساً على التهريب كما اسلفنا.

وهو ما سيدفعنا إلى التفاؤل في إيجاد حل يجعل المدينتين، حلقة تواصل متينة لإعطاء نفس جديد للتعاون بين المغرب وإسبانيا.

المبحث الثالث:

تفاعلات ملف قضية الصحراء

تعتبر قضية الصحراء من الملفات ذات الأولوية في دراسة العلاقات المغربية-الإسبانية. وأحد المتغيرات الوازنة في فهم تقلباتها. وهو ما سنعمل على رصده ومحاولة تتبعه من خلال السياق العام التاريخي لتبلور أهمية القضية في العلاقات الثنائية للبلدين (المطلب الأول). وتأثيرها على هذه العلاقات؛ خاصة في المرحلة الديمقراطية من عمر الجارة الشمالية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: السياق العام لتبلور أهمية قضية الصحراء في العلاقات الثنائية للبلدين

وهذا ما سنحاول دراسته عبر التطرق لتاريخ الوجود الإسباني في الصحراء. وطبيعة التقلبات التي عرفها الملف في مرحلة الجنرال فرانكو (الفقرة الأولى) وطبيعة الخلفيات السياسية التي سطرت أهمية قضية الصحراء بالنسبة للطرفين (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: الوجود الإسباني في الصحراء وتقلبات المرحلة الفرنكاوية

وهو ما سيساعدنا في معرفة تاريخ الوجود الإسباني في الصحراء (أولا) والإلمام بمسلسل تصفية الإستعمار بهذه المنطقة. والذي أثث وهيمن على مرحلة تعاطي نظام فرنكو مع قضية الصحراء (ثانيا).

أولاً: الوجود الإسباني في الصحراء

الوجود الإسباني بالصحراء، والمراحل التي قطعها، سيجعلنا أمام ما عرف في التاريخ، وفي الكتابات الغربية حتى الأمس القريب "بالصحراء الإسبانية" وهي مقولة لها أهميتها بالنظر إلى تأطيرها فيما بعد للفكر السياسي الإسباني. حيث اعتبرت النخب أنها فقدت جزءاً من التراب الإسباني نتيجة مكائد السياسة؛ وقدر إسبانيا التاريخي أمام الخطر الذي يأتي من الجنوب. وهو ما لا يخلو من أهمية في فهم تقلبات العلاقات الثنائية للمغرب وإسبانيا. فاهتمام الجارة الشمالية بالصحراء جاء نتيجة طبيعية للفكر الأفريقي الذي ظهر

نهاية القرن التاسع عشر. ففي سنة 1883 دافع خواكين كوسطا عن ضرورة القيام باستكشافات والاهتمام بإفريقيا.⁵⁴⁵ وهو ما ستعمل الجمعية الإسبانية للأفريقانيين والكولونيين. La sociedad española de africanistas y colonialistas على تحقيقه وجعله واقعا ملموسا من خلال الرحلة التي سينظمها العسكري "اميليو بونيلي Bonelli Emilio" سنة 1884 إلى الشواطئ الصحراوية. حيث سيعمل على احتلال ثلاثة مواقع وهي واد الذهب، الذي أطلق عليه "بيرة ثسنيروس villa cisneros" وهي مدينة الداخلة اليوم. ولكويرة cabo blanco وقد أطلق عليها اسم "ميدنا غتيل"، وذلك بعد أن دخل في مفاوضات مع قبيلة أولاد الدليم⁵⁴⁶. وهي المناطق التي سيتم بالكاد الاحتفاظ بها نتيجة مقاومة القبائل الصحراوية. وذلك حتى حدود يونيو 1916 حيث سيحتل "فرانسيكو بنز ارغندونيا" ما سمي في الأدبيات الإسبانية "بكاب جوبي" بتوافق مع بعض القبائل. وستحدث الكتابات الإسبانية عن سنة 1934 كعلامة بارزة لمد السيطرة الإسبانية على الصحراء. وقد تم تفسير ذلك بضعف الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية الإسبانية في هذه الفترة من جهة. ومن جهة أخرى؛ التعثرات والصعوبات التي ستشهدتها عملية إخضاع المناطق المحتلة في منطقة الحماية الشمالية في المغرب⁵⁴⁷.

وكخلفية قانونية لهذا الاحتلال اعتبرت إسبانيا أن الصحراء: أرضا خلاء من دون مالك res-nullius وهو ما يمنحها حق الاحتلال وشرعية التواجد وفق القانون الدولي الكلاسيكي⁵⁴⁸.

بيد أن الصحراء ستنبأ المكان اللائق بها في فترة الحكم الديكتاتوري للجنرال فرانكو بالاستناد إلى معطين:

⁵⁴⁵ -José Ignacio Alguero Cuervo : "el Sahara y España: claves de una descolonización pendiente". Ediciones Ideas .1ra dicción 2006 colección :cuadernos del Magreb N 01 p: 49.

⁵⁴⁶ -Ibid :p : 51.

⁵⁴⁷ - Ibid. P: 58.

⁵⁴⁸ -RACHID LAZREK .Op .cit P :42.

الأول : استراتيجي مرتبط بتأمين جزر الكناري، وترسيخ اسبانيته .

والثاني : اقتصادي، ارتبط في بادئ الحال بغنى المصايد الصحراوية وقربها من جزر الكناري، ثم بعد ذلك اكتشاف الفوسفات والذي تم في سنة 1947⁵⁴⁹. وقد تم بعد ذلك أمام أهمية الاكتشاف والكميات الموعودة، خلق 'الشركة الوطنية المعدنية للصحراء EMMINSA في سنة 1963 واستثمار ما لا يقل عن 30 مليار بسيطة للسيطرة على احتياطي يقدر ب 1700 مليون طن.⁵⁵⁰ ناهيك عن إمكانية وجود البترول حيث منحت السلطات الإسبانية تراخيص بالبحث عنه منذ سنة 1960 لما لا يقل عن احد عشر شركة أجنبية، وقد ظهرت مؤشرات ايجابية في 27 نقطة غير ذات أهمية تجارية⁵⁵¹.

المعطيات السابقة ستدفع إلى تشبث النظام الفرانكاوي بالصحراء وجعلها مقاطعة وجزءا من التراب الاسباني بقوة القانون. كما سيتم اختيار خمسة أعضاء من القبائل الصحراوية لتمثيلية الكورتيس الاسباني⁵⁵².

كما أن هذا التشبث بالصحراء يمكن فهمه أيضا في إطار فهم شخصية فرانكو الحاكم، والذي صرح بأنه : "بدون إفريقيا بالكاد افهم نفسي"⁵⁵³ فهو من جيل العسكر الذي عاش مرارة تخلي اسبانيا عن مستعمراتها في أمريكا اللاتينية وتأثر بالتنظيرات التي تطرقت لذلك. كما عاش الحروب الاستعمارية في شمال المغرب ولم يعد يستوعب اسبانيا بدون مستعمراتها الإفريقية .

لكن السياق الدولي والإقليمي وكذا تغيرات الوضع الداخلي للمغرب؛ ستدفع في عكس هذا التوجه، من خلال ظهور موجة الاستقلالات وانخراط منظمة الأمم المتحدة في ذلك، وتحولها إلى منبر للدفاع عن حرية الشعوب وحقوقها في تقرير مصيرها. وهو ما سيعطي

⁵⁴⁹- Julio Gil Pecharroman : 'la política exterior del franquismo (1939-1975) entre Hendaya y el Aiún' colección : con franco vivíamos peor ; flor del viento ediciones 1ra edición junio de 2008 ;Barcelona ; P:352.

⁵⁵⁰-محمد العربي المساري :30 سنة مسيرة من لاهاي إلى بيبك " مرجع سابق ص:152.

⁵⁵¹- J. I . ALGUERO CUERVO . Op cit P: 38.

⁵⁵²- ALFONSO DE LA SERNA : 'Al sur de tarifa :Marruecos-España :Un malentendido historico' MARCIAL Pons ;ediciones de historia ; 2 da edicion Madrid ;novembre 2006 ; P: 260

⁵⁵³- أنجيلا هيرنانديث مورينو: "حرب اعلام في الصحراء (محنة اسبانيا)" ترجمة ماء العينين مربيه ربو منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربو لإحياء التراث والتبادل الثقافي : 21 مطبعة بني يزناسن، سلا الطبعة الأولى 2006 ص: 51 .

دفعه قوية لإنطلاقة هذا المسلسل فيما سيعرف في الأدبيات الدولية لاحقا بقضية الصحراء الغربية. فما هي حيثيات وسياق هذا المسلسل؟ وما مدى تأثيره على علاقات المغرب واسبانيا؟

ثانيا: مسلسل تصفية الاستعمار في الصحراء

لقد عمل المغرب على تسجيل مطالبه الإقليمية بشأن الصحراء منذ 19 شتنبر 1963 أمام لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة⁵⁵⁴. ومنذ هذه الفترة تم وسم نزاع الصحراء بسمة النزاع الإقليمي. حيث ظهرت اهتمامات أطراف أخرى بهذا الإقليم خاصة مع حصول الجزائر وموريتانيا على استقلالها. وقد عرفت السنة المشار إليها أعلاه ظهور الصحراء و أفني من بين الأقاليم الأربعة والستين التي شملتها لائحة لجنة الأربعة والعشرين الخاصة بقضايا تصفية الاستعمار في الأمم المتحدة؛ كأقاليم غير متمتعة بالحكم الذاتي⁵⁵⁵. وهذا الوضع الدولي الذي تمتعت به الصحراء؛ كان قد سبقه نقاشات وانقسامات داخل النخبة الفرنكاوية. فقد ساند "كاستية" وزير الخارجية الإسباني آنذاك الدخول في تصفية الاستعمار في الإقليم. وهو ما سيعزز الموقف الإسباني في أفق استعادة جبل طارق. في حين أن هناك تيار دعا إلى التخلي عن الإقليم لصالح المغرب مقابل الحفاظ على المصالح الاقتصادية لإسبانيا. وهو رأي "مونيوت غرندس" نائب الرئيس. والتيار الثالث بزعامة السياسي "كاريو بلانكو" دعا إلى إطالة أمد الاحتلال الإسباني في أفق الوصول إلى صيغة نيوكولونيالية تضمن تأييد الحضور الإسباني في الصحراء.⁵⁵⁶ وهو التيار الذي انضم إليه فرنكو الأمر الذي سيظهر في الإستراتيجية التي تبنتها إسبانيا لاحقا.

وهذه النقاشات الداخلية الإسبانية لم تمنع لجنة تصفية الاستعمار من إصدار قرار في 16 أكتوبر 1964 يدعو الحكومة الإسبانية إلى اتخاذ التدابير اللازمة لتحرير إقليمي أفني والصحراء. وإجراء المباحثات مع الأطراف المعذية في هذا السياق، باعتبارها الدولة

⁵⁵⁴ عبد الحق دهيبي : "قضية الصحراء المغربية ومخطط التسوية الأممي :دراسة قانونية وسياسية في مسارات التسوية في نطاق المنظمات الدولية" دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2003 ص 139

⁵⁵⁵ - Rachid Lazrak Op cit P : 298

⁵⁵⁶ - Julio Gil Pecharromain ; Op ; cit P : 313

القائمة بإدارة هذه الأقاليم والمسؤولة عنها 557 .

لكن دجنبر 1965 سيشكل الانطلاقة الحقيقية لتصفية الاستعمار في الصحراء بصور أول توصية في الموضوع عن الجمعية العامة، التوصية (XX . 2072 - R) 558 مما سينتج عنه بداية المناورات الإسبانية. ففي مارس 1966 تم استدعاء ثمانين من زعماء القبائل الصحراوية ليؤكدوا تشبثهم بإسبانيا. هذا في وقت سيعرف الموقف المغربي تحولا في اتجاه الدعوة إلى استقلال إقليم الصحراء عن أي كيان سياسي آخر، وذلك في أفق انضمامها للوطن الأم؛ المغرب. وهو ما عبر عنه ممثل المغرب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة من جهة. ومن جهة أخرى؛ أمام لجنة الوصاية المجتمعة في يونيو 1966 بالعاصمة الإثيوبية أديس ابابا 559. وقد كان وراء هذا التوجه التكتيكي للمغرب. العزلة التي جمعت إسبانيا والجزائر وموريتانيا في اصطفاك ضد أي مصالح ومطالبة مغربية بالإقليم . وستثمر الضغوطات المغربية فيما بعد توصية الجمعية العامة رقم 2229 الصادرة في 20 دجنبر 1966 والتي تحت على تنظيم استفتاء لتقرير المصير للسكان الأصليين. والمثير للانتباه أن التوجه الإسباني المعارض لذلك سيتغير بعد سنة من خلال تصويتها على التوصية 2354 في دجنبر 1967 560 والمؤيدة لإقامة استفتاء في الإقليم. وهو ما سيدد تفسيره في الخطوات التي سبقت ذلك. حيث قامت بإنشاء ما عرف بالجماعة، وهي نوع من الجمعية العمومية الصحراوية التي تضم مختلف الحساسيات القبلية وتشكل لبنة مهمة في التصور الإسباني لقيام نوع من الحكم الذاتي المسير من طرف مدريد 561 . وفي سياق آخر تأثرت الإستراتيجية الإسبانية باكراهات سياستها الخارجية، فقد عاش النظام الفرنكوي في هذه الفترة عزلة قاتلة على المستوى الدولي، اعتبرت نتيجة للطبيعة

557- عبد الحق دهي، مرجع سابق ص : 215

558- NAJIB ABU- WARDA : "las transformaciones del mundo arabe y sus consecuencias en las relaciones hispano -magrebies" in "la política exterior española en el siglo XX" ;coordinador :R ; CALDUCH ; edición ;ciencias social ; Madrid ; 1994 P: 328.

559- RACHID LAZRAK. Op cit P 303 .305 et 364.

560 -I . ALGUERO CUERVO. Op cit P: 100 .

561- JOSE.U. MARTÍNEZ CARRERAS "el africanismo español" in "la política exterior de España (1800-2003) "Juan Carlos Pereira (coor) ; editorial Ariel ;1ra edición ; junio 2003 ;Barcelona ; p :364.

الديكتاتورية للنظام والمخاض الدموي الذي أفرزه. فاستنادا إلى هذا العامل الأخير وبالنظر إلى ما قد أسلفنا في الفصول السابقة لهذا العمل. فإن الحرب الأهلية الإسبانية التي كانت نتيجة طبيعية لعدم التوافق على الانقلاب العسكري الفرنسي، والعدد الضخم من الضحايا الذي خلفت وراءها. والسمة القمعية للنظام والإعدامات التي توالى في صفوف المعارضة، التي جعلت الاصطفاف الإيديولوجي الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية، ورسخته الحرب الباردة يلفظ هذا النظام. بحيث لم يصبح مع المعسكر الشرقي، وقبوله في الغرب ظل تحت رحمة فيتو الديموقراطيات الأوروبية التي لم تغفر للنظام انقلابه على الجمهورية والإسراف في قمع الحريات .

وهو ما أدى بفرانكو إلى نهج ما اسماه فيما بعد المظهر الاشتراكي "فرناندو موران" بسياسة التعويض⁵⁶² la política de sustitución التي تأسست على محاولة فك العزلة العالمية، من خلال توطيد العلاقات مع الأنظمة العسكرية في أمريكا اللاتينية، واستثمار عوامل التقارب الثقافي واللغوي معها. بالإضافة إلى العالم العربي مستغلا عامل القرب الجغرافي ومشاعر الحنين إلى الأندلس. دون إغفال رغبة هذه الأنظمة في تأكيد حضورها الدولي من خلال تكثيف علاقاتها الخارجية. وقد شكلت سياسة التعويض هذه مدخلا للإشعاع الدولي الإسباني والذي سيتم تأكيده من خلال أحداث أخرى على المستوى الأطلسي سيرد ذكرها فيما بعد.

وتماشيا مع نسق التحليل أعلاه؛ عرفت السياسة الإسبانية في الصحراء تكييفا مع هذه التوجهات. فقد حاولت إسبانيا أن تراعي مواقف العالم العربي من سلوكها في المنطقة. وهو ما سيتمخض عنه سياسة التنازل على مستوى الأقاليم التي تعتبرها غير ذات أهمية وعلى رأسها إقليم طرفاية وافني وذلك لتحصيل ثلاثة نتائج :

(1) التخفيف من وطأة الضغوطات الأممية التي تسير في اتجاه تصفية الاستعمار في كل الأراضي والأقاليم التي تسيرها إسبانيا. إضافة إلى ضغوطات الدول المغاربية

⁵⁶²- Julio Gil Pecharroman :Op cit P: 159.

وخاصة المغرب .

(2) الحفاظ على الصداقة العربية الإسبانية. والحرص على عدم تأثرها بواقع الاحتلال الذي تعيشه تلك الأقاليم. خاصة أن هذا العالم شكل محور اهتمام، وقارب نجاة للإبحار في عالم الثنائية القطبية. وحاجة إسبانيا المتنامية لهذا الدور الذي يلعبه.

(3) والهدف الثالث والأساسي والذي يعتبر مرتبط بالفرس في الإستراتيجية الإسبانية؛ وهو العمل على إبقاء وتأييد النفوذ الإسباني في الصحراء بخلق كيان تابع وغير مستقل ذاتيا عن الوصاية الإسبانية⁵⁶³.

وخلاصة ما سبق؛ انه منذ هذه الفترة. ومع انطلاق مسلسل تصفية الاستعمار في الصحراء؛ بدأت هذه القضية تنحت موقعها كقضية مركزية ومحورية في علاقات البلدين لتصبح حسب تعبير "رفائيل كالدوتش" "مركز ثقل هذه العلاقات"⁵⁶⁴.

ورغم التحركات الإسبانية، فإن هذه الأخيرة ستعيش مع بداية سنة 1970 عزلة دولية على أساس وخلفية قضية الصحراء⁵⁶⁵. فبعد انقضاء ثلاثة سنوات على تصويتها على توصية الجمعية العامة 2354 الداعية إلى إقامة استفتاء لتقرير المصير في الصحراء، ما زال الملف يراوح مكانه.

وستستفيد إسبانيا بعد ذلك من فترة هدنة ناتجة عن تطورات الوضع الداخلي للمغرب والذي كان المحرك الأساسي والفاعل للمنظم الدولي حول قضية الصحراء. فقد عرف المغرب في 10 يوليوز 1971 انقلابا عسكريا فاشلا اثر على الفعل الدبلوماسي المغربي في الخارج. وهو ما جعل ولأول مرة منذ سنة 1965 الأمم المتحدة لا تصادق على أي قرار حول قضية الصحراء.⁵⁶⁶ الأمر الذي سيدفع إلى تقارب بين الدولتين نتج عنه توقيع عدة اتفاقيات للتعاون في شتى المجالات من أبرزها: اتفاق حول الصيد البحري في يناير

⁵⁶³- J. I ALGUERO CUERVO :Op cit P :73.

⁵⁶⁴- RAFAEL CALDUCH CERVERA :'' la politica exterior española durante el franquismo'' in R ;CALDUCH (coord) :''la política exterior española en el siglo XX '' Op ;cit P: 139.

⁵⁶⁵- J. I Alguero Cuervo . Op ;cit P: 111.

⁵⁶⁶- ميغيل ارناندودي لا راميندي :''السياسة الخارجية للمغرب '' منشورات الزمن ص : 310.

1971 وفي شهر ماي من نفس السنة اتفاق حول التعاون الفلاحي، الصناعي والسياحي مدته خمسة سنوات، من بين أخرى⁵⁶⁷.

هذه الفترة ستسجل نوعا من التصعيد في العلاقات المغربية، وستتوج بظهور الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء وواد الذهب المعروفة اختصارا بالبوليساريو. والتي ستصبح فاعلا جديدا في الصراع تتناوب دول المنطقة على دعمه حسب تموقعها ومصالحها الظرفية. وهو ما ستستفيد منه اسبانيا بدورها، الأمر الذي بدأت بوادره مع لقاء وزير الخارجية الاسباني "لوبيز برافو" ووزير خارجية الجزائر عبد العزيز بوتفليقة في فبراير 1972.⁵⁶⁸ الأمر الذي تم بالموازاة مع المضي قدما في التصورات الاسبانية القائمة على خلق الظروف والأجواء المناسبة لقيام كيان مستقل ذاتيا في الإقليم تابع لها.⁵⁶⁹ وفي نفس الوقت دفع الأطراف الأخرى وعلى رأسها المغرب إلى الضغط من خلال الأمم المتحدة لفرض خيار الاستفتاء. وهو ما جسده التوصية 3162 في 14 دجنبر 1973 والتي امتنعت اسبانيا عن التصويت عليها⁵⁷⁰.

لكن سنة 1974 ستعتبر المنعطف الحاسم في تاريخ الوجود الاسباني بالإقليم فقد تعزز التوجه الاممي في الضغط على اسبانيا للعمل على تفعيل مبدأ تقرير المصير في المنطقة من خلال إصدار توصية الجمعية العامة رقم 3162 (XXVIII) في 30 يناير 1974.⁵⁷¹ والتي تزامنت مع الأزمة الداخلية التي يعرفها النظام الفرنكاوي بسبب التدهور الصحي لفرانكو من جهة. ومن جهة ثانية؛ افتراض الجهات الرسمية الاسبانية أنها عملت على الجبهة الداخلية في الصحراء من خلال خلق نفس عام موالي لها داخل "الجماعة" وهي الهيئة التمثيلية الصحراوية،⁵⁷² التي تضم أساسا نخبا تقليدية متمثلة في شيوخ وتمثيلات القبائل. ثم العمل على جمع شتات النخب الشابة التي درس العديد منها في اسبانيا

⁵⁶⁷ -Abdelkhalek Benrramdane : "le Maroc et l'occident" Op. cit. p :323.

⁵⁶⁸ - عبد الحق دهبي :مرجع سابق ص :154.

⁵⁶⁹ - Julio Gil Pecharroman :Op-cit P: 387 .

⁵⁷⁰ - J I Alguero Cuervo : Op-cit P: 124.

⁵⁷¹ - Rafael Caldach Cervera ;Op-cit P: 145.

⁵⁷² - Julio Gil Pecharroma Op-cit P: 388.

في إطار حزب سياسي جديد هو حزب الاتحاد الوطني الصحراوي Partido de unificación nacional saharai (PUNS) ⁵⁷³ يكون واجهة سياسية للطروحات الموالية لإسبانيا ويعمل على الحد من تنامي الحس الوطني الصحراوي. ⁵⁷⁴ هذه العوامل والإجراءات دفعت إسبانيا في 20 غشت 1974 إلى توجيه رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم ⁵⁷⁵، تبين فيها أنه تماشيا مع التوصية الأخيرة للمنظمة 3162 قررت أن تجري استفتاء لتقرير المصير في النصف الأول من السنة المقبلة .

هذه الأثناء ستعرف أيضا تغيرا في الموقف المغربي والداعي منذ 1966 إلى استقلال الصحراء وجلاء الاستعمار كمرحلة تمهيدية للانصهار في المغرب. بالدعوة إلى البحث عن حل ثنائي بين المغرب وإسبانيا يجري ما تم في حالة طرفاية وأفني؛ ⁵⁷⁶ على أساس الحقوق الثابتة للمغرب في الإقليم. وقد اقترح المغرب طرح الإشكال في إطار تصوره الجديد القاضي بضم الصحراء أمام أنظار محكمة العدل الدولية. حيث وجه رسالة في الموضوع إلى السلطات الإسبانية في 23 شتنبر 1974. ⁵⁷⁷ وبذلك يكون حسب العربي المساري: "قد انتزع المغرب القضية من منطق تقرير المصير والأطراف المعنية، وعاد بها إلى طابعها الحقيقي كنزاع ترابي مع إسبانيا" ⁵⁷⁸.

وقد عارضت إسبانيا هذا التوجه. إلا أن توصية الجمعية العامة رقم 3292 (XXIX) في 03 دجنبر 1974؛ جاءت لتضع الملف تحت أنظار محكمة العدل الدولية في استشارة حول هل الصحراء كانت أرضا خلاء حين احتلالها من طرف إسبانيا؟ ثم البحث في طبيعة الروابط القانونية التي تربطها بالمغرب وموريتانيا .

وقد أصدرت المحكمة في 16 أكتوبر 1975 رأيها الاستشاري مبينة أن الصحراء لم تكن أرضا خلاء من جهة. ومن جهة أخرى؛ أن الصحراء كانت تربطها بالمغرب علاقات

⁵⁷³ - أنخيل هيرنانديث مورينو، مرجع سابق ص : 107.

⁵⁷⁴ - Najib Abou -warda Op- cit P: 328.

⁵⁷⁵ - Leon klein Op-cit P: 57.

⁵⁷⁶ - ميخيل ارنانو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" ص : 312.

⁵⁷⁷ - Rafeal Caldach Cervera Op-cit P: 146.

⁵⁷⁸ - محمد العربي المساري: "30 سنة مسيرة من لاهي الى بيكر" ص : 132.

ولاء وصلات قانونية.⁵⁷⁹ وفي تعليقه على القرار أكد الملك الحسن الثاني بأن: "محكمة العدل الدولية اعترفت في أكتوبر 1975 أن الأراضي الصحراوية التي تحتلها إسبانيا، لم تكن عند استعمارها أرضاً خلاءاً لا صاحب لها ولكنها – وانقل عن هذه المحكمة ما قالته حرفياً: "كانت بين الصحراء والمملكة المغربية روابط قانونية وروابط ولاء" ومعنى ذلك أن سكان هذا الإقليم الصحراوي يدينون بالطاعة والولاء لملوكهم المغاربة، انه حكم قوي التعديل، لأنه إذا ما أذكر أن إرادة هذه الأقاليم لم تكن تمارس من قبل السلطة المغربية، فكيف يمكن تفسير الوجود الشخصي لأجدادنا فيها؟ وكيف يفسر أن مولاي إسماعيل قد وصل عام 1679 إلى نهر السنغال؟ وكون مولاي الحسن ذهب عام 1882 و1886 إلى الصحراء؟ وكيف يمكن نسيان أن المعاهدات الدولية المبرمة مع بريطانيا سنة 1895 ومع فرنسا وألمانيا سنة 1911 اعترفت رسمياً بالسيادة المغربية على هذه الأقاليم؟ إن روابط الولاء التي تحدثت عنها المحكمة هي روابط جد قديمة، وجد ثابتة، ودائمة، وجد عديدة. قامت الأدلة عليها بالعديد من توجيهات ملوكنا وأوامرهم وقراراتهم وظهائرهم قبل الاستعمار وخلال وجوده. إلى حد أن المحكمة نتيجة اطلاعها كاملاً على ذلك أعطتنا الحق في هذه المنطقة"⁵⁸⁰. ليتم الإعلان عن المسيرة الخضراء في ظروف داخلية إسبانية حالكة نتيجة مشاكل تضع استمرارية النظام الفرانكوي على المحك. والاستقرار السياسي للآجرة الشمالية في خطر نتيجة الوضع الصحي لرئيس الدولة. وكان المشهد الداخلي الإسباني قد عرف في ملف الصحراء نوعاً من الحراك والتفكير، مع ظهور فرضية الانسحاب بقوة مع منتصف سنة 1975.

وقد دفعت النخب العسكرية بقوة، بفكرة خطورة قيام دولة صحراوية مستقلة ذات تبعية جزائرية وإيديولوجية شيوعية على مشارف جزر الكناري. وإمكانية أن تتحول إلى عامل توتر في المنطقة في ظل عدم وضوح الاصطفافات والتحالفات⁵⁸¹.

لكن بالمقابل شكل حدث المسيرة الخضراء، مفعول الزلزال الذي بعثر الأوراق الإسبانية وشكل عامل ضغط قوي بحكم عدم توقع هذا النوع من ردة الفعل. وهو ما طبع

⁵⁷⁹ عبد الحق دهبى، مرجع سابق ص: 58.

⁵⁸⁰ عبد الحق دهبى، المرجع السابق، ص: 61.

⁵⁸¹ Julio Gil Pecharroman Op – cit : P 394.

كثيرا، المخيال الجمعي الإسباني. بالخروج المذل من ما شكل سابقا مستعمرة ولاحقا إقليما إسبانيا⁵⁸²، وذلك بموجب اتفاق مدريد الموقع في 14 نونبر 1975. وكجزء من أشكال الصراع اللاحقة حول ملف الصحراء بين الطرفين سنجد من الأسبان من سيعتبر هذا الاتفاق تنازلا عن الإدارة والتسيير، وليس تنازلا عن السيادة. وهو ما سيدخل علاقات البلدين في دوامة جديدة من الصراع على خلفية هذا الملف. لا تظهر إبعاده ودلالاته إلا من خلال معرفة مركزية قضية الصحراء بالنسبة لكلا الطرفين .

الفقرة الثانية :أهمية قضية الصحراء بالنسبة للطرفين :

لقد تجاوزت قضية الصحراء كونها موضوعا للسياسة الخارجية و التداول بين النخب من الضفتين، نظرا للأهمية و المركزية التي أصبحت تحتلها سواء بالنسبة للمغرب (أولا) أو بالنسبة للجارة الإيبيرية (ثانيا) .

أولا: مركزية قضية الصحراء في النظام السياسي المغربي :

أهمية قضية الصحراء في النظام السياسي المغربي تحددها عوامل موضوعية وتاريخية وسياسية في تداخل متناغم ومتين. ولعل من العوامل المهمة التي لا مناص من البدء بها، نجد العامل التاريخي. بحيث شكلت الصحراء دائما جزءا لا يتجزأ من المغرب في حدوده التاريخية. إلى درجة لا يمكن معها تخيل هذا الكيان السياسي بدون صحرائه. وتاريخيا ظهرت تيارات سياسية وأسر حاكمة وتوجهات فكرية منبعها الصحراء، كان لها الدور الحاسم في مجريات الأمور في المملكة. بحيث لا يمكن فهم التاريخ المغربي واستيعابه دون "العامل الصحراوي".⁵⁸³ وهو ما يفسر الإجماع الحاصل اليوم بين كل فئات الشعب المغربي حول هذه القضية كنوع من الوعي التاريخي و يقين و عدم شك في مركزية العامل الصحراوي في بلورة وإيجاد ما يعرف اليوم بالأمة المغربية .

أما على المستوى السياسي فقد عملت المؤسسة الملكية على جعل قضية الصحراء واستكمال الوحدة الترابية براديوغما محوريا في فهم الفعل السياسي الداخلي والتحرك الدبلوماسي الخارجي .

⁵⁸²- J. I Alguero Cuervo . Op-cit P: 138.

⁵⁸³- Alfonso De La Serna, Op –cit P: 235.

وقد استندت الملكية في ذلك إلى الفصل 19 الذي يعتبر الملك "أمير المؤمنين الممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات وهو الضامن لإستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة"⁵⁸⁴ وهو الفصل الذي شكل لازمة في كل الدساتير المغربية ويسند استكمال الوحدة الترابية وحمايتها والسهر عليها للملك. فالنزاعات الترابية التي عاشتها الدبلوماسية المغربية شكلت صميم اختصاص الملك.⁵⁸⁵ وهو ما أعطت المثال عليه الممارسة في تدبير ملف الصحراء .

وقد شكلت الظرفية السياسية التي عاشها المغرب في منتصف الستينيات من القرن الماضي والتي كانت وراء إعلان حالة الاستثناء من طرف الملك، ثم ما تلاها من تمرد المؤسسة العسكرية من خلال انقلابين متتاليين. عوامل حدثت بالملك إلى تسخير قضية الصحراء في الوصول إلى الإجماع الوطني بين كل التيارات وتأجيل الإجابة عن إشكالات حارقة في تاريخ المغرب من أجل "القضية المقدسة" المتمثلة في استكمال الوحدة الترابية باسترجاع "الصحراء المغتصبة". والنتيجة أنه بالاستناد إلى قضية الصحراء تم تحديد مجموعة من المنافسين للنظام وعلى رأسهم جيش التحرير، القيادات الحزبية والنخب العسكرية الجامعة.

وبالإضافة إلى ذلك شكلت القضية عاملا معززا للشرعية السياسية للنظام. من خلال ربط الملك الحسن الثاني بصفة "الملك الموحد" أي الموحد للبلاد بحيث وجد قضية تشكل محور حكمه.⁵⁸⁶

ونظرا للنجاحات التي تحققت في ملف قضية الصحراء وعلى رأسها حدث المسيرة الخضراء، الذي تعاملت معه الدعاية الرسمية "كمعجزة" و"سابقة" وغيرها من النعوت التي تصب في تمجيد صاحب الفكرة. ولاحقا شكلت أيضا نهاية الحرب والنزاع المسلح حول

⁵⁸⁴ - الفصل 19 من الدستور المغربي.

⁵⁸⁵ - الحسان بوقطار: "السياسة الخارجية المغربية: الفاعلون والتفاعلات". شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع الرباط الطبعة الأولى 2002 ص: 18.

⁵⁸⁶ - Khadija Mohsen-Finan : 'Sahara occidental : les enjeux d'un conflit régional' CNRS ;éditions ;paris 1997 p: 38

الصحراء، رصيда مضافا من الشرعية للعرش، خاصة في ظل استفراد الملك بالعمل الخارجي وتشبثه بالممارسة الفردية في هذا المجال⁵⁸⁷.

وعموما كان من نتائج هذه المركزية والأهمية التي تحظى بها قضية الصحراء في النظام السياسي المغربي تأثيرات على علاقته بالجارة الشمالية. حيث استعملت من طرف الاسبان كأداة للسياسة الخارجية ووسيلة للضغط على المغرب،⁵⁸⁸ للحصول على التنازلات في ملفات أخرى. وهو ما سنتطرق له لاحقا. وبالنظر إلى أهميتها بالنسبة للنظام السياسي المغربي فقد شكلت المحرك الأساسي لعلاقاته الخارجية بصفة عامة وعلاقاته باسبانيا بصفة خاصة. بحكم ارتباطها التاريخي بالمنطقة. وهو ما سيعطي هذه القضية رصيда تفسيريا للكثير من التقلبات التي عرفت علاقات البلدين.

ثانيا: الحضور الفاعل لقضية الصحراء في الانتقال الديمقراطي الاسباني :

بالنسبة للطرف الاسباني هو الآخر، حضور قضية الصحراء لم يخل من إثارة على مستوى الثقافة السياسية الداخلية الاسبانية. فقد شكل الموضوع احد المحاور الساخنة في الجدل الذي دار إبان الانتقال الديمقراطي للبلاد .

فقد شكلت قضية الصحراء اللدنة والاسمنت الذي يجمع كل القوميات والتيارات السياسية المتصارعة والمتناقضة. فقد جسدت القضية نوعا من الإجماع والأرضية المشتركة التي تقف عليها مطمئنة.

فسنوات الديكتاتورية الفرانكووية، وما سبقها من حرب أهلية شرذمت وبلقنت خارطة السياسية الاسبانية. وتمخضت عنها تيارات سياسية تعرف فيما بينها تناقضا وجوديا. وهي التيارات والأحزاب التي ستجد في قضية الصحراء الملاذ، ونقطة الإجماع المشتركة فيما بينها. من خلال دعم "حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره"، وهو ما أصبح موجة سياسية وموضحة لما بعد فرانكو.

⁵⁸⁷-الحسان بوقنطار، مرجع سابق ص : 25

⁵⁸⁸- Bouchra Boudchiche Boucetta : "marruecos y España en la política de seguridad del mediterráneo", Coordinador de la edición : instituto de estudios hispano-lusos ;Rabat 1ra edición ; diciembre ;2008 P: 116.

علاوة على أن القضية شكلت من منظور آخر؛ موضوع جدال ومحور تعبئة سياسية. فقد شكلت بالنسبة لليساار الإسباني الحديث العهد بالعمل السياسي العناني ذريعة للنضال من أجل الحقوق المدنية والسياسية في إسبانيا. من خلال تنظيم التظاهرات والأنشطة السياسية المختلفة تضامنا مع الشعب الصحراوي وعدالة قضيته. كما رأت في الكفاح المسلح لجبهة البوليساريو تجسيدا للمثال والنموذج الثوري الذي كانت تطمح من خلاله إلى تغيير الوضع الداخلي في إسبانيا بدل، ما آل إليه الوضع من توافق سياسي سلمي حول الإصلاحات السياسية والدستورية في البلاد.⁵⁸⁹

أما بالنسبة للأحزاب القومية والجهوية وعلى رأسها الحزب القومي الباسكي و حزب اليسار الجمهوري في كطالونيا والحزب القومي الغاليسي من بين آخرين؛ فقد وجدت ذاتها في قضية الصحراء واعتبارها انعكاسا وتشابها مع نضالها ضد الدولة المركزية الإسبانية حول الاستقلال والانفصال بناء على خصوصية ثقافية وسياسية وتاريخية. وهو ما اعتبر المحرك الأساسي لتعاطفها المطلق مع "حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره" كنموذج لنضال قد تخوضه هي نفسها يوما ما .

في حين أن مركزية قضية الصحراء لدى التيارات الفرانكوية واليمينية تمتد وتستمد أهميتها من عاملين:

الأول مرتبط بالصراع الطويل الذي خاضته مع المغرب حول هذا النزاع قبل سنة 1975 وقيام المسيرة الخضراء، وما عرفه الوضع من كرف و فر بين الطرفين. والذي انتهى بانتصار مغربي بضم الصحراء في ظروف داخلية إسبانية كارثية بالنسبة لهذا التيار تمثل في موت "الكوديو" الزعيم فرنكو. وهو ما لم تغفره هذه التوجهات والتيارات للمغرب. لتجعل من الصحراء ومواقفها المعادية لمغربيتها نوعا من رد الدين .

⁵⁸⁹ - Bernabé López García ; Op cit P 287 J.I Alguero Cuervo .Op cit P 211 et 274.

والعامل الثاني تجسده "المسؤولية المعنوية"⁵⁹⁰، "عقدة الذنب"⁵⁹¹، "خيانة الشعب الصحراوي"⁵⁹² التي تشعر بها التيارات اليمينية خاصة والإسبانية عامة من عدم القيام بدورها كقوة مسيرة للإقليم سابقا، وتخليها عن الصحراويين دون استشارتهم. علاوة على فشلها في تجسيد حق تقرير المصير على الواقع من خلال الاستفتاء الذي وعدت به⁵⁹³. وجسد أيضا هذا الحضور لقضية الصحراء في الانتقال الديمقراطي الإسباني أولا وفي الثقافة السياسية الإسبانية بعد ذلك، الخلافات التي قامت بين الحزبين الرئيسيين في البلاد حول الاتفاق الثلاثي : اتفاق مدريد الذي تم توقيعه مع المغرب وموريتانيا. ففي حين يؤمن حزب اتحاد الوسط الديمقراطي بشرعية ومصادقية الاتفاق وأهميته في عدم الزج بالبلاد في حرب قد تكون لها عواقب وخيمة على استقرارها السياسي. نجد الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني يرفضه ولا يعترف بأهميته من وجهة نظر القانون الدولي.⁵⁹⁴ على اعتبار أنه تنازل عن التسيير والإدارة ولم يمنح المغرب السيادة على الإقليم. وحسب ميغيل إرناندودي لاراميندي فقد :

"كان لقضية الصحراء تأثيرا في تكوين الثقافة السياسية للانتقال، فالرؤى المتناقضة التي أفرزها مسلسل إخلاء الاستعمار برزت طيلة "الحملة الإعلامية حول مسلسل إخلاء الاستعمار من الصحراء الغربية" التي نظمتها لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب بين 13 و 16 مارس" 1978⁵⁹⁵.

الحضور السياسي هذا لقضية الصحراء في الجدل السياسي الداخلي الإسباني في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجارة الشمالية، كان من أبرز ما تمخض عنه وأخطره على العلاقات الإسبانية المغربية، التعاطف الكبير مع جبهة البوليساريو وخلق رأي عام إسباني معادي للمغرب على خلفية مسلسل تصفية الاستعمار في الإقليم، الذي سبق وأن اشرنا إليه آنفا .

⁵⁹⁰- BACHIR EDKIL "relaciones hispano –marroquíes : vecinos incomunicados" in Carla Fibra García – Sala Op cit P: 93.

⁵⁹¹- كرسى الاعتراف مع : اغناسيو صيمبريرو (الحلقة 05) المساء عدد 65 في 04 دجنبر 2006 ص : 20.

⁵⁹²- Interview avec Ignacio Cembrero: Telquel N: 227.

⁵⁹³- Khadija Mohsin –Finan Op –cit P 104.

⁵⁹⁴- ميغيل إرناندودي لاراميندي "السياسة الخارجية للمغرب" ص : 319 .

⁵⁹⁵- نفس المرجع السابق ص : 361.

ومن أبرز المؤشرات على ذلك انتشار جمعيات الدعم "للشعب الصحراوي" منذ سنة 1976 حيث أنشئت جمعية "الصداقة والتعاون مع الشعب الصحراوي" في برشلونة مع مطلع السنة.⁵⁹⁶ وفي 12 يناير 1976 "جمعية أصدقاء الصحراء في مدريد"⁵⁹⁷ و"جمعية كناريا للتضامن مع الشعب الصحراوي" في 16 يناير 1976.⁵⁹⁸ لتتوالى الجمعيات في مختلف المدن الإسبانية. وفي 14 نونبر 1977 بعد سنتين من توقيع اتفاق مدريد سيوقع 33 حزبا سياسيا و تنظيمات ديموقراطية اسبانية: "تصريحا مضادا لإتفاق مدريد contra declaración de Madrid" والذي تطالب فيه باتخاذ إجراءات "قائمة على الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الصحراوي وبمصالح الشعوب الإسبانية"⁵⁹⁹.

كما انه خلال 25 سنة الأخيرة أنشئت في اسبانيا أكثر من 450 جمعية مساندة للبوليساريو. كما أجرت أزيد من 250 مدينة وقرية اسبانية توأمة مع مخيمات تندوف. وهو دعم تواصل إلى يومنا هذا؛ من خلال إنشاء أكثر من مائة موقع انترنيت للدعاية الانفصالية⁶⁰⁰.

ناهيك عن 9000 طفل صحراوي يقضون شهرين من فصل الصيف من كل سنة في ضيافة عائلات اسبانية. وهو ما يخلق نسيجاً اجتماعياً مالياً للانفصال يزداد قوة مع كثافة الزيارات التضامنية التي يقوم بها العديد من الاسبان لمخيمات اللاجئين بتندوف⁶⁰¹. وامتد هذا التعاطف ليصل أوجه مع المؤسسة التشريعية. ففي شهر مارس 2001 أسست جميع الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان باستثناء الحزب الشعبي لجنة تحت اسم "السلام للشعب الصحراوي" من أبرز أهدافها الوقوف في وجه الحل السياسي لقضية الصحراء⁶⁰².

وأبرز سمة لقضية الصحراء في اسبانيا الديموقراطية، أنها تحولت إلى حصان

⁵⁹⁶ -I Alguero Cuervo Op –cit P : 280.

⁵⁹⁷ -Ibid p: 281.

⁵⁹⁸ - Ibid p: 251.

⁵⁹⁹ -Ibid P: 286.

⁶⁰⁰ - حسين مجدوي، مرجع سابق، ص : 163.

⁶⁰¹ -كرسي الاعتراف مع :اغناسيو صيمبريرو (الحلقة 05) المساء عدد 65 في 04 دجنبر 2006 ص : 20.

⁶⁰² - حسين مجدوي، مرجع سابق ص : 163.

طراودة للأحزاب السياسية اليمينية منها واليسارية. من خلال استغلالها انتخابيا في الجدل السياسي من جهة. والاستقطاب والانتشار من جهة أخرى .

المطلب الثاني: اسبانيا الديمقراطية وتأثير قضية الصحراء على علاقات البلدين
ما أسلفنا من أهمية لقضية الصحراء في صفتي المتوسط؛ يدفعنا إلى تعميق البحث في هذا المتغير. خاصة بعد منتصف ثمانينيات القرن الماضي الذي صادف حراكا سياسيا مهما على مستوى ملف الصحراء. تجسد في حضور معطى تقرير المصير في مرحلة أولى كحل للقضية (الفقرة الأولى) و في ظهور مقاربات للحل السياسي في المرحلة ثانية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: العلاقات المغربية الإسبانية في ظل معطى "تقرير المصير"
و هي المرحلة التي غطت فترة سيطرة الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني على الحكم. ما يدفعنا إلى مناقشة مقاربتها لقضية الصحراء و تأثير ذلك على علاقات البلدين (أولا) ثم بعد ذلك حكومة أثنار الأولى. وما تزامن معها من إحباطات على مستوى تنزيل مخطط التسوية الأممية (ثانيا) .

أولا: الحكومات الاشتراكية ومقاربة مشكل الصحراء

المرحلة الديمقراطية في اسبانيا لها ما قبلها. فالحزب الاشتراكي العمالي الإسباني بزعامة فليبي غوتزالس والذي سيهيمن على المشهد السياسي الإسباني لمدة طويلة. كان يشكل العمود الفقري للتنظيمات اليسارية التي تحدثنا عن استعمالها لقضية الصحراء كألية ووسيلة ضغط سياسي في الداخل من خلال الانخراط في الدفاع عن "حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره" والتعبئة للتعاطف الواسع مع الطروحات الانفصالية . خاصة أمام التقارب الإيديولوجي بين جبهة البوليساريو والحزب.

بيد أنه مع وصول الحزب للحكم في 28 أكتوبر 1982؛ ظهرت معطيات أخرى لدى سادة اسبانيا الجدد. بحيث أن للحكم إكراهاته؛ كما أن للمغرب أوراق ضغطه الكثيرة في العلاقات الثنائية . والكفيلة بجعل قاطن "المونكلوا" يعيد ترتيب حساباته .

فالموقف الأساسي للحكومة الاشتراكية من قضية الصحراء هو أن الأمر يتعلق بقضية تصفية استعمار غير تامة إلى حدود إقامة استفتاء يعبر من خلاله "الشعب الصحراوي" عن مصيره. وهو الأمر الذي تسبب في أزمة في العلاقات الثنائية للبلدين مع وصول الحزب إلى الحكم. لن يتم تجاوزها إلا مع الزيارات الأولى للمسؤولين الاشتراكيين للمغرب.

فقد كان أول الواصلين إلى الرباط وزير الخارجية "فرناندو وموران" في 23 دجنبر 1982 وسيعود وفي جعبته تمديد لإتفاق الصيد البحري لمدة ستة أشهر⁶⁰³. وفي زيارة ثانية سيأتي مرفوقا برئيس الحكومة فليبي غونزاليس في 29 مارس 1983⁶⁰⁴. وستثمر هذه اللقاءات امتناع إسبانيا عن التصويت على التسويات المتعلقة بقضية الصحراء إلى حدود سنة 1984⁶⁰⁵. وهو ما سيوافق الفترة التي سيقبل فيها المغرب بالاستفتاء كتجسيد لمبدأ حق تقرير المصير. الأمر الذي سيزيح الضغط عن الدبلوماسية الإسبانية التي ستتمترس خلف التوصيات الأممية كملاذ لها من إكراهات الخلافات الابين-مغربية من جهة. ومن جهة ثانية؛ الضغوطات المغربية التي تعطي أولوية لاستكمال وحدته الترابية. وتتوسل من أجل ذلك بالضغط في مجالات حساسة بالنسبة للطرف الإسباني على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والاستراتيجي. وخير نموذج على ذلك ملف الصيد البحري والمطالبات الترابية بسبتة ومليلية والجزر التابعة لها.

والسلوك الإسباني هذا؛ المتمثل في التصويت على التوصيات الأممية الداعية إلى تقرير المصير. سيتم توصيفه بـ "الحياد السلبي" الذي سجل نوعا من التراجع الإسباني الرسمي في قضية الصحراء. فالحكومة الاشتراكية في هذه الفترة وضعت نصب أعينها العمل على الواجهة الأوروبية من خلال البحث عن الانضمام للمجموعة الأوروبية كهدف استراتيجي.

⁶⁰³ -Miguel H.de Larramendi y Jesus A. Núñez Op- cit p 149.

⁶⁰⁴ - Ibid. P :150.

⁶⁰⁵ -محمد العربي المساري "30 سنة: مسيرة من لاهاي إلى بيكر" ص : 227

وعلى صعيد آخر أصبح لديها اهتماما اقتصاديا بالسوق المغربية، تجلى في نهج سياسة تعاونية مع هذا الأخير.⁶⁰⁶ وساهم في هذا التوجه، التوتر الكبير الذي عرفته علاقات الحكومة الاشتراكية لفلبي غونزاليس بجهة البوليساريو. حيث قامت هذه الأخيرة بقصف قارب الصيد الإسباني "جونكيتو JUNQUITO" وسفينة خفر السواحل "توغوماغو" في 20 شتنبر 1985. الحدث الذي سيكون من ارتداداته إغلاق مكاتب الجبهة في إسبانيا وطرد جميع ممثليها.⁶⁰⁷

وتماشيا مع نسق التحليل أعلاه؛ ستستفيد هذه الإستراتيجية الإسبانية من التقارب المغربي الجزائري وفتح الحدود بين البلدين. علاوة على السياسة الإسبانية الشاملة في المنطقة المغربية والتي سيأتي ذكرها فيما بعد، والمبنية على تعزيز التقارب والتعاون بينها وبين الأطراف المغربية وخاصة المغرب.

كل ما تقدم، لم يمنع أن تظل قضية الصحراء وفية لنهجها في تأزيم علاقات البلدين من حين لآخر. فقد تم إلغاء الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها الملك الحسن الثاني لإسبانيا في نونبر 1988 على خلفية تصويت هذه الأخيرة على توصية للأمم المتحدة، كانت الجزائر من ورائها وتدعو إلى تنظيم استفتاء لتقرير مصير الشعب الصحراوي. مسبقا بمفاوضات مباشرة بين المغرب وجبهة البوليساريو.⁶⁰⁸

هذا التوتر على مستوى قضية الصحراء سينعكس مباشرة على كل المجالات وعلى رأسها المطالبة التي كان وراءها وزير الخارجية المغربي عبد اللطيف الفيلالي بضرورة تحرير سبتة ومليلية والجزر التابعة لها وإرجاعها إلى المغرب وذلك في 07 أكتوبر 1988. ولن تنتفس الحكومة الاشتراكية الصعداء إلا بعد اتخاذ مجلس الأمن قراره رقم 621 في شتنبر 1988 والذي سيعتبر الانطلاقة الحقيقية لمسلسل التسوية الأممي. حيث سيجعل مرحليا علاقات البلدين في مأمن عن الأزمات الدورية المرتبطة بالموقف من قرار

⁶⁰⁶ -ALEJANDRO DEL VALLE GALVEZ .Op cit P :41.

⁶⁰⁷ -Miguel.H.de Larramendi y Jesús .A Nuñez :Op-cit P :152.

⁶⁰⁸ - Miguel H.de Larramendi :''perception espagnole du maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique'' in « le Maghreb ;l'Europe et la France » Op-cit p 165.

قضية الصحراء. فقد توج هذا المسار بإصدار مجلس الأمن قراره رقم 690 بتاريخ 19 ابريل 1991 القاضي بإنشاء بعثة للأمم المتحدة في الإقليم. حيث سميت، بعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء الغربية المعروفة اختصاراً بالمينورسو minurso مهمتها الإشراف والإعداد لمسلسل الاستفتاء على أساس أن يبدأ سريان وقف إطلاق النار في 06 شتنبر 1991.

وخلاصة ما تقدم، أن مشكل الصحراء برهن خلال فترة الحكم الاشتراكي انه قطب الرحي في أي تقارب اسباني مغربي والعكس صحيح. حيث أن الحجم الكبير للمبادلات والاتفاقيات التي تم إبرامها لم تكن لتؤتي أكلها بمعزل عن الانفراج الذي عرفه المشكل. والذي ساهمت فيه المقاربة الواقعية لحكومات فليبي غونزاليس، عبر ترجيح كفة المصالح الاسبانية على الموقف العاطفي السابق للكثير من قيادات الحزب بما فيها رئيس الحكومة نفسه. كما أن إبقاء قضية الصحراء بدون حل يعتبر عائقاً بنيوياً أمام طبيعة علاقات البلدين الهشة. وهو ما سيتبين مداه من خلال دراسة المرحلة اليمينية من عمر الديمقراطية الاسبانية مع خوسي مارية أثنار.

ثانياً: حكومة أثنار الأولى وبداية التوتر في العلاقات الثنائية :

لقد تزامن قدوم حكومة اثنار الأولى سنة 1996 مع واقع الركود والجمود الذي عاشه ملف الصحراء على المستوى الاممي. فعملية التسجيل في اللوائح الانتخابية وتحديد الهوية بدأت تصل إلى الباب المسدود من خلال تضارب وجهات النظر بين الأطراف حول شروط ومعايير هذه العملية .

لكن السياق العام كان هو قبول المغرب بالاستفتاء، كآلية لتقرير المصير والحل النهائي للمشكل. ولتجاوز حالة الجمود التي يعرفها الملف عمل الأمين العام للأمم المتحدة على تعيين جيمس بيكر، كاتب الدولة لدى الخارجية الأمريكية والشخصية الوازنة الذي يحظى باحترام كل الأطراف؛ وذلك في شهر مارس 1997.

والأمر لا يخل من دلالات مرتبطة بالاستتجاد بالدور الأمريكي للوصول إلى حلحلة الوضع وتذليل الصعوبات التي تقف في وجه إقامة الاستفتاء .

وقد انخرطت الحكومة اليمينية لأثثار بقوة في هذه الديناميكية الجديدة وحاولت أن تجد لها موطئ قدم على أرضية إتمام مسلسل التسوية الاممي. والذي بدأ يلوح في الأفق . فقد وضع اثنار طائرة اسبانية خاصة رهن إشارة المبعوث الشخصي للأمم العام في جولته بالمنطقة ما بين 23 و 28 ابريل 1997⁶⁰⁹.

وقد تمخضت هذه الجولة عن المحادثات المباشرة بين المغرب وجبهة البوليساريو في كل من لشبونة ما بين 23 و 24 يونيو 1997. ولندن في 19 و 20 يوليو 1997؛ وصولا إلى اتفاق هيوستن ما بين 14 و 17 شتنبر 1997".

وهو الاتفاق الذي سيحظى بدعم اسباني مطلق ؛ والذي يسير في اتجاه تدليل الصعاب القائمة في وجه الاستفتاء والخوض في المراحل لقيامه. وتزامنا مع هذه المستجدات ستعرف الساحة الاسبانية الداخلية تعبئة نوعية لصالح طروحات جبهة البوليساريو. وستحظى الجبهة بدعم واسع سياسي ومادي. وهو التوجه الذي سيظهر حتى في الدوائر الرسمية. فقد استقبل وزير الخارجية الاسباني ابيل ماتيس رئيس "الجمهورية الصحراوية" بصورة غير علنية في 25 نوفمبر 1997⁶¹⁰. وهذا التوجه الرسمي الجديد سيصيب علاقات البلدين بنوع من الفتور. وهو ما صرح به اثنار بعد ذلك⁶¹¹. ففي زيارته الثانية للمغرب في ابريل سنة 1998 أكد على أن الترحيب والتفهم الذي عرفته القضايا الاسبانية المشتركة مع المغرب والذي كان عنوان الزيارة الأولى؛⁶¹² قد قلت نسبته. علاوة على أن الطرف المغربي طرح بشدة موضوع سبته ومليلية في المباحثات الثنائية رغم أنها لا تدخل ضمن جدول أعمال الزيارة. وهي مؤشرات على خيبة أمل المغرب من المواقف الاسبانية إزاء قضيته الوطنية الأولى .

وفي هذه الأثناء سيعرف الموقف المغربي تغيرا جذريا من مسلسل التسوية الاممي، حيث سيتململ في اتجاه البحث عن حل ثالث. وهو ما سيزكيه العراقي الذي يعيشها هذا المخطط والتي كان من أبرزها عملية تحديد الهوية والاختلاف في وجهات النظر حول

⁶⁰⁹ - محمد العربي المساري : 30 سنة مسيرة من لاهاي إلى بيكر " ص 274.

⁶¹⁰ - التقرير الاستراتيجي للمغرب 1998/97 مجلة أبحاث عدد 47/46 ص 105.

⁶¹¹ - لقد تطرق اثنار في كتابه " retratos perfiles " لهذه المواضيع أثناء رسمه برترية لشخصية الملك الراحل الحسن الثاني .
⁶¹² - Alejandro Muñoz Alonso ; Op-cit p :115.

الجسم الانتخابي. فمن أصل 198649 طلب تسجيل في القوائم الانتخابية تم قبول 86386 الأمر الذي سيفرز أزيد من 100000 طلب طعن⁶¹³.

و هذه الحساسية الجديدة للمغرب من مسلسل تقرير المصير، ستلقي بظلالها على علاقات البلدين. وستعيد من جديد الصورة السابقة التي كانت فيها المواقف الإسبانية المؤيدة لتقرير المصير والتصويت الايجابي على ذلك في منظمة الأمم المتحدة تعتبر نوعا من العقاب على سياسات المغرب نحوها. و وسيلة ضغط لثنيه عن ما يمكن أن يمس بمصالحها. وبالمقابل عامل يدفع المغرب هو الآخر إلى استعمال أوراق ضغطه المتمثلة في المطالبة بسببته ومليية كما اشرنا إلى ذلك أعلاه. علاوة على ملف الصيد البحري والذي سيكون حاضرا بقوة في سنة 1999 على خلفية قضية الصحراء، من خلال رفض المغرب تجديد الاتفاق مع الاتحاد الأوروبي حول الموضوع.

وما يعزز منطق التحليل هذا، أن فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية تقدمت باقتراح في مجلس الأمن في دجنبر 1999 تدعو فيه إلى تجاوز طرح الاستفتاء نظرا للمعوقات التي يعرفها، والعمل على إيجاد حل سياسي تفاوضي لقضية الصحراء⁶¹⁴.

وهو التصور الذي سيعزز بتوصية مجلس الأمن عدد 1309 في سنة 2000 والتي تدعو إلى إقامة حوار صريح وصادق لإيجاد حل للنزاع وبحث كل الوسائل بهدف بلورة حل دائم ونهائي لنزاع.

وتعزز هذا التوجه بإعلان المغرب خلال لقاء برلين تحت إشراف جيمس بيكر في 28-29 شتنبر 2000 أن المعوقات التي تقف في وجه مخطط التسوية ليست تقنية بل سياسية، وهو ما اعتبر إقبالا للمخطط.

وأمام هذا المشهد الجديد لم يعد المغرب يعتبر اسبانيا ذلك البلد الصغير والمتواضع الذي يقبل منه التجاوزات على مستوى قضية الصحراء، بل أصبح ينظر للجارة الشمالية على انها قادرة على التأثير الايجابي في الحل النهائي لقضية الصحراء إذا توفرت الإرادة السياسية لذلك.

⁶¹³ -J.I Aleguero Cuervo Op-cit p : 415.

⁶¹⁴ -عبد الحق دهبي، مرجع سابق، ص 351.

غير أن واقع الأمر في هذه الفترة، التي بدأت فيها الدول الكبرى تتجه نحو الإيمان بالحل السياسي مع بواكير سنة 1999؛ أبدت اسبانيا ترددا واضحا حيث طبعت ممارستها بالانتظارية⁶¹⁵ wait and see. ناهيك بعد ذلك عن معارضتها في الكواليس لهذا الحل السياسي القائم على حكم ذاتي في إطار السيادة المغربية⁶¹⁶. هذا في وقت كان المغرب يرى أن الحل النهائي للمشكل في متناول اليد بالنظر إلى الدعم الفرنسي والأمريكي لوجهة النظر الجديدة. ويعول على الموقف الاسباني لحسم الأمور.⁶¹⁷ وخيبة الأمل المغربية في توجه السياسة الاسبانية من الحل السياسي كان وراء الأزمة التي ستعرفها العلاقات الثنائية للبلدين مع نهاية حكومة اثنار الأولى .

الفقرة الثانية: الحل السياسي وتأثيراته على علاقات البلدين

وهي مرحلة من عمر ملف الصحراء، لم تخل من تأثيرات وارتدادات مازالت علاقات البلدين تعيش على وقعها حتى اليوم. مرورا بحكومة اثنار (أولا) و واقعية الإشتراكي ثباتيرو (ثانيا) وإكراهات الواقع الداخلي الإسباني مع مريانو روكي (ثالثا).

أولا: حكومة اثنار الثانية واندلاع الأزمة السياسية بين البلدين

لقد عرفت الانتخابات الاسبانية في 12 مارس 2000 فوز الحزب الشعبي بأغلبية مطلقة. وإفراز ما سمي بحكومة اثنار الثانية. وقد تميز هذا كما أسلفنا بالتزامن مع الحراك في ملف قضية الصحراء نحو تغليب مسار الحل السياسي .

وهو التوجه الذي سيظهر بقوة مع قرار مجلس الأمن 1349 في 27 ابريل 2001 والداعي إلى إيجاد حل سياسي متوافق عليه لمشكل طال أمده. والجهود المبذولة في هذا الإطار من طرف المبعوث الأممي الخاص جيمس بيكر سنثمر مشروعه الأول الذي أعلن عنه في تقرير الأمين العام كوفي عنان بتاريخ 22 يوزيو 2001 تحت مسمى "اتفاق الإطار" والقائم أساسا على مبدأ لا غالب ولا مغلوب. والذي سيصادق عليه مجلس الأمن بعد مباحثات شاقة في 29 يونيو 2001.

⁶¹⁵ -Alejandro Muñoz Alonso Op-cit p :397.

⁶¹⁶ -Ali Aalaoui Op-cit p :84.

⁶¹⁷ - حوار مع :ميغيل إرناندو دي لا راميندي، في إطار "المغرب اسبانيا :حوار العدوتين" انجاز :نادية بنسلام . العلم عدد 19734 في 02 يونيو 2004 ص 05.

بيد أن أهم الترتيبات التي جاء بها اتفاق الإطار، تبقى ممارسة سكان الصحراء عن طريق هيئات تنفيذية وتشريعية وقضائية؛ السلطة الكلية على إدارة الحكم المحلي (الميزانية، النظام الضريبي الإقليمي، الأمن الداخلي، الرعاية الاجتماعية والثقافية، التعليم؛ التجارة، النقل، الزراعة، التعدين، الصيد البحري، الصناعة، السياسات البيئية، الإسكان والتنمية الحضرية، المياه والكهرباء، الطرقات والبنيات الأساسية الأخرى) على أن تحتفظ الدولة المركزية المغربية بالسلطة الكلية على العلاقات الخارجية بما فيها الاتفاقيات الدولية وحمايتها بجميع الوسائل الملائمة. وجميع المسائل المتعلقة بإنتاج الأسلحة والمتفجرات وبيعها وحيازتها واستخدامها والمحافظة على السلامة الإقليمية من أي محاولات انفصالية من داخل الإقليم أو خارجه.

وبالإضافة إلى ذلك يكون العلم والعملية والجمارك ونظم البريد والاتصالات المعمول بها في المغرب هي نفسها المعمول بها في الصحراء. وفيما يتعلق بجميع هذه المهام والصلاحيات يمكن للمغرب أن يعين ممثلين عنه لممارستها .

وخلال فترة السنوات الخمس التي تلي اتخاذ الإجراءات الأولية لتنفيذ هذا الاتفاق الإطار؛ يطرح وضع الصحراء على استفتاء للناخبين المؤهلين في تاريخ يتفق عليه الطرفين . ولكي يكون الناخب مؤهلا للتصويت في هذا الاستفتاء يجب أن يكون قد أقام بصورة دائمة في الصحراء طيلة السنة التي تسبق الاستفتاء .

وهذه الإجراءات تصب كلها في حفظ مقومات السيادة وجعلها في صالح المغرب، وإبقاء الباب مفتوحا على مستوى السلطة التنفيذية والتدبير اليومي لمنطقة الحكم الذاتي. وهو ما أعتبر ايجابيا جدا من طرف المغرب. وزاد من أهمية الحدث، الدعم الدولي الذي لقيه هذا الطرح، وهو الدعم الذي استثنى منه الموقف الإسباني المؤثر. فحكومة اثنار لم تبد أي حماس لاتفاق الإطار.⁶¹⁸ ناهيك عن الغموض والتخبط في التصريحات الرسمية، وما سيبقى ثابتا هو رفضها لأي اتفاق لا تقبله أطراف النزاع سلفا⁶¹⁹.

⁶¹⁸ -Alejandro Muñoz Alonso Op-cit p :407.

⁶¹⁹ - Ibíd. ; p :416.

وعلاوة على ذلك فقد حمل العديد من المراقبين الأسبان رئيس حكومتهم اثنار مسؤولية فشل وإغراق اتفاق الإطار وعمله ضد هذا الأخير في كواليس مجلس الأمن⁶²⁰. فقد وجد هذا المشروع العلاقات المغربية الإسبانية في أسوأ فتراتهما⁶²¹. استنادا إلى مواقف حكومة اثنار من قضية الصحراء، وتأثيرات ذلك على تجديد اتفاق الصيد البحري مع الاتحاد الأوروبي .

وما سيزيد الطين بلة، الدعم الكبير الذي استمرت جبهة البوليساريو في تلقيه داخل إسبانيا برعاية مؤسسية رسمية واضحة. ومن أهم المؤشرات على ذلك تأسيس لجنة "السلام للشعب الصحراوي" مشكلة من كل التيارات السياسية داخل البرلمان . حيث جعلت من ابرز أهدافها الوقوف في وجه أي حل سياسي لقضية الصحراء والعمل على إفشاله⁶²². كما شكلت كل البرلمانات الجهوية رفقة البرلمان الوطني، لجنة موسعة تضم سبعين نائبا، ترسم لنفسها نفس أهداف اللجنة السابقة⁶²³.

وكانت قاصمة الظهر، هي الاستفتاء الذي نظمه نواب البرلمان الأندلسي لصالح البوليساريو، والذي تبعه بقليل الحدث البارز في علاقات البلدين والمتمثل في استدعاء السفير المغربي بمدير للتشاور لمدة غير محددة⁶²⁴. وهو إجراء توج التوتر الذي عرفته هذه العلاقات. حيث يعتبر عملا دبلوماسيا عبر من خلاله المغرب عن عدم رضاه على السياسات الإسبانية تجاهه وتجاه قضايا الوطنية .

وسيعتبر سحب السفير هذا ايدانا بالأزمة الحادة التي ستعيشها علاقات البلدين في السنوات الثلاث القادمة . ونعتبر أن السبب الحقيقي والرئيسي في تدهور هذه العلاقات؛ ووصولها مستوى الأزمة؛ قائم بالأساس على قضية الصحراء . ومواقف إسبانيا منها

⁶²⁰ -I. CEMBRERO Op-cit p :257.

⁶²¹ -Bouchra Boudchiche Boucetta: "marruecos y españa en la politica de seguridad del mediterraneo" Op-cit p : 128.

⁶²² -Bernabé Lopez Garcia ; Miguel Hernando De Larramendi : "España y el norte de africa hacia una estabilidad dinamica" in revue: paix et sécurité internationales ; dossier ; les relations maroco-espagnol N : 01 juin 2003 ; p 39.

⁶²³ -حسين مجدوبي، مرجع سابق ص 163.

⁶²⁴ -Chronologie des relations politiques maroco-espagnoles(1999-2002) in revue ;paix et sécurité internationales Op-cit p 153.

وتحركاتها الدولية على هذا الصعيد. فقد أعلن وزير الخارجية المغربي لاحقا الطيب الفاسي الفهري أن: "السير الجيد لعلاقتنا يرتبط ب 90 ٪ بما ستقوله اسبانيا حول الصحراء"⁶²⁵.

وأضاف قائلا في نفس السياق: "موقف اسبانيا حول الصحراء يحدد بشكل كبير حرارة العلاقة بين المغرب واسبانيا"⁶²⁶. وهو ما أكدته وزير الخارجية الاسباني السابق خوسي بيكي بقوله: "في عمق الخلاف مع المغرب هناك الصحراء"⁶²⁷، وهو نفس ما ذهب إليه خورخي ديسكايار، سفير اسباني في المغرب سابقا؛ ورئيس المخابرات الاسبانية في فترة اندلاع الأزمة، في حوار خص به جريدة الباييس في 28 ابريل 2002 :

"عدم رضى المغرب عن موقف اسبانيا من موضوع الصحراء كان له دور في سوء الفهم المتبادل هذا"⁶²⁸.

ورغم أن المغرب قدم بعد ذلك على لسان وزير خارجيته محمد بنعيسى أسبابا متعددة للأزمة المعلنة حينها بين البلدين. إلا أن حصة الأسد استأثر بها الموقف الاسباني من قضية الصحراء⁶²⁹. و خصوصا معارضة التوجه الدولي الذي بدأ يرتسم حول الحل السياسي للقضية .

بالإضافة إلى أن الأزمة السياسية بين البلدين قد زاد من عمقها، استمرار المواقف السلبية الاسبانية تجاه قضية الصحراء. ومن أهم هذه المعطيات تجند الدبلوماسية الاسبانية في زمن اثار للتأثير على الموقف الأمريكي الداعم للحل السياسي. وذلك باستثمار التحالف الذي نشأ بين الدولتين في إطار الحملة الأمريكية على الإرهاب الدولي، ومساندة حكومة أثنار المطلقة لمواقف الحكومة الجمهورية للرئيس جورج بوش الابن. والتي أحدثت رجة قوية في الأوساط الأوروبية. فقد استثمر اثنار العلاقات الشخصية التي أصبحت تربطه

⁶²⁵- I.Cembrero Op-cit p :87.

⁶²⁶- Ibid.p :87.

⁶²⁷- Ibid .

⁶²⁸ -Belguendouz Abdelkrim :'' l'ahrig du Maroc l'Espagne et l'UE : plus d'europe ...sécuritaire'' boukili impression ;kenitra maroc ; juin 2002 p : 24.

⁶²⁹- Laura Feliu y Monica Salomon :''territorios en aguas turbulentas ; la crisis entre España y marruecos '' in revue paix et sécurité internationales Op-cit p :84.

بالرئيس الأمريكي لتغيير مواقفه من قضية الصحراء. فقد شكل هذا الملف إحدى النقاط التي أدرجها في جدول أعمال زيارته لأمريكا في 04 و 05 ماي 2002⁶³⁰.

وفي 07 ماي 2002 صرح "مغيل ندال"، كاتب الدولة في الخارجية الإسبانية بأن: "الاحتلال المتزايد للتراب الصحراوي من طرف المستوطنين المغاربة يجعل حل نزاع الصحراء الغربية أكثر صعوبة"⁶³¹.

وهي معطيات ستؤزم الوضع القائم بين الطرفين. وظلالها وتأثيراتها كانت من العوامل المساهمة في دفع الوضع نحو أحداث جزيرة ليلى في يوليوز من سنة 2002 وهي التي كادت أن تفرز نزاعا مسلحا بين الطرفين.

وعلاوة على ما تقدم، تميزت حكومة اثنار الثانية على مستوى العمل الخارجي بظهور توجه لدى رئيس الحكومة مبني على دفع اسبانيا إلى الصفوف الأمامية في السياسة الدولية، من أجل لعب دور أكبر. وهو ما عبر عنه صراحة "المخطط الاستراتيجي للعمل الخارجي" الذي تقدم به وزير الخارجية آنذاك خوسي بيكي أمام البرلمان⁶³². وتجسد في التقارب الكبير مع الولايات المتحدة. حيث سيجعل اثنار من قضية الصحراء في بحثه عن مكان بين الكبار على المستوى العالمي، حسان طراودة بالنظر إلى ارتباط شبه الجزيرة الأيبيرية بالملف من خلال تاريخها الاستعماري في المنطقة. وفي رحلة البحث عن الذفوذ هذه سيشكل الدفاع عن مبدأ حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره سلاحا لدبلوماسية الجارة الشمالية.

هذه التحركات والفعل الدبلوماسي الإسباني في ارتباط بقضية الصحراء، على ضوء المعطيات السالف ذكرها؛ ستسفر عن قبر اتفاق الإطار، واستبداله بتنسيق أمريكي؛ بما سيعرف ب "خطة السلام للحكم الذاتي في الصحراء الغربية" أو بيكر اثنان. والتي تمت المصادقة عليها بقرار عن مجلس الأمن رقم 1495 في يوليوز 2003. وقد حملت هذه

⁶³⁰ -A. Belguendouz Op-cit p : 25 Et :I.Cembrero Op-cit p : 51.

⁶³¹ - Carla Fibla Garcia Sala Op-cit: p : 12 .

⁶³² -Rafael Garcia Pérez'' España en un mundo en cambio :a la búsqueda de la influencia internacional (1986-2002)'' in ;''la política exterior de España (1800-2003)'' ;Juan Carlos Pereira (cood) ; p: 545.

الخطة البصمة الإسبانية المتمثلة في إقرار الوضع النهائي من خلال الاستفتاء الذي قد يفضي إلى الاستقلال التام. وهو ما عارضه المغرب بشدة داعيا إلى الرجوع إلى المنهجية السياسية لحل المشكل .

المسار الجديد الذي اتخذته الأحداث وفاعلية اسبانيا في ثني الأمريكيين عن الحل السياسي. والدعم الغير المشروط الذي كانت تتلقاه البوليساريو في اسبانيا؛ أشياء لن يغفرها المغرب لحكومة اثنار الثانية. بحيث انه لن ترجع علاقات البلدين إلى سابق عهدها إلا مع تغير الوضع الداخلي في اسبانيا ووصول الاشتراكي ثباتيرو إلى الحكم في انتخابات مارس 2004.

فما هو تأثير تصورات سادة اسبانيا الجدد من قضية الصحراء؟ وما طبيعة العلاقة التي ستجمعهم بالمغرب؟

ثانيا: إيمان ثباتير بالحل السياسي وانعكاسه على علاقات البلدين :

بعد الأزمة الحادة والتاريخية التي عاشتها علاقات البلدين في حقبة اثنار الثانية، ستعرف الأمور انقلبا جذريا مع وصول ثباتيرو الاشتراكي الشاب إلى قصر المونكلوا. والمطلع على الفكر السياسي للرجل لن يستغرب هذا التحول. ففي علاقة بالمغرب تؤثت تصوراته عدة توجهات لا يمكنها أن تصب إلا في اتجاه تعزيز علاقات التعاون بين البلدين. ولعل من أهمها، اعتبار المغرب والعلاقات الجدية معه صمام أمان للأمن القومي الإسباني بالنظر إلى الملفات الحساسة والمهمة على جميع الأصعدة التي تجمع بين البلدين.

وهو ما جعله أثناء الأزمة السياسية التي عرفتها فترة اثنار يبادر كزعيم للمعارضة إلى زيارة المغرب وطرح أفكاره المشار إليها أعلاه في مبادرة لتلطيف الأجواء بين الطرفين.

علاوة على أن ثباتيرو ليس لديه أي تعاطف مع مبدأ تقرير المصير وظهور دويلات صغيرة على أسس عرقية وثقافية ضيقة. وهو ما سبق وأعلن عنه في يوليو 2002 بصفته زعيم الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني في الجامعة الصيفية للشبيبة الاشتراكية الإسبانية حيث صرح قائلا:

"لا أعتقد بأن المزيد من تقرير المصير، المزيد من القومية أو بذور الدول المستقلة، سيكون ضماناً للتقدم بالنسبة للشعوب⁶³³".

وقد أردف ذلك بإعطاء نموذج بقضية الصحراء في رفضه لهذا المبدأ. وقوله بالواقعية السياسية التي تضمن مصالح بلاده وتدعم الاستقرار في المنطقة بقوله: "علينا أن نكون متضامنين مع الصحراويين ولكن دون تمسك بأخطاء الماضي"⁶³⁴.

هذه الأفكار والتصورات التي يحملها الرجل والتي طبعت بها حكوماته، هي التي كانت وراء تقدم العلاقات الثنائية للبلدين. وخاصة على مستوى قضية الصحراء التي رهنت التعاون الثنائي في الحقبة الانتارية. فدسب المتتبعين؛ فإن الموقف الإسباني في زمن ثباتيرو تحول من الحياد السلبي، القائم على الاستفادة من استمرار مشكل الصحراء في إذكاء الصراعات المغربية واستفادة إسبانيا من ذلك. إلى نوع من الحياد الإيجابي القائم على فلسفة أهمية حل مشكل الصحراء بالنسبة للمصالح الإسبانية. وضرورة العمل والمساهمة في إيجاد هذا الحل⁶³⁵. وهناك من وضع تصنيفاً آخر قائماً على أساس أن إسبانيا كانت تنتهج حياداً إيجابياً في قضية الصحراء حتى قدوم ثباتيرو⁶³⁶ لتتحول إلى "التدخل الإيجابي" لآعبة دور الوسيط⁶³⁷ من أجل الوصول إلى حل القضية.

التصور المشار إليه أعلاه سيحكم حركة حكومة ثباتيرو منذ الأيام الأولى لتعيينها؛ وسيصبح المحرك والحافز لديها على مستوى مشكل الصحراء، هو الوصول إلى حل سياسي توافقي في هذه القضية. وهو ما أعرب عنه البيان المشترك للزيارة الأولى لرئيس الحكومة الإسبانية إلى المغرب، في أبريل 2004 حيث جاء فيه:

"أن الطرفين يدعوان إلى اعتماد حل سياسي، توافقي عادل ونهائي لقضية الصحراء"⁶³⁸.

⁶³³- I.Cembrero , Op-cit, p : 99.

⁶³⁴- Ibid.

⁶³⁵- خافيير بالنزويلا "اسفار مع ثباتيرو" ترجمة ادريس الكنوري . المساء عدد 219 في 02-03 يونيو 2007 ص: 06.

⁶³⁶- ALEJANDRO DEL VALLE GALVEZ Op cit P : 26.

⁶³⁷-BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA : Op cit P :129.

⁶³⁸- L'OPINION du 26/04/2004.

وسيطلق بعدها ثباتيرو من باريس إثر لقائه بالرئيس الفرنسي جاك شيراك في 29 أبريل 2004 قولته الشهيرة والتي تبين ما ذهبنا إليه سابقا من أولوية حل مشكل الصحراء بالنسبة لحكومة مدريد الجديدة من أن: "قضية الصحراء سيتم حلها في ظرف ستة أشهر" 639.

وفي هذا الصدد تبادل ثباتيرو الأدوار مع وزير خارجيته موراتينوس في التأكيد على الحل السياسي وفي نفس الوقت توجيه الانتقاد للمخطط الاممي القائم على مبدأ تقرير المصير، الذي أصبح المغرب يرفضه جملة وتفصيلا. حيث أشار موراتينوس إلى ضرورة العمل جنبا إلى جنب مع فرنسا للوصول إلى حل سياسي 640. مع الإشارة بعد ذلك إلى أن الاستفتاء يعتبر آلية تقنية وما ينبغي التفكير فيه هو حل سياسي، بدلا من تقنية تقليدية 641. فحسب موراتينوس دائما: "مخطط بيكر ليس مقدسا" 642، وكيف ما كانت التسمية فإن الهدف هو حل يتوافق عليه الأطراف ويحرر المنطقة الدولية من نزاع طال أمده 643.

المواقف أعلاه سيكون لها فعل الترياق عقب التسمم الذي عاشته علاقات البلدين في فترة أذنار. فالتدسن الذي ستعرفه علاقات المغرب بإسبانيا، سيحيلنا إلى فكرة مركزية قضية الصحراء في تحديد طبيعة علاقات البلدين 644.

حيث ستعيش هذه العلاقات مرحلة جديدة من التعاون والانفراج 645. لن يكون توقيع اتفاق جديد للصيد البحري بين المغرب والاتحاد الأوروبي إلا مؤشرا صريحا عليه.

ومن المثير للانتباه أن التطورات الايجابية التي عرفتها بواكير مرحلة حكم ثباتيرو؛ والتي دفعت بالعلاقات الثنائية للبلدين إلى الأمام، ستخرج اللوبي المضاد للمغرب في إسبانيا من الظل. حيث ارتفعت العديد من الأصوات منددة بالموقف الإسباني الجديد من قضية

639-ABOU BAKER JAMAI: "ZAPATERO marocophile suscite l'ire irrédentistes" le journal hebdomadaire du 01^{er} au 07 mai 2004 p : 17.

640- Casimiro Garcia Abadillo : "la venganza" la esfera de los libros 6a edicion ;madrid ; octubre ; 2004 p : 197.

641- محمد العربي المساري :مرجع سابق ص: 282

642- Carla Fibla Garcia Sala Op- cit p : 191.

643- Casimiro Garcia Abadillo Op-cit p : 198.

644-د.الحسان بوقنطار : "2004: المغرب في عالم مضطرب" الاتحاد الاشتراكي في 01 و 02 يناير 2005، ص: 09.

645- حوار مع :ميغيل ارناندو دي لا راميندي، جريدة العلم عدد 19734 في 02 أبريل 2004 ص: 05.

الصحراء . خاصة أن فترة حكم أثنار اعتبرت مرحلة مهمة من عمر هذا اللوبي حيث انتعش أكثر. فمواقف هذا اللوبي كما أشرنا سلفاً، تقف على أرضية صلبة لا يشكل العامل السياسي منها إلا رأس جبل الجليد. ويبقى للعوامل العاطفية والثقافية والتاريخية نصيبها المؤسس على العداء "للمورو".

وأمام هذه التعبئة المضادة سيتم حمل حكومة ثباتيرو على تلطيف مواقفها. فقد عمد أزيد من 400 مثقف إسباني إلى توجيه رسالة لرئيس الحكومة ثباتيرو تدعوه إلى الوقوف عند الموقف التقليدي الإسباني المؤيد لتقرير المصير⁶⁴⁶. ناهيك عن عريضة موقعة من طرف نواب الحزب الشعبي تدعو وزير الخارجية إلى توضيح الموقف الإسباني من داخل البرلمان⁶⁴⁷. وهو ما سيكون له انعكاسات على السياسة الرسمية. منها الرسالة التي بعث بها وزير الخارجية موراتينوس عبر جريدة الموندو في 02 غشت 2005 منددا بالفئات التي لديها حساسية من العلاقات الجيدة بالمغرب⁶⁴⁸.

ولكن بالموازاة مع ذلك سيشير إلى تشبث إسبانيا بثوابتها التاريخية من قضية الصحراء المتماشية مع مواقف الأمم المتحدة⁶⁴⁹، وذلك في خطاب غامض و عام. كما أن العامل الإسباني في زيارته للجزائر سيتبنى نفس الغموض في الموقف⁶⁵⁰. وهو ما يبين حجم الاكراهات التي يعيشها صانع السياسة الخارجية الإسبانية. والتي ستتعرز بتعيين الاشتراكية "ليرا باخين" في منصب كاتبة دولة مكلفة بالتعاون، وهي النائبة التي كانت وراء التعبئة لخلق اللوبي البرلماني المناصر للبوليساريو تحت تسمية "السلام للشعب الصحراوي". والمعروفة بمواقفها المعادية للمغرب⁶⁵¹.

والفكرة التي يعكسها ما تقدم، هي تشرذم النخب الإسبانية فيما يتعلق بالموقف من

⁶⁴⁶ - محمد العربي المساري، مرجع سابق، ص: 297

⁶⁴⁷ - Nadia Hachimi Alaouie : "sahara : comment amorcer le dialogue" le journal ;n 159 du 08 au 14 mai 2004 p : 15.

⁶⁴⁸ - J- I-Alguero Cuervo, Op-cit p : 424.

⁶⁴⁹ - Carla Fibla Garcia Sala, Op-cit p : 183.

⁶⁵⁰ - دافيد البارادو: "العلاقات المغربية الإسبانية الجديدة على خلفية الحكم الذاتي للصحراء"، دفاثر سياسية، عدد، 90 ابريل 2007 ص: 14.

⁶⁵¹ - Abou Baker Jamai : " zapatero morocophile suscite l'ire irrédentistes" le journal hebdomadaire du 01^{er} au 07 mai 2004 P : 17.

المغرب. وإكراه وجود فئة معادية لمسار التقدم في العلاقات الثنائية للبلدين.

لكن يبقى المعطى المهم الذي كشفه مسار الأحداث في السنوات الأخيرة؛ هو اليد الطولى لرئيس الحكومة في رسم توجهات سياسته الخارجية. والتي تم انتخابه على أساسها؛ على اعتبار أنها ليست سرا. وهو ما سيدفع ثباتيرو الى وصم هذه المرحلة بطابع الميول الى المغرب والتعاطف مع قضيته الوطنية الأولى. وهو ما سيظهر في رفضه استقبال زعيم البوليساريو في المونكلوا. إضافة الى امتناع اسبانيا عن التصويت في الجمعية العامة على توصية تؤكد على حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره⁶⁵².

والخلاصة أن انخراط حكومة ثباتيرو في إيجاد حل متفاوض حوله لقضية الصحراء سيفرز قرار مجلس الأمن رقم 1457 في 30 ابريل 2007 الذي يعتبر ثمرة تعاون اسباني - فرنسي ساهم في تثمينه وإعطائه البعد الحقيقي واللازم المبادرة المغربية للحكم الذاتي التي قال عنها مجلس الأمن أنه:

"يرحب بالجهود المغربية المتسمة بالجدية والمصادقية والرامية الى المضي قدما بالعملية صوب التسوية"⁶⁵³.

والقرار يعلن من خلاله مجلس الأمن انه: "يؤكد مجددا بمساعدة الطرفين على التوصل الى حل سياسي عادل ودائم ومقبول للطرفين " ⁶⁵⁴. وقد نوهت رئاسة الحكومة الإسبانية بالقرار في بيان نشرته لاحقا حيث اشارت الى انه: "تم إشراكها بشكل نشيط في المفاوضات المكثفة والمعقدة داخل مجموعة أصدقاء الصحراء بالأمم المتحدة. والتي كانت مثمرة وتمخضت عن نص توافقي حافظ على الشرعية الدولية وقدم في الوقت ذاته قيمة مضافة مهمة على المستوى السياسي⁶⁵⁵.

وبالجملة، فإن ما تقدم يصب في اتجاه الدور الخطير والمهم لقضية الصحراء في تحديد مسار ومصار العلاقات المغربية الإسبانية. وبرز النماذج على ذلك ما أسلفنا من

⁶⁵²- J.I –Alguero Cuervo Op-cit p : 422.

⁶⁵³- نص قرار مجلس الامن رقم 1457، جريدة العلم عدد 20719 في ماي 2007 ص: 04.

⁶⁵⁴- نفس المرجع .

⁶⁵⁵- الاتحاد الاشتراكي، عدد 8547 في 02 ماي 2007 ص: 03.

تدهور وأزمة في فترة حكم أذنان على خلفية الموقف من قضية الصحراء. وما عرفته مباشرة بعد صعود الحكومة الاشتراكية بزعامة ثباتيرو من تقدم وتعاون على خلفية صحراوية أيضا.

وهو ما سيتأكد مع حكوم "مريانو رخوي" اليمينية فكيف ذلك ؟

ثالثا: مرحلة مريانو رخوي وإكراهات الأزمة الاقتصادية :

أمام سيطرة الحزب الاشتراكي العمالي على المشهد السياسي الإسباني، شكل المغرب بالنسبة للحزب الشعبي المعارض، حسان طروادة في عملية الإحراج السياسي المتبادل. وأداة للمنافسة الحزبية مع غريمه. خاصة في ظل الميول مع حكومات ثباتيرو المتتالية لطروحات الجار الجنوبي .

فطيلة سبع سنوات في المعارضة تقدم الحزب الشعبي ب 80 سؤالا في البرلمان للطرف الاشتراكي ذات علاقة بالملفات المشتركة مع المغرب⁶⁵⁶.

وقد شكلت قضية الصحراء قطب الرحى في عملية الإحراج السياسي هذه. فقد اكتسبت في التاريخ السياسي الإسباني، صفة الموضوع الانتخابي بامتياز⁶⁵⁷. ومعول هدم شعبية الحزب الحاكم، خاصة في الفترات الانتخابية⁶⁵⁸.

ومريانورخوي بصفته زعيم الحزب الشعبي المعارض في هذه الفترة؛ عرف بمواقفه السلبية من قضية الصحراء⁶⁵⁹. ويبقى النموذج الصارخ في هذا المضمار تحركات الحزب في البرلمان الأوروبي التي أثمرت قرارا بفتح تحقيق دولي في أحداث مخيم أكديم ايزيك قرب مدينة العيون. وهو ما اعتبره المغرب مسا بسيادته وتطاولا على شؤونه الداخلية. وقد نتج عن هذا الوضع الدعوة إلى مسيرة الدار البيضاء الشعبية في 28 نونبر 2010 للتنديد بسياسات الحزب الشعبي تجاه المغرب وقضيته الوطنية الأولى. حيث عرفت مشاركة ثلاثة

⁶⁵⁶ - التقرير الاستراتيجي المغربي: 2010-2013 الناشر مركز الدراسات والابحاث في العلوم الاجتماعية، منشورات أبحاث التقرير السنوي العاشر 2014 ص: 53.

⁶⁵⁷ - Goytisolo Juan : " el problema del sahara " editorial anagrama ; barcelona 1979 p: 95.

⁶⁵⁸ - Entrevista :EDKHIL BACHIR kantara ;N 08 julio –agosto 2011 p : 118.

⁶⁵⁹ -التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013 ص: 53.

ملايين متظاهر يتزعمهم الوزير الأول عباس الفاسي⁶⁶⁰.

غير أن هذه الرؤية والسياسات من الحزب الشعبي كطرف معارض من داخل المشهد السياسي الإسباني؛ سيكتنفها التغيير والانقلاب الجذري مع تغيير موقع الحزب وزعيمه. فبمجرد وصول مريانو رخوي إلى رئاسة الحكومة سيبدى الكثير من البراغماتية والواقعية السياسية في علاقته بالمغرب. فقد حافظ على تقليد سابقه بأن جعل الرباط أول عاصمة يزورها بعد تقلده زمام الحكم⁶⁶¹.

وكرجل دولة وكرئيس حكومة تحمل المسؤولية في فترة حرجية من التاريخ المعاصر لإسبانيا. توشحت بوشاح الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عصفت بالنموذج الإسباني المتميز، وتمخضت عن نسب بطالة غير مسبوقة. سيعمل مريانو رخوي على إعادة النظر في تصوراته السياسية من المغرب، واضعاً نصب عينيه هدفين أساسيين:

يتمثل الأول في الحصول على أفضلية للشركات الإسبانية في السوق الاقتصادية المغربية وجعلها متنفساً لأزمة الاقتصاد الإسباني.

والهدف الثاني جعل المغرب يلعب دور الدركي في محاربة الهجرة السرية القادمة من جنوب الصحراء. والتي لا قبل للجار الشمالي بها في ظل مؤشرات الأزمة المتزايدة⁶⁶².

وهو ما سيملي على رخوي نهج سبيل الاستمرارية في السياسة الخارجية⁶⁶³ التي كانت متبعة من قبل الحزب الاشتراكي العمالي في فترة لويس رودريغث ثاباتيرو تجاه المغرب. الأمر الذي سينتج عنه تنظيم الاجتماع العاشر رفيع المستوى بين البلدين في الرباط، الذي تمخض بدوره عن وثيقة "إعلان الرباط" التي شكلت بالنسبة لرئيسي حكومة البلدين "مريانو رخوي" و"عبد الإله بنكيران" موعداً للنهوض بالعلاقات الثنائية.

حيث ثمنت وتيرة الحوار الثنائي وكثافة المشاورات السياسية بين البلدين والارتياح

⁶⁶⁰-دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس"، مرجع سابق، ص: 125.

⁶⁶¹- التقرير الاستراتيجي المغربي: 2010 - 2013 ص: 54.

⁶⁶²- التقرير الاستراتيجي المغربي: 2010، ص: 54.

⁶⁶³-دريوش نبيل: الجوار الحذر.. مرجع سابق ص: 130.

لإنعقاد المنتدى البرلماني المغربي الإسباني؛ وتسجيل مأسسته على أساس انعقاده سنوياً⁶⁶⁴. وهي كلها خطوات سياسية تمت بالتزامن مع تغيير مدريد لتوجهها من قضية الصحراء التي تعتبر تيرموتر العلاقات بين البلدين⁶⁶⁵، حيث لم يعد "رخوي" يعبر عن أي موقف معارض لمقترح الحكم الذاتي الذي يلخص تصور الجانب المغربي لحل أشكال قضية الصحراء. وذلك منذ انتخابه على رأس الحكومة. و سيجد في اختطاف عدد من الرهائن الأسبان من قبل محسوبين على جبهة البوليساريو؛ وإتهامه لهذه الأخيرة بالمسؤولية عن ذلك؛ ذريعة لفتور علاقات الطرفين⁶⁶⁶.

ناهيك عن تقليل رئيس الحكومة الإسبانية من الخوض والحديث عن قضية الصحراء. بالنظر لحساسيتها لدى الرأي العام الإسباني. وبالمقابل تترسسه خلف مقولات من قبيل: عدم الشرعية؛ مساندة مجهودات الأمم المتحدة والتزام الحياد الإيجابي.

وضمن هذا الأفق أعلن وزير الخارجية المغربي سعد الدين العثماني عقب زيارته لمدريد في فبراير 2012 أنه:

"كان لي نقاشا مع وزير الخارجية غارسيا مار غايو حول مجمل العلاقات الثنائية، وخلال هذا اللقاء قدم لي وزير الخارجية الإسباني وعودا بعدم إزعاج المغرب في قضية الصحراء"⁶⁶⁷.

وستعمل الأحداث المتسارعة في ملف الصحراء على تمحيص موقف حكومة رخوي؛ فأمام المسلسل التفاوضي بين طرفي النزاع الذي أصبح يعيش جمودا لافتا. وأمام اقتناع المغرب بأن المبعوث الأممي كريستوف روس بدأ ينحاز لمواقف الجزائر وجبهة البوليساريو. سيعمد في بلاغ رسمي إلى سحب ثقته من الدبلوماسي الأمريكي⁶⁶⁸، وهو ما

⁶⁶⁴ - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013 ص: 54.

⁶⁶⁵ - العبارة للمستشار الملكي ووزير الخارجية المغربي السابق الطيب الفاسي الفهري انظر دريوش نبيل مرجع سابق ص: 77.

⁶⁶⁶ - حوار مع عبد الواحد أكميز: إسبانيا ترى في المغرب شريكا لتجاوز تأثير الأزمة الاقتصادية المساء عدد 1876 في 10 2012

04 ص: 03.

⁶⁶⁷ - دريوش نبيل "الجوار الحذر". مرجع سابق ص: 130.

⁶⁶⁸ - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013 ص: 119.

⁶⁶⁹ - دريوش نبيل "الجوار الحذر". مرجع سابق ص: 134.

شكل أول امتحان للدبلوماسية الإسبانية في هذا الملف. والذي ستجتازه بنجاح حيث أنها رجحت كفة الموقف المغربي. ونورد في هذا السياق الانتقادات التي سطرها وزير الخارجية الإسباني "مانويل غارسيا مارغايو" عندما أكد على :

"انه من الأفضل أن يحرز روس تقدما في الملفات، ويركز على الأمور المهمة عوض تضییع الوقت في أمور ثانوية" 669.

كما سيأتي لاحقا مقترح ممثلة الولايات المتحدة بالأمم المتحدة "سوزان رايس" الرامي الى توسيع صلاحيات بعثة المينورسو بالصحراء لتشمل حقوق الإنسان. والذي أثار استهجانا مغربيا لما ينطوي عليه من انتقاص لسيادته على الأقاليم الجنوبية. والشاهد عندنا أن مدريد لم تعلن دعمها للموقف الأمريكي. بل ذهبت في اجتماعات مجموعة "أصدقاء الصحراء" التي تضم أيضا الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا الى عدم جدوائية المقترح الأمريكي 670. يضاف الى ذلك، أن حكومة رخوي عملت من داخل مجموعة أصدقاء الصحراء آنفة الذكر، الى لعب دور ايجابي في تعيين الألمانى "فولفغانغ فيسبروت فيبر" ممثلا خاصا للأمين العام للأمم المتحدة في الصحراء على رأس بعثة المينورسو. بدلا عن هاني عبد العزيز الذي ظهر تعاطفه مع جبهة البوليساريو 671.

ورغم ما تقدم، فإن مواقف حكومة "رخوي" لم تتسم بالإفراط التام والانصهار مع التوجهات المغربية. كما كان شأن سابقتها الاشتراكية. وهوما يذكرنا بسيناريو حكومة أثنار الأولى والتي كان فيها اليمين "وديعة" تجاه المصالح المغربية. ومواقفه معتدلة من قضية الصحراء. لكن سرعان ما تغير الوضع مع الفوز بالولاية الثانية، فهل سيتغير نهج "رخوي" في حالة فوزه بولاية أخرى وانتفاء اكرهات الأزمة الاقتصادية ؟

وهو ما يدفعنا الى القول أن استمرار هذه القضية بدون حل نهائي، يشكل عامل توتر في المنطقة، ويدعو الى عدم التفاؤل بمستقبل العلاقات المغربية الإسبانية .

670 - دريوش نبيل "الجوار الحذر.." مرجع سابق، ص: 135.
671 - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010 - 2013 ص: 121.

الفصل الثاني:

الهجرة والإشكالات الأمنية وأهمية البعد الاقتصادي في تجاوزها

لقد تناولنا في الفصل الأول من هذا القسم أهمية وتأثير البعد الثقافي التاريخي و ثقل المطالب الترابية على العلاقات المغربية الإسبانية. وسنحاول في هذا الفصل التطرق للهجرة والإشكالات الأمنية التي تعرفها هذه العلاقات (المبحث الأول) و مدى فاعلية المتغير الاقتصادي في تجاوز عقبات الجوار بين الطرفين؟ (المبحث الثاني).

المبحث الأول:

الهجرة والإشكالات الأمنية

تعتبر الهجرة من الملفات التي فرضت نفسها بقوة في الأجندة السياسية للطرفين. بحيث لابد من الوقوف على طبيعة تأثيرها على علاقاتهما (المطلب الأول) خاصة أن هذه الهجرة تحمل في طياتها زخما من العلاقات، تساهم في إنكفاء الإشكالات الأمنية التي تعيشها علاقات الجوار بين الطرفين. وهي إشكالات سنعمل على حصرها في ملفي الإرهاب و تهريب المخدرات (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الهجرة كعامل توتر أم إطار للتعاون بين البلدين؟

لقد لعبت الهجرة أدوارا طلائعية في تاريخ العلاقات الدولية، وتاريخ الحضارة الإنسانية⁶⁷²، بشكل أثراها، ويجعل اليوم الحديث عن "الدرجة صفر من الهجرة"⁶⁷³ أمرا مرفوضا وغير مقبول واقعا. وفي هذا الخضم لم يشكل حوض البحر الأبيض المتوسط

⁶⁷² - AMMOR, MOHAMED FOUAD :« rapport de synthèse »In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999.L'association marocaine d'études et de recherches sur les migrations.Publié avec le concours de la fondation Hassan II pour les Marocains résidant a l'étranger.Imprimerie papéterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.P : 229

⁶⁷³ - KHACHANI, MOHAMED :« les Marocains d'ailleurs : la question migratoire a l'épreuve du partenariat euro-Marocain » Imprimerie : AL KARAMA, Rabat, 2004 p : 232.

استثناءاً؛ بل يعتبر نموذجاً صارخاً لتاريخ طويل من الهجرات السياسية والاقتصادية والإنسانية. ونضرب مثلاً هنا، بالنموذج الإسباني الذي نحن بصدده. حيث شكلت هذه الأخيرة مصدراً للهجرة منذ أمد بعيد. ويكفي أن نشير هنا إلى الأمواج البشرية التي عرفها شمال إفريقيا بعد طرد الموريسكيين، فقد تم تقدير أعدادهم ما بين 1609 و1614 بـ 300000 مهاجر، استقبل المغرب منهم، ما يربو عن 100000⁶⁷⁴.

وحتى اليوم مازال هذا الواقع قائماً؛ حيث يعيش أزيد من 2.5 مليون إسباني عبر العالم⁶⁷⁵. ومع انقلاب الآية، وبداية استقبال إسبانيا للمهاجرين الأجانب، ستشكل هجرة المغاربة إليها أحد المواضيع المهمة في أجندة العلاقات الثنائية للبلدين⁶⁷⁶. كما ستجد ظاهرة الهجرة مكاناً لها كأحد المفاتيح لفهم "السوق الكبير gran zoco" للعلاقات المغربية الإسبانية حسب تعبير عضو لجنة ابن رشد "برنبي لوبيز غارسيا"⁶⁷⁷.

وهو ما سنرصده من خلال أسباب وأهمية الهجرة بين الطرفين (الفقرة الأولى) و محاولة وضع اليد على الدور الحقيقي الذي تلعبه ورقة الهجرة في العلاقات الثنائية المغربية-الإسبانية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: أسباب وأهمية الهجرة بين البلدين

حيث سنتعاطى في مرحلة أولى مع واقع الهجرة وأسبابها (أولاً) ثم في مرحلة ثانية، سنعمل على رصد أهمية الهجرة بالنسبة للطرفين (ثانياً).

⁶⁷⁴ - KHACHANI, MOHAMED :« les Marocains d'ailleurs : la question migratoire a l'épreuve du partenariat euro-Marocain », op cit, p : 208.

لقد عرفت إسبانيا كمصدر للهجرة خاصة نحو أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، لكن هذه الهجرة نحو شمال إفريقيا وخاصة نحو المغرب تعتبر الأقل دراسة وشهرة بين الهجرات الإسبانية المعاصرة. للمزيد حول هذا الموضوع وحول تاريخ الهجرات الإسبانية:

-VILAR JUAN B.VILAR MARIA JOSE:«España de la emigracion a la inmigracion:Incidencia en su proyeccion internacional »In : JUAN CARLOS PEREIRA :« la politica exterior de España : 1800-2003 » Op. cit p : 217 á 236.

⁶⁷⁵ - KHACHANI, MOHAMED : « les Marocains d'ailleurs... » p : 207.

⁶⁷⁶ - DEL MIÑO PALOMA GONZALEZ :« Las relaciones entre España y Marruecos : perspectivas para el siglo XXI »Ediciones ; Las libras de la catarata, Madrid, 2005 P : 159

⁶⁷⁷ - BERNABE LOPEZ GARCIA : « Marruecos y España : una historia contra toda logica », Op.cit p :311.

أولاً: واقع الهجرة وأسبابها.

واقع الهجرة في العلاقات المغربية الإسبانية، يعكس أهمية متزايدة لهذا الملف. و هو ما تترجمه أعداد المغاربة المتواجدين في إسبانيا بشكل جلي. فعلى مستوى الهجرة الشرعية قفزت أعداد المهاجرين المغاربة حسب الإحصائيات الرسمية الإسبانية من 5817 سنة 1985 إلى 234937 سنة 2001، كأول جالية أجنبية بالجارا الإيبيرية ممثلة نسبة % 18.21⁶⁷⁹. فمن أصل كل خمسة أجانب بإسبانيا هناك مغربي. متبوعين من بعيد من طرف الإكوادوريين ب 84699 مهاجر. في حين تحتل الجزائر الرتبة 16 كثاني بلد إفريقي ب 15240 مهاجر⁶⁸⁰.

كل هذا يضاف إليه، حسب التقديرات 150000 شخص التي تتنقل بين الحدود الفرنسية والإسبانية في فترة العمل الفلاحي الموسمي⁶⁸¹.

ومع تتابع السنوات وزيادة طلب الاقتصاد الإسباني على اليد العاملة، سيعزز المغرب مكانته كأول مصدر لليد العاملة للتراب الإسباني ب 400.000 مهاجر سنة 2004⁶⁸². وهو العدد الذي سيقفز سنة 2006 إلى ما يزيد عن 535.000⁶⁸³.

أما على مستوى الهجرة التي تعددت أسماؤها من الهجرة السرية؛ إلى غير القانونية؛ إلى الهجرة غير الشرعية وغيرها من المسميات⁶⁸⁴، فإنها تشمل هي الأخرى أعدادا مهمة من المهاجرين بين الصفتين. فالهجرة السرية تعتبر جزءا من ظاهرة الهجرة ككل. حيث لم تظهر بشكل جلي إلا منذ ماي 1991 مع تطبيق إسبانيا لاتفاقية "شنكن" الأوروبية، بإغلاق

⁶⁷⁸ - KHACHANI MOHAMED : « les marocains d'ailleurs... » Op. cit p : 218

⁶⁷⁹ - KHACHANI MOHAMED : « la question migratoire dans les relations entre la Maroc et l'Espagne » Revue paix et sécurité internationales, N 01 juin 2003 P : 57.

⁶⁸⁰ - Ibid, p : 69.

⁶⁸¹ - THIBAUD CECILE : « Espagne- Maroc: l'embellie » L'express international, N 2787.P : 36

⁶⁸² - DEL MIÑO PALOMA CONZALEZ Op. cit p : 159.

⁶⁸³ - حسين مجدوبي: "إحصاء إسباني: مليون مهاجر سري و 535 ألف مقيما شرعيا" الأيام عدد 242 في 31 يوليوز- 06 غشت 2006 ص. 15

⁶⁸⁴ - BEL GUENDOZ ABDELKRIM : « enjeux migratoires: Maghreb-Europe- Afrique Sub saharienne un regard du sud » Imprimerie : beni zanassen, salé 1 ére édition mars 2006.P : 276.

الحدود وفرض التأشيرة على المواطنين المغاربة⁶⁸⁵. ثم تحول أنظار المهاجرين عن بلدان الاستقبال التقليدية كفرنسا وألمانيا لصالح الجارة الإيبيرية⁶⁸⁶.

وقد شملت الهجرة السرية أعدادا مهمة من المغاربة؛ شكلت بالنسبة لهم إسبانيا نقطة جذب مهمة⁶⁸⁷، فقد استفادوا مما اصطلح على تسميته "بالتسوية الاستثنائية" التي تمت خمس مرات على امتداد عشرين سنة (1986-2005)⁶⁸⁸. فخلال عقد التسعينات فقط استفاد 105861 مهاجرا سريا مغربيا من التسوية الاستثنائية لأوضاعهم⁶⁸⁹. ناهيك عن الأعداد غير القليلة التي ظلت خارج إطار القوانين الإسبانية، في مناهات الاقتصاد غير المهيكل والتي لا توجد إحصاءات دقيقة حولها.

كما أن الهجرة بين البلدين عرفت قفزة في النوع أيضا، فمن هجرة الكبار إلى هجرة القاصرين. فقد بلغ عددهم سنة 1997 حوالي 2435، ثم ارتفع إلى 5796 سنة 2000. وهو ما جعل عدد القاصرين المغاربة في بعض مراكز الإيواء يتجاوز عدد القاصرين الإسبان. كما أن الإحصاءات الرسمية الإسبانية تتحدث عن تشكيلهم نسبة 80 % سنة 2005 من مجمل عدد القاصرين الأجانب⁶⁹⁰.

وفي النصف الأول من نفس السنة، وصل إلى السواحل الإسبانية 365 قاصرا مغربيا. وهو ما فاق عدد الذين التحقوا بإسبانيا خلال سنة 2004 كاملة⁶⁹¹.

كما شهدت تطورا على مستوى الجنس؛ فقد تزايدت أعداد النساء المهاجرات بشكل

⁶⁸⁵ - KOUIDRI MOHAMED : « du refus de l'exil à l'émigration clandestine : le cas de l'Algérie » In colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » Op. cit p : 199.

⁶⁸⁶ - KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 60

⁶⁸⁷ - معروف عبد اللطيف: "الهجرة السرية والمهاجرون بدون أوراق في العلاقات المغربية الأوروبية: النموذج الهولندي" In colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » Op. cit p : 10.

⁶⁸⁸ - عبد الواحد أكمير: "الجالية العربية في إسبانيا" المستقبل العربي عدد 418 في ديسمبر 2013 ص. 26

⁶⁸⁹ - BERNABE LOPEZ GARCIA : « des clandestins en Espagne : démagogie ici et ailleurs » In colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » Op. cit p : 110.

⁶⁹⁰ - عبد الواحد أكمير: "الجالية العربية في إسبانيا" مرجع سابق ص: 27

⁶⁹¹ - CEMBRERO IGNACIO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos » Op. cit p : 167

ملفت؛ حيث شكلت نسبتهن % 46 من المهاجرين المغربية.⁶⁹² استقطبت إسبانيا غالبيةهن بسبب القرب الجغرافي.

وهو الأمر الذي تمخض عنه دخول ملف الهجرة بين البلدين مرحلة متقدمة من خلال الزواج المختلط. فما بين سنة 1993 و1997 تم أزيد من 6613 زواجا مختلطا بين اسبان ومغاربة. وفي سنة 1999 تم 1228 زواجا؛ وهو ما عزز موقع المغربية كأكثر الجنسيات الأجنبية ارتباطا بالإسبان.⁶⁹³

وفيما يتعلق بأسباب الهجرة بين البلدين، يبقى أهم عواملها بشقيها: الهجرة الشرعية والهجرة السرية، هو وقوع المغرب وإسبانيا على خط التماس بين الشمال والجنوبي بكل ما يعني ذلك من تفاوتات⁶⁹⁴. ففي سنة 1999 ضاعف الناتج الداخلي الخام الإسباني نظيره المغربي بستة عشر مرة ب 552.20 مليار دولار مقابل 4.34 مليار دولار للمغرب. في حين الناتج الوطني الخام للفرد في إسبانيا سنويا بلغ 14100 دولارا أمريكيا وهو 11 مرة أكثر من نظيره المغربي ب 1240 دولارا سنويا. وفي سنة 2000 كان الأجر المهني الأدنى يفوق ثلاث مرات نظيره المغربي.⁶⁹⁵

كما أن الحدود بين البلدين تعتبر من الأكثر عشر حدود على المستوى العالمي التي تعرف تفاوتات ومفارقا كبيرة⁶⁹⁶. فقد سبق لرئيس الحكومة الإسبانية السابق "فليبي غونزالس" أن صرح لجريدة الباييس؛ على أنه لو كان من شمال إفريقيا وفي عمره 20 سنة

⁶⁹²- entretien avec : FTOUH ABEDSLAM Directeur a la fondation Hassan II. Le Matin N° 14599 du 06 décembre 2011. P :04.

⁶⁹³ « la communauté marocaine résidente en Espagne » Source : « Marocains de l'extérieur » livre édité par la fondation Hassan II pour les marocains résident à l'étranger et l'organisation internationale pour les migration. In : revue marocaine d'études internationales » le mariage dans les relations euro-maghrébines

Actes du colloque international des 13-14 et 15 mars 2002 Numéro spécial, octobre 2003. P : 261, 262 et 263.

⁶⁹⁴ - CANDELA JOSE LUIS RODRI GUEZ : « las políticas migratorias de los países de acogida como responsables de la migración clandestina » In colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » Op. cit p : 97.

⁶⁹⁵ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ Op. cit p: 167

⁶⁹⁶ - لبشيريت عمر: "تحويلات المهاجرين ليست رهانا ودور الدركي ليس في صالح المغرب" الصحيفة عدد 199 في 23 فبراير-01 مارس 2005 ص. 19

ولديه سبعة إخوة، ويعاني من الفقر. فإنه سيكون على متن أحد قوارب الهجرة. وفي حالة نجا من الغرق وتمت إعادته إلى بلده، فإنه سيكون على متن أول قارب في محاولة جديدة لعبور الحدود⁶⁹⁷.

وقد ساهم في حدة الهجرة بين البلدين، عامل القرب الجغرافي. الأمر الذي تحولت معه إسبانيا إلى بلد مستقبل؛ وبلد عبور للمهاجرين نظرا لأهمية الأعداد التي تتوافد عليها. فقد أكدت إيطاليا أن 23 % من المهاجرين الذين يدخلون الأراضي الأوروبية بصورة غير شرعية يمرون عبر إسبانيا.⁶⁹⁸

العوامل السابقة، تمخضت عن أحد أهم الأسباب للهجرة المغربية نحو أوروبا بشكل عام وإسبانيا على وجه الخصوص، وهو تحولها إلى ثقافة وجزء من المتخيل الاجتماعي للمغاربة⁶⁹⁹. ودافع قوي للحلم والأمل عند فئات الشباب. وهذا التوجه يقتات على الصور النمطية والوردية للمهاجر الذي يملك شروط الحياة الاجتماعية الكريمة (امتلاك منزل، امتلاك سيارة وغيرها من المظاهر الخارجية الإيجابية)⁷⁰⁰. ويرسخ فكرة "الإلدورادو" أو الجنة الأوروبية. وهي الثقافة واسعة الانتشار التي ساهم فيها عدد المهاجرين المغاربة عموما حيث بلغ 3.3 مليون مهاجر بنسبة وصلت إلى 11 % من الساكنة المغربية عموما⁷⁰¹.

وعلى مستوى آخر، تبقى من أهم أسباب الهجرة المغربية نحو إسبانيا، عوامل مرتبطة بهذه الأخيرة. تتجسد أساسا في الإيقاع الاقتصادي الذي عرفته بعد انضمامها للاتحاد الأوروبي؛ وطلبها المتزايد على اليد العاملة. زد على ذلك شغل الكثير من المهن والحرف الصغيرة التي عرفت عزوفا عن المزاولة من طرف الإسبان.⁷⁰²

الهجرة السرية هي الأخرى في جانب مهم منها كانت نتاجا لطلب الاقتصاد الموازي

⁶⁹⁷- KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 66. Interview à el pais hebdomadaire en 1992.

⁶⁹⁸- خشانة رشيد: "الهجرة السرية ... معضلة أوروبية؟" الصباح عدد 1370 في 01 شتنبر 2004 ص: 10.

⁶⁹⁹- MERCEDES JIMENEZ: "las nuevas migraciones en Marruecos: los menores emigrantes" In CARLA FIBLA GARCIA SALA, Op. cit p : 115

⁷⁰⁰- M'JID NAJAT: "la migration clandestine de mineurs: un vrai mythe" In : colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives », Op cit p : 211.

⁷⁰¹- entretien avec: FTOUH ABDESLAM Directeur a la fondation HASSAN II Le Matin N14599 du 06/12/2011, p :04.

⁷⁰²- KOUIDRI MOHAMED, Op. cit p: 182.

والعمل الظرفي والموسمي.⁷⁰³ كما أن شبكات تهريب البشر كانت فاعلة هي الأخرى في زيادة مذسوب الهجرة والتحفيز عليها بين الـضفتين.⁷⁰⁴ وايضا تفضيل الكثير من أرباب العمل الاستمرار في تشغيل مهاجرين سريين في إطار تخفيض تكاليف الإنتاج. وكذا خيار لمواجهة تبعات الأزمة الاقتصادية.⁷⁰⁵

ثانيا: أهمية الهجرة بالنسبة للبلدين:

بالنسبة للمغرب فإن أهمية الهجرة عموما لا تخفى على المتتبع، باعتبار الشعب المغربي شعبا مهاجرا. حيث أن نسبة المهاجرين تصل إلى % 10 من الساكنة الإجمالية للبلاد بأزيد من ثلاثة ملايين مهاجرا. وتستأثر القيمة الاقتصادية لهذه اليد العاملة بالأهمية؛ فتحويلات العمال المغاربة بالخارج تعتبر أول مصدر للعملة الصعبة في البلاد بما قيمته 35 مليار درهم، وهو ما يشكل نسبة % 10 من الناتج الداخلي الخام.⁷⁰⁶ وهذه التحويلات تعمل على تكفيف نسبة الفقر وخفضها؛ حيث كانت ستصل إلى 31 % أو 32 % عوض 25 % المسجلة.⁷⁰⁷

ومن مؤشرات أهمية هذه التحويلات وضخامة حجمها، كون المغرب يشكل رابع مستقبل لتحويلات المهاجرين في العالم؛ مسبقا بدول ذات كثافة سكانية لا غبار عليها. وهي حسب الترتيب: الهند، المكسيك والفلبين.⁷⁰⁸

وفي هذا الخضم، تحتل إسبانيا الرتبة الثامنة عالميا في قائمة الدول التي تشهد أكبر

⁷⁰³ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "enjeux migratoires: Maghreb-europe-afrique subsaharienne un regard du sud" Op. cit p : 277.

⁷⁰⁴ - لقد نشط هذا النوع من التهريب على مستوى العالم وأصبح يحتل المرتبة الثالثة بعد تهريب الأسلحة وتهريب المخدرات برقم أعمال يتجاوز 10 مليارات دولار سنويا، كما أنه يستفيد من نفوذ رجال الأعمال والسياسة الفاسدين. ويكفي أن نشير إلى واقعة العمدة السابق لمدينة "سانتا في ديل بينيدس" بـيرشلونة الذي تورط في تهجير مغاربة بدون وثائق قانونية. انظر:

«conférence ministérielle euro-africaine sur la migration et le développement: (10 et 11 juillet 2006 » Diplomática N : 06 juillet/aout 2006 p : 33.

- العلم عدد 21341 في 28 أبريل 2009 ص: 01.

⁷⁰⁵ - معروف في عبد اللطيف: مرجع سابق، ص: 17.

⁷⁰⁶ - عمر لبشير يت "تحويلات المهاجرين ليست رهانا ودور الدركي ليس في صالح المغرب" الصحيفة، عدد 199 في 23 فبراير - 01 مارس 2005 ص: 18.

⁷⁰⁷ - نفس المرجع.

⁷⁰⁸ - CEMBRERO IGNACIO: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op. cit p : 159.

عمليات تحويل للأموال⁷⁰⁹. وللمهاجرين المغاربة حصة مهمة من تلك التحويلات؛ حيث تضاعفت ما بين سنة 1998 و2003 إلى سبع مرات⁷¹⁰.

كما أنها قفزت سنة 2000 من % 3.8 من مجمل تحويلات المغاربة بالخارج،⁷¹¹ إلى % 5.14 سنة 2001 لتصل سنة 2003 إلى % 9.22 في تطور مهم وامتزaid⁷¹².

وهو ما يبين على أن المغرب جعل من القوة العاملة لمواطنيه "أول صناعة تصديرية مربحة"⁷¹³. الأمر الذي سيمكن مع مرور الزمن من خلق رأسمال مهم يمكن أن يساعد في قيام الاقتصاد المغربي بقفزات نوعية⁷¹⁴.

ومن جهة أخرى، وأمام التغيرات التي يعرفها النسيج الاجتماعي للمهاجرين. من خلال الاستقرار الدائم في بلاد المهجر وظهور الجيل الثاني والثالث من أبناء المهاجرين. فإن استمرار تدفق التحويلات المالية نحو المغرب، أصبحت تساهم فيه بشكل كبير أعداد المهاجرين السريين المهمة.⁷¹⁵

وهو الأمر الذي حدا بالوزير الأول الأسبق عبد اللطيف الفيلالي إلى الاستغراب من الانخراط الجدي للمغرب في محاربة الهجرة السرية نحو إسبانيا. مع ما تمثله من أهمية اقتصادية وحلول واقعية لأعداد العاطلين عن العمل⁷¹⁶.

وخلاصة القول أمام كل ما تقدم، أن الهجرة بشقيها الشرعية والسرية أصبحت اليوم

⁷⁰⁹ - هناك أزيد من 100 بليون يورو يتم تحويلها سنويا عبر العالم، وقد شكل مجموع تحويلات المهاجرين الأجانب المقيمين بإسبانيا لبلدانهم الأصلية حوالي ثلاثة بلايين يورو.
-انظر: المختار عماري: "الصراع من أجل أموال المهاجرين في إسبانيا"الأحداث المغربية، عدد 2451 في 14 أكتوبر 2005 ص: 14.

⁷¹⁰ - KHACHANI MOHAMED : "les marocains d'ailleurs..." Op. cit p : 230.

⁷¹¹ - KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 64.

⁷¹² - KHACHANI MOHAMED : "les Marocains d'ailleurs..." Op. cit p : 230.

⁷¹³ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "enjeux migratoires: Maghreb-europe-afrique subsaharienne: un regard du sud", Op. cit p : 137.

⁷¹⁴ - وهي النظرية التي دافع عنها المفكر الفرنسي GALBRAITH في كتابه:

"Théorie de la pauvreté de masse", Edition: Galimard, Paris 1982. Edition : Galimard, Paris 1982.

⁷¹⁵ - KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 64.

⁷¹⁶ - FILALI ABDELLATIF: « le Maroc et le monde arabe » Editions SCALI, Paris. 1^{ère} édition 2008 P : 89.

تشكل بالنسبة للمغرب أهمية اقتصادية وسياسية واجتماعية لا جدال فيها. الأمر الذي دفع السلطات المعنية، أثناء الأزمة السياسية التي عرفت العلاقات المغربية الإسبانية سنة 2001 إلى طلب عدم تأثيرها على عملية عبور المهاجرين عبر التراب الإسباني.

أما بالنسبة لإسبانيا فإن الهجرة لا تشكل تهديدا بقدر ما هي فرصة لتحسين أدائها الاقتصادي. فمع مستهل القرن الواحد والعشرين عرف الاقتصاد الإسباني نموا شكل ضعف مثيله في اقتصادات الاتحاد الأوروبي. حتى أن إسبانيا أصبحت وراء 60 % من خلق مناصب الشغل الجديدة على مستوى الاتحاد ككل.⁷¹⁷

وهنا تظهر الهجرة كعامل معزز لهذا الإقلاع الاقتصادي؛ حيث تربعت إسبانيا على رأس دول الاتحاد الأوروبي، من خلال استقبالها لنسبة 23 % من مجمل ما يصل للاتحاد من مهاجرين أجانب، متبوعة بإيطاليا وألمانيا وبريطانيا.⁷¹⁸

وفي هذا السياق، سجل المهاجرون المغاربة بإسبانيا أعلى نسبة من اليد العاملة النشيطة الأجنبية. حيث وصلت إلى 73 % سنة 2007.⁷¹⁹ وأهم المجالات التي يشتغل فيها المغاربة بالجارة الإيبيرية هناك: الفلاحة بالدرجة الأولى بنسبة 37 % والخدمات بنسبة 35 % والبناء الذي يستقطب 50.15 % والصناعة بنسبة 8 % في حين 5 % توجهت إلى بقية الأنشطة.⁷²⁰

ومن الأمثلة الصارخة على أهمية اليد العاملة المغربية في الإقلاع الاقتصادي الإسباني، أنه سنة 1981 كان هناك 3000 مهاجر مغربي قانوني بإسبانيا. وبعد ثمانية سنوات ارتفع العدد في بلدة "إليخيدو" المشهورة إلى 21000 مع إضافة حوالي 5000 في وضعية غير قانونية. ولولا هؤلاء، حسب "خوان غويتيسولو" ما كانت معجزة

⁷¹⁷ - CANTAN THOMAS (correspondant a Madrid du quotidien the times): "Espagne: Zapatero doit soigner ses faiblesses" les documents de l'économiste: Maroc-Monde 2007. P : 30.

⁷¹⁸ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ: "las relaciones entre España y Marruecos: Perspectivas para el siglo XXI » Op. cit p : 160.

⁷¹⁹ - عبد الواحد أكمر: "الجالية العربية في إسبانيا" مرجع سابق، ص. 29.

⁷²⁰ - KHACHANI MOHAMED : "les marocains d'ailleurs..." Op. cit p : 221.

"الميرية" الفلاحية لتتحقق⁷²¹.

مؤشر آخر على أهمية المهاجرين المغاربة في الاقتصاد الإسباني، يتمثل في عدد المنخرطين المغاربة في الضمان الاجتماعي الإسباني؛ حيث بلغ سنة 2003 ما مجموعه: 159813 منخرطاً. % 95.6 منهم أجراء و % 4.4 يمارسون أعمالاً حرة⁷²². وفي السنة الموالية استمر عدد المغاربة في الصدارة ب 174059 منخرطاً؛ متبوعين بالإكواتوريين والكلومبيين بأعداد أقل⁷²³. وفي يناير 2010 بلغ عدد المغاربة المسجلين بالضمان الاجتماعي الإسباني حده الأقصى ب 219787 منخرطاً⁷²⁴. وهي أرقام ومعطيات لا تخلو من دلالات تصب في إيجابية حضور اليد العاملة المغربية على الأراضي الإسبانية.

علاوة على أن الهجرة المغربية تشكل جواباً منطقياً لمعضلة شيخوخة المجتمعات الأوروبية⁷²⁵، خاصة إسبانيا التي ستتحول فيها الهجرة من واقع إلى ضرورة ملحة، بفعل انخفاض نسبة الولادات⁷²⁶.

ففي سنة 1999 شكل معدل الخصوبة الإسباني 1.19 وهو أقل معدل في دول الاتحاد الأوروبي. الأمر الذي أفرز أن معدل زيادة الساكنة العاملة السنوي لا يتجاوز 0.12% وهو ما دفع رئيس الحكومة السابق "أثنار" إلى التصريح:

"لا نريد أن ندير الظهر للمهاجرين، على العكس نحن نحتاجهم. بلدنا؛ وهذا من نقط ضعفنا، لديه معدل الزيادات الأقل"⁷²⁷.

ما دفع إلى أن نسبة المهاجرين في إسبانيا سنة 2011 أصبحت تتجاوز 11% من مجموع السكان، وهي النسبة الأعلى المسجلة في بلدان الاتحاد الأوروبي⁷²⁸.

⁷²¹ - غويتيسولو خوان: "إسبانيا في مواجهة التاريخ ... فك العقد" مرجع سابق، ص. 27.

⁷²² - KHACHANI MOHAMED : "les marocains d'ailleurs ..." Op. cit p : 220.

⁷²³ " 174 ألف مغربي يستفيدون من الضمان الاجتماعي بإسبانيا" العلم، عدد 19910 في 26 نونبر 2004 ص 06.

⁷²⁴ - حيون محمد طارق: "المغاربة في صدارة الجاليات الأجنبية المقيمة في إسبانيا" العلم، عدد 21615 في 16 مارس 2010. ص: 01.

⁷²⁵ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ : Op. cit p: 161.

⁷²⁶ - KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 75.

⁷²⁷ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "enjeux migratoires..." Op. cit p: 291 Interview de J.M. AZNAR au quotidien le monde du 28-25 mai 2000.

⁷²⁸ - أكدير عبد الواحد: "الجالية العربية في إسبانيا" مرجع سابق ص: 26

وهي أمور تصب في أهمية الهجرة بالنسبة للمغرب وإسبانيا على السواء، وتدلل على المكانة التي تحتلها في سياسات واستراتيجيات كل منهما. لكن واقع الحال يبين كما أشار إلى ذلك "خ. م. أثنار" على أن الهجرة لا تنطوي فقط على فرص مهمة بل تحمل في ثناياها تحديات من العيار الثقيل⁷²⁹. وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول دورها في العلاقات السياسية للبلدين؟ وقيمتها في فترات التصعيد والانفراج؟

الفقرة الثانية: دور ورقة الهجرة في علاقات البلدين:

لقد تحولت الهجرة بشكل عام والهجرة السرية بشكل خاص إلى تيمة شديدة الحضور في الأجندة الدولية، كمصدر لتوترات بين الدول⁷³⁰. الأمر الذي جعلها عرضة للاستعمالات السياسية والانتخابية كآلية للضغط⁷³¹. وهو ما لم تسلم منه العلاقات المغربية الإسبانية.

أولاً: الهجرة كورقة ضغط ومزايدة سياسية:

"النزاع المتعلق بالهجرة le contentieux migratoire"⁷³² مصطلح جديد وملف جديد، في سلسلة النزاعات التي تعرفها علاقات البلدين. والذي يعكس حركية هذه العلاقات وجليانها؛ بحيث ينصهر كل ملف وموضوع جديد في بوتقتها؛ من خلال استغلاله في هذه الضفة أو تلك⁷³³.

ولعل أول حضور سياسي لملف الهجرة في علاقات البلدين برز مع صدور قانون الأجانب الإسباني في يوليو 1985 والذي كان له تأثير على وضع مغاربة سببة ومليية⁷³⁴. وهو ما أثار ردود أفعال مهمة لدى الأحزاب السياسية والرأي العام المغربي

⁷²⁹ - AZNAR JOSE MARIA: "ocho años de gobierno: una visión personal de España" Op. cit p : 253

⁷³⁰ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ: op. cit p: 168.

⁷³¹ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "enjeux migratoires: Maghreb..." Op. cit p : 11.

⁷³² - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "l'ahrig du Maroc l'Espagne et l'UE : plus d'europe.... Sécuritaire" Edition: BOUKILI impression, KENITRA, 2002 P : 29.

⁷³³ - BERNABE LOPEZ GARCIA: "des clandestins en Espagne: demagogie ici et ailleurs" In colloque : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » Op. cit p : 111.

⁷³⁴ - BERNABE LOPEZ GARCIA: "l'Espagne porte européenne du Maghreb" Confluences méditerranée. N 05 hiver 1993. P : 56.

وهو قانون رسخ عزلة مغاربة سببة ومليية وتكفي الإشارة إلى المادة 23 منه، والتي منحت الإبييرو أمريكيين، البرتغاليين، القليلين المنحدرين من أندورا والمنحدرين من غينيا الاستوائية اليهود السفريديم وسكان جبل طارق الكثير من التسهيلات للعمل والإقامة والحصول على الجنسية وغيرها من الامتيازات في المدينتين في إطار روابطهم التاريخية مع إسبانيا. في حين تم تضيق الخناق على المغاربة وهو ما اعتبر استحضارا لباراديغم المورو وكل تداعياته في الذاكرة.

لكن أهم محطة في هذا السياق، تبقى الأزمة السياسية التي عرفت علاقات البلدين خلال الولاية الثانية "لخوسي ماريا أثنار". فكما أسلفنا، وأمام توجه رئيس الحكومة الإسباني نحو جعل إسبانيا قوة دولية، زاد من حدة مواقفه من القضايا المغربية، خاصة قضية الصحراء؛ التي عارض في توجهاته منها موقف الوحدة الترابية المغربية. وقد تجسد ذلك في مساهمته في إفشال مشروع اتفاق الإطار المقدم من طرف الأمين العام للأمم المتحدة في 05 ماي 2001 والذي كان يصب في تناغم مع المصالح المغربية.⁷³⁵

علاوة على المؤشرات الاقتصادية الإسبانية المهمة في هذه الفترة، والتي شكلت عامل جذب للحالين بالعبور نحو الجنة الأوروبية. وهي العوامل التي ستفرز في هذه المرحلة ما اصطلح عليه بـ "حرب الهجرة"⁷³⁶ أو "صنبور الهجرة السرية".⁷³⁷

ففي سنة 1993 تم حجز 33 زورقا للهجرة السرية وإيقاف 1925 مهاجرا. وهو الرقم الذي سيقفز إلى 1430 زورقا سنة 2001 مع إيقاف 118395 مهاجرا سريا⁷³⁸. كما قامت السلطات الإسبانية في السنوات الأخيرة بترحيل 92679 مهاجرا. وفي شهر غشت من سنة 2004 رحلت إسبانيا 73747 مهاجرا سريا، بمعدل 303 مهاجرا في اليوم و69, 12 مهاجرا في الساعة، بمعدل مهاجر كل خمسة دقائق.⁷³⁹

وأمام هذه الموجة البشرية وفي سياق المناكفات مع المغرب، لجأت إسبانيا إلى آلية تعديل قوانين الهجرة القائمة نحو التشدد. فقد جاءت تعديلات سنة 2000 لتعزز عدم استقرار الحقوق الأساسية للمهاجرين بشكل عام والمغاربة بشكل خاص. إضافة إلى تشديد

⁷³⁵ - * CUERVO JOSE IGNACIO ALGUERO: "el sahara y España: claves de una descolonización pendiente" Op. cit p : 416.

- * CEMBRERO IGNACIO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos », Op. cit p : 257.

⁷³⁶ - EDKIL BACHIR: "relaciones hispano-Marroquies: vecinos incomunicados" In: Carla fibla Garcia- sala, op. cit p : 91.

⁷³⁷ - CEMBRERO IGNACIO: « vecinos alejados... » op. Cit, p : 21.

⁷³⁸ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ, op. Cit, p: 178.

⁷³⁹ - سعيد منتسب: "المغرب في مواجهة الهجرة السرية: من تقوية الحراسة الحدودية إلى إحداث المرصد الوطني للهجرة" الاتحاد الاشتراكي، في 01 - 02 يناير 2005 ص: 16.

قوانين التجمع العائلي.⁷⁴⁰ فقد تم حرمان المهاجرين السريين من حق الاحتجاج والتجمع والانضمام للنقابات والحق في الإضراب. كما أقر قانون 8/2000 للهجرة المعدل لقانون 4/2000 إجراء "المسطرة التفضيلية" الذي يمكن بموجبه طرد المهاجر في ظرف 48 ساعة في بعض الحالات.⁷⁴¹

كما كانت هذه التعديلات محكومة بالهاجس الأمني تجاه المهاجرين المغاربة خاصة.⁷⁴² مما أفرز تشددا في تجديد بطائق الإقامة، وتعقيدات في الوصول إلى الحق في التطبيب والتعليم. وهو الأمر الذي حدا ببعض التنظيمات السياسية الإسبانية في المعارضة إلى الدفع بلا دستورية القانون المشار إليه.⁷⁴³

وسيتعزز تصريح الأزمة السياسية الحادة التي عرفت علاقات البلدين سنة 2001، على بساط وأرضية الهجرة السرية،⁷⁴⁴ من خلال تصريحات وزير الخارجية الإسباني "جوزي بيكي" لجريدة "إلموندو" اليمينية في 06 شتنبر 2001 والتي حمل فيها مسؤولية تزايد أعداد المهاجرين السريين نحو بلاده إلى أجهزة الأمن المغربي، وعلاقتها المشبوهة بشبكات تهريب البشر.⁷⁴⁵ مردفا أن النظام المغربي هو نفسه ينظم هجرة القوارب: "الواضح أن الآلاف من الأشخاص يتجمعون في طنجة في أماكن معروفة ويخرجون تباعا نحو إسبانيا"⁷⁴⁶.

وقد سبق هذا الإعلان من طرف وزير الخارجية الإسباني، استدعائه للسفير المغربي في بلاده في غشت 2001 للتشاور حول تزايد أعداد المهاجرين السريين. والتعبير له عن

⁷⁴⁰ - المراتبي محمد: "وضعية المهاجرين المغاربة بإسبانيا وأفاق الاندماج" مجلة: الدولية عدد 04 سنة 2008 ص. 108.
⁷⁴¹ - KHACHANI MOHAMED: "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit p : 63.

⁷⁴² - المراتبي محمد: مرجع سابق ص: 109.

⁷⁴³ - KHACHANI MOHAMED: "les marocains d'ailleurs..." Op. cit p : 216.

⁷⁴⁴ - RAFAEL GARCIA PEREZ: « España en un mundo en cambio : a la búsqueda de la influencia internacional (1986-2002) » In : Juan Carlos Pereira (coord) Op. cit p: 548.

⁷⁴⁵ - ALEJANDRO MUÑOZ ALONSO: « España en primer plano : ocho años de política exterior (1996-2004) » Editorial, fundacion FAES 1^{er} edición, Madrid, septiembre de 2007. P : 404.

⁷⁴⁶ - حسين مجدوبي: "إتهام المخابرات المغربية والمحجوبي أحرضان بالوقوف وراء تفجيرات 11 مارس بمدريد" الأيام، عدد 150 في 23 - 29 شتنبر 2004 ص: 08.

قلق بلاده من قلة المجهودات المغربية في محاربة الظاهرة.⁷⁴⁷

وفي نفس السياق، صرح مستشار التشغيل والشؤون الاجتماعية في حكومة جزر الكناري، على أنه مندهش من سرعة رد فعل السلطات المغربية في حالة السفن الإسبانية التي تصطاد في المياه المغربية بدون ترخيص. في حين تغض الطرف ولا تحرك ساكنا في حالة قوارب الهجرة نحو الجزر.⁷⁴⁸

ناهيك عن إلغاء اللقاء الذي كان مرتقبا بين رئيسي حكومتي البلدين⁷⁴⁹

وفي خضم الأزمة بين البلدين، كان الملك محمد السادس قد أعلن لمجلة "le figaro" الفرنسية عن الجانب المهم من المسؤولية عن الهجرة السرية والمخدرات الذي تتحمله شبكات التهريب الإسبانية التي تمتلك إمكانيات أكبر وقدرات أهم من نظيرتها المغربية⁷⁵⁰. في رفض تام للإدعاءات الإسبانية التي تحمل المغرب وزر تزايد مذسوب الهجرة السرية وهو ما عبرت عنه أيضا أصوات إسبانية من خلال الدعوة إلى عدم تهويل الدور المغربي في هذا التزايد وعدم تحميله كل المسؤولية⁷⁵¹.

وقد تعززت ممارسة إسبانيا للهجرة السرية كورقة ضغط على المغرب؛ من خلال اتهامه بالتقصير والتواطؤ في محاربتها. وقد استعملت في هذا الاتجاه المذبر الأوروبي. ففي قمة إشبيلية سنة 2002 استغل أثنار رئاسة بلاده للمجلس الأوروبي لتقديم طلب إنزال العقوبات بالمغرب كدولة مصدرة لقدر مهم من الهجرة السرية من جهة.⁷⁵² ومن جهة

⁷⁴⁷ - DEL MIÑO PALOMA GONZALEZ Op. cit p: 165

⁷⁴⁸ - EL AALLAOUI ALI: "les relations maroco-espagnoles de 1974 a 2004: la perception Marocaine de la position espagnole concernant la question du sahara" Thèse de doctorat Op. cit p : 287.

⁷⁴⁹ - ZURLO YVES: « Ceuta et Melilla : Histoire, représentations et devenir de deux enclaves espagnoles » Op. cit p : 127

⁷⁵⁰ - ALFONSO MERLOS GARCIA : « causas , desarrollo e implicaciones estratégicas del auge del terrorismo salafista en el espacio de seguridad euromediterraneo : la amenaza de las redes marroquies » In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords): "europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona" Editorial : Biblioteca, Nueva, Madrid, 2007 P : 71.

⁷⁵¹ - FELIU LOURA Y SALOMON MONICA : « territorios en aguas turbulentas : la crisis entre España y Marruecos » Revue : Paix et sécurité internationales, N 01 juin 2003 P : 81.

⁷⁵² - وجهة نظر: محمد الخشاني: "العلاقات الإسبانية - المغربية: مقاربات للتوابع والتحولات" إعداد: بوغالب العطار الاتحاد الاشتراكي، عدد 7637 في 10 يوليوز 2004 ص: 12.

أخرى، الدعوة إلى إيقاف الدعم الموجه للتنمية بالمغرب كوسيلة ضغط لدفعه للمساهمة في التقليل من ظاهرة الهجرة⁷⁵³.

وفي اتجاه آخر، كانت إسبانيا قد وقعت في يوليو 2001 اتفاقا مع الحكومة المغربية؛ تحت ضغط من الجمعيات المهتمة بالهجرة واليسار الموحد والحزب الاشتراكي العمالي الإسباني، تستقبل بموجبه 20 ألف مغربي سنويا⁷⁵⁴. لكن في سياق الإمعان في جعل الهجرة وسيلة ضغط، عملت الحكومة اليمينية الإسبانية على إلغاء العمل بهذا الاتفاق في نونبر من نفس السنة⁷⁵⁵. ناهيك عن إثارة ورقة المناداة بإعمال حقوق الإنسان والمواثيق الدولية فيما يخص المهاجرين الأفارقة المتواجدين بالمغرب⁷⁵⁶.

ينضاف إلى كل هذا، اللوبي الداخلي الإسباني المعادي للمغرب والذي وجد أزمة الهجرة السرية ليقفات عليها ويزيد من لهيب الصراع الذي عرفته علاقات البلدين. ونشير هنا إلى رأي النائب "مانويل شانسيو غوردو" الذي ذهب بعيدا باعتباره الملكية المغربية هي المسؤولة عن الهجرة السرية وتهريب المخدرات⁷⁵⁷. والآراء المثيرة للجدل لـ"ليون كلاين" الذي يمثل هنا تيارا مهما بإسبانيا. حيث يعتبر أن المغرب يعمل على تدفيس نموه الديموغرافي ومعدلات البطالة المرتفعة لديه على حساب إسبانيا. فضلا عن قوله بأن هناك استراتيجية مغربية لاسترداد سبتة ومليلية واحتلال جزر الكناري في الآن نفسه من خلال الهجرة السرية وإغراق إسبانيا بمواطنيه⁷⁵⁸.

دون إغفال اللوبي الإعلامي؛ الذي ينضاف إلى لائحة المستغلين لملف الهجرة. وهو ما يميظ اللثام عن إحدى سمات الهجرة في إسبانيا وهو جانبها الإعلامي الكثيف⁷⁵⁹.

⁷⁵³ - entrevista de DAHIRI MOHAMED (de la universidad de cordoba) Kantara, N 08 julio-agosto 2011. P : 63.

⁷⁵⁴ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق، ص: 152.

⁷⁵⁵ - BEL GUENDOUZ ABDELKERIM : « l'ahrig du Maroc l'Espagne et l'U.E : Plus d'europe ... sécuritaire », Op. cit, p : 15.

⁷⁵⁶ - DEL MINO PALOMA GONZALEZ : Op. Cit, p : 165.

⁷⁵⁷ - مجدوبي حسين: "أسباب الهوس الإسباني الدائم لتأزيم العلاقات مع المغرب" الأيام، عدد 374 في 17 - 23 أبريل 2009 ص. 20.

⁷⁵⁸ - LEON KLEIN : « el enemigo del sur : el conflicto inevitable » Op. cit p : 09, 59 et 232.

⁷⁵⁹ - خيما مارتين مونيوت: "الإسلام والمسلمون في إسبانيا: من خلال دراسات ميدانية" ترجمة: الدكتورة كنزة الغالي سلسلة: ضفاف عدد 11، منشورات الزمن. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008 ص: 17.

وكما أشار إلى ذلك عبد الواحد أكمير مدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات فإن:

"هناك لوبيا من السياسيين والمتقنين البارزين الإسبان ... و هم يحاولون... تأليب الرأي العام والمجتمع الإسباني ضد المهاجرين؛ تكفي العودة في هذا السياق لكتابات "ثيسار فيدال" و"سيرافين فنخول" لنعثر على نوع من المقاربات الغريبة بين المهاجرين المغاربة اليوم والموريسكيين في الماضي، ويعتبر فنخول مثلاً أن طرد الموريسكيين كان أمراً عادلاً لأنهم رفضوا الاندماج، على غرار ما يرفض المهاجرون المسلمون الاندماج"⁷⁶⁰.

الأمر الذي يحيل إلى براديغم "المورو" الذي برز على السطح في حمأة الأزمة السياسية المرتبطة بالهجرة السرية. حيث يظهر من جديد بكل تمثلاته السلبية الثاوية والمتجذرة في الذاكرة الجماعية الإسبانية.

فبفعل عمل اللوبي المعادي لكل ما هو مغربي؛ وبفعل الاستعمال المفرط للهجرة في الضغوط السياسية المتبادلة بين الفرقاء السياسيين الإسبان في الحملات الانتخابية. وقع الكثير من الخلط في تمثيل الرأي العام الإسباني للهجرة.

فرغم وجود مهاجرين من جذسيات مختلفة؛ ورغم أن المهاجرين من داخل الاتحاد الأوروبي يشكلون نصف مهاجري إسبانيا. فإن كل الأنظار متجهة للمهاجرين القادمين من الجنوب وخاصة المهاجرين المغاربة.⁷⁶¹ الذين أصبحوا في نسق التحليل هذا، سبب كل المشاكل والنقائص الناتجة عن الهجرة.

ففي استطلاع للرأي أجراه مركز الأبحاث السوسولوجية الإسبانية سنة 1996 تحت عنوان "مواقف اتجاه الهجرة" تم طرح السؤال: "بما توحى لك كلمة مهاجر حين تسمع بها

⁷⁶⁰ حوار مع: عبد الواحد أكمير، مدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. المساء، عدد: 1016 في 28 دجنبر 2009. ص: 07.

⁷⁶¹ KHACHANI MOHAMED : "la question migratoire dans les relations entre le Maroc et l'Espagne" Op. cit, p : 73.

⁷⁶² خوان غويتسولو "إسبانيا في مواجهة التاريخ... فك العقد" مرجع سابق ص: 25.

⁷⁶³ خيما مارتين مونيوت، مرجع سابق ص: 30.

لأول وهلة؟" وقد كان جواب 70% من المستجوبين : "المغربي".

وهي كلها معطيات تصب في اتجاه التعصب واقصاء المغاربة. والذي كان من ابرز تجلياته واقعة "إليخيدو" في سنة 2000. حيث ردد الاسبان شعارات: "الموت للمهاجر، الموت للمورو"⁷⁶² وقد أثارت هذه الواقعة الانتباه إلى أهمية الهجرة في المشهد الداخلي الاسباني، من خلال استغلالها للحشد والترويج السياسي في الانتخابات⁷⁶³.

ومن اللافت للانتباه في سياق الحديث عن الحضور السياسي لورقة الهجرة في علاقات البلدين، الإشارة إلى أنه مع وصول حكومة الاشتراكيين في إسبانيا بزعامة "ثباتيرو"، وإعادتها النظر في الكثير من المواقف السياسية للحكومة اليمينية السابقة سواء على المستوى الدولي أو المستوى الإقليمي. خاصة في سياق العلاقات المغربية الإسبانية، تغيرت المعطيات بشكل سببي في موضوع الهجرة بين البلدين. حيث قلت أعداد المهاجرين السريين القادمين من الضفة الجنوبية؛ ما يعني انخراط أكبر للمغرب في محاربة الظاهرة. ويبقى قطب الرحي في هذه التغييرات السياسية، الموقف من قضية الصحراء، القضية الأولى للدبلوماسية المغربية؛ حيث عبر "ثباتيرو" عن انخراطه في محاولة إيجاد حل لهذه القضية. في إطار يتناغم مع التوجهات المغربية الرامية إلى حل سياسي للقضية.

وبالموازاة مع هذا التوجه السياسي الجديد عمدت الحكومة الاشتراكية إلى تغيير التعاطي السابق مع المهاجرين السريين حيث أعلنت وزيرة الدولة للهجرة "كونسويلو رومي" عن خطة واسعة لإدماج الحاصلين منهم على عقود عمل تمكن من تسوية وضعيتهم القانونية اعتبارا من غشت 2004.⁷⁶² أي أربعة أشهر بعد وصول الحكومة الاشتراكية. وفي الإطار الأوربي، تبنت الحكومة الجديدة الموقف المغربي القائل بالمسؤولية المشتركة عن الهجرة السرية بين دول الاستقبال ودول المذبح. وهو ما حدا بها إلى شطب طلب حكومة أثنار خلال قمة اشبيلية سنة 2002، بإيقاع عقوبات على الدول المصدرة للهجرة السرية،⁷⁶³ في استهداف مباشر للمغرب.

⁷⁶² - خشانة رشيد: "الهجرة السرية ... معضلة أوروبية؟" المصباح، عدد 1370 في 01/ شتبر 2004 ص: 10.

⁷⁶³ - BOUCETTA BOUCHRA BOUDCHICHE :Op. cit p : 50.

من ناحية أخرى، عمد ثباتيرو إلى إطلاق حملة أخرى لتسوية أوضاع المهاجرين السريين سنة 2005. وقد استفاد منها 600000 مهاجر من أصل مليون ونصف، الأمر الذي عزز موقع أعداد الجالية المغربية بإسبانيا.

وهي معطيات انعكست على مؤشرات الهجرة السرية بين البلدين نحو الانخفاض الجاد⁷⁶⁴. فقد سجلت سنة 2005 أكبر انخفاض لوصول قوارب الهجرة نحو الشواطئ الإسبانية منذ سنة 1999. حيث تم وصول 11797 مهاجرا، أي بمعدل 24.70 % أقل من سنة 2004 حسب إحصاءات وزارة الداخلية الإسبانية⁷⁶⁵.

وما بين 2005 و2008 تراجعت قوارب الهجرة السرية إلى حدود 80%⁷⁶⁶. وهو ما يعكس فاعلية المغرب وتعاطيه الإيجابي مع الحد من الظاهرة. خصوصا بعد المواقف الإسبانية الايجابية من قضايا الحيوة التي يأتي على رأسها قضية الصحراء.

وفي تكريس واضح لمسار استعمال الهجرة السرية كورقة ضغط، نرصد تصريح وزير الشؤون الخارجية والتعاون المغربي الطيب الفاسي الفهري إبان اندلاع مشكلة الناشطة الصحراوية أمينتو حيدار؛ حيث أعلن من بروكسيل أن التعاون بين الرباط ومريد حول موضوع الهجرة قد يتوقف بسبب المواقف الرسمية الإسبانية من المشكلة. وهو ما لقي صدى واسعا في الصحافة الإسبانية،⁷⁶⁷ باعتباره تهديدا لمسار التعاون الذي بلغته علاقات البلدين في مجال الهجرة. فما أهمية هذا التعاون؟ وما هو مداه؟

ثانيا: الهجرة كمجال للتعاون.

الهجرة في علاقات البلدين ينظر إليها دائما من خلال إسقاطاتها السلبية كمسكلة⁷⁶⁸. لكن بحكم الجوار الجغرافي بين صفتين متفاوتتين إلى حد كبير في النمو الاقتصادي؛ يمكن اعتبارها من المواضيع الطبيعية التي ستطرح والتي لا يمكن تفاديها. ومن ثم أهمية تحويلها

⁷⁶⁴ - CARLA FIBLA GARCIA SALA, Op. cit p : 197.

⁷⁶⁵ « 25% menos de inmigrantes ilegales a España en 2005 » La mañana N 221 de 8-14 febrero 2006.P : 11.

⁷⁶⁶ - الأيام: عدد 342 في 01-07 شتنبر 2008 ص 21.

⁷⁶⁷ - مجدوبي حسين: سبتيرو يرفض التضحية بالعلاقات الجيدة مع المغرب رغم الضغط السياسي والإعلامي في ملف أمينتو " الأيام، عدد 405 في 10-16 دجنبر 2009 ص: 23.

⁷⁶⁸ - DEL MIÑO PALOMA GONZALEZ op. cit p: 162.

إلى عامل شراكة وإثراء متبادل ووعاء فرص للطرفين⁷⁶⁹، ومجال للتعاون والتنمية. وقد دفعت مآسي الهجرة السرية وصور الغرقى في مضيق جبل طارق الطرفين إلى السير في هذا الاتجاه. ففي 25 أكتوبر 2003 شكل غرق قارب للهجرة السرية على الشواطئ الإسبانية، نقطة تحول محورية فقد راح ضحيته 37 مهاجرا مغربيا، وملأت صور الجثث القنوات الإسبانية على مدار أسبوع⁷⁷⁰.

كما كان لفاجعة "شط مريم" بتونس نفس الوقع؛ ففي الأسبوع الأول من أكتوبر 2004 تم انتشال 64 جثة لمهاجرين سريين مغاربة⁷⁷¹.

وهي معطيات غير مقبولة إنسانيا، كما أنها تعمل على التأثير السلبي على صورة المغرب خارجيا، وقد تفاعل الملك محمد السادس إيجابيا مع هذه المستجدات من خلال الإعلان في مجلس الوزراء المنعقد في 22 دجنبر 2004 عن إحداث مديرية للهجرة ومراقبة الحدود. إضافة إلى إحداث مرصد وطني للهجرة يعنى بوضع إستراتيجية وطنية عبر جمع المعلومات وتحيينها وتقديم اقتراحات في إطار محاربة الهجرة السرية.

كما عزز كل هذه الإجراءات، إقدام المغرب قبل ذلك على إصدار القانون المتعلق بالهجرة وإقامة الأجانب والذي تم بموجبه تجريم التعاطي مع الهجرة من خلال شبكات التهريب المنظمة أو تسهيل عملها. حيث أن هناك عقوبات في هذا المجال قد تصل من 10 سنوات إلى السجن المؤبد⁷⁷².

وضمن هذا الأفق، انبعثت الروح من جديد في التعاون بين البلدين لمحاربة ظاهرة الهجرة السرية. وهو التعاون الذي كان أبرز مجالاته الجانب الأمني من خلال الدوريات البحرية المشتركة. ثم بعد ذلك من خلال الدوريات المشتركة للدرك الملكي المغربي والحرس المدني الإسباني. وهو ما أثمر انخفاضا ملحوظا في نسبة الهجرة،⁷⁷³ كما أثر

⁷⁶⁹ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM: "l'ahrig du Maroc l'Espagne et l' UE: plus d'Europe ... sécuritaire", Op. cit, p : 07.

⁷⁷⁰ - CEMBRERO IGNACIO: « vecinos alejados... », Op. cit p : 169.

⁷⁷¹ - منتسب سعيد: "المغرب في مواجهة الهجرة السرية: من تقوية الحراسة الحدودية إلى إحداث المرصد الوطني للهجرة" الاتحاد الاشتراكي، في 01-02 يناير 2005 ص: 16.

⁷⁷² - "conférence ministérielle euro-africaine sur la migration et le développement: 10 et 11 juillet 2006" Diplomatica, N 06 juillet/aout 2006 p : 33.+ CEMBRERO IGNACIO :Vecinos alejados ... » Op. cit p : 170.

⁷⁷³ - BOUCETTA BOUCHRA BOUCHICHE, Op. cit p : 184.

على مسارها. حيث أصبحت مراكب المهاجرين السريين تنطلق من السواحل الليبية، مع شعور شبكات التهريب بأن الشواطئ المغربية أصبحت غير آمنة⁷⁷⁴.

لكن يبقى أن نشير في هذا السياق إلى محدودية المقاربة الأمنية التي تتمحور حولها وجهة النظر الإسبانية،⁷⁷⁵ والتي تتجلى في استئثار وزارة الداخلية الإسبانية بتسيير هذا الملف بطريقة تفضيلية منتقصة من دور الوزارات الأخرى في فك رموز ظاهرة الهجرة⁷⁷⁶.

ولا ينبغي أن نغفل في سياق الحديث عن التعاون بين البلدين في مجال الهجرة السرية، التأكيد هنا على هجرة جنسيات أخرى نحو إسبانيا خاصة من دول جنوب الصحراء الإفريقية. فقد تحول المغرب بالنسبة إلى هؤلاء إلى قاعة انتظار لتحقيق الحلم الأوروبي. وبلد عبور بالدرجة الأولى⁷⁷⁷. ومنذ سنة 2006 ستبدأ مرحلة جديدة في هذا السياق؛ حيث ستظهر أولى حالات اللجوء والإقامة الدائمة في المغرب من طرف رعايا دول جنوب الصحراء الأفريقية⁷⁷⁸.

فقد أكدت بعض الإحصاءات على أن أكثر من 120 ألف إفريقي من دول جنوب الصحراء مرشحين للهجرة السرية موزعين على المدن المغربية⁷⁷⁹. كما صرح وزير الداخلية المغربي حينها مصطفى الساهل في أكتوبر 2005 على أن أزيد من 15000 من هؤلاء الأفارقة موزعين على الواجهة المتوسطية للمملكة في انتظار تحين الفرصة للعبور نحو إسبانيا.⁷⁸⁰

وفي هذا الإطار، ستبرز ظاهرة السلايم الخشبية التي تم استعمالها من طرف المهاجرين الأفارقة لتجاوز الحاجز الحديدي الفاصل مع ملياية. حيث تكررت هذه العملية

⁷⁷⁴ - خشانة رشيد: "الهجرة السرية ... معضلة أوروبية؟" الصباح، عدد 1370 في 01 شتنبر 2004 ص: 10.

⁷⁷⁵ - BOUCETTA BOUCHRA BOUDCHICHE, op. cit p: 45.

⁷⁷⁶ - خيما مارتين مونيوث: مرجع سابق ص: 29.

⁷⁷⁷ - BELLAHA LARBI: "Marruecos y el Proceso de Barcelona: la consolidacion de un futuro comun" In : ANA FERNANDEZ-ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords.) Op. cit p: 156.

⁷⁷⁸ - Entrevista de : LAHLOU MEHDI , KANTARA, N 05 Abril 2011 p : 71.+ BEL GUENDOZ ABDELKERIM : "l'ahrig du Maroc, l'Espagne et l'UE..." Op. cit p : 07.

⁷⁷⁹ - منتسب سعيد: "المغرب في مواجهة الهجرة السرية: من تقوية الحراسة الحدودية إلى إحداث المرصد الوطني للهجرة" الاتحاد الاشتراكي، في 02-01 يناير 2005 ص: 16.

⁷⁸⁰ - CEMBRERO IGNACIO: « vecinos alejados ; los secretos de la crisis entre España y Marruecos » Op. cit p : 159.

أثناء الأسبوع الأخير من شهر غشت 2005 أربع مرات، تمخضت عن تسلل قرابة مائة مهاجر سري إلى مليلية ومقتل مهاجر من أصل كاميروني⁷⁸¹. وفي أكتوبر من نفس السنة وقع هجوم 700 مهاجر سري، نتج عنه جرح 135 منهم ومقتل خمسة⁷⁸².

وتماشيا مع استراتيجية التعاون في مجال الهجرة بين البلدين؛ فقد تجند المغرب لمحاربة هذه الأعمال. وتم إلقاء القبض على 4000 مهاجر افريقي من جنوب الصحراء في محيط كل من سبتة ومليلية. كما شهدت هذه الحملات الأممية مشاركة القوات المسلحة الملكية المغربية لأول مرة في مكافحة الهجرة.

وكمؤشر قوي على تعاون البلدين في مجال الهجرة وعلى تفهم المغرب للمعاناة الإسبانية من الأعداد الكبيرة للمهاجرين السريين. اتصل الملك خوان كارلوس بالملك محمد السادس في 06 أكتوبر 2005، طالبا منه قبول المغرب استقبال 73 مهاجرا سريا افريقيا؛ بشكل استثنائي كانوا قد نجحوا في الوصول إلى مليلية عبر الحدود المغربية، وهو ما تمت الاستجابة له⁷⁸³.

لكن يبقى أن الهجرة ليست موضوعا أمزيا فحسب؛ بل هي ظاهرة سوسيو اقتصادية عالمية تتجاوز الإطار المغربي الإسباني. وتلزم البلدين بجعلها فضاء للتعاون والتضامن في إطار شراكة إنسانية تتجاوز معادلة فتح الحدود في وجه البضائع وإغلاقها في وجه البشر. ويبدو أننا اليوم، نعيش انقلابا جذريا في المعطيات السابقة؛ ففي ظل الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالاقتصادات الأوروبية، والتي لم تسلم منها إسبانيا. عرفت هذه الأخيرة انكماشاً اقتصادياً رفع نسبة البطالة فيها إلى 21 % من اليد العاملة. وهو المعدل الأكبر داخل الاتحاد الأوروبي⁷⁸⁴. وأكثر من 44 % من هؤلاء العاطلين عن العمل تقل

⁷⁸¹ - مجدوبي حسين: "مع بروز ظاهرة اقتحام الحدود الإسبانية بالسلالم الخشبية: الكاميروني الذي ورط مقتله المغرب" الأيام، عدد 195 في 11-05 شتبر 2005 ص. 15.

⁷⁸² - MANSOUR ABDELLATIF: "immigration clandestine: le Maroc accuse" Maroc-hebdo N : 669 du 14-20 octobre 2005.P : 14.

⁷⁸³ - CEMBRERO IGNACIO: « Mohamed 6 a de quoi etre fâché » Le journal du 10-16 novembre 2007.P : 23.

⁷⁸⁴ - GARRIC ANDREY: " Espagne: ces résultats donnent un aperçu des élections générales de 2012 " La vérité du 28 mai au 03 juin 2011 N : 457.P : 05.

أعمارهم عن 25 سنة.⁷⁸⁵ وهو ما يعتبر مؤشرا خطيرا، خاصة إذا علمنا أن هذه النسب في تزايد مستمر. فقد تجاوزت البطالة سنة 2012 حاجز 25 %؛ وسجل عدد العاطلين 8.5 ملايين حسب الإحصاءات الرسمية لمديري⁷⁸⁶. في حين تفاقمت الأمور سنة 2013 بالوصول إلى 9.5 ملايين من العاطلين ناهيك عن ارتفاع مؤشر الفقر الذي بدأ يمس سبعة ملايين إسباني، فأغلبهم لا يملكون موارد مادية لإشباع حاجاتهم الضرورية⁷⁸⁷.

وهي وضعية إجمالية بالجارة الشمالية، لم تترك المهاجرين المغاربة بها بمنأى عن التأثيرات السلبية للأزمة. فبين النصف الأول من سنة 2008 والنصف الأول من سنة 2009 تراجع إجمالي تحويلات الجالية المغربية بإسبانيا من العملة الصعبة ب 26⁷⁸⁸، كما ارتفع عدد المغاربة العاطلين عن العمل بإسبانيا في نهاية سنة 2010 إلى 239 ألف عاطل بينهم 148 ألف رجل و81 ألف امرأة.⁷⁸⁹

وفي السنة الموالية، بينت الإحصاءات أن 44 % من المهاجرين المغاربة بإسبانيا عاطلين عن العمل بسبب الأزمة الاقتصادية. كما أن أعدادا مهمة منهم وجدت صعوبة في الحصول على تعويضات فقدان الشغل. وقد احتل المغاربة في إسبانيا المرتبة الثانية وراء الصينيين في مجال المبادرة إلى خلق مشاريع التمويل الذاتي في إطار تجاوز التداعيات السلبية للأزمة الاقتصادية.⁷⁹⁰

والمد التصاعدي لتأثيرات الأزمة الاقتصادية على المهاجرين المغاربة سيصل مداه سنة 2013؛ حيث أدركت البطالة نسبة 60 % منهم⁷⁹¹، متجاوزة بذلك حاجز 340 ألف

⁷⁸⁵ - entrevista de: DAHIRI MOHAMED(de la Universidad de cordoba) KANTARA N : 08 julio Agosto 2011 p : 63.

⁷⁸⁶ - "رقم قياسي جديد للبطالة بإسبانيا أخبار اليوم عدد 895 في 31 أكتوبر 2012 ص: 08.
⁷⁸⁷ - وهي جمال: لهذه الأسباب يعزف المغاربة عن الهجرة إلى إسبانيا"، المساء، عدد 2203 في 26-27 أكتوبر 2013 ص: 01.
⁷⁸⁸ - "مغاربة إيطاليا وإسبانيا في خط النار بسبب أزمة الدين"، المساء، عدد 1601 في 17 نونبر 2011 ص: 11.
⁷⁸⁸ - وهي جمال: لهذه الأسباب يعزف المغاربة عن الهجرة إلى إسبانيا" المساء، عدد 2203 في 26-27 أكتوبر 2013 ص: 01.
⁷⁸⁹ - عماد عادل: "239 ألف مغربي عرضة للبطالة والعنصرية بإسبانيا"، الاتحاد الاشتراكي، عدد 9696 في 01 فبراير 2011 ص: 01.

⁷⁹⁰ - بوهريد محمد: "دراسة ميدانية عن سوق الشغل في إسبانيا أكدت أنهم يواجهون صعوبات في الحصول على تعويضات فقدان الشغل والبطالة: 44 % من مغاربة إسبانيا عاطلون عن العمل" المساء، عدد 1605 في 22 نونبر 2011 ص: 02.
⁷⁹¹ - أكدير عبد الواحد: "الجالية العربية في إسبانيا" مرجع سابق ص: 29.

مهاجر مغربي عاطل عن العمل⁷⁹².

بل أكثر من هذا؛ تم الحديث عن هجرة عكسية من مواطنين إسبان نحو المغرب. فقد صرح السفير المغربي بروسيا عبد القادر لشهب لو كالة "نوفوسكي" الروسية للأذباء أن 30 ألف مواطن إسباني حلوا بالمغرب للبحث عن فرص عمل⁷⁹³.

المطلب الثاني: ملفي الإرهاب والمخدرات وتأثيرهما على علاقات البلدين

وهما ملفان لهما حضور وتأثير بين على علاقة البلدين. ويشكلان تحديات أمنية مهمة أمامهما. ولا مناص من التطرق لهما. وهو ما سنتناوله من خلال مقارنة تأثير ملف الإرهاب على الوضع الداخلي بالجاراة الشمالية (الفقرة الأولى) وإسقاطات ذلك على العلاقات المغربية-الإسبانية (الفقرة الثانية) فضلا عن طبيعة حضور تهريب المخدرات بين ضفتي المتوسط في هذه العلاقات (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: أثار ملف الإرهاب الداخلية وأسباب استهداف إسبانيا

ما يحيلنا إلى التطرق للآثار السلبية لتفجيرات مدريد بالنظر لأهميتها الداخلية على المشهد السياسي الإسباني. (أولا) و بالنظر لأسباب هذا الاستهداف المرتبطة بالفعل السياسي الخارجي الإسباني. (ثانيا).

أولا: أثار التفجيرات الداخلية

لقد كانت إسبانيا دائما في قلب الحدث، فيما يتعلق بالتفجيرات الداخلية والإرهاب الدولي. ذلك انه تم إحصاء أكثر من 35 حالة عنف وتفجير بإسبانيا مرتبطة بالقضايا العربية والإسلامية قبل أحداث 11 مارس 2004⁷⁹⁴. لكننا عندما نتحدث عن الإرهاب في العلاقات المغربية الإسبانية فإننا نعني بالأساس حادث تفجير محطة القطار اتوشا في مدريد بتاريخ 11 مارس 2004. والذي ثبت مشاركة عدد لا يستهان به من المغاربة فيه. وهو ما

⁷⁹² - بوهريد محمد: "مغاربة بإسبانيا يتوسلون مصاريف نقل موتاهم إلى المغرب" المساء، عدد 1838 في 21 غشت 2012 ص: 04

⁷⁹³ - جمال وهيبي: "لهذه الأسباب يعزف المغاربة عن الهجرة إلى إسبانيا" المساء، عدد 2203 في 26-27 أكتوبر 2013 ص: 05

⁷⁹⁴ - Gustavo de Aristegui: "la-yihad en España :la obsesión par reconquistar al-andalus". la esfera de los libros ; 5 edición ;2004 p :174

كان له تأثير بين على علاقات البلدين على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي ودتى السيميائي/الدالي؛ وذلك سلبا وإيجابا حسب زاوية النظر والموقع الذي يختاره الباحث وهو ما سنعمل على مقاربته في الاتجاهين .

بالإضافة إلى أن هذه التفجيرات اعتبرت الأخطر في تاريخ اسبانيا⁷⁹⁵ من جهة، والأكثر دموية من جهة أخرى. حيث أسفرت عن قتل أزيد من 191 قتيلا ناهيك عن العدد الكبير للجرحى والمصابين⁷⁹⁶.

وقد شكلت هذه التفجيرات حدثا استثنائيا في التاريخ الاسباني بالنظر إلى حجم الآثار الداخلية سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

واهم ما يمكن تسجيله هو التأثير الكبير للشعب الاسباني بكل فئاته. وهو ما سيدفع إلى خروج أعداد كبيرة من المتظاهرين غير مسبوقه في تاريخ البلد منددة بالتفجيرات ومذفيها. وفي نفس الوقت المطالبة بكشف الحقيقة خاصة أمام الغموض الذي لف العمل الحكومي وتدبيره للحدث.

ففي يوم الجمعة 12 مارس 2004 بعد الحدث خرج ما يزيد عن 11 مليون شخص في كل اسبانيا منددين بالتفجيرات.⁷⁹⁷ بل الأكثر من هذا أن هناك مناطق سجلت أرقاما قياسية في عدد المتظاهرين يحمل على القول أنها خرجت عن بكرة أبيها ومنها :مليون و100 ألف متظاهر في بالينسية و 400 ألف في سرقسطة. و اثنان مليون في اندلوسيا و700 ألف في اشبيلية⁷⁹⁸ وغيرها من المناطق .

ومن أوائل الأفكار التي روجت لها الحكومة هي تحميل المسؤولية لمنظمة ايتيا البسكية الانفصالية.⁷⁹⁹ وهو ما يعزز التوجه الرسمي المتبع قبل ذلك. ما جعل هذا التنظيم

⁷⁹⁵- Rosa María Artal :'' 11-M- 14-M :anda expansiva :quien miente '' ediciones :espejo de tinta ;1^{ra} edición ;abril 2004 p : 13.

⁷⁹⁶- Casimiro García – Abadillo : ''11-M :la venganza'' la esfera de los libros ;6ta edición ;Madrid octubre 2004 p :22.

⁷⁹⁷- José María Aznar : '' ocho años de gobierno :una visión personal de España'', Op.cit p :264

⁷⁹⁸- Rosa María Artal, Op-cit p :77.

⁷⁹⁹- Casimiro Garcia-Abadillo, Op-cit p :136.

هو عدو اسبانيا الأول. وبعد ظهور البوادر الأولى لإمكانية تورط الإرهاب الإسلامي متجسدا في تنظيم القاعدة؛ تم اتهام الحكومة الشعبية بزعماء اثنار بالكذب وتغيير الحقائق. وهو ما عبرت عنه الشعارات المرفوعة في المظاهرات السالفة الذكر ومنها "اثنار القاتل⁸⁰⁰ "اثنار الجبان نريد الحقيقة "لا للحرب" "قبل التصويت نريد الحقيقة" ⁸⁰¹ من بين أخرى .

علاوة على أن هناك من ذهب إلى أن وقوع هذا العدد الضخم من الضحايا تحت أنظار كل الأجهزة الأمنية والاستخباراتية يعتبر فشلا ذريعا لهذه الأجهزة ⁸⁰². وتتدخل فيه الحكومة مسؤولية سياسية لا غبار عليها .

الأمر الذي كان له انعكاسا مباشرا على الانتخابات التي ستعرفها البلاد بعد ثلاثة أيام. ففي استطلاعات الرأي التي أجريت قبل الأحداث؛ أعطت للحزب الشعبي تفوقا على نظيره الاشتراكي ب 70, 6 نقطة وهو ما يلزم لحصوله على 176 مقعدا في البرلمان. أي ما يمنحه الأغلبية المطلقة ليحكم دون ائتلاف؛ وهو أيضا ما أكدته استطلاعات رأي أخرى في يوم 07 مارس قبل الأحداث ⁸⁰³.

لكن تفجيرات مدريد ستشكل زلزالا سياسيا كانت بؤرة الانفجار فيه هي الانتخابات في 14 مارس. حيث سيتغير وجه اسبانيا، من خلال فوز الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني بانتخابات كان من المؤكد انه سيخسرهما بقليل قبل ذلك ⁸⁰⁴. واللافت للانتباه أن الشعب الاسباني تجند كله لهذه المهمة حيث سيصوت 77, 20 % من عدد المسجلين في اللوائح الانتخابية ⁸⁰⁵. الأمر الذي سيدفع إلى التساؤل حول أسباب هذا التغيير الكبير في توجه الرأي العام الاسباني ؟

⁸⁰⁰- Casimiro Garcia-Abadillo, Op-cit p :84.

⁸⁰¹- Rosa María Artal Op-cit p : 112.

⁸⁰²-Casimiro García –Ababillo Op-cit p :221.

⁸⁰³- Ibíd. p :211.

⁸⁰⁴- Rosa María Artal Op-cit p : 184.

⁸⁰⁵ - Rosa María Artal Op-cit. p 153.

ثانياً: أسباب استهداف إسبانيا

الإجابة على التساؤل السابق تجد لها مبررات في الخوض في أسباب استهداف إسبانيا ووضعها على رأس الدول المستهدفة من قبل التنظيمات الإسلامية المتشددة . ولعل ابرز الأسباب هو توجه السياسة الخارجية الإسبانية لخوسي مارية اثنار رئيس الحكومة⁸⁰⁶. والمتمثل أساسا في العلاقات المتميزة مع الولايات المتحدة والانخراط إلى جانبها في حملتها الدولية ضد الإرهاب خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وهو الانخراط الذي سيجد تجسيده في انضمامها إلى التحالف الدولي الذي سيحتل أفغانستان. وأيضا مشاركتها في الحرب على العراق. وتعاونها الاستخباراتي من خلال عمليات "داتيل" datil "نوبا 1 NOVA I " ونوبا II " وهي العمليات التي انطلقت منذ نونبر 2001؛⁸⁰⁷ بالعمل على تفكيك شبكات استقطاب المجاهدين المفترضين، للدفع بهم في ساحات أفغانستان والعراق وغيرها من المناطق. وستؤثر السرعة التي انخرطت فيها إسبانيا في هذه الحملة العالمية على الإرهاب وفاعليتها في وضعها على رأس الدول المستهدفة .

وقد كان رئيس المخابرات الإسبانية سنة 2003 قد أشار إلى احتمال استهداف إسبانيا في القريب العاجل وذلك في اجتماع لرؤساء مخابرات دول حلف الشمال الأطلسي⁸⁰⁸. وقد اعتبر البعض أن أكبر خطأ ارتكبه أثنار هو تغيير وجه الدبلوماسية الإسبانية وتوجيهها نحو الولايات المتحدة بشكل أساسي.⁸⁰⁹ على حساب توجهاتها التقليدية والمتمثلة في إعطاء الأولوية لأوروبا والاندماج فيها. والتوجه الجديد والانخراط في الحملة الدولية على الإرهاب كان من الأسباب الأساسية لتفجيرات مدريد.

علاوة على ذلك؛ وكما أسلفنا؛ فإن إسبانيا في المتخيل الإسلامي يتم خطها بالأندلس

⁸⁰⁶ -Bouchra Boudchiche Boucetta op-cit p : 47.

⁸⁰⁷ - GUSTAVO DE ARISTEGUI, Op cit p 197.

⁸⁰⁸ - ROSA MARIA ARTAL Op cit p 111

⁸⁰⁹ - Juan Carlos Jiménez Redondo : "de Suarez a Rodríguez Zapatero : la política exterior de la España democrática" editorial : sílex ;Madrid ;2006 p :10

كفضاء ترابي يشمل الأندلس الإسلامية تاريخيا وليست جهة "اندلوسيا" كما يعرفها الاسبان اليوم⁸¹⁰. وهي تحيل إلى نقطة مشرقة ومصدر فخر لكل مسلم بالنظر إلى الإشعاع الذي عرفته تاريخيا على جميع الأصعدة⁸¹¹.

وهي نفس المكانة الرمزية التي تحتلها في الفكر الجهادي للحركات الأصولية المتشددة وعلى رأسها تنظيم القاعدة؛ الهجرة والتكفير، تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي؛ وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" فالأندلس في الخطاب الجهادي أي اسبانيا والبرتغال اليوم؛ تشكل محركا وسببا لإعلان الجهاد من أجل استرجاعها كجزء تاريخي من دار الإسلام التي تم اغتصابها⁸¹². وكان أيضا زعيم "الجماعة السلفية" في الجزائر أبو مصعب عبد الوود (اسمه الحقيقي عبد المالك درودكال) قد دعا إلى استعادة أراضي الأندلس المسلوبة⁸¹³. وهذا المعطى جعل اسبانيا هدفا شرعيا لكل الجماعات الجهادية. كما اعتبر البعض أن تفجيرات 11 مارس شكلت عقابا لأمة هزمت الإسلام ورفضت قدرها كجزء من الأمة الإسلامية⁸¹⁴.

وفي سياق آخر، يضاف إلى هذه العوامل احتلال سبتة ومليلة والجزر التابعة لها كجزء من دار الإسلام. وهو ما استوجب تطهير الأرض الإسلامية منه خاصة أن احتلال هذه المناطق جاء تاريخيا في سياق ديني وفي إطار نشر المسيحية وحمايتها.

وقد كان أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة قد أشار إلى تحرير سبتة ومليلية أكثر من مرة. ودعا إلى إخراج "الكافر من أرض الإسلام"⁸¹⁵ وهو ما يعزز مكانة اسبانيا والمسببات التي تجعلها على رأس قائمة الدول المستهدفة من طرف الجماعات المتشددة.

⁸¹⁰ -Gustavo de Aristegui Op-cit p : 132

⁸¹¹ -Ibíd. p :147

⁸¹² -Ibíd. p : 321

⁸¹³ -العلم عدد 21184 في 24 أكتوبر 2008 ص: 01.

⁸¹⁴ -Gustavo de Aristegui Op-cit p : 148.

⁸¹⁵ - Ignacio Cembrero : "M6a de quoi être facheé" ; le journal hebdomadaire N : 324 du 10- 16 11 2007 p :23 Interview avec : Yves Zurlo ; le journal, n 324, p : 24.

-نبيل الدريوش : "الرباط و مدريد تعيشان أزمة غير معلنة. المساء : عدد 481 في 06/04/2008 ص 09.

ينضاف إلى ذلك؛ عامل القرب الجغرافي من الضفة الجنوبية. واعتبار اسبانيا منطقة عبور للكثير من المهاجرين المقيمين في أوروبا. وهو ما يجعل العمل الجهادي بها أكثر سهولة في ظل هذا المعطى الجيوستراتيجي⁸¹⁶.

والمعطيات السابقة لن تمر دون أن تلقي بظلالها على علاقات البلدين فما مدى ذلك؟

الفقرة الثانية: تأثير ملف الإرهاب على علاقات البلدين

وهو ما يظهر على مستوى محاولة إصاق تهمة التفجيرات بالمغرب عبر ما اصطلح على تسميته بنظرية المؤامرة في الأوساط الإسبانية (أولا) و أيضا على مستوى العمل على تحويل ملف الإرهاب إلى ورش لتعزيز التعاون بين البلدين (ثانيا).

أولا: نظرية المؤامرة في الأوساط الإسبانية

خطورة تفجيرات مدريد وحجم الضحايا الذي خلفته بالإضافة إلى تأثيراتها السياسية خاصة والاجتماعية دفعت إلى كثرة اللغط والجدال حول من يقف وراءها. وكان من بين الفرضيات القوية التي تم الترويج لها من قبل الكثير من الأوساط تورط الأجهزة الأمنية والاستخباراتية المغربية في الحادث. أو ما عرف ب "انتقام" المورو" la venganza Mora⁸¹⁷ وذلك كرد على اهانة جزيرة ليلى /بريخيل التي تعرض لها المغرب. والتي كانت مازالت حاضرة في الاذهان. ومن بين هذه الأوساط التي تبنت هذه الفرضية هناك الحزب الشعبي الإسباني والصحافة القريبة منه مثل "لا كوبي la copé" والموندو⁸¹⁸. هذه الأخيرة روجت بشكل لافت لمقولة انتقام "المورو" من خلال سلسلة من المقالات؛ توجت بكتاب مديرها المساعد "كاسيميرو غارسية أبادو" تحت عنوان " 11 م: الانتقام "الذي تجاوز الطبعة السادسة في وقت وجيز بعد صدوره، وتم الترويج له في اسبانيا على نطاق واسع. وقد اعتمد في روايته على طرود مجهولة من عميل سابق في المخابرات الإسبانية تدين المغرب. والرواية السالفة وجدت لها أذانا صاغية حيث أنه في

⁸¹⁶ - Ignacio Cembrero, Op-cit p : 174.

⁸¹⁷ -Casimiro García Abadillo, Op-cit 228.

⁸¹⁸ -Ignacio Cembrero, Op-cit p : 147.

استطلاع سيكمادوص الذي نشرته جريدة الموندو في 13 غشت 2008 فإن 40 % من المستجوبين ما زالوا يعتقدون أن المخابرات المغربية وراء تلك التفجيرات⁸¹⁹.

ومن بين المؤشرات التي يسوقها أصحاب هذه الفكرة نجد العدد الكبير للمغاربة المشاركين في هذه التفجيرات ومن بينهم: العريزي ، سعيد براج، حداد وجمال حميدان الملقب بالصيني و 28 آخرين تم اعتقالهم من طرف الأمن الإسباني⁸²⁰. وتقول هذه الأوساط انه يصعب تحرك هؤلاء وتخطيطهم دون أن تكون المخابرات المغربية على علم بذلك و هي التي تتبع المغاربة المذخرطين في التنظيمات الإسلامية المتشددة أينما كانوا وذلك بعد تفجيرات الدار البيضاء التي هزت المغرب .

علاوة على أن كل المراقبين اجمعوا على أن أكبر المستفيدين من هذه التفجيرات هو المغرب فقد قال استاذنا الحسان بوقنطار بانه:

"يمكن القول أن أحداث 11 مارس التي شهدتها اسبانيا قد خدمت بلادنا بشكل غير مباشر من حيث أنها أفضت إلى صعود الاشتراكيين الذين سعوا إلى مقاربة جديدة في التعامل مع الملفات التي تهم بلادنا"⁸²¹.

فالنتيجة التي أسفرت عنها التفجيرات سياسيا من سقوط حكومة أثنار ووصول ثباتيرو الى الحكم أنهت فعليا الأزمة التي عرفت علاقات البلدين وفتحت أفقا جديدة للتعاون مع المغرب. بالإضافة الى أن حدث إطلاق سراح محمد حداد من طرف المخابرات المغربية بعد اعتقال دام يومين في تطوان بعد الأحداث، وهو الذي وضعت اسبانيا على رأس قائمة المطلوبين لديها بناء على شهادة بعض الشهود الذين تعرفوا عليه من بين الأشخاص الذين

⁸¹⁹ - جريدة الأيام عدد 324 في 01-07 شتنبر 2008 ص 21.

⁸²⁰ - Martin Jerch : "de barcelona a Barcelona plus : pasado presente y futuro del proceso de Barcelona" in "Europa y marruecos : diez años del proceso de Barcelona " Ana Fernandez-Ardavin y Mónica Goded Salto (coords) Op cit p :63 . Et Casimiro Garcia Abadillo, Op -cit p : 227 .

⁸²¹ - ذ الحسان بوقنطار :: "المغرب في عالم مضرب "الاتحاد في 01 و02 يناير 2005 .
- Casimiro Garcia Abadillo, Op- cit p : 196 .

كانوا يحملون حقائب ظهر في محيط محطة مدريد في نفس يوم التفجيرات⁸²². زاد من تعداد أنصار نظرية المؤامرة في الجارة الشمالية .

كما أورد كاسيميرو كارسيا اباديو، صاحب نظرية المؤامرة وانتقام المورو معلومة مفادها أن المخابرات المغربية قبل التفجيرات بقليل كانت قد بعثت لنظيرتها الإسبانية تحذيرا بقرب استهدافها من قبل المتطرفين.⁸²³ وهو في نظره ما بين اطلاق المغاربة على هذا المخطط وأنهم كانوا وراءه .

وتماشيا مع نسق التحليل أعلاه؛ بقيت حسب الاسبان اثنتان من المكالمات التي أجرتها مجموعة "ليغانس" يوم 03 ابريل 2004 قبل تفجير المنزل الذي كانت تقيم به، دون أن تعطي عنها المخابرات المغربية أي معلومة. علما انه وقع ربط مباشر بين الطرف الاسباني والمغربي لتتم ترجمة مضمون تلك المكالمات. وهو ما ألقى بظلاله على الموقف المغربي حسب أنصار هذا الطرح. ناهيك عن انه بعد سنتين من تفجيرات الدار البيضاء لم تتلق المخابرات الإسبانية أي جواب عن سؤالها حول تركيبة تلك المتفجرات⁸²⁴.

وقد انضافت الى ما سبق عوامل أخرى أهمها تحميل الأمن المغربي تبعات تقصيره في محاربة ظاهرة التشدد الإسلامي. فقد أورد "غوستافودي اريستيغي" انه من أصل 35000 مسجد مغربي هناك فقط 8659 تحت تسيير وزارة الأوقاف. والبقية تسييرها جمعيات أهلية⁸²⁵، وهو ما يعتبره الاسبان مشتلا للتطرف. زد على ذلك قولهم أن الحركات الإسلامية المغربية هي الأكثر عداءا للإسبان في العالم الإسلامي⁸²⁶. كما يتم اليوم الترويج الى أن أعداد المغاربة الذين يقاتلون بشكل رسمي ضمن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في العراق وسوريا يصل الى 2500 مقاتل كئالت أهم جنسية⁸²⁷.

⁸²² -Alfonso Merlos García : ‘‘causas desarrollo e implicaciones estratégicas del auge del terrorismo salafista en el espacio de seguridad euromediterráneo : la amenaza de los redes morroquies’’ In ‘‘europa y marruecos : diez años del proceso de barcelona’’ , Op-cit p: 75.

⁸²³ -Casimero García Abadillo , Op-cit p : 288.

⁸²⁴ -Ibid p :74.

⁸²⁵ -Gustavo De Arestegui Op-cit p :293

⁸²⁶ -Ibid p : 324

⁸²⁷ -الزعلي عبد الصمد : "تقرير 2500: مغربي ب "داعش" وصعوبات باتت تواجه تجنيد المزيد" المساء : عدد 2620 في 03 03 2015 ص 01

وخلاصة القول من كل ما تقدم، أن الرأي العام الإسباني أصبح يؤمن ببعض تلك المقولات. ففي استطلاع سيكما دوص المشار إليه أنفا يعتبر 63 ٪ من المستجوبين أن السلطات المغربية لا تساعد إسبانيا في محاربة الإرهاب. وهو ما تفنده معطيات التعاون بين البلدين في هذا المجال .

ثانيا: التعاون الثنائي في مجال الإرهاب :

وقد دفع الى هذا التعاون وحفز عليه كون المغرب هو الآخر كان ضحية للإرهاب الذي ضرب بقوة أثناء تفجيرات الدار البيضاء في 16 ماي 2003. وهي التفجيرات التي جاءت في فترة توتر شديد بين الرباط ومadrid حيث أن أجواء الأزمة السياسية لسنة 2001 كانت مازالت سائدة. وقد شكلت هذه الأحداث عامل تقارب وإذابة للجلايد بين الـضفتين. فقد سارعت إسبانيا الى مساندة المغرب ودعمه. وإذا كان اختيار الأماكن غير مجاني، فمناطق الأشياء يقول بان تفجير أماكن بالبيضاء له علاقة بإسبانيا من ضمنها "كاسادي إسبانيا" لا يخل من دلالة. وهو الأمر الذي نتج عنه سقوط أربعة أسبان قتلى في تفجيرات البيضاء من بين ثلاثة وثلاثين ضحية⁸²⁸.

كما انه خلال تفجيرات مدريد سقط ثلاثة قتلى مغاربة⁸²⁹، الأمر الذي دفع الصحفي "خابيير بالنثويلا" والمستشار الإعلامي السابق لثباتيرو الى القول :

"صارت تربطنا روابط الدم بحكم أن البلدين كانا مستهدفان من طرف الإرهاب الدولي خلال أحداث 16 ماي 2003 و 11 مارس 2004 ففي البيضاء لقي أسبان مصرعهم بعد استهداف "كاسا دي إسبانيا" وفي تفجيرات مدريد كان هناك ضحايا مغاربة"⁸³⁰.

فإسبانيا والمغرب أصبحا في خندق واحد في مواجهة الإرهاب. وهي المعاني التي أكد

⁸²⁸- A Muñoz – Alonso :'' España en primer plano : ocho años de política exterior (1996- 2004)'' Op-cit p : 434

⁸²⁹- De Vega Luis :'' los otros marroquies del 11 de marzo'' ABC : n 32601 del 11 03 2005 p : 14

⁸³⁰-دريوش نبيل : "الجوار الحذر :العلاقات المغربية –الإسبانية من وفاة الحسن الثاني الى تنحي خوان كارلوس"، مرجع سابق ص: 76.

عليها الملك محمد السادس لوكالة "أوربا بريس" أثناء مشاركته في المؤتمر الدولي حول الديمقراطية والإرهاب والأمن الذي احتضنته مدريد سنة 2005 حيث جاء في تصريحه: "إنني أشاطر الشعب الإسباني آلامه ومشاعره، حزنه لا سيما وأذا عانينا من نفس الجروح. ذلك أن الوحشية ذاتها اودت بحياة عشرات الأبرياء في 16 ماي 2003 بالدار البيضاء⁸³¹".

وهو ما تمت ترجمته من خلال إطلاق تعاون و تدسيق وثيق بين البلدين لمحاربة الإرهاب الدولي وتجفيف منابعه. وذلك على المستويات الأمنية، الاستخباراتية، القضائية والثقافية.

فعلى المستوى الأمني الاستخباراتي تم ما بين 11 مارس 2004 ويناير 2005 الاستجابة من طرف المغرب ل 118 طلب معلومات سرية. والتباحث المشترك بين أجهزة البلدين حول 231 ملف لأشخاص مشكوك في علاقتهم بالإرهاب الدولي. وتحديد هوية أصحاب 280 هاتف نقال بطلب من الجانب الإسباني.⁸³² كما أن جزءا من عمليات التحقيق في تفجيرات مدريد اعتمدت على تقارير صادرة عن المخابرات المغربية⁸³³.

وفي دجنبر 2004 كان للأجهزة المغربية دور مهم في تفكيك خلية إرهابية ببرشلونة في منطقتي: "Sant Andreu de la barca" و "mollet Del vallés" كانت تعمل على الحصول على 400 كيلو غرام من المتفجرات⁸³⁴. وفي ابريل من نفس السنة، وأثناء محاصرة مجموعة "ليغانس" بالشقة رقم 40 بمدريد والتي ستفجر نفسها لاحقا. استعمل أفرادها هواتفهم متحدثين بالدارجة المغربية مما دفع الاسبان الى التعاون مع الاستخبارات المغربية من أجل الترجمة الفورية بحيث أصبحت المكالمات يتم الاستماع إليها في المغرب واسبانيا في نفس الوقت. وهي من حالات التعاون الفعالة ضد الإرهاب⁸³⁵.

⁸³¹ -الاتحاد الاشتراكي، عدد 7878 في 12 مارس 2005، ص: 03.

⁸³² -Alfonso Merlos García : "causas desarrollo e implicaciones estratégicas ..." Op-cit p : 74.

⁸³³ -مجدوبي حسين : "11 مارس كان امتحانا للمخابرات الإسبانية " الأيام : عدد 227 في 17 - 2006/04/23 ص: 09

⁸³⁴ - Ignacio Cembrero, Op-cit, p : 153.

⁸³⁵ - Ignacio Cembrero, Op-cit, p : 152.

وفي مرحلة متقدمة من التعاون تم إحداث "خط ساخن Línea caliente يتم من خلاله التواصل الفوري والفعال في القضايا الأمنية ذات الحساسية دون المرور من القنوات التقليدية⁸³⁶.

وخلال زيارة وزير الخارجية الإسباني للرباط في فبراير 2005 تمت مأسسة تبادل المعلومات بين البلدين في مجالات محاربة الإرهاب والجريمة المنظمة والمخدرات من خلال التوقيع على اتفاق يصب في هذا الاتجاه⁸³⁷. ونظرا للطبيعة السرية لهذا التعاون، فقد صرح السفير الإسباني حينذاك "لويس بلاناس بوشاديس" أن ملف محاربة الإرهاب يسير بين البلدين بشكل فعال ومهم⁸³⁸. وهو ما حدا بالجانب الإسباني الى توشيح كل من الجنرال حميدو لعنيكري المسؤول الأول عن جهاز الأمن الوطني المغربي في تلك الفترة. والجنرال حسني بنسلمان المسؤول الأول عن جهاز الدرك الملكي⁸³⁹.

وقد استمر هذا التعاون الأمني نظرا لحيويته بالنسبة للضفتين في محاربة الإرهاب الدولي، ففي مارس 2014 فككت الأجهزة الأمنية للبلدين شبكة تجنيد وإرسال المقاتلين الى عدد من البلدان من طرف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" حيث تم اعتقال عدد من الأشخاص في كل من مليلية والناظور ومالقة جنوب إسبانيا⁸⁴⁰.

وفي سياق آخر شكل التعاون القضائي آلية مهمة في استراتيجية البلدين لمكافحة الإرهاب. فأمام رمزية القضاء كإحدى السلطات المرتبطة بالسيادة، فقد شكل التعاون في هذا المجال إشارة الى الرغبة الكبيرة؛⁸⁴¹ والإرادة السياسية في إنجاح مساهلة القضاء على هذه الظاهرة. ومن أهم تجليات ذلك تعيين قاض إسباني ملحق بالرباط. وآخر مغربي ملحق بمدرية لتسهيل المساطر والإجراءات القضائية المرتبطة بترحيل المتهمين وغيرها⁸⁴². ناهيك عن أشكال أخرى من التعاون تمثلت بالأساس في تنظيم مؤتمرات ثنائية وقمم

⁸³⁶- Bouchra Boudchiche Boucetta: "marruecos y España: en la política de seguridad del mediterráneo" Op-cit p:88.

⁸³⁷-نبيل دريوش: الجوار الحذر،،،،، "مرجع سابق ص 86.

⁸³⁸- Ridouane khadija: "un an après sa nomination l'ambassadeur de l'Espagne dresse le bilan des relations de son pays avec le maroc" Le matin n 5765 du 01/06/2005 p: 05.

⁸³⁹-نبيل دريوش: "الجوار الحذر،،،،، "مرجع سابق ص 84.

⁸⁴⁰- نفس المرجع ص 148.

⁸⁴¹- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op cit, p: 184.

⁸⁴² - Ibid, p:88.

بين وزراء داخلية البلدين ورؤساء الأجهزة المختلفة. وأيضا لقاءات بين أكاديميين وصحفيين ومهتمين من الضفتين⁸⁴³؛ لمناقشة سبل وإمكانية محاربة التطرف والإرهاب والتحسيس ضد العوامل المساعدة على انتشاره.

الفقرة الثالثة: ملف المخدرات في علاقات البلدين

وهو الملف الذي يشكل بدوره أحد مجالات كسر العظم بين الطرفين و التأثير السلبي على علاقاتهما ؛ بالنظر الى واقع وحجم التهريب في هذا المجال بين الضفتين من جهة ؛ (أولا) واستعمال ذلك كورقة ضغط متبادلة بين الطرفين من جهة اخرى (ثانيا) .

أولا: واقع تهريب المخدرات بين الضفتين

هذا الواقع ترسم ملامحه نسب الانتاج من الحشيش ومشتقاته بالمنطقة الشمالية للمغرب وهو ما يبينه الجدول التالي:

المنطقة	المساحة المزروعة بالهكتار	النسبة المئوية من الإنتاج	عدد الأشخاص المشتغلين
العرائش	12000	%12	75000
تطوان	8225	% 7	25000
شفشاون	75000	% 62	250000
تاوانات	14000	% 10	75000
الحسيمة	10000	% 9	75000
المجموع	119225	%100	500000

المصدر : بناني ادريس أرماندين بينا⁸⁴⁴.

وهي معطيات رفعت بشكل مهم معدلات انتاج الحشيش المغربي الذي بلغ 3080 طن سنويا.⁸⁴⁵ وهو ماذهب اليه تقرير منظمة الامم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة الصادر سنة 2005 . حيث اعتبر ان المغرب في مقدمة الدول المنتجة للقنب الهندي (الكيف) خلال الفترة الممتدة من سنة 1999 الى 2003 متقدما على دول مثل باكستان

⁸⁴³ -GUSTVO DE ARISIEGUI, Op cit p: 371.

⁸⁴⁴ -Bennani Driss et Péna Armandine : “ haschich : faut-il brûlé les récoltes ?”, Telquel N 192 du 24 30 / 09 /2005 p :23.

⁸⁴⁵ يوسف بجاجا : "أكدها المكتب الدولي لمراقبة المخدرات :المغرب اول مصدر للحشيش في العالم " الايام عدد 182 في 03 09/05/2005 ص : 09

وأفغانستان⁸⁴⁶. وندفس التقرير ذهب الى ان المملكة تنتج 40 ٪ من مجموع الحشيش المنتج على الصعيد العالمي وتصدر نسبة 60 ٪ منه⁸⁴⁷.

كما أن المساحة المزروعة قفزت من 50 ألف هكتار سنة 1992 الى ازيد من 134 ألف هكتار سنة 2005⁸⁴⁸.

ومن زاوية أخرى تأكدت مقولة "الذهب الأخضر" على اعتبار ان هكتار من زراعة الكيف يدر في المتوسط 50 ألف درهم كعائدات. في حين ان الهكتار من زراعة القمح لا يدر الا خمسة آلاف درهم فقط⁸⁴⁹. ناهيك عن عائدات العملة الصعبة التي يستفيد منها المغرب من تجارة المخدرات والتي تصل حسب المرصد "الجيوستراسي للمخدرات" الى 1,5 مليار دولار⁸⁵⁰.

وقد تعزز هذا الوضع بظهور بذور معدلة وراثيا، تعطي كميات مضاعفة من غبار القنب الهندي، بإيعاز من شبكات الترويج الدولي للمخدرات، كرد فعل ضد حملات السلطة للتقليص من المساحات المزروعة⁸⁵¹.

وما اسلفنا من معطيات، تمخض عن نسبة استهلاك للحشيش المغربي في العالم بلغت 40 ٪. وهو ما تم رصده أيضا على المستوى الأوروبي؛ فدسب تقرير صادر عن المرصد الاوروبي للإدمان والمخدرات أكد ان حوالي ثلثي السكان البالغين المقيمين بأوربا تعاطوا المخدرات و78 مليون اوروبي أعمارهم بين 15 و60 سنة يتعاطون مستخلصات القنب الهندي⁸⁵²، الامر الذي جعل نسبة استهلاك الحشيش المغربي في اوروبا تصل الى 80

⁸⁴⁶ محمد رامي: "معايير الحشيش بالشمال المغربي: مسار مخدر القنب الهندي (الكيف) من الزراعة الى الاستهلاك " الاتحاد الاشتراكي: عدد 8064 في 2005/10/11 ص: 04

⁸⁴⁷ يوسف بجاجا: مرجع سابق ص: 09

⁸⁴⁸ يوسف بجاجا: يشكلون قوة جبارة تفوق قوات الدولة: تجار المخدرات بين عهدين " الأيام عدد 182 في 2005/05/09 ص05
Ignacio Cembrero: "vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y marruecos" Op-cit p: 230

⁸⁴⁹ Bennani Driss et Pénna Armandine op- cit p:25

⁸⁵⁰ أمشكح أحمد: "ملف زراعة القنب الهندي دخل الى البرلمان: كيف النبتة التي عرقلت انضمام المغرب الى الاتحاد الاوروبي " المساء عدد 2237 في 2013/12/05 ص 10

⁸⁵¹ الحجري مصطفى: الحشيش الامريكي والافغاني يغزو حقول كتامة والشاون " المساء عدد 2007 في 2013/03/08 ص 06

⁸⁵² الحجري مصطفى: "رغم تشديد المراقبة,, الحشيش المغربي يواصل اكتساح السوق الاوروبية " المساء عدد 2705 في 11/06/2015 ص 04

853. تحت تأثير القرب الجغرافي وكثافة نشاط شبكات التهريب الدولي. وهو ما لم تسلم منه اسبانيا، فالمغرب يظل أهم مصدر للحشيش المستهلك في الجارة الشمالية 854. فعلى سبيل المثال بلغت نسبة الحشيش المغربي المدجوزة بالديار الإسبانية 57% من مجموع المدجوزات العالمية و 75% من مجموع المدجوزات بدول الاتحاد الاوروبي 855. كما تم سنة 2013 تحطيم الرقم القياسي لأكبر كمية يتم حجزها من مخدر الحشيش المغربي بأروبا والتي بلغت 52 طنا مخبأة في مخزن بأحد احياء مدينة قرطبة. وقد قدرت السلطات الإسبانية القيمة المالية لهذه الكمية ب 100 مليون يورو، وهو ما يعادل 120 مليار سنتيم 856. وهي كلها معطيات ا رخت بظلالها على علاقات البلدين السياسية.

ثانيا : تأثير ملف المخدرات على علاقات البلدين

من أهم التأثيرات التي يحملها ملف المخدرات على علاقات البلدين، كونه يشكل أداة دعاية وذريعة لدى اللوبي الإسباني المعادي للمصالح المغربية ولعلاقات سياسية طبيعية ومميزة بين الجارين. حيث يتم الترويج لدعم المغرب لهذه التجارة القذرة وللاستفادة المادية لإقتصاده من تحويلاتها المهمة 857. الامر الذي خلق رأيا عاما اسبانيا يسير في هذا الاتجاه. فقد أكد استطلاع الرأي "لسيكما دوص" الذي اشرفت عليه جريدة الموندو سنة 2008 ان قرابة 81 % من المواطنين الاسبان مقتنعون ان المغرب لا يبذل مجهودا يذكر في مكافحة المخدرات التي تصل منه نحو الاراضي الإسبانية 858.

كما ان اسبانيا الرسمية استعملت هذا الملف كورقة ضغط واحراج سياسي . ومن الامثلة الصارخة على ذلك قيام المسؤولين الاسبان أثناء بواكير الازمة السياسية المرتبطة بتجديد اتفاق الصيد البحري سنة 2000 باشتراط وقف تصدير المغرب للحشيش مقابل

853أحداد محمد "الكيف يتحول في البرلمان الى نبتة وطنية عجيبة " المساء عدد 2237 في 2013/12/05 ص 03

854الزعلي عبد الصمد: "169 ألف زبون اسباني للحشيش المغربي " المساء عدد 2622 ص : 02

855 بجاجا يوسف :أكدها المكتب الدولي لمراقبة المخدرات :المغرب أول مصدر للحشيش في العالم " الايام عدد 182 في 03 09/05/2005 ص : 09

856المتيوي حمزة : "الامن الاسباني يضبط 85 طنا من المخدرات في اقل من اسبوع "المساء عدد2058 في 2013/05/07 ص : 01

857 Abdelmumni Fuad : " Marruecos – España o la miopia de las élites" . in Carla Fibla Garcia – Sala Op-cit p : 59

858 -الايام عدد 342 في 01 07/09/2008 ص : 21.

تطبيع العلاقات الثنائية. وقد تم الاستشهاد بمصادرة الحرس المدني الإسباني سنة 2000 لأكثر من 300 طن من المخدرات المغربية. وهو ما اعتبر الطرف الإسباني أنه لم يكن ليتم دون وجود رعاية رسمية لهذه التجارة⁸⁵⁹.

وفي حمأة الازمة السياسية لسنة 2001 بين البلدين؛ ذهب مسؤول أمني إسباني إلى التصريح بأن تجارة المخدرات الموجهة إلى أوروبا عبر إسبانيا ترعاها الحكومة المغربية⁸⁶⁰.

الجانب المغربي هو الآخر يستعمل الملف كورقة ضغط في فترات التوتر. فقد ذهب الوزير المغربي السابق الراحل عبد اللطيف الفيلالي إلى أن إسبانيا هي المسؤولة تاريخيا عن دخول زراعة الكيف إلى المنطقة الشمالية المغربية والمساهمة في ازدهارها⁸⁶¹. كما ذهب عباس الهاشمي مؤسس الحزب الديمقراطي الاجتماعي لسبتة؛ إلى أن الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلية يستعمل سياسة التساهل مع تجار المخدرات في أوساط الساكنة الأصلية، كجزء من مخططاته لإطالة أمد تواجده بالثغرين⁸⁶².

دون أن ننسى الإشارة إلى الاستفادة المادية للإقتصاد الإسباني من تجارة المخدرات. فقد أشار "خوان غويتيسولو" إلى أن نسبة عمليات صرف العملة في سبتة سنة 1997 مثلت 1,20 % بإسبانيا في حين وصلت بمليلية إلى 10,42 %. و من بين العملات الأكثر تداولاً نجد العملة الهولندية والكرونة الدنماركية والليرة الإيطالية وهي حسب "غويتيسولو" العملات المستعملة تقليدياً في تمويل عمليات تهريب الحشيش نحو هولندا وإيطاليا⁸⁶³.

كما أن المغرب يشير دائماً إلى أهمية الدور الذي تقوم به شبكات التهريب الدولية الإسبانية في مجال تجارة المخدرات. ويكفي أن نشير إلى أن عدد المواطنين الإسبان الذين تم تقديمهم أمام العدالة المغربية والحكم عليهم بالسجن في قضايا المخدرات بلغ 174 سنة 2012. والمغرب هو البلد الذي يستضيف أكبر عدد في العالم من السجناء الإسبان بتهم

⁸⁵⁹ -مجدوبي حسين : "ما وراء مضيق جبل طارق : الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص : 141.

⁸⁶⁰ -دريوش نبيل : "الجوار الحذر : العلاقات المغربية - الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" الناشر : سيليكي أخوين طنجة، الطبعة الأولى 2015 ص : 30.

⁸⁶¹ -Filali Abdelatif : le maroc et le monde arabe 'editions :SCALI PARIS ,1^e édition 2008 p :84

⁸⁶² -يوغالب العطار : "سبتة ومليلية : مغاربة تحت الاحتلال " مرجع سابق ص : 379.

⁸⁶³ -خوان غويتيسولو "إسبانيا في مواجهة التاريخ" فك العقد"مرجع سابق ص : 146.

التهرب الدولي للمخدرات متبوعا بالبرازيل والبيرو⁸⁶⁴.
وخلال الازمة السياسية لسنة 2001 بين البلدين أكد الملك محمد السادس في تصريح لجريدة "الفيغارو" الفرنسية في 04 شتنبر 2001 على المسؤولية السياسية للطرف الإسباني في ازدهار تجارة المخدرات، حيث أكد على انه :
"بالنسبة لتجار المخدرات المغاربة فهم يتوفرون على جوازات سفر إسبانية وحسابات بنكية في إسبانيا. ولسنا نحن من منحهم الجنسية المزدوجة"⁸⁶⁵.
وهو ما يدفع الى القول على ان ملف المخدرات من المواضيع المشتركة التي تكشف أهمية التعاون بين البلدين لوضع استراتيجيات موحدة وآليات لمحاربة الظاهرة .

⁸⁶⁴-جمال وهيبي: "سجون المغرب تؤوي 174 معتقلا إسبانيا"، المساء، عدد 1626 في 16/12/2011 ص: 02.

⁸⁶⁵-دريوش نبيل مرجع سابق ص 29

المبحث الثاني:

دور البعد الاقتصادي في علاقات البلدين

الملف الاقتصادي في العلاقات المغربية الإسبانية يؤثته من جهة تقلبات العلاقات في مجال الصيد البحري (المطلب الأول). ومن جهة أخرى المعطيات الاقتصادية التي يترجمها حضور القطاع الخاص وحجم المبادلات التجارية بين الطرفين . (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تقلبات ملف الصيد البحري في إطار العلاقات الثنائية للبلدين

لقد إكتسب ملف الصيد البحري أهمية خاصة في علاقات البلدين على المستوى التاريخي والسياسي والإقتصادي والإجتماعي. وألقى بظلاله على هذه العلاقات، ولازال. و هو ما سنعمل على سبر كنهه من خلال رصد البعد التاريخي وحضور الإعتبارات السياسية (الفقرة أولى) وتزايد زحف الإعتبارات الإقتصادية في هذا المجال (الفقرة ثانية) .

الفقرة الأولى: البعد التاريخي وسيطرة الإعتبارات السياسية

فالعلاقات المغربية الإسبانية في مجال الصيد البحري ليست وليدة اليوم بل تحددها معطيات تاريخية، أفرزت سلوكات سياسية متضاربة من الطرفين .

أولاً: مقولة الحقوق التاريخية

أورد العالم الجغرافي اليوناني "استرابون" في نصوص تعود إلى القرن الأول الميلادي، قدوم سفن إسبانية للصيد في مملكة يوبا الثاني ملك المغرب، في المناطق الممتدة من طنجة إلى ليكسوس (ما بين طنجة والعرائش حالياً)⁸⁶⁶ .

لكن الحدث الأبرز في هذا السياق التاريخي هو قيام إسبانيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي بالبحث عن موطئ قدم في الواجهة الأطلسية للشواطئ المغربية، بعد إحتلال جزر

⁸⁶⁶ - المجذوبي حسين "ما وراء جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية. مرجع سابق ص : 131 وقد كانت مقاطعة رومانية حينئذ تحت مسمى : لبيتيكا" .

الكناري لتأمينها إستراتيجيا. وهو ما تم سنة 1454 حيث قام "دييغو دي هيريرا" سيد جزيرة لنزلوتي ببناء قلعة: سانتاكروز دي ماربكيزيا santa cruz de mar pequeña كقاعدة تجارية وبرج بحري في منطقة معروفة بخيراتها البحرية⁸⁶⁷. وهي التي ستحدث جدلا كبيرا في علاقات البلدين لاحقا. وتبقى أول إتفاقية موقعة بين الطرفين، والتي تشكل أصل العلاقات المغربية الإسبانية⁸⁶⁸ هي إتفاقية "السلام والتجارة" بمراكش في 28 ماي 1767 والتي أستاذ فيها الصيد البحري بستة بنود. حيث نصت المادة 18 من الإتفاقية على منح سكان كناريا والسفن الإسبانية، حقوقا تفضيلية وحصرية للصيد في المنطقة الواقعة من "سانتاكروز" شمالا على السواحل المغربية⁸⁶⁹.

و بداية الحديث عن الحقوق التاريخية الإسبانية في المصايد المغربية، ستعزز باتفاقية مكناس في فاتح مارس 1799، حيث ستعيد المادة 35 منها ترسيخ فكرة الحقوق الحصرية. كما ستشهد هذه الإتفاقية، بداية تقنين جنيني لممارسة الصيد في المياه المغربية. فقد نصت المادة 36 على ضرورة حصول الصيادين الإسبان على رخص للصيد. ومخالفة ذلك تعرضهم لعقوبات يحددها القنصل الإسباني في المغرب⁸⁷⁰.

وعقب هزيمة المغرب في حرب تطوان أو حرب إفريقيا حسب المصادر الإسبانية؛ تم توقيع إتفاقية 26 أبريل 1860 والتي أشارت أيضا بشكل مباشر للحقوق التاريخية الإسبانية في السواحل الأطلسية المغربية. وأشارت المادة 8 إلى أن سلطان المغرب يتنازل لصاحب الجلالة الكاثوليكي في السواحل الأطلسية قريبا من "سانتاكروز دي ماربكيزيا" عن مساحة كافية لتكوين منطقة صيد كالتى كانت لإسبانيا سابقا. وهو ما سينتهي لاحقا باحتلال سيدي إفني. كما عرفت نفس المعاهدة زيادة في حدود المياه الإقليمية لكل من سبتة

⁸⁶⁷- LAHLOU ABDELKADER :'' le Maroc et le droit des pêches maritimes '' Coll : bibliothèque de droit international tome 89 librairie générale de droit et de jurisprudence imprimerie de fédala mohammedia maroc ;janvier 1990 p : 158 .

⁸⁶⁸- BOUSSAID MOHAMED : "les relation entre le Maroc et l'Espagne de l'indépendance a 1990 Mémoire de D.E.S à FSJES université mohamed v ; rabat année universtaire 1990 – 1991 P : 18 .

⁸⁶⁹- LAZRAC RACHID : "le contentieux territorial entre le Maroc et l' Espagne '' éditions :dar –el kitab ; casablanca 1974 p : 327 .

⁸⁷⁰- LAHLOU ABDEKADER Op cit P : 159 .

ومليبية التي تقع تحت الاحتلال الإسباني⁸⁷¹. وهو ما يبرز ظاهرة مهمة في علاقات البلدين ؛ فقد شكل الصيد البحري حافزا وعاملا مهما في التوغل الاستعماري الإسباني في شمال وجنوب المغرب⁸⁷².

وعلى ضوء ما سبق، يتضح أن مقولة الحقوق التاريخية في علاقات البلدين على مستوى الصيد البحري، أطرتها أساسا إتفاقيات غير متكافئة مبرمة غالبا تحت الضغط. وتفتقر لحرية الاختيار من أحد الأطراف⁸⁷³. وهو ما كان في فترات سابقة يبرره قبول استعمال القوة في العلاقات الدولية⁸⁷⁴.

وأمام واقع تشبث إسبانيا بـ "حقوقها التاريخية" في المياه المغربية. هذا الواقع الذي أفرزته بنية الأسطول التقليدي المحدود تقنيا والذي ينشط في المياه المغربية. حيث يستحيل عليه العمل في مياه أبعد. وهو يتمركز أساسا في مناطق الأندلس وكناريا وغاليسيا. وهو ما يطرح هشاشة هذه المناطق والبعد السوسيوي اقتصادي للصيد بالنسبة لها⁸⁷⁵. الأمر الذي سيجعل من أي عمل يعيد صياغة توازنات العلاقة بين البلدين في مجال الصيد البحري، من شأنه أن يثير التوتر بين الضفتين .

فبعد حصول المغرب على استقلاله، سيتم العمل في مجال الصيد البحري بين الطرفين بالنظام المؤقت الملحق بمذكرة التبادل الموقعة في 07 يوليوز 1957. ورغم طابعه المؤقت، فإن هذا النظام سيستمر لمدة إثني عشر سنة⁸⁷⁶. وهناك من الباحثين من تحدث في هذه المدة عن وجود مشروع اتفاق لم يصل إلى مراحله⁸⁷⁷.

⁸⁷¹- ATMAN TARIK : "España y marruecos frente al dercho del mar "editorial netbiblo 1^{er} edition 2007 ; p: 153.

⁸⁷² - ATTILIO GAUDIO : "sahara espagnol fin d'un mythe colonial" edition: arrissala ; Rabat; 1975, p:33.

- J.I AL GUERO CUERVO, Op cit p :36 .

⁸⁷³ -Dictionnaire de droit international public sous la direction de JEAN SALMON Université Franco phnes BRULANT . Bruxelles 2001 p : 1092 .

⁸⁷⁴- LAHLOU ABDELKDER, Op cit p : 159.

⁸⁷⁵ -Rafael Garcia Pérez : el sector pesquero gallego como actor de la politica exterior de España hacia marruecos “ in M. H . DE LARRMANDI Y A.M ESTRADA (coord) : la politica exterior espanola hacia el maghreb” Op cit p : 234 . P.G. DEL MINO, Op cit p : 152.

⁸⁷⁶ -RAFAEL GARCIA PEREZ, Op cit p :236.

⁸⁷⁷ -LAZRAK RACHID, Op cit p :327.

وأمام مسيطرة المغرب للواقع الجديد للقانون الدولي للبحار، وإصدار قوانين تتماشى مع المتغيرات الدولية، ومن أهمها ظهور 30 يوليو 1962 الذي وسع المياه الإقليمية المغربية من 6 إلى 12 ميل لحماية ثرواته البحرية، احتجت إسبانيا بقوة⁸⁷⁸. فتماشيا مع منطق "الحقوق التاريخية" فهي تنظر إلى الشواطئ المغربية كمياه إقليمية مشتركة ليس للمغرب واقعا حق التصرف فيها من طرف واحد .

وهو ما تكرر في مارس 1973 . حيث حدد المغرب المنطقة الاقتصادية البحرية له في 70 ميل، فقد وجه السفير الإسباني بالمغرب مذكرة لوزير الخارجية مذكرا بالذاتج السلبية لهذا القرار على آلاف الصيادين الإسبان الذين اعتادوا خلال قرون على ممارسة الصيد في هذه المياه بكل حرية⁸⁷⁹. والرفض الإسباني لهذا الظهير أفرز حرب صيد حقيقية بين شهر مارس وأكتوبر 1973 حيث اعتقلت السلطات العسكرية الإسبانية 54 صيادا مغربيا في هذه المنطقة البحرية، متهمة عددا منهم بأعمال القرصنة⁸⁸⁰. كما عاشت علاقات البلدين على صفيح ساخن نتيجة مشاهدة سفن حربية إسبانية تحرس قوارب الصيد العاملة في المنطقة ما بين 12 و 70 ميل المغربية⁸⁸¹.

لكن الواقع السياسي المتسارع والتوازنات الجيوسياسية في المنطقة ؛ ستدفع المغرب إلى توقيع اتفاقيات جديدة في مجال الصيد البحري تحفظ مصالح البلدين ولعل من أهمها اتفاق فاس لسنة 1969.

ثانيا: إتفاقية الصيد لسنة 1969

لقد حكم التصورات المغربية في هذه المرحلة هاجس استكمال مسلسل تصفية الاستعمار في المناطق التي مازالت محتلة. وأمام أهمية الصيد البحري بالنسبة للأجرة الشمالية فقد استعمل هذا الأخير من طرف المغرب كعملة مبادلة في صفقات سياسية قائمة

⁸⁷⁸ -LAHLOU ABDELKADER, Op cit 162.

⁸⁷⁹ -LAHLOU ABDELKADER, Op cit, p :165.

⁸⁸⁰ - ميخيل هيرناندو دي لارا مندي "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق ص: 311.

⁸⁸¹ - LAHLOU ABDELKADER, Op cit p : 166.

على التنازلات الترابية ؛ مقابل الامتيازات في مجال الصيد البحري.⁸⁸²

وهو ما جسدت إتفاقية فاس؛ الموقعة في 04 يناير 1969 نموذجا مثاليا له. فقد كان الصيد البحري سنة 1860 وراء إحتلال سيدي إفني ؛ وهو نفسه العامل الذي سيعيدها إلى حضيرة الوطن .

فقد اعتبرت إتفاقية فاس، إتفاقية سياسية بامتياز. حيث مكنت المغرب من استرجاع سيدي إفني.⁸⁸³ واللافت للانتباه، عدم وجود أي أثر للأعمال التحضيرية لهذه المعاهدة أو مشروعها. وهو ما دفع بعض المصادر إلى القول بإمكانية أن يكون الطرف الإسباني هو من عمل على تحريرها خاصة أن التوقيع عليها تم في نفس يوم التوقيع على اتفاق التخلي عن سيدي إفني ⁸⁸⁴ .

ففي مجال الصيد البحري أسست هذه الاتفاقية لعدم توازن بين الطرفين لصالح إسبانيا، فقد تم من جديد الاعتراف بالحقوق التاريخية للإسبان في المياه المغربية في الملحق الأول للإتفاقية ⁸⁸⁵. كما أسست الإتفاقية لمبدأ التبادل principe de réciprocité في ممارسة الصيد بين البلدين، في المادة الثانية. وهو ما شكل امتيازاً لإسبانيا بحكم أن المغرب ليس له الأسطول والوسائل التي تمكنه من الاستفادة من هذا الامتياز ⁸⁸⁶ . كما نصت المادة 12 على منح إسبانيا امتياز الدولة الأكثر امتيازاً في الصيد.

بالإضافة إلى أن السفن الإسبانية لن تخضع للقوانين البحرية المغربية المتعلقة بالحمولة القصوى. وهو ما سيشكل استنزافاً للثروات البحرية الوطنية. ناهيك عن مدة الاتفاق التي بلغت عشر سنوات من أجل مراجعة وإعادة النظر في النظام الذي أقرته

⁸⁸²- ALAOUI MOHAMED BEN ELHASSAN : “La coopération entre l’union européenne et les pays du maghreb ” Collection : edification d’un Etat moderne ; edition NATHAN, Paris 1994 P : 70.

⁸⁸³-LAZRAC RACHID, Op cit, p : 326.

⁸⁸⁴- TBER ABDELADIM : “ les relations maroco-espagnoles dans le domaine des pêcheries maritimes ”cycle supérieur ENAP N : 10 année universitaire 78/1980 p : 76.

⁸⁸⁵- OTMAN TARIK, Op cit p :154.

⁸⁸⁶-Rafael Gacia Pérez , Op cit p : 236.

الإتفاقية 887 . وقد نص الملحق الثاني للإتفاقية على المساعدة التقنية والتجارية للمغرب في مجال الصيد البحري . وهو ما بقي حبرا على ورق . بالنظر لعدم تحديد أشكال وإجراءات القيام بذلك .

وأمام كل هذه الشروط المجدفة في حق قطاع الصيد المغربي ، والاستنزاف الذي تعرضت له السواحل المغربية؛ فقد أعلنت وزارة الاتصال المغربية في بلاغ لها في 20 يناير 1972 عن إلغاء العمل بإتفاق فاس في 31 دجنبر من نفس السنة 888 .

لكن إصرار المغرب على استكمال وحدته الترابية، سيشكل بالنسبة لإسبانيا طوق نجاة في مجال الصيد البحري . فبإهتمام المغرب بتصفية الإستعمار في الصحراء لن يكون الصيد غائبا عن دبلوماسيته كأداة فعالة . فتوقيع الإتفاق الثلاثي في 14 نونبر 1975 والذي إنسحبت إسبانيا بموجبه من الصحراء، تم إثر إلحاق فصل خاص بالصيد البحري به، لم يتم نشره إلى اليوم 889 .

وقد سمح هذا الاتفاق ل 1600 سفينة إسبانية من النشاط في المياه المغربية لمدد تتراوح بين 15 و 20 سنة، دون دفع أي رسوم لمدة خمس سنوات الأولى . والإتفاق المشار إليه أعلاه قد تم إعداده من طرف الساسة في غمرة تسارع أحداث قضية الصحراء، وليس من طرف المختصين في مجال الصيد⁸⁹⁰ . لذلك فهو غير قابل للتطبيق واقعا بالنظر لطابع الإستنزاف للمخزون السمكي وللإخلال بالتوازنات البيولوجية البحرية . وأمام الإعتراضات المغربية تم فتح مفاوضات جديدة بين الطرفين سنة 1976.

في هذه الأثناء كان الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية قد صدر . وكان المغرب قد سير المسيرة الخضراء وتكللت بالانسحاب الإسباني من خلال الإتفاق الثلاثي . وقد اعتبر المغرب حينها أن هذا الإشكال الترابي في علاقاته مع إسبانيا قد حسم لذلك توجه إلى خوض المفاوضات حول اتفاق الصيد الجديد بتصورات تحمل في طياتها تزايدا للاهتمام

⁸⁸⁷ - LAHLOU ABDELKADER, Op cit p : 170.

⁸⁸⁸ - LAHLOU ABDELKADER, Op cit p : 172.

⁸⁸⁹ - TABER ABDELADIM , Op cit p : 109.

⁸⁹⁰ - LAHLOU ABDELKADER, Op cit p : 173 .

بالبعد الإقتصادي في علاقات الصيد البحري مع الجارة الشمالية. فإلى أي مدى تم ذلك؟

الفقرة الثانية: تزايد حضور الاهتمام الإقتصادي في مجال الصيد البحري

الاهتمام الإقتصادي بالصيد البحري في الاستراتيجيات المغربية يشكل حتمية بالنظر لأهمية المصايد و طول الشواطئ المغربية. إضافة إلى الإكراهات التي تصب في هذا الاتجاه، لكن هذا التوجه والمسار لم يكن خطيا بل اعترته الكثير من المعوقات السياسية في علاقات المغرب وإسبانيا. وهو ما تجلى في المراحل الثلاث الرئيسية من عمر التسيير الثنائي للملف والمتمثلة في: اتفاق 1977 (أولا) والاتفاقيات الانتقالية (ثانيا) ثم معاهدة 1983 (ثالثا).

أولا : اتفاق الصيد البحري في فبراير 1977

لقد شكل هذا الاتفاق في مضمونه خطأ فاصلا بين جيلين من المعاهدات. ففلسفته قائمة على خلق تعاون اقتصادي بين الطرفين في مجال الصيد البحري. فلم تتم الإشارة للحقوق التاريخية للصيادين الإسبان في المياه المغربية⁸⁹¹. وهو ما اعتبر نقلة نوعية ساهم فيها التطور الذي عرفه القانون الدولي للبحار.

واعتبر خلق الشركات المختلطة بين الطرفين، العاملة في قطاع الصيد البحري آلية للدفع بالتعاون في هذا المجال⁸⁹². من خلال بناء السفن؛ تحويل وتسويق المنتجات البحرية والمساهمة عموما في خلق صناعات بحرية متطورة.

وفي إرادة واضحة لإنعاش وتنمية قطاع الصيد المغربي، طفى على السطح التعاون المالي بين الطرفين. حيث قدمت إسبانيا للمغرب قرضا بقيمة 35525 مليون بسيطة لدعم وخلق بنيات تحتية للقطاع مشكلة أساسا من موانئ⁸⁹³.

كما أسس هذا الاتفاق لنظام صيد مزدوج شمال واد نون وجنوب واد نون. ففي شمال واد نون، تم تحديد كميات الصيد من طرف لجان مشتركة بحيث لا تتجاوز 50000 طن.

⁸⁹¹ -OTMAN TARIK, Op cit p :156.

⁸⁹² -RAFAEL GARCIA PEREZ, Op cit p :236.

⁸⁹³ - OTMAN TARIK, Op cit P :156.

كما تم حصر صيد السردين في هذه المنطقة للسفن المغربية فقط⁸⁹⁴.
 في حين سمح في المنطقة الواقعة جنوب واد نون بصيد السردين والرخويات مع
 وجوب تفريغ حمولة السفن في الموانئ المغربية.
 لكن في الوقت الذي كان الكل يظن أن علاقات البلدين تخلصت من ثقل ملف
 الصحراء؛ بتوقيع الإتفاق الثلاثي الأمر الذي حدى بالمغرب إلى تليين مواقفه في ملف
 الصيد. سيفاجأ هذا الأخير بأن قضية الصحراء كما أسلفنا، تحولت إلى موضوع فاعل في
 السياسة الداخلية الإسبانية وذريعة لتصريف خلافات الفرقاء السياسيين في العلن. ومنه
 الجدل القائم حول إتفاق الصيد لسنة 1977. حيث كان يرى الحزب الاشتراكي المعارض
 وغيره من قوى اليسار، أن في الإتفاق اعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء.
 ولم تتم مصادقة البرلمان الإسباني على هذا الإتفاق إلا سنة بعد ذلك في فبراير
 1978⁸⁹⁵. من خلال تبني تأويل مفاده أن الإتفاق الثلاثي لمدر يد تنازل للمغرب عن إدارة
 الصحراء ولم يعترف له بالسيادة عليها. الأمر الذي حذى بالبرلمان المغربي إلى عدم
 المصادقة على هذه الإتفاقية⁸⁹⁶. وهو ما سيدخل علاقات الصيد البحري بين الطرفين إلى
 نفق مظلم من جهة. ومن جهة أخرى؛ سيدفع بقوة إلى تسييس هذا الملف إلى أقصى
 الحدود. الأمر الذي سيظهر بجلاء مع الاتفاقات المؤقتة.

ثانيا: الاتفاقات المؤقتة

أهم ما أطر هذه الاتفاقات هو المناخ السياسي الإقليمي الذي تميز بتفاعلات قضية
 الصحراء وأهميتها بالنسبة للنظام المغربي. حيث كان تجديد رخص الصيد على أساس
 حسن تصرف الإسبان في التصويت على التوصيات المتعلقة بقضية الصحراء في الجمعية
 العامة للأمم المتحدة⁸⁹⁷. ومن جهة أخرى إكراهات الظرفية الإقتصادية الخازقة للمغرب
 والتي جعلته في حاجة إلى الرسوم والتعويضات المادية⁸⁹⁸ للتخفيف من أعباء ميزانية

⁸⁹⁴- OTMAN TARIK, Op cit P :156.

⁸⁹⁵- LAHLOU ABDELKADER, Op cit p :178.

⁸⁹⁶- BERNABE LOPEZ GARCIA : Marruecos y España una historia contra toda lógica", Op cit p :291.

⁸⁹⁷- محمد العربي المساري : "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق ص : 72.

⁸⁹⁸- LAHLOU ABDELKADER, Op cit p : 187.

الدولة في ظل نفقات حرب الصحراء وتوالي سنوات الجفاف .

أما على المستوى الإسباني فقد إعتبر الصيد البحري الرئة التي تتنفس منها منطقة الأندلس وكناريا وغاليسيا. خاصة في ظل الوضع الهش الذي كانت تعيشه البلاد في هذه المرحلة التي تميزت بالإعداد للانتقال الديمقراطي .

في ظل هذه الظروف إذا جاءت الإتفاقات الإنتقالية. فبعد تجميد علاقات الصيد بين الطرفين نتيجة الأسباب السياسية التي أسلفنا . جاءت زيارة الملك خوان كارلوس إلى المغرب والتي توجت بتوقيع الإتفاق المؤقت الأول في 29 يونيو 1979 لمدة ثلاثة أشهر. وقد ذهب في شروطه مذهب إتفاق 1977 من حيث الكميات المصطادة⁸⁹⁹. وركز على المساعدة التقنية والتكوين المهني للبحارة المغربية. وهو ما أفرز 14 منحة لمتابعة الدراسة سنويا في المعاهد الإسبانية البحرية .

الإتفاق المؤقت الثاني، تم توقيعه في 29 دجنبر 1979 لمدة ثلاثة أشهر. وقد شكل إعادة لمضامين سابقة مع بعض الاختلافات. تمت مناقشته تزامنا مع اتفاق للنقل الدولي للبضائع الفلاحية خاصة. وهو ما شكل سابقة لمقايضة اتفاق الصيد مقابل مرور السلع.⁹⁰⁰ كما عرف زيادة في الكمية المصطادة . وفي الرسوم المؤداة. ناهيك عن التزام الطرف الإسباني ببناء ثلاثة وحدات لصناعة التبريد المرتبطة بالصيد وقرضا ب 2000 مليون بسيطة لشراء معدات بحرية إسبانية. وقد تم تمديد العمل به ثلاثة مرات آخرها في يونيو 1980 لمدة سبعة أشهر⁹⁰¹ .

وأخيرا؛ وصلنا إلى الاتفاق المؤقت الثالث الذي تم توقيعه في فاتح أبريل 1981. وقد صادف مرحلة المخطط الخماسي التنموي المغربي لسنة 1981-1985 . والذي جعل من القطاع البحري لأول مرة أداة لنمو الاقتصاد المغربي ؛ ومصدرا لجلب العملة الصعبة. وقد واكب ذلك خلق وزارة الصيد البحري والتجارة . ورفع منطقة الصيد الخاصة بالمغرب

⁸⁹⁹- LAHLOU ABDELKADER, Op cit, p: 181.

⁹⁰⁰- Ibid .

⁹⁰¹-OTMAN TARIK, Op cit p : 158.

إلى 200 ميل. إضافة إلى إصدار سنة 1983 قانون الاستثمار في الصيد البحري الذي يشجع على جلب الاستثمار الأجنبي بخفض الضرائب وتشجيع رأس المال على الانخراط في الشركات المغربية 902 .

وعلى هدى مما سبق، رفع الاتفاق المؤقت الثالث من الكميات المصطادة مع تمييز بعض الأنواع وتقليص صيدها، ومنها الرخويات . كما استمر العمل بنظام الصيد المزدوج شمال وجنوب واد نون . ناهيك عن الاستمرار في تنمية القطاع من خلال تأهيل البنيات التحتية والاستمرار في التكوين المهني والزيادة من منح الدراسة. وقد تم تمديد العمل به إلى يونيو 1983. وما يبين استمرار تكييف الواقع السياسي للعلاقات على مستوى الصيد البحري هو ظروف توقيع اتفاقية غشت 1983.

ثالثا: اتفاقية غشت 1983

أهم ما يميز هذه المرحلة اسبانيا، تجاوز مرحلة الانتقال الديمقراطي والوصول إلى أول حكومة اشتراكية منتخبة. وما لحق ذلك من تصورات لرئيسها فليبي غونزاليس. الذي أبان عن واقعية سياسية في التعاطي مع الملفات التي تربطه بالمغرب ؛ والتي يبقى أهمها بالنسبة لإسبانيا، ملف الصيد البحري. فقد شكلت هذه الاتفاقية جيلا جديدا من العلاقة التعاقدية بين المغرب واسبانيا 903 من خلال رغبة الطرفين في تطوير علاقات ودية ووضع تصور جديد للتعاون في القطاع .

أهم ما يميز هذا الإتفاق هو استقرار علاقات الصيد بين الطرفين، فقد تم النص على أربعة سنوات كعمر للاتفاق. كما قطع مع الطابع المؤقت والانتقالي لهذه العلاقات. فقد عاش الأسطول الاسباني أسوأ أيامه في المياه المغربية في الفترة ما بين 1977 و 1983 نتيجة الضغوطات السياسية والنظام الانتقالي الذي لا يدفع على الإطمئنان 904 . فنحن نتحدث عن أول إتفاق قار منذ 1969 .

902- OTMAN TARIK, Op cit p : 159.

903 -ALAOUI MOHAMED BEN EL HASSAN, Op cit p :70.

904 -RAFAEL GARCIA PEREZ, Op cit p : 237

وقد تزامن مع انتشار ثقافة مغربية جديدة في العلاقة مع البحر. ووجود أسطول مغربي يتكون من 246 سفينة بعد أن كان منعما سنة 1976⁹⁰⁵.

ومن أهم ما جاء به هذا الاتفاق: تكوين لجنة مختلطة لمعالجة القضايا التي تتعلق بتنفيذ الاتفاق. حيث تجتمع اللجنة بالتناوب في مدريد والرباط مرة كل سنة أو بطلب من أحد الطرفين. وضرورة إعلام الطرف المغربي بتفاصيل المعلومات حول سفن الصيد الإسبانية وحمولتها.

وقد قدم الطرف الإسباني تنازلات في هذا المجال حفاظا على الثروة السمكية المغربية، حيث تم تخفيض حجم الصيد ب 40 % وتحديد أنواع آليات الصيد في المناطق المحمية.⁹⁰⁶ كما تم الرفع من المقابل المادي والرسوم؛ فقد قدم الطرف الإسباني 400 مليون دولار كقرض لشراء سلع وخدمات إسبانية و 150 مليون دولار لتشييد بنيات تحتية وأشغال عمومية من طرف شركات إسبانية⁹⁰⁷.

وهو ما تم بالفعل ، وأدخل معه علاقات الصيد البحري بين الطرفين في سياق العلاقات متعددة الأطراف بين المغرب و المجموعة الأوروبية ، كما سيأتي لاحقا.

وفي مجال التكوين منح الطرف الإسباني 30 منحة سنوية للتكوين في المعاهد البحرية. إضافة إلى تأهيل 40 بحريا مغربيا سنويا مدة ستة أشهر على متن سفن أعالي البحار. كما نصت الاتفاقية على وجود بحريين مغربيين على متن السفن التي تصطاد أكثر من 150 ألف طن خام من السمك. وبحري واحد للمراقبة في السفن التي تصطاد أقل من 100 ألف طن. كما أشار البند 16 من المعاهدة إلى مباحثات إسبانيا لولوج السوق الأوروبية المشتركة. ونص في حالة انتمائها إلى هذا التجمع على تجديد الاتفاق مع المجموعة الأوروبية بما يحفظ المصالح الإسبانية.

⁹⁰⁵ -OTMAN TARIK, Op cit p : 160

⁹⁰⁶ - ميغيل هيرناندودي لا راميندي : "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق ص : 369.

⁹⁰⁷ -OTMAN TARIK, Op cit p : 159 .

المطلب الثاني : أهمية وحجم البعد الإقتصادي في علاقات البلدين

وهو ما سنتناوله من خلال التطرق لأهمية البعد الاقتصادي (الفقرة الأولى) وطبيعة حجم الاستثمار والمبادلات بين الطرفين (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: أهمية البعد الاقتصادي

لامناس من إثارة أهمية البعد الإقتصادي في علاقات البلدين. و تصورات كل طرف عن ذلك. ناهيك عن موقع القطاع الخاص ودوره في تجاوز هاته المطبات السياسية التي تعرفها العلاقات المغربية الإسبانية .

أولاً: تزايد الاعتبارات الاقتصادية في علاقات البلدين

لقد سطر التاريخ السياسي لعلاقات البلدين أن غياب مصالح اقتصادية مهمة بين الطرفين جعل مسلسل استقلال المنطقة الشمالية المغربية أقل دموية⁹⁰⁸ من منطقة الحماية الفرنسية. كما أن ضعف الرهان الإقتصادي في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، دفع المغرب إلى شبه تجميد للمبادلات الاقتصادية بين الطرفين نتيجة اعتراف إسبانيا سنة 1978 بجبهة البوليساريو كمثل وحيد للشعب الصحراوي⁹⁰⁹.

لكن مع وصول الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني للسلطة سنة 1982، وأمام التوجه الإقتصادي الجديد للسياسة الخارجية الإسبانية ككل⁹¹⁰، والاهتمام بالجار الجنوبي على الخصوص. تم إبداع ما اصطلح عليه في السياسة الإسبانية بـ "بساط المصالح" أو نسيج المصالح "el colchón de intereses"⁹¹¹ والمبني على سياسة براغماتية تتلخص في خلق مصالح اقتصادية متبادلة تعطي استقراراً لعلاقات البلدين.

⁹⁰⁸ - ميخيل هيرناندودي لاراماندي : "السياسة الخارجية للمغرب " ترجمة، عبد العالي بروكي، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى، 2005 ص 298 .

⁹⁰⁹ - لكرمز علي : " الأبعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات المغربية -إسبانية " بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية -أكادال الرباط السنة الجامعية 1999 - 2000 ص 43.

⁹¹⁰ -Feliu Laura y Salomón Mónica : "territorios en aguas turbulentas : la crisis entre España y marruecos "Revue : paix et sécurité internationales ;dossier : les relations Maroc espagnoles N : 1 juin 2003 ;p 89.

⁹¹¹ -D . Sahagun Felipe : " España frente al sur " in R.Calduch (coord.) ; la política exterior española en el siglo xx" Ediciones ciencias sociales 1994 ;Madrid p : 249.

وتخلق اعتمادا متبادلا يعمل كطوق نجاة في حالات الأزمات والتوترات السياسية.⁹¹² و هو ما سيثمر تزايدا مهما للمصالح الاقتصادية المتبادلة بين الطرفين⁹¹³.

سيزيد من منسوبها الأولوية الاقتصادية للدبلوماسية المغربية في ظل حكم الملك محمد السادس.⁹¹⁴ و الموقع المتقدم للاقتصاد الإسباني الذي أصبح يحتل المرتبة الثامنة عالميا حسب أرقام البنك الدولي.⁹¹⁵ وهو ما يشكل عاملا إيجابيا لتجاوز الإشكالات السياسية التي تطرحها هذه العلاقات .

وفي هذا السياق شكلت سياسة الدعم الفني والتعاون التدموي رافعة مركزية في الدبلوماسية الاقتصادية.⁹¹⁶ و هو ما تبذته السياسات الإسبانية، انطلاقا من منظور إستراتيجي قائم على أساس كون التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمغرب تشكل حاجة ملحة للحفاظ على استقرار إسبانيا⁹¹⁷.

فقد صرح الإقتصادي الإسباني "رفايل مارتينس كورتينا" في أحد لقاءات لجنة ابن رشد مخاطبا الحضور المغربي :

"إن إسبانيا تريد للمغرب أن يكون متقدما ومزدهرا لا لأجلكم ولكن لمصلحتها"⁹¹⁸
وتماشيا مع نسق التحليل أعلاه فقد تحول المغرب إلى أهم مستقبل : "للمساعدة الرسمية
الإسبانية على التنمية " ayuda oficial de desarrollo⁹¹⁹

⁹¹²- DURAN PARRA IRENE ; las empresas españolas ;actores de la política exterior en marruecos” in M.H DE LARRAMENDI y A.M. ESTRADA (eds) ; “la política exterior española hacia el Magreb ; Actores e intereses” Editorial Ariel ; 2009 Barcelona p ; 209

⁹¹³-ميغيل هيرناندو دي لا راماندي : "السياسة الخارجية للمغرب " مرجع سابق ص 346

⁹¹⁴- EL HOUDAIGUI RACHID ;” la politique étrangère du Maroc entre la constante géopolitique et les contraintes De la mondialisation “ , Revue marocaine d’études internationales ; N 11 ; juin 2003, p : 47 .

⁹¹⁵-محمد العربي المساري : "إسبانيا الأخرى " منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة الرباط، الطبعة الأولى 2015 ص 133 .

⁹¹⁶-صدقي يوسف "إستراتيجية العمل الدبلوماسي الاقتصادي المغربي :توسع المجال وتعدد الفاعلين " مجلة سياسات عربية العدد 12 يناير 2015 ص: 56.

⁹¹⁷- DURAN PARRA IRENE ; “ las empresas españolas ;actores de la política exterior en marruecos” Op .cit p : 232.

=وقد ذهب "إنياسيو صوطيلو" سوسيولوجي إسباني، شغل منصب مدير ديوان رئيس الوزراء الأسبق "فيلبي غونزاليس " إلى أبعد من ذلك بإعتباره التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمغرب تعتبر مشكلة سياسية إسبانية داخلية أنظر :إنياسيو صوطيلو: " سبنة ومليية ليستا بالضرورة إسبانيتين " الأيام عدد 444 في 29/09/2010. ص: 37.

⁹¹⁸- وجهة نظر محمد الخشاني : "العلاقات الإسبانية المغربية :مقاربات للتوابت والتحويلات " إعداد بوغالب العطار :الاتحاد الاشتراكي، عدد 7636 في 09 07 2004 ص : 06.

⁹¹⁹- JOSE MARIA AZNAR: "ocho años de gobierno: una visión personal de España " Op ;cit p : 169 .
-El programa de desarrollo y acondicionamiento de la región rifeña .

AODE española "الهادفة إلى تأهيل البنيات التحتية والنسيج الإقتصادي المغربي في أفق المساهمة في التنمية المستدامة للجار الجنوبي.

بالإضافة إلى برنامج التنمية الشاملة وتأهيل منطقة الريف "المعروف اختصارا ببرنامج "بايدار *paidar الذي تمت بلورته ما بين 1996 و 1991 وقد رصد له غلاف مالي قدره 3906 مليون أورو .⁹²⁰ ويتم تتبع المشاريع التي يعنى بإنجازها من طرف الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي التابعة لوزارة الخارجية. وقد عرف هذا البرنامج نسخة أخرى سنة 2000 تعثر إنجازها بسبب الأزمة السياسية بين البلدين .

ناهيك عن آلية الاقتراض وتحويل الديون إلى إستثمارات، والتي كان من بين محطاتها اللجنة العليا المشتركة في دجنبر 2003 والتي أصطلح على تسميتها قمة المصالحة حيث جاءت عقب الأزمة السياسية التي عاشتها علاقات البلدين.

فقد وقعت خلالها ثلاثة اتفاقيات اقتصادية بغلاف مالي قدر ب 390 مليون أورو 270 مليون منها كقرض لإنجاز مشاريع اقتصادية واجتماعية وتم إلغاء 90 مليون أورو من ديون المغرب⁹²¹.

ومن المحطات التي سطرت أهمية العامل الإقتصادي في علاقات البلدين نجد الأزمة الإقتصادية التي عصفت بإسبانيا. فقد كان من أهم تداعياتها تلبين المواقف السياسية للجار الشمالية تجاه المغرب، الذي أصبح ينظر إليه كفرصة اقتصادية وملاذ للمقاولات الصغرى والمتوسطة الإسبانية التي إكتوت بنار الأزمة. مما جعل علاقات البلدين تعيش شهر عسل غير معلن⁹²².

ففي القمة الثنائية العليا العاشرة، جاء "رخوي" مرفوقا بنصف أعضاء حكومته وكبار رجال الأعمال الإسبان. وتمخضت القمة عن "إعلان الرباط" الذي أرسى أسس "شراكة إستراتيجية" بين البلدين خاصة في المجال الاقتصادي⁹²³.

⁹²⁰ - Zurlo Yves ,Op cit p : 123 et 125 .

⁹²¹ - دريوش نبيل "الجوار الحذر" مرجع سابق ص: 67 .

⁹²² - خمريش عز الدين :راخوي، اسبانيا وقضية الصحراء المغربية " المساء عدد 1890 في 20-21/10/2012 ص: 08.

⁹²³ - التقرير الإستراتيجي للمغرب 2010-2013، مرجع سابق ص: 57 .

وقد توج كل ذلك بخطاب العرش للملك محمد السادس حيث أعرب في يوليو 2012 عن: "تضامن المغرب مع إسبانيا في ظرفيتها الإقتصادية الصعبة والتزام المغرب بخلق مناخ اقتصادي لخلق ثروات مشتركة تعبيراً عن عمق الروابط بين البلدين الجارين"⁹²⁴.

وهو ما يحيلنا إلى دور القطاع الخاص في بلورة والذهوض بالعلاقات الإقتصادية للبلدين .

ثانياً: دور القطاع الخاص في النهوض بهذه العلاقات

في سنة 1995 أعلن كاتب الدولة في الخارجية الأمريكية حينها "وارين كريستوفر" أن شركة "تليفونيكا telefonica" تعتبر الأداة الرئيسية للسياسة الخارجية الإسبانية في أمريكا اللاتينية⁹²⁵.

وهو ما يبين أهمية القطاع الخاص في الدفع بالسياسة الخارجية للدول. والعلاقات المغربية الإسبانية لم تشذ عن هذه القاعدة. فخلال اللجنة العليا المشتركة بين البلدين سنة 2008 أعلن رئيس الحكومة الإسبانية ثاباتيرو عن وجود 500 شركة إسبانية تمارس نشاطها التجاري بالمغرب⁹²⁶. وبعد ذلك أعلن مدير ممثلية الوكالة المغربية لتنمية الاستثمارات بإسبانيا أن هناك أزيد من 800 مقولة إسبانية طورت نشاطها بالمملكة⁹²⁷. وهو الرقم الذي تم تداوله على نطاق واسع. ومع عدم وجود إحصاء شامل ومحين لشركات الإسبانية بالمغرب ولإختلاف معايير تحديدها فإن هناك الكثير من الآراء تقول بتجاوز هذا الرقم⁹²⁸. وخلال سنة 2011 تداولت عدة مصادر وصول عدد شركات الجارة الشمالية في المغرب لسقف 1500 شركة⁹²⁹. ناهيك عن أزيد من 20 ألف مقولة تصدر منتوجاتها إلى المغرب⁹³⁰.

⁹²⁴ - التقرير الإستراتيجي للمغرب 2010-2013، مرجع سابق، ص: 55.

⁹²⁵ - DELAGE FERNANDO : "una política exterior para el siglo XXI" in PEREIRA JUAN CARLOS (coord): la política exterior de España 1800-2003 editorial Ariel historia Barcelona 1^{ra} edición ;junio 2003 P: 569.

⁹²⁶ -DURAN PARRA IRENE, Op cit ; P :217.

⁹²⁷ -المساء , عدد 2066 في 2013/05/16 ص : 16.

⁹²⁸ -Duran Parra Iren , Op cit p : 216.

⁹²⁹ -EL HAYUI WISSAL : "CRISIS ECONOMICA : la oportunidad al sur" kantara ;N 08 ; julio – agosto 2011 p : 65 .

⁹³⁰ - دريوش نبيل :الجوار الحذر .." مرجع سابق ص : 141 .

ومن المفيد في هذا الباب الإشارة إلى أن جانب مهم من الذسبح المقولاتي الإسباني المتمركز في المغرب يتكون أساسا من المقولات الصغرى والمتوسطة⁹³¹.

وقد عزز الجانب الرسمي الإسباني هذا التوجه، ويكفي أن نشير إلى أن حكومة "رخوي" ورغم الأزمة الاقتصادية خصصت قرضا بقيمة 400 مليون أورو لتمويل مشاريع الشركات الإسبانية في المغرب⁹³².

وفي حوار مع جريدة "إيل باييس" صرح رئيس الحكومة المغربية عبد الإله بنكيران: "نرغب في أن يدرك رجال الأعمال الإسبان أنه يمكنهم أن يجدوا متنفسا لهم في المغرب، فالحضور الإسباني في المغرب مهم...نحن نعتقد أنه في مجال التعاون الثنائي هناك الكثير مما يمكن القيام به"⁹³³.

وعلى هدى مما سبق؛ فإن أعداد الشركات الإسبانية العاملة بالمغرب وأهمية نشاطاتها حولتها إلى مجموعة ضغط جديدة ذات طابع اقتصادي قادرة على التأثير في القرارات الرسمية. وقد كان "خورخي ديسكايار" سفير إسبانيا بالمغرب سابقا من أوائل من دافع خلال عقد التسعينات من القرن الماضي عن ضرورة خلق لوبي إقتصادي قوي من طرف المستثمرين الإسبان بالمغرب. وهو ما سيعزز حسب رأيه شبكة المصالح المتبادلة ويساهم في التقريب السياسي بين الطرفين⁹³⁴.

وتماشيا مع هذا الطرح عمد رأس المال الإسباني بالمغرب إلى العمل على تنظيم نفسه وتعتبر منطقة كاطالونيا رائدة في هذا الجانب، حيث أسست "مكتب الإستثمارات وإنعاش التجارة لكاطالونيا" المعروف اختصارا ب copca بالدار البيضاء منذ تسعينيات القرن الماضي⁹³⁵. ومن بين مبادرات أخرى، إحتضنت برشلونة الملحق الإقتصادي الأول بين

⁹³¹ -DURAN PARRA IRENE, Op cit p :215.

حدثت "يولاندا فسنتي كونزاليس" النائبة الثانية لرئيس مجلس الشيوخ الإسباني في 14 يناير 2015 نسبة الشركات الصغرى والمتوسطة الإسبانية الناشطة في المغرب ب 80 بالمائة تعمل أساسا في الصناعات النسيجية والغذائية.

⁹³² - بورفيسي جمال: إسبانيا تعفي البرلمانين من التأشيرة " الصباح عدد 3882 في 2012/10/05 ص 04

⁹³³ - عبد الإله بنكيران في حوار مع "إيل باييس" في 2012/05/21 ترجمة: عزيز الساطوري الاتحاد الاشتراكي عدد 10097 في 2012/05/22 ص 20

⁹³⁴ - Duran Parra Irene, Op cit, p : 230.

⁹³⁵ - EL AALLAOUI ALI : "les relations Maroc-espagnoles de 1974 a 2004: la perception espagnole concernant la question du sahara", Op cit p :140.

المغرب وكاظمونيا سنة 2004.

كما عمد المعهد الإسباني للتجارة الخارجية إلى تنظيم منتدى الإستثمارات والتعاون في مجال الأعمال بين المغرب وإسبانيا؛ بتعاون مع شركاء مغاربة وإسبان على امتداد سبع دورات منذ سنة 2001 وإلى سنة 2012 بالتناوب بين مدينتي طنجة والدار البيضاء⁹³⁶. وقد تعزز هذا التوجه المؤسسي، بوجود غرفتين إسبانيتين للتجارة والصناعة بالمغرب. واحدة بالدار البيضاء والأخرى بطنجة. هذه الأخيرة بالنظر إلى أهميتها، تعتبر الوحيدة خارج أوروبا التي تنتمي لفدرالية غرف التجارة والصناعة الإسبانية بأوروبا⁹³⁷. دون إغفال نادي مقاولي كنار ياس في مدينة أكادير الذي يضم 50 مقولة. وهو متخصص في مجال الصناعة السمكية⁹³⁸. زد على ذلك اللقاءات الثنائية لشركات إسبانية ومغربية وزيارات لرجال أعمال إسبان للمغرب منظمة من طرف المكتب الاقتصادي والتجاري التابع لسفارة إسبانيا بالمغرب .

هذه الديناميكية كان من أبرز نتائجها التعارف الجيد بين رجال المال والأعمال في الضفتين. وتشابك مصالحهم الأمر الذي جعل العلاقات الإقتصادية بين الطرفين تنأى بنفسها عن توترات المشهد السياسي⁹³⁹ .

وهو ما شكلت الأزمة السياسية الحادة التي عاشتها علاقات البلدين مابين أبريل 2001 وديجنبر 2002 نموذجا مثاليا له. حيث إستمرت مؤشرات التبادل التجاري بين الضفتين في النمو⁹⁴⁰. الأمر الذي شكل خصوصية للعلاقات المغربية الإسبانية في مجال العلاقات الدولية⁹⁴¹ . حيث أن ردة الفعل الطبيعية هي قطع جميع أنواع العلاقات مع وصول التوتر بين أطراف النزاع إلى درجة معينة .

⁹³⁶ - نجدي عادل : "المستثمرون الإسبان يلجؤون إلى المغرب لمواجهة أزمته المالية " . المساء، عدد 1785 في 2012/06/19، ص: 07.

⁹³⁷ -DURAN PARRA IRENE, Op cit, p :227.

⁹³⁸ -Ibid p : 230.

⁹³⁹ -PALOMA GONZALEZ DEL MIÑO : "las relaciones entre España y marruecos :perspectivas para el siglo xxi ;op cit p :187

⁹⁴⁰ -محمد العربي المساري "إسبانيا الأخرى "مرجع سابق ص 155

⁹⁴¹ - Bouchra Boudchiche Boucetta, Op cit p : 39.

ففي ذروة الأزمة التي تمخضت عن ملف جزيرة البقدونس وأخواتها من الإشكالات العالقة بين البلدين؛ عرفت صادرات إسبانيا نحو المغرب إرتفاعا بنسبة 21 ٪ بالمقارنة مع نفس الفترة من السنة الماضية. كما عرفت وارداتها إرتفاعا بنسبة 26 ٪⁹⁴². كما أن شبكة المصالح الإقتصادية المشتركة هذه، سيكون لها الكلمة الأخيرة في إمتصاص الأزمة السياسية مع أواخر فترة حكم أثنار .

فما هو الحجم الحقيقي لهذا الحضور الإقتصادي الإسباني في المغرب ؟

الفقرة الثانية :حجم الإستثمارات والمبادلات بين الطرفين:

لوضع اليد على خبايا العلاقات الإقتصادية المغربية الإسبانية، لا بد من التعرف على الحجم الحقيقي للإستثمارات الإسبانية من جهة (أولا) وبنية وحجم المبادلات التجارية بين الطرفين، من جهة أخرى (ثانيا) .

أولا: واقع الاستثمارات الإسبانية في المغرب

يعتبر الإقتصاد الإسباني من الإقتصادات المهمة عالميا، حيث يحتل المرتبة الثامنة. وهو ما أعطاه موقعا متقدما على مستوى الاستثمار، حيث تعتبر إسبانيا سادس مستثمر في العالم بعد كل من بريطانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا وهولندا⁹⁴³ .

فقد قفز حجم استثمارها من 10, 0 ٪ من ناتجها الداخلي الخام سنة 1990 إلى 10 ٪ سنة 2000⁹⁴⁴. مع العلم أن 98 ٪ من هذه الاستثمارات الخارجية الإسبانية موجهة لدول أمريكا اللاتينية⁹⁴⁵ . الأمر الذي أعطاه موقعا متقدما في هذه المنطقة الجغرافية، حيث تحتل المرتبة الثاوية كأهم مستثمر في البرازيل والرتبة الأولى كأكبر مستثمر أوروبي في القارة⁹⁴⁶.

⁹⁴²- Ignacio Cembrero : “ vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos”, Op cit, p :196.

⁹⁴³-Alejandro Muñoz –Alonso: “España en primer plano ocho anos de política exterior (1996-2004)”, Op cit, p: 134.

⁹⁴⁴- José María Aznar : ocho años de gobierno una visión personal de España , Op cit p : 133.

⁹⁴⁵-Bouchra Boudchiche Boucetta , Op cit p : 173.

⁹⁴⁶- Rafael García Pérez : “España en un mundo en cambio : a la búsqueda de la influencia internacional 1986. – 2002 ” in j .Carlos Pereira (coord) : la política exterior de españa (1800-2003)”, Op cit p :548.

-J. M. Aznar : ocho años de gobierno ...”, Op cit p : 197.

ورغم هذه الأرقام المهمة فإن حصة المغرب منها ظلت متواضعة. فما بين 1993 و2004 لم يستقبل إلا 0,59 % من مجمل الاستثمارات الإسبانية بالخارج⁹⁴⁷. ورغم أن البعد الجغرافي بين الجارين لا يتجاوز 14 كيلومتر فإن دولة صغيرة مثل الأروغواي على بعد 11 ألف كيلومتر من مدريد وبساكنة أقل عشر مرات من المغرب، تستقبل استثمارات إسبانية أكثر أهمية⁹⁴⁸.

وفي سنة 2000 كشف تقرير صادر عن المؤسسة المالية KPMG المتخصصة في الإستثمار الدولي، أن إسبانيا إستثمرت في نفس السنة ما يقارب 42 مليار دولارا متقدمة على دول كفرنسا وكندا. بلغ حظ المغرب منها أقل من 1%⁹⁴⁹، وهي النسبة التي ستندهور في السنة الموالية إلى 0,02 % بمبلغ 6,58 مليون أورو⁹⁵⁰.

وعلى النحو نفسه إحتل سنة 2005 المرتبة السادسة والأربعين في سلم الدول المستقبلية للإستثمار الإسباني⁹⁵¹.

وهو الواقع الذي سيبدأ في التحسن سنة 2006 حيث سيدستقبل المغرب ما قيمته 7,246 مليار درهم لتحتل بها الجارة الشمالية المرتبة الثانية من بين المستثمرين الأجانب، مسبوقه بفرنسا. وهو ما شكل أكثر من التدفقات المالية الإسبانية في الفترة الممتدة من سنة 2001 إلى 2005⁹⁵².

ورغم ما تقدم، فإن المغرب يعتبر من أهم الدول الإفريقية المستقبلية للإستثمار الإسباني⁹⁵³. ففي سنة 2002 احتكر ما نسبته 90,71 % من استثمارات مدريد الموجهة لشمال إفريقيا⁹⁵⁴.

⁹⁴⁷ - Ignacio Cembrero : "vecinos alejados....", Op ; cit p : 183.

⁹⁴⁸ - Ibid.

⁹⁴⁹ - مجدوبي حسين : "ما وراء جبل طارق : الانتقال الديمقراطي للعلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص 197

⁹⁵⁰ - CAJAL MÁXIMO : "Ceuta ; melilla ; olivenza y Gibraltar donde acaba espana", Op cit ; p : 201.

⁹⁵¹ - DURAN PARA IREN, Op cit p : 214.

⁹⁵² - Shimi Mustapha : "la récidive" Maroc hebdo N : 766 du 09-15 -11 2007 p : 27.

⁹⁵³ - Ignacio Cembrero : "vecinos alejados...", Op cit p : 184.

⁹⁵⁴ - Paloma Gonzalez del Miño, Op cit p : 191.

والإستثمار الإسباني في المغرب تستميله مجالات أبرزها : قطاع النسيج الذي يقدم امتيازات تنافسية كالقرب الجغرافي من مدريد وكلفة اليد العاملة التي تعتبر منخفضة عن نظيرتها في تركيا ودول أوروبا الشرقية. ومن أبرز الشركات العاملة في القطاع هناك tavex التي إستقرت بسطات و mango المتخصصة في بيع الألبسة الجاهزة والتي أصبحت لديها وحدات إنتاج بالمغرب منذ سنة 2001. إضافة إلى cortefiel و inditex.

وفي مجال الصناعات الغذائية هناك شركة conservas ubago التي ولجت السوق المغربي سنة 1999 وعززت موقعها بوحدتين إنتاجيتين و cumarex المتخصصة في الأسقمري. زد على ذلك تزايد الإهتمام الإيبيري بالفلاحة المغربية المنافسة. حيث كان رأس المال الإسباني حاضرا في عمليتي التنازل عن الاراضي الفلاحية لشركتي صوديا وسوجيتا سنة 2005 و 2008 . كما تميزت على المستوى الفلاحي شركة duroc المتخصصة في الطماطم بأكادير وشركة enaporio verde.

وفي ما يخص مجال الطاقة، فقد برزت electrica endesa التي إستثمرت 284 مليون أورو في بناء محطة تهادرات قرب طنجة⁹⁵⁵ . حيث تم خلق شركة خاصة لتسييرها تملك منها endesa 32% والمكتب الوطني للكهرباء 48% و seimens الألمانية 20% وقد حظيت شركة axiona في هذا المجال بصفة قيمتها 700 مليار سنتيم لانجاز محطة للطاقة الشمسية⁹⁵⁶.

قطاع العقار وشركات البناء أصبح حاضرا هو الآخر من خلال شركة fadesa maroc وقد عمدت شركة الضحى إلى إقتناء 50 % من أسهمها سنة 2007 بغلاف مالي قدره 114 مليون أورو⁹⁵⁷. ناهيك عن شركة marina d'or و maexpa و codesa.

⁹⁵⁵ - Duran Parra Irene, Op cit p : 214.

⁹⁵⁶ - علي موسى خديجة : "دبلوماسي للمساء :هدف مدريد من القمة هو حل أزمتها الإقتصادية والأمنية " المساء عدد 1876 في 04 /2012 ص : 01 .

⁹⁵⁷ -Duran Parra Irene, Op cit p : 221.

وبرزت في مجال الإتصال شركة telefonica من خلال الفاعل "ميديتيل" وذلك منذ سنة 1999 .

في حين أن صفقة العشرية الأخيرة سجلتها شركة altadis الإسبانية الفرنسية والتي حصلت سنة 2003 على 80% من شركة التبغ المغربية. وهو ما جعل إسبانيا خلال هذه السنة تتصدر قائمة المستثمرين بالمغرب⁹⁵⁸ .

دون إغفال المجال السياحي، حيث نرصد سلسلة فنادق barcelo التي تمتدك أزيد من مائة وحدة فندقية في 18 بلد أسيوي بمعدل 50 ألف سرير . والتي ولجت السوق المغربي من خلال مدينتي الدار البيضاء ومراكش. وقد دخلت في شراكة مع مجموعة التجاري وفا بنك لتوسيع استثماراتها بالمغرب⁹⁵⁹، ناهيك عن مجموعة فنادق RIU في كل من مراكش وأكادير .

أما على مستوى النقل فقد ولجت السوق المغربي كل من alsa و iberia منذ سنة 1998.

من جهة أخرى؛ نجد في القطاع المالي مجموعة Santander التي ساهمت في رأسمال التجاري وفابنك بنسبة 7, 14% و صندوق التوفير والتقاعد ببرشلونة caixa الذي دخل المغرب منذ سنة 2007. وفي مجال الخدمات والاستشارات نجد شركة idom التي تنشط في أوساط نظيراتها الإسبانية في المغرب .

كما أن قطاعات من قبيل صناعة السيارات والطيران باتت تستهوي المستثمرين الإيبيريين والملاحظة المركزية فيما أسلفنا؛ أن دعامة الإستثمار الإسباني بالمغرب تبقى هي جهة كاتالونيا التي تحتكر 40% من الشركات الإسبانية العاملة في الضفة الجنوبية⁹⁶⁰. دون إغفال أهمية حضور نظرائهم من جزر الكناري .

وعلى هدى مما سبق، يمكن إيعاز تواضع الإستثمارات الإسبانية في المغرب إلى طبيعة العلاقات السياسية المغربية الإسبانية التي تعيش أز مات دورية بحيث لا تخرج من

⁹⁵⁸-N. Afya et D. Gueraui : ‘‘ l’image de l’Espagne au Maroc ‘‘, Op cit p : 176.

⁹⁵⁹- Duran Parra Irene, Op cit p : 224.

⁹⁶⁰- Bouchra Boudchiche Boucetta, Op cit p : 172 .

أزمة إلا لتدخل في أخرى من جهة. ومن جهة أخرى؛ إلى ضعف البنيات التحتية المستقبلية للإستثمار ومحدودية الإمكانيات التي يتيحها النسيج الإقتصادي المغربي، وعجزه عن إستقطاب الإستثمار الإستراتيجي الذي من شأنه أن يحدث النقلة النوعية والطفرة المرجوة للنهوض بالعلاقات الاقتصادية للبلدين وتعزيز شبكة المصالح المرجوة في هذا الإطار .

فهل تعوض المبادلات التجارية بين البلدين ما فات من طموحات المغرب في الاستفادة من جوار احد أهم الاقتصادات العالمية؟ وهل تلعب هذه المبادلات دور الترياق للإشكالات السياسية التي تعرفها علاقات البلدين؟

ثانيا: حجم المبادلات التجارية بين الطرفين

المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا عرفت في بداياتها تواضعا سطرته الأهمية الإقتصادية للطرفين في مراحل معينة. وهو ما دفع النخب المغربية إلى إعتبارها قاصرة عن تلبية طموحات البلدين⁹⁶¹.

لكن عقد التسعينات من القرن الماضي سيعرف بداية تحول إيجابي في هذا المضمار إذ إرتفعت قيمة هذه المبادلات من 7970 مليون درهم سنة 1990 إلى 10395 مليون درهم سنة 1996 أي بنسبة ارتفاع بلغت 30 ٪⁹⁶².

وسيستمر هذا المنحنى الإيجابي للمبادلات، إلى سنة 2004 حيث ستصبح الجارة الشمالية، ثاني شريك تجاري للمغرب بعد فرنسا⁹⁶³. وبلغت نسبة هذا الإرتفاع سنة 2007 إلى 11 ٪ حيث سجلت المبادلات التجارية بين البلدين رقم معاملات بلغ 51,70 مليار درهم⁹⁶⁴.

⁹⁶¹ - في الدراسة التي قام بها كل من أفاية نور الدين والكرأوي ادريس حول صورة إسبانيا في المغرب إعتبر 89,40 بالمائة من المستجوبين أن حجم المبادلات الإقتصادية بين الطرفين غير كافية في حين بلغت هذه النسبة 94 بالمائة في صفوف النخب.

أنظر: Afya .N et D.Gueraoui : « l'image de l'Espagne au Maroc », Op cit p : 109.

⁹⁶² - التقرير الاستراتيجي للمغرب 1997/1998 مجلة أبحاث عدد 46 /47 ص 28

⁹⁶³ -Chafiki Mohamed : las relaciones hispano marroquíes : incentivo para un mayor acercamiento de marruecos a la unión europea ‘ ‘ In A.F. ARDAVIN Y M.G. SALTO (coords): ‘ ‘ Europa y marruecos :diez años del proceso de Barcelona’ ‘ Op cit p : 181 .

⁹⁶⁴ -جريدة العلم عدد 21228 في 2008/12/17 ص 03 .

وفي العشر سنوات الأخيرة شهدت هذه العلاقات توازنا في حجم وتيرة المبادلات؛ فالصادرات المغربية نحو إسبانيا بلغت 31 مليار درهم بنسبة إرتفاع بلغت 134 % في حين سجلت الواردات رقم معاملات بلغ 39 مليار درهم بنسبة إرتفاع قدرت ب 15%⁹⁶⁵. لكن هذه الطفرة التجارية بين الطرفين، ستبلغ مداها سنة 2012 حيث ستصبح إسبانيا الشريك التجاري الأول للمغرب. وخارج دول الإتحاد الأوروبي سيصبح هذا الأخير ثاني سوق عالمي للمنتجات الإسبانية خلف الولايات المتحدة الأمريكية⁹⁶⁶.

ففي هذه السنة تضاعفت صادرات إسبانيا 30 % لتبلغ 87, 50 مليار درهم كما بلغت حصتها من التجارة الخارجية للمغرب 14 % وشكلت نسبة 28, 70 % من إجمالي المبادلات مع الإتحاد الأوروبي⁹⁶⁷.

وإذا أضفنا إلى ما سلف أرقام معاملات تجارة التهريب والإقتصاد غير المهيكل الذي تعرفه حدود مدينتي سبتة ومليلية من جهة⁹⁶⁸، وعائدات تهريب المخدرات والنهب على مستوى الصيد البحري من جهة أخرى، والتي يستفيد منها الإقتصاد الإسباني بشكل غير مباشر سنكون أمام أرقام خيالية تجعل من المغرب أحد المستهلكين العالميين لعلامة "صنع في إسبانيا"⁹⁶⁹.

وتستورد إسبانيا من المغرب المنتجات النسيجية والملابس الجاهزة؛ منتجات البحر؛ المنتجات الفلاحية الطازجة والمجمدة. في حين تصدر لجارها الجنوبي: الطاقة الكهربائية، المحروقات، أعمدة النحاس، المواد الكيميائية، أليفة ومواد صناعية للنسيج، المواد البلاستيكية، الآلات الصناعية والمنزلية المختلفة، سيارات سياحية والورق .

⁹⁶⁵ -التقرير الإستراتيجي للمغرب 2010/2013 مرجع سابق ص 54 .

⁹⁶⁶ - Elhayui Wissal : " Marruecos España UE : las ventajas del estatuto avanzado", Kantara N 08 julio agosto 2011 p : 69.

⁹⁶⁷ -دريوش نبيل "الجوار الحذر", مرجع سابق ص :142.

⁹⁶⁸ - Interview avec Yve Zurlo Le journal, n 324 de 10- 16 -11-2007-

⁹⁶⁹ -Cembrero Ignacio : vecinos alejados.... ,Op cit p : 197.

خلاصة القسم الاول

يتبين من كل ما سبق، أن الإطار الثنائي للعلاقات المغربية الإسبانية تحدده وتؤطره بشكل فاعل حساسية النزاعات الترابية خاصة على مستوى قضية الصحراء بالدرجة الأولى. ففي عمق تقلبات تيارات علاقات البلدين، هناك قضية الصحراء التي تتحكم المواقف منها في طبيعة وسلاسة إدارة التواصل بين الضفتين.

فقد ساهم المسار الأممي للقضية في تعزيز تطور علاقات البلدين في فترة حكم الاشتراكي "فليبي غونزالس"، في حين أن مواقف وتوجهات "خوسي مارية أثنار" من الحل السياسي للقضية دفع إلى أزمة غير مسبوقة في تاريخ الطرفين. ومع تغير هذه التوجهات بوصول "رودريغز ثباتيرو" للحكم؛ ستعرف العلاقات المغربية الإسبانية إنطلاقة إيجابية جديدة.

خطورة وحساسية النزاعات الترابية على علاقات البلدين، تتعزز باستمرار احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، وهو الوضع الذي يستمر كعقبة كأداء في وجه أي تعاون متين متصل في الزمان بين الطرفين .

خاصة أمام تشبث الطرف الإسباني بحضوره في الثغور الشمالية للمملكة . وتحويل ذلك إلى عقيدة غير قابلة للنقاش. وحرص المغرب على التشبث بمطالبه ، ما يجعل هذا الملف بركانا يتهدد الأمن في غرب المتوسط.

وفي حالة التوتر والأزمة الدورية للعلاقات المغربية الإسبانية، فإن كل العوامل والمتغيرات يتم الاستنجاذ بها واستعمالها في عملية الضغط والإحراج السياسي المتبادل. ليظهر ماراد البعد الثقافي- التاريخي لإعطاء حمولة تبريرية لكل السلوكات العدوانية والانتقامية سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي.

فضلا عن استعمال ورقة الهجرة والتهريب والملف الأمني كورقة ضغط ومجال لتصريف وتميرير المواقف السياسية في هذه الضفة أو تلك.

دون إغفال أهمية المتغير الاقتصادي وقفزه في سلم أولويات الجارة الشمالية بعد الأزمة الاقتصادية وصعوبة الظرفية العالمية. من خلال بحثها عن التخفيف من وطأة هذه الأزمة عبر استثمار مزايا قرب السوق المغربية. الأمر الذي دفع إلى قيام منطق عقلاني في علاقات الطرفين. ومزيد من تليين الجارة الشمالية لمواقفها من القضايا المغربية الحساسة.

القسم الثاني: العلاقات المغربية الإسبانية في سياق متعدد الأطراف

تحليل ودراسة العلاقات المغربية الإسبانية في إطارها الثنائي المباشر، لا يميّط اللثام عن كل دواليبها وألغازها. حيث يبقى للمتغيرات الجهوية والدولية دورا بارزا مهما في تسليط مزيد من الضوء والوضوح على المحددات والأبعاد الحقيقية المتحركة في هذه العلاقات.

وهي وجهة نظر يعززها الموقع الجغرافي الفريد للبلدين، والذي يجعلهما في قلب جوار إقليمي صعب المراس، بما يحمله من تحديات جيواستراتيجية بين صفتين على طرفي نقيض على كل المستويات.

فمن جهة، هناك البعد المغربي الذي لا يخلو حضوره من تأثير عميق على العلاقات المغربية، الإسبانية. والتي عانت دائما ومازالت، من البيئة السياسية البين – مغربية (الفصل الأول).

ومن جهة أخرى؛ الفضاء الاوربي والاطلسي كإطار ضاغط ومكيف لهذه العلاقات (الفصل الثاني).

وهو ما يدفعنا إلى معالجة هذا القسم كآتي:

الفصل الأول: السياسات الإسبانية تجاه المغرب العربي وإكراهات الخلافات البين مغربية.

الفصل الثاني: الفضاء الاوربي والاطلسي كإطار لتفاعل علاقات البلدين.

الفصل الأول:

السياسات الإسبانية تجاه المغرب العربي وإكراهات الخلافات البين مغربية

حضور البعد المغربي في العلاقات المغربية الإسبانية سنعمل على مقارنته من خلال ضغط هذا الفضاء الجهوي على الطرف الإسباني والسياسات التي اتخذها كردة فعل. والتي تعكس بجلاء كل تفاعلات وتناقضات المحيط المغربي. وما يعتدل فيه من ملفات وقضايا مشتركة لها أهميتها ودورها في رسم توجهات ومسار العلاقات المغربية الإسبانية. فسياسات إسبانيا المعاصرة في المنطقة، مرت تاريخيا بمراحل وأطوار مختلفة. ولعل من أبرزها السياسات الفرانكوية التي كان لها امتدادات وتأثير على السياسة الخارجية لإسبانيا الديمقراطية التي سنركز عليها في هذا الفصل.

وأهم ما ميز سياسة فرانكو في المنطقة، كونها شكلت في بداياتها جزءا من "سياسة الصداقة العربية"¹ التي كان النظام يتبعها في تلك المرحلة في استغلال واضح للتعاطف العربي مع "بلاد الأندلس". وقد إعتبرت "سياسة تعويض" مضمونها العمل على فك العزلة التي أصبحت إسبانيا تعيشها في المعسكر المغربي نتيجة قمعها للحريات؛ والإنقلاب على الجمهورية وتموقعها خلال الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول المحور. وفي المعسكر الشرقي نتيجة التنكيل بالحزب الشيوعي والقوى اليسارية الأخرى.

وفي إطار هذه السياسة العربية، عمل نظام فرانكو على محاولة تقديم نفسه للعالم العربي عبر الواجهة المغربية من خلال رسم صورة الصداقة والأخوة بين الشعبين². وهو ما إنعكس على مواقفها من نفي السلطان محمد الخامس وقمع الحماية الفرنسية للمقاومة المغربية ورجالات الحركة الوطنية، حيث كانت إسبانيا منددة بذلك.

¹- Paloma Gonzalez DEL Miño : "las relaciones entre españa y marruecos, perspectivas para el siglo XXI" Op.cit P: 77.

² - M.H. De LARRAMENDI, IRENE, G Gonzalez y BARBAR. A. Piazza: "el ministerio de asuntos exteriores y la politica exterior hacia el Magreb" in : M.H. DE LARRAMENDI y AURELIA MAÑE ESTRADA (eds) : "La politica exterior española hacia el Magreb ; actores e intereses", Op cit, p: 63.

لكن مع حصول المغرب على استقلاله، ستبدأ صفحة جديدة في العلاقات المغربية الإسبانية، طبعت بطابع النزاعات المتكررة على خلفية المطالبات المغربية بإستكمال وحدته الترابية. حيث ستصبح أمام سياسة الانخراط الإسباني في الساحة المغاربية كطرف في النزاعات القائمة، خاصة على خلفية قضية الصحراء .

فقد كانت الإستراتيجية الإسبانية، كما أسلفنا في القسم الأول من هذا العمل قائمة على محاولة تأييد إحتلال الصحراء والاحتفاظ بها. وهو ما دفعها إلى اللعب على تناقضات الدول المغاربية، ومحاولة استثمارها.³

ولعل أهم مثال على ذلك، ظهور فكرة "الأطراف المعنية" في النزاع حول قضية الصحراء. نتيجة استفادة إسبانيا من تزامم المطالب المغربية بالإقليم على إثر تقدم موريتانيا سنة 1966 بطلب للأمم المتحدة في هذا الاتجاه. وهو ما سيفتح الباب أمام ظهور محور: مدريد، نواكشوط والجزائر في وجه المغرب.⁴

لكن تطورات الأحداث التي ستدفع إلى الخروج الإسباني من الصحراء، عقب المسيرة الخضراء، ودخول إسبانيا منعطفا تاريخيا جديدا مع نهاية نظام فرانكو، وبداية مسلسل الانتقال الديمقراطي. سيفتح الباب أمام سياسات إيبيرية من نوع خاص. حيث ستعرف المنطقة المغاربية ما عرف بسياسة التوازن (المبحث الأول) والسياسة الشاملة (المبحث الثاني). فما هي حدود تأثير هذه السياسات وتكيفها للعلاقات المغربية الإسبانية؟

وسنعمل منهجيا على مقارنة هذه السياسات من خلال التمييز بين المغرب العربي المركزي والآخر الهامشي.⁵ حيث سندرس هذه السياسات الإسبانية في إكراهات الجوار المغربي الجزائري الذي يشكل النواة الصلبة للمغرب العربي. والذي من شأنه مساعدتنا في فهم تقلبات وآليات اشتغال الجوار المغربي الإسباني.

³ - BERNABE LOPEZ GARICA : "Marruecos y España : una historia contra toda logica", Op cit, p:283-284

⁴ - محمد العربي المساري : 30 سنة مسيرة من لاهاي إلى بيكر " مرجع سابق، ص 179.

⁵ - BEL GOURCH ABDERRAHMAN : " Les politiques étrangères maghrébines ", université cadí AYYAD : collection de la FSJES Marrakech, série : thèses et mémoires" N°082001, p : 07.

المبحث الأول: سياسة التوازن

بعد سياسة الإنخراط الإسباني في الواقع المغربي، ومعاناتها من التمزق في هذا الفضاء كطرف فاعل ونشيط له مصالح إستراتيجية مباشرة. وما تلاها من عدم استقرار داخلي نتج عن تغييب الموت للجنرال فرانكو.

ستعمل إسبانيا على تبني سياسة التوازن في المنطقة. وهي سياسة قائمة على أخذ مسافة متساوية equidistancia من المغرب والجزائر. وتفاذي جعل المصالح الإسبانية أداة للإجراج السياسي المتبادل بينهما.⁶

وفي نفس الآن ؛ مبنية على عدم الإنحياز لهذا الطرف أو ذاك. وعدم التدخل المباشر في شؤون المنطقة.⁷ كما أنها قائمة على منطق يفرض تعويض والقيام بمبادرة تجاه هذا الطرف كلما تم فعل أو مبادرة تجاه الآخر.⁸ في سياق يحكمه عدم الإعراف بهيمنة أي من المغرب أو الجزائر على المنطقة.⁹

وهو الأمر الذي سيدفعنا إلى البحث في أسباب سياسة التوازن هذه (المطلب الأول) وميكانيزمات اشتغالها وطبيعة التقويم الذي يمكننا من معرفة القيمة الحقيقية لهذه السياسة (المطلب الثاني).

المطلب الأول: أسباب سياسة التوازن

وهي أسباب موضوعية دفعت الطرف الإسباني إلى تبني سياسة التوازن. حيث يمكن تقسيمها إلى أسباب مرتبطة بإكراهات وتطورات المشهد السياسي الداخلي الإسباني (الفقرة الأولى) وأسباب مرتبطة بالفضاء المغربي وما يعتمل فيه من متغيرات (الفقرة الثانية).

⁶ - BERNABE LOPEZ GARCIA, "Marruecos y España: una historia contra toda logica", Op cit, p : 289.

⁷ - Ibid, p 296.

⁸ - IRENE FERNANDEZ MOLINA : "los partidos politicos y la politica exterior española hacia el Magreb los casos del PSOE y del PP" in : "la politica exterior española hacia el Magreb : actores e intereses", Op cit p :40.

⁹ - M.H. de LARRAMENDI Y JESUS A. NUÑEZ : " la politica exterior y de cooperacion de España en el Magreb (1982-1995)" los libros de la catarata , Madrid , 1996, p: 60.

الفقرة الأولى: الأسباب الداخلية الإسبانية

وهي أسباب يمكن إجمالها في إنعدام الاستقرار السياسي الذي عرفتة إسبانيا في هذه الفترة وحيثياته (أولا) وطبيعة التحالف السياسي الحاكم في هذه المرحلة (ثانيا) وما كان له من انعكاسات على بنية السياسة الخارجية للدولة.

أولا: إنعدام الاستقرار السياسي

فبعد مدة طويلة من الحكم الديكتاتوري وما رافقه من مظالم وإعدامات ساد جو من الحذر والشك الساحة السياسية الإسبانية بعد وفاة فرانكو. وقد ساهم في إنكفاء تلك المخاوف؛ التاريخ الدموي الإسباني، والثقافة السياسية التي كانت سائدة حينها. حيث كان نصف إسبانيا يرى في أن الحل للأزمة القائمة هو تصفية النصف الآخر.¹⁰ فقد كان شبح الحرب الأهلية مازال قائما وجراحها لم تندمل بعد.

ناهيك عن أن مسلسل التوتر والعنف كانت قد بدأت بوادره، منذ اغتيال الأميرال "كاريرو بلانكو" الرجل الثاني في الحكم في دجنبر 1973. وتزايد أنشطة المنظمات السرية الانفصالية من قبيل : إيطا؛ كرابو Grapo وفراب Frap.¹¹

وهو ما دفع الملك الشاب "خوان كارلوس" إلى البعث بإشارات إيجابية للداخل والخارج مضمونها التغيير الإيجابي. فقد تم تعديل حكومة أرياس نفارو "الموروثة عن فرانكو. وأمام اكراهات الواقع الجديد واللحظة المفصلية في التاريخ الإسباني سيعمل الملك على تعيين حكومة "أصولفو سواريز" الشاب؛ في يوليوز 1976. الأمر الذي سيفتح الباب أمام مسلسل الانتقال الديمقراطي الإسباني الفريد من نوعه.

فقد عاشت إسبانيا عدم استقرار وغلجان سياسي؛ نتج عن إعادة بناء وتشكل خارطة السياسية للبلاد بكل ما تحمل من تناقضات.

فقد ظهر أكثر من 120 تنظيما سياسيا مختلفة المشارب والتوجهات إلى حد التناحر. كما أن اليمين عرف الكثير من التمايزات والإختلافات فيما بينه. واليسار يعيش هو الآخر

¹⁰ - محمد العربي المساري: "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 24.

¹¹ - نفس المرجع، ص 36.

تناقضات من الحزب الشيوعي بزعامه "سانتياغو كاريليو" إلى الحزب الاشتراكي العمالي بزعامه "فليبي غونزالس" ومرجعياته البروليتارية.

لكن تبني المنهجية الديمقراطية، ستدفع إلى التغييرات الداخلية العميقة، من خلال الاعتراف بالأحزاب السياسية وتبني التعددية، وتحرير الصحافة والإعلام. والعمل على الإشراف على أول إنتخابات تعددية في يونيو 1977، والتي أفرزت فوز اليمين بزعامه "أضولفوسواريز".

وعلى مستوى آخر، وبعد مدة من عدم الإستقرار الدستوري، حيث عرفت إسبانيا ما بين 1812 و 1931 إقرار سبعة دساتير؛¹² سيتم التوافق على دستور إسبانيا الديمقراطية وإقراره في دجنبر 1978.

ورغم كل هذه الخطوات المهمة ستستمر جيوب مقاومة التغيير. وخصوصية المشهد السياسي الإسباني الممهور بالتشرذم والصراع الوجودي بين الفرقاء السياسيين. فقد كثرت الاغتيالات السياسية من طرف منظمة إيطا البسكية؛ وغيرها من التنظيمات السرية. وتأزم الوضع السياسي بشكل دفع إلى استقالة حكومة "أضولفوسواريز" وقيام حكومة "كالفو صوطيلو CALVO SOTELO".

ففي 03 فبراير 1981 يوم تنصيب هذه الحكومة. سيعرف البرلمان الإسباني إقتحامه من قبل الكولونيل "انطونيو طيخيرو" في محاولة إنقلابية لجزء من الجيش الإسباني؛ باءت بالفشل.¹³

وهو ما عكس الوضع الداخلي الإسباني الهش. وهي الهشاشة التي تعززت بالتحالف السياسي الذي أفرزته انتخابات 1977. فما هي طبيعة هذا التحالف وتأثيراته الداخلية والخارجية؟

¹² - محمد العربي المساري: "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 22.

¹³ - الحسيني محمد زين العابدين: "التجربة الدستورية الإسبانية الجديدة : محاولة التقييم" بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكادال، جامعة محمد الخامس , الرباط الموسم الجامعي 1990/1991، ص : 101.

ثانيا: التحالف السياسي الحاكم

أيقونة هذا التحالف والوجه البارز من داخله هو السياسي الشاب "أضولفو سواريز" الذي كان صنيعة نظام فرانكو. فقد تقلد منصب الكاتب العام للحزب الوحيد "الموفيميذتو" شهرا واحدا بعد وفاة فرانكو. ثم حاكما عاما لولاية قبل ذلك و مديرا عاما للتلفزيون الرسمي.¹⁴ الذي شكل آلة للدعاية والبروبغندا الفرانكاوية. فقد شكل هذا الإسم علامة بارزة في سياق نجاح الانتقال الديمقراطي الإسباني، من خلال مساهمته كرئيس حكومة معينة من طرف الملك أولا. ثم بعد ذلك كرئيس تحالف فائز بالانتخابات .

حيث أن نظرتة السياسية الثاقبة، مكنت من تفكيك النظام السياسي الموروث عن فرانكو. وإحلال محله نظاما ديمقراطيا تعدديا.

وقد كانت الآلية المتبعة في هذا السياق الأنف الذكر، هو إنشاء "حزب إتحاد الوسط الديمقراطي Partido de union de centro democratico

PUCD

الذي عرف جمع وإستقطاب الكثير من الوجوه والشخصيات السياسية الإسبانية التي لها وزنها التاريخي.¹⁵ وكذلك النخب الصاعدة التي ستلعب دورا بارزا في إسبانيا الديمقراطية، فقد أصبح الحزب عبارة عن تيار وجبهة يمينية¹⁶ غير متجانسة تضم الحساسيات الفرانكاوية والكنسية والعسكرية والبرجوازية وغيرها من التصورات التي لا يجمعها إلا التوافق حول مشروع أضولفو سواريز الإصلاحية والذي يكتسي طابعا ظرفيا.

وقد خاض هذا التيار انتخابات 15 يونيو 1977 التي ستوصله للحكم، حيث حصل حزب إتحاد الوسط الديمقراطي على 166 مقعدا بالكورتيس من أصل 350 مقعدا بنسبة 36,42%. في حين حصل منافسه الحزب الاشتراكي العمالي على 110 مقعدا بنسبة

¹⁴ - محمد العربي المساري، "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 15.

¹⁵ - الحسيني محمد زين العابدين، مرجع سابق، ص 96.

¹⁶ - JOSE IGNACIO ALGUERO CUERVO: « el sahara y españa : claves de una descolonizacion pendiente » Op cit P : 317.

27, 29%¹⁷. وهو ما شكل بداية ظهور الاصطفافات وأقطاب السياسة التي ستهيمن على الحياة السياسية فيما بعد.

ويبقى أهم إنجازات هذه المرحلة، اشتغال حزب اتحاد الوسط الديمقراطي على التراضي والتوافق حول التحديات والإكراهات الداخلية وإنجاح هذه السياسة، خاصة أمام تباعد وتناقض وجهات نظر الفرقاء السياسيين.

وقد تمخض عن هذه السياسة "أوافق لامونكلوا los pactos de la moncloa" وهي عبارة عن إتفاقات بين مختلف التنظيمات السياسية والاجتماعية. تم التوقيع عليها في 25 و 26 أكتوبر 1977.¹⁸ حيث اشتملت على شقين: شق اقتصادي عني بإصلاح المؤسسات وتجميد الأجور وسن سياسة التقشف. وشق سياسي دعى إلى إحترام مبادئ الديمقراطية والحريات العامة وإصلاح القانون الجنائي والعدالة العسكرية وغيرها من المبادئ المؤسسة للمساواة والديمقراطية.

لكن سلبيات سياسة التوافق و صعوبة مسلسل الإنتقال الديمقراطي ستعكس أساسا على السياسة الخارجية الإسبانية خاصة في شقها المغاربي.

فقد شكلت هذه المرحلة، فترة محاولة التأسيس والتععيد لسياسة خارجية إسبانيا الديمقراطية. وقد جعلت من أهدافها البحث عن هوية وعن اعتراف دولي. وبالتالي حاولت عدم إثارة الصراعات المغاربية¹⁹.

ففي هذا الإطار؛ حاول أضولفوسواريز البحث عن طريق ثالث يصب في عدم الإنحياز إلى الشرق أو الغرب، لاعبا دور الحياد الدولي. وهو ما حاول تطبيقه على المنطقة المغاربية بعدم الإنحياز لأحد الغريمين سواء المغرب أو الجزائر²⁰.

¹⁷ - محمد العربي المساري، "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 40.

¹⁸ - الحسيني محمد زين العابدين، مرجع سابق، ص 102.

¹⁹ - SAHAGUN FELIPE: « España frente al sur » in : R. CALDUCH (coord): « la politica exterior Española en el siglo XX » Ediciones : ciencias sociales, Madrid, 1994, P :238.

²⁰ - POWELL CHARLES : « España en democracia 1975-2000 : los claves de la profunda transformacion de España » plaze y janès Editores, 2 da edición, 2001, P : 278.

الأمر الذي دفع إسبانيا في هذه الفترة إلى تبني سياسة احتواء تجاه المنطقة المغربية، لحماية مصالحها²¹.

لكن هذه التوجهات عانت من طبيعة وبنية حزب إتحاد الوسط الديمقراطي. كونه تيار وجبهة يمينية، جمعت الكثير من التوجهات والشخصيات التي تعارضت آراؤها وتوجهاتها حول المسائل المهمة والمصيرية في المنطقة المغربية. الأمر الذي حد من فاعلية سياسة التوافق، وجعلها صالحة للمواضيع العامة التي لا تحمل منسوبا مهما من الحساسية والخطورة السياسية²². عكس ما هو عليه الحال في العلاقات المغربية الجزائرية في هذه اللحظة التاريخية.

وهو ما أدى بالتحالف الحاكم إلى الحفاظ بأي شكل على التوافق الداخلي للحزب المشكل للحكومة، الأمر الذي لم يمكن من التقدم في صياغة سياسة خارجية فعالة في المنطقة²³. كما تم تأجيل القرارات المهمة والمصيرية²⁴ نتيجة العوامل المشار إليها أعلاه. فهذه العوامل أفرزت واقع الخضوع الإسباني لديناميكية تسارع الأحداث في الساحة المغربية. و قبول الوضع القائم؛ ومحاولة الحفاظ عليه *statu quo* في علاقاتها المغربية²⁵. وهو ما جعل تبني سياسة التوازن والأنخراط فيها، ردة فعل لواقع وإكراهات موضوعية إسبانية. فما هي الأسباب المغربية المنتجة لهذه السياسة؟

الفقرة الثانية: الأسباب المرتبطة بالواقع المغربي

الواقع المغربي بكل إرثه وطبيعته التنافسية والصدامية²⁶. كان له دور مهم في تكييف العلاقات المغربية الإسبانية. وإدخال متغيرات ذات أهمية بالغة في فك رموز هذه العلاقة. وهو ما شكل ضغطا وازنا على إسبانيا في تبنيها لسياسة التوازن تجاه المنطقة. وسنعمل على مقاربة ذلك من خلال أهمية صراع الزعامات في المنطقة (أولا) ومركزية

²¹ - POWELL CHARLES , op cit , P : 220.

²² - PALOMA GONZALEZ DEL MIÑO, Op. cit P: 84.

²³ - POWELL CHARLES, Op cit P : 221.

²⁴ - JOSE IGANACIO ALGUERO CUERVO, Op. cit P: 318

²⁵ - PALOMA GONZALEZ DEL MIÑO , Op. cit P: 84.

²⁶ - BEL GOURCH ABDERRAHMAN, Op, cit P:21.

قضية الصحراء كإنعكاس لهذا الصراع. وتعبير عن جسامه الرهانات الجيوإستراتيجية في المنطقة (ثانيا) مع الإقرار بصعوبة هذه المهمة بالنظر إلى سياسة المحاور والأحلاف والمحاور المضادة في المنطقة. ونسيج العلاقات البين مغاربية المعقد. لأن الفاعلين فيه من أنصار الدبلوماسية السرية.²⁷

أولاً: صراع الزعامات

صراع الزعامات، le leadership قائم على رغبة كل من المغرب والجزائر في الحضوة والسيطرة على الفضاء الجهوي المغربي.²⁸ وهو سباق أرخى بظلاله القائمة على المنطقة.²⁹ بحكم أن له جذور تاريخية ومحاور أساسية يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- مشكل الحدود وإفرازه لحرب الرمال

فاعمل الحدود إعتبر من أوائل العقبات التي ساهمت في تدهور العلاقات البين مغاربية. ذلك أنه في صلب مشكل التوازن في المنطقة. فتاريخيا لم يكن هناك تحديد للحدود بين المغرب والإمبراطورية العثمانية التي كانت حاضرة في الجزائر.³⁰ وبحكم الاحتلال الفرنسي للطرفين لاحقا، وبعد الحرب العالمية الثانية وتنامي الحس الوطني المغربي تمت مراجعة سرية لخارطة المغرب حيث جاءت بقليل بعد نفي الملك محمد الخامس في خريف 1953. وبموجبها تم ضم جزء كبير من الصحراء الشرقية للجزائر.³¹

كما أن المغرب بعد حصوله على الاستقلال رفض فتح مفاوضات مع الطرف الفرنسي حول حدوده الشرقية، مؤكدا أن هذا شأن مغربي جزائري سيتم حله في الوقت المناسب. وهو ما تم بالفعل من خلال توقيع بروتوكول إتفاق في 06 يوليوز 1961 مع

²⁷ - NICOLE GRIMAUD : « la politique extérieure de l'Algérie : 1962-1978 » , éditions KARTHALA , Paris, 1984 P : 210.

²⁸ - KHADIJA MOHSEN FINAN : « Sahara occidental: les enjeux d'un conflit régional » CNRS, éditions, paris 1997, P :34.

²⁹ - MOHAMED BEN EL HASSAN ALAOUÏ ; « la coopération entre l'union européenne et les pays du Magherb » Op cit P : 103.

³⁰ - NICOLE GRIMAUD Op cit P : 181.

³¹ - Ibid p: 185.

الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية برئاسة فرحات عباس. تلتزم من خلاله هذه الأخيرة بإيجاد حل للمشكل الحدودي من خلال لجنة مختلطة بين الحكومة المغربية وحكومة الجزائر المستقلة.³²

وتأسيسا على ما سبق، فقد ورثت الجزائر المستقلة؛ ثاني أكبر مساحة في الوطن العربي بعد السودان، بما قدره 2380.000 كلم².³³

وقد ذهب سادة الجزائر الجدد إلى أن استقلال بلادهم تأخر بفعل قضية الصحراء الشرقية. وبالتالي التخلي عن أي شبر منها يبقى غير مقبول. متذرعين أيضا بمعاناة الشعب الجزائري في سبيل ذلك وخوضه حربا دامت سبع سنوات ونصف،³⁴ ضحت خلالها الجزائر بمليون ونصف شهيد. وهو ما يمثل عشر ساكنتها.³⁵ الأمر الذي أضفى طابع القداسة على الحدود الموروثة عن الإستعمار .

وعطفا على ما سبق، فقد كانت المطالب الترابية للمغرب هي الأخرى غير واضحة الرؤية. فقد كانت هناك رؤية لحزب الإستقلال المهيمن على الساحة السياسية، وتوجه للحكومة القائمة وعدم حسم القصر، في شساعة الأراضي المطالب بها.

ففي 23 مارس 1963 أعادت جريدة العلم لسان حال حزب الاستقلال، نشر خريطة المغرب الكبير التاريخي. والتي كانت قد صدرت لأول مرة في 5 يونيو 1957، حيث تضاعفت مساحة المغرب أربع مرات وضمت:

مناطق الذفوذ الإسباني حينها في الثغور الشمالية وواد الذهب والساقية الحمراء. ومجموع الدولة الموريتانية اليوم إلى حدود نهر السنغال. وجزء من دولة مالي. وجزء من الجزائر من شرق عين صالح إلى وسط الجزائر.³⁶

³² - BENJAMIN STORA: « Algérie – Maroc: histoires parallèles destins croisés » TARIK editions, 2002, P : 25.

³³ - STEPHEN O.HUGHES : « le Maroc de Hassan II » traduit de l'anglais et révisé par l'auteur, éditions et impressions : BOUREGREG, Rabat , 2003, P : 177.

³⁴ - BEN JAMIN STORA Op cit p:26.

³⁵ - NICOLE GRIMAUD Op cit P : 8-169.

³⁶ - STEPHEN O.HUGHES, Op cit p: 180.

وهي خريطة المطالب التي خيمت على الفكر السياسي الإسباني والجزائري على السواء. فقد أصبحت الجزائر تنظر للمغرب على هذا المستوى كتهديد حقيقي. وتمت مقارنة مشروعه بمشروع "بينيتو موسوليني" بالرغبة في إعادة خلق الإمبراطورية الرومانية حول المتوسط.³⁷

ففي غياب تسطير حدود معترف بها بين الجارين. ستتهم الجزائر المغرب في شتتبر 1963 بالتسلل عبر الصحراء لإحتلال مواقع معزولة. في حين ستتهم الرباط الجزائر بالهجوم على نقط مراقبة مغربية. وهو ما أدى إلى اندلاع المواجهات التي ستعرف في الأدبيات السياسية بحرب الرمال ما بين فاتح أكتوبر إلى 05 نونبر 1963. فقد أكد المغرب هجوم الجزائر على منطقة تيفوشي حيث يوجد أبراج حاسي بيضة وتينجوب. وقد شملت المواجهات جنوبا نواحي تيندوف. وهاجمت الجزائر أيضا منطقة "عيش" قرب فكيك في الشمال الشرقي لتخفيف الضغط عن قواتها في الجنوب. وقد تكشف هذه الحرب عن تقدم للقوات المسلحة الملكية، حيث تم في 15 أبريل 1964 تبادل 375 أسيرا جزائريا مقابل 52 أسيرا مغربيا. كما أن الإحصائيات الرسمية المغربية أعلنت عن 39 قتيلا مغربيا. في حين الجزائر لم تعلن عن عدد ضحاياها رسميا وهو ما تم تقديره بـ 300 قتيل³⁸.

لكن يبقى أهم ما تكشف عنه هذه الحرب هو انعكاساتها السياسية على علاقات البلدين. فقد شكلت ضربة قوية للرصيد الرمزي لاثورة الجزائرية، وللنفسية الإنتصارية التي خرجت بها. وللنرجسية التي إمتلك رجال الدولة الذين دخلوا عالم السياسة من باب البندقية. الأمر الذي سيفتح الباب على مصراعيه على "الحرب الباردة المغربية"³⁹ بكل تداعياتها وإسقاطاتها على المنطقة.

³⁷ - STEPHEN O.HUGHES, Op cit p: 180.

³⁸ - تم الاعتماد في مجريات الأحداث في حرب الرمال على كل من:

- NICOLE GRIMAUD : « la politique extérieure de l'Algérie : 1962-1978 », Op cit P :198.
- STEPHE O.HUGHES : « le Maroc de Hassan II », Op cit p : 177 à 184.

³⁹ - NICOLE GRIMAUD, Op cit P :200.

ب - عامل التاريخ العريق في المغرب، وبراديعم تصدير الثورة في الجزائر

من ساحات النزاع التي قامت عليها الندية بين الطرفين. العامل التاريخي الحضاري بالنسبة للمغرب. الذي يحمل خلفه قرونا من الوجود السياسي كقوة إقليمية ودولية تمتد من مضيق جبل طارق إلى نهر السنغال جنوبا.⁴⁰ مع ما يستتبع ذلك من فخر واعتداد⁴¹ في المخيال الجماعي المغربي.

فالمغرب يعتبر أمة ودولة منذ أمد بعيد. وتعزز ذلك باستمرار في الزمن.⁴² كما أن علاقته بالاستقلال تعني العودة إلى نظام دولتي كان قائما.⁴³

على العكس من ذلك؛ الجزائر كأمة تشكلت بشكل متأخر. ونشأت بصيغتها الحالية نتيجة حرب التحرير.⁴⁴ كما أن حضور الدولة العثمانية فيها لمدة طويلة وما تلاه من استعمار فرنسي لمدة قرن ونصف، عرضها لأزمة هوية.⁴⁵ فلا مراء في أن التاريخ الاستعماري ومقاومته خلقت الإقليم الجزائري كما نعرفه اليوم.⁴⁶

وفي صلب هذا المنطق، فإن تشبث الجزائر بالحدود الموروثة عن الاستعمار يقف خلفه غياب عمق تاريخي للدولة والنخب الجزائرية. على اعتبار أن تاريخ الحدود والتراب الجزائري يبدأ فقط مع تاريخ استقلالها.⁴⁷

و هو ما نتج عنه عقدة النخب الجزائرية الحاكمة من المغرب.⁴⁸ ودفع المؤرخ الفرنسي بنجمان ستورا إلى القول:

⁴⁰ - MOHAMED BEN EL HASSAN ALAOUI, Op cit p:102.

⁴¹ - EL HOUDAIGUI RACHID : « la politique étrangère du Maroc entre la constante géopolitique et les contraintes de la mondialisation » revue marocaine d'études internationales, N°11 juin 2003, p:31.

⁴² - BENJAMIN STORA, Op cit p:13.

⁴³ - Ibid, p.20.

⁴⁴ - Ibid, p.13.

⁴⁵ - Ibid p:120.

⁴⁶ - Ibid, p.14.

⁴⁷ - BENKHATTAB ABDEL HAMID : « la culture politique des dirigeants algériens : la tentation du leadership » in : « Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011, p : 61.

⁴⁸ - محمد العربي المساري، ملف: "المغرب والجزائر قصة عقدة عمرها نصف قرن"، مجلة المساء، عدد خاص سنة 2006، ص 45.

"إن المغرب مشكلة جزائرية"⁴⁹

حيث أصبح يشكل بالنسبة لها الآخر "الغيرية Altérité" التي تحدد هويتها من خلالها.⁵⁰

وعلى الجانب الجزائري، نجد منطق تفكير آخر وزاوية نظر مخالفة. نواتها الصلبة قائمة على "مفهوم الثورة" فالثورة الجزائرية بشهادتها المليون والنصف؛ شكلت حالة فريدة في التاريخ المعاصر الذي عرف إعلاء شأن التحرر والانعقاد من كل أشكال الاحتلال.

وقد إستفادت النخب الجزائرية الحاكمة من هذا الزخم. ووجدت شرعية دولية، وموطئ قدم بين الكبار قائم على "طموح تصدير الثورة"⁵¹ من خلال مساندة حركات التحرر عبر العالم.

مما نتج عنه "غرور قومي" نبت في العقل السياسي الجزائري.⁵² ساهم في إذكائه؛ الإمكانات والثروات الطبيعية.

وتماشيا مع منطق التفكير هذا؛ ستعمل الجزائر على تحويل رأس المال الرمزي للثورة الجزائرية إلى قوة تأثير جيو إستراتيجية عالمية من خلال اعتبار نفسها الشريك الرئيسي لفرنسا في المنطقة.⁵³

وكانت دافعا لتزعم حركة عدم الانحياز إلى جانب مصر، يوغسلافيا والهند.⁵⁴ ناهيك عن الدعوة إلى نظام اقتصادي عالمي جديد. دون إغفال الوساطة بين إيران والعراق التي

⁴⁹ - نبيل دريوش: "ملف المغرب والجزائر قصة عقدة عمرها نصف قرن" مرجع سابق، ص : 26.

⁵⁰ - ABOUDDAHAB ZAKARIA : «A la recherche d'un paradigme explicatif d'un voisinage difficile : Maroc Algérie, conflictualité enracinée ou accident de l'histoire", in : "Maroc- Algérie : Analyses croisées d'un voisinage hostile" , Op. cit P : 101.

⁵¹- STEPHEN O.HUGHES, Op cit P : 307

⁵²- حوار مع : عبد الله ساعف : مدير مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية.

- حاوره توفيق بوشرين، الأيام عدد 152 في 07-13 أكتوبر 2004، ص 06.

⁵³- NICOLE GRIMAUD, Op cit p: 99.

⁵⁴- BEL GOURCH, ABDERRAHMN, Op cit, P: 03.

⁵⁵- Ibid, P: 05.

أثمرت إتفاق 06 مارس 1975. ونشاط دبلوماسيتها في قضية الرهائن الأمريكيين في إيران.⁵⁵

وهي معطيات دفعت الجزائر على المستوى الجهوي، إلى اعتبار النظام المغربي مصدر تهديد للثورة الجزائرية و إشعاعها. على اعتبار أنه نظام إصلاحية، رجعي تابع للإمبريالية الدولية.⁵⁶

ج- تداخل السياسة الداخلية والخارجية

في هذا المضمار، عرفت الدول المغربية حضورا كبيرا لتصرف الأزمات الداخلية، لأنظمتها عبر القناة الدبلوماسية وتوجهات السياسة الخارجية .
ففي سنة 1963 عرفت الجزائر إنتفاضة شعبية في منطقة القبائل نتيجة ضعف البنيات التحتية و الأزمات الإقتصادية. إنضاف إليها تحركات قدامى المجاهدين.⁵⁷ وهو ما تم تصريفه من خلال الأزمة التي نشبت مع المغرب. ليتم تسجيل بداية مسلسل التداخل الكبير بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. هذه الأخيرة التي ستصبح مصدر شرعية للنظام القائم.⁵⁸ كما ستبين الشواهد القادمة لاحقا.

د- الاصطفاف الأيديولوجي

لقد شكلت طبيعة الأنظمة السياسية للغربيين المغاربة، أحد أهم عوامل الصراع.⁵⁹ حيث أن تقسيم المنطقة إلى أنظمة محافظة، تتبنى الطروحات الغربية. كما هو حال المغرب. وأنظمة ثورية تتبنى الطروحات الاشتراكية للمعسكر الشرقي، كما هو حال الجزائر.⁶⁰ ستضفي على الواقع المغربي مزيدا من منسوب العوامل الصدامية. خاصة في

⁵⁶ - BENKHATTAB ABDELHAMID : «la culture politique des dirigeants algériens : la tentation du leadership » op cit, p : 59.

⁵⁷ - EDOUARD MOHA: “trente ans de relations Algéro marocaines : les vérités cachées” imprimerie saint paul, france, septembre 1993, P : 60 et 196.

⁵⁸ -BOUJADAH AHMED: «la politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : une analyse rétrospective » in : « Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile », Op.cit P :126.

⁵⁹ - ATTILIO GAUDIO: “Sahara Espagnol”: fin d'un mythe colonial” édition ARRISSALA, Rabat, février 1975, p : 240.

⁶⁰ - MOHAMED BEN ELHASSAN ALAOUI, Op cit p: 101.

ظل احتدام الصراع الدولي بين المعسكرين . وقيام منطق حروب الوكالة، التي جسدت حرب الرمال نموذجاً لها؛ خاصة بعد المواقف السياسية والمساعدات العسكرية التي تلقتها الجزائر من دول المعسكر الشرقي.⁶¹

هـ - سيكولوجية فردية لدى بعض القيادات

فبعد استقلال الجزائر بطريقة ثورية شكلت نمودجا يحددي به عالميا كما أسلفنا. سيتشكل لدى نخبها تمرکز حول الذات. ونوعا من التعالي، خاصة على الصعيد المغربي. حيث سيتبنون مواقف وتوجهات دون حساب الكلفة والنتائج على المدى الطويل⁶². وأكبر نموذج للعوامل السيكلوجية للقيادة، كمتغير مفسر لبعض توجهات السياسة الخارجية، نجد الكلونيل "هوارى بومدين" الذي سيصبح رئيسا للدولة الجزائرية بعد الانقلاب على بن بلة في يونيو 1965 وحتى وفاته في نونبر 1978؛ ومواقفه من المغرب.

فخلال حرب الرمال كان الجيش الجزائري تحت قيادة بومدين كوزير للدفاع. وقد شكل انكسار الجيش الجزائري في هذه الحرب أحد الأسباب التي ساهمت في العداء الشخصي الذي أصبح يكنه للمغرب.⁶³

وهو ما عززه حب الزعامة لدى بومدين.⁶⁴ الذي أصبح يرى في الحضور السياسي للملك الحسن الثاني نوعا من تنازع الكاريزما والزعامة على المستوى المغربي⁶⁵. وتأسيسا على ما سبق ؛ عمل هوارى بومدين على بناء عقيدة عسكرية لدى الجيش الجزائري قائمة على العداء للمغرب. وعلى أن الخطر يأتي دائما منه.

⁶¹ - على مستوى المواقف السياسية تلقت الجزائر دعم : الاتحاد السوفياتي؛ يوغسلافيا، سوريا، العراق وغينيا، في حين ذهبت كوبا ومصر بعيدا من خلال تقديم مساعدات عسكرية للجيش الجزائري: للمزيد من التفاصيل أنظر:

NICOLE GRIMAUD, Op cit p : 198.

⁶² - BENKHATTAB ABDELHAMID, Op. Cit, P :46.

⁶³ - STEPHEN O. HUGHES, Op cit p: 183.

⁶⁴ - MEKOUAR MEROUAN: « aux origines de la stratégie du statu quo : lectures dans la politique saharienne de l'Algérie » in : « Maroc Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile », Op cit , P :28.

⁶⁵ - مزيان محمد: "المغرب والجزائر: الجوار الصعب" مجلة : سياسات عربية، العدد 12، يناير 2015، ص 54.

كما أنه اتخذ مواقف متشددة من قضية الحدود المشتركة.⁶⁶ ومن قضية الصحراء، التي اعتبر وصول المغرب فيها إلى إبرام اتفاق مدريد، إخفاقا شخصيا له⁶⁷. وفي نفس المضمار؛ كان له تصور "بروسي" للمنطقة ويرى نفسه "بيسمارك" المغرب العربي، حيث تلعب الجزائر الدور المحوري كزعيمة للفضاء المغربي⁶⁸. وخلاصة القول أن وفاة هواري بومدين؛ لم تضع حدا لهذه التصورات. بل أصبحت "البومدينية" تيارا في دواليب الدولة وردعات الوزارات إستمر حتى اليوم. وقد شكلت قضية الصحراء أحد أهم الملفات التي جسدت الصراع حول الزعامة في المنطقة من جهة. ومن جهة أخرى؛ عاملا مستقلا بذاته في فهم إكراهات الجوار المغربي.

ثانيا : محورية قضية الصحراء

لقد شكلت هذه القضية في بادئ الأمر، عاملا محفزا ومساعدة على التعاون المغربي ضد التواجد الإسباني بها.⁶⁹ لكن ما لبثت أن أصبحت محور صدام جيوا استراتيجي⁷⁰؛ ورهان حقيقي للسياسات البين مغاربية.⁷¹ فقد صرح الرئيس الجزائري هواري بومدين أنه: "لا خلاف أن قضية الصحراء الغربية قد أبرزت من جديد جوهر الخلافات الإيديولوجية والسياسية وحتى الإستراتيجية بين بلدان المنطقة".⁷² ففي صلب هذا المنطق، جعلت الجزائر من الصحراء أولوية في سياستها الخارجية⁷³ وأداة للندية مع المغرب.⁷⁴

⁶⁶ - NICOLE GRIMAU , Op cit p: 200.

⁶⁷ - BOUJDDAD AHMED, Op cit P: 134.

⁶⁸ - BAGHZOUZ AOMAR; «plaidoyers pour un couple Algéro –Marocain comme moteur de la construction maghrébine» in : « Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen sous la direction de : ABDI NOUREDINE, éditions. Paris méditerranée, mai 2005 P : 148.

⁶⁹ - NICOLE GRIMAUD, Op cit, p: 204.

⁷⁰ - عبد الحق دهبي: "قضية الصحراء المغربية ومخطط التسوية الأممي : دراسة قانونية وسياسية في مسارات التسوية في نطاق المنظمات الدولية"، مرجع سابق، ص : 361.

⁷¹ - KHADIJA MOHSIN FINAN , Op, cit p: 10.

⁷² - مزيان محمد، مرجع سابق، ص 48.

⁷³ - محمد العربي المساري: "30 سنة... مسيرة من لاهاي إلى بيكر" مرجع سابق، ص 248.

⁷⁴ - MEKOUAR MEROUAN , Op, cit p: 30.

ومن جملة الأهداف التي يحققها هذا الملف للجزائر، حلم الزعامة المغاربية عبر إضعاف المغرب داخليا وخارجيا من خلال فرض حرب استنزاف على كل الجبهات.⁷⁵ ونهج سياسة المجال الحيوي اتجاهه عبر إضعافه إقليميا. فضلا عن تطوير المغرب جغرافيا وحرمانه من عمقه الصحراوي ومحيطه الإفريقي.⁷⁶

كما أن للجزائر مآرب أخرى؛ تتمحور حول إيجاد منفذ وممر للمحيط الأطلسي يمكنها من مزايا اقتصادية وإستراتيجية لا غبار عليها.⁷⁷ ناهيك عن التحكم في ثروات الصحراء؛ من خلال خلق دويلة تدور في فلكها.⁷⁸

والإستراتيجية الجزائرية سألقة الذكر. و التي تكشف مع توالي السنين. كانت مسبقة بمواقف أولية وتموقعات وممارسات للدبلوماسية السرية.⁷⁹ فقد عرف نزاع الصحراء حضور أربعة أطراف : المغرب؛ الجزائر؛ إسبانيا وموريتانيا. مع كل التحالفات والتحالفات المضادة في هذا الإطار.⁸⁰

ففيما يتعلق بالمغرب والجزائر، وبعد تجاوز مرحلة النزاع الحدودي المباشر و آثارها. تم في 15 يناير 1969 تتويج بواذر الإنفراج في العلاقات الثنائية بتوقيع الملك الحسن الثاني والرئيس هواري بومدين معاهدة التعاون والصداقة والتضامن بإيفران.⁸¹ وهو المسار الذي سيتعزز باتفاق تسطير الحدود بين الطرفين في 15 يونيو 1972.⁸² والذي كان من شأنه فتح آفاق جديدة للتعاون الثنائي .

⁷⁵- KACIMI BADR JALAL: "l'implication de l'Algérie dans l'affaire du Sahara : une stratégie hégémonique sur fond de crise interne" in: "Maroc-Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile" , Op. cit p-76.

⁷⁶ - ABOUDDAHAB ZAKARIA: " à la recherche d'un paradigme explicatif d'un voisinage difficile": Maroc – Algérie, conflictualité enracinée ou accident de l'histoire ? " in "Maroc – Algérie analyses croisées d'un voisinage hostile" , Op cit.p : 104.

⁷⁷ - JOSE IGNACIO ALGUERO CUERVO, Op cit p:99.

⁷⁸ - KACIMI BADRJALAL, Op cit p: 65.

⁷⁹ - NICOLE GRIMAUD, Op cit, p: 211.

⁸⁰ - Ibid, P: 204.

⁸¹ - RACHID LAZRAK: «le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne », Op . cit P : 366.

⁸² - BENKHATTAB ABDELHAMID, Op cit, P :60.

لكن مارد الحسابات الجيو إستراتيجية سيظهر من جديد، بعد توقيع الجزائر اتفاقا سريا مع إسبانيا في يوليوز 1973 تتعهد من خلاله إسبانيا بخلق دويلة عبر إستفتاء تقرير المصير⁸³.

لكن بالمقابل؛ التصريحات العنذية للرئيس بومدين خلال القمة العربية السابعة في الرباط سنة 1974، ستذهب إلى عكس ذلك؛ من خلال القول بعدم وجود مطامع للجزائر في الصحراء الغربية. وعلى أنها على استعداد لمساعدة المغرب في استرجاع هذا الإقليم.⁸⁴ وبناءا عليه، سيتمخض لقاء وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة مع الملك الحسن الثاني في يوليوز 1975 عن بلاغ يؤكد قرب المصادقة على اتفاق الحدود لسنة 1972.⁸⁵

وهو ما دفع إلى القول بإرتباك الموقف الجزائري وتردده في الفترة ما بين أكتوبر 1974 ويوليوز 1975.⁸⁶

غير أن الرؤية ستتضح بعد دخول محكمة العدل الدولية على الخط، وتأويل المغرب قرارها لصالحه. وهو ما تمخض عن قرار المسيرة الخضراء، التي اعتبرت نجاحا حقيقيا.⁸⁷ وأجبرت إسبانيا على خروج مذل من الصحراء الغربية،⁸⁸ بعد توقيع الاتفاق الثلاثي لمديرد في 14 نونبر 1975. حيث صادق عليه الكورتيس الإسباني خمسة أيام بعد ذلك بـ 345 صوت. مقابل اعتراض أربعة أصوات، والذي سيتأكد بموجبه مغادرة إسبانيا للإقليم قبل نهاية فبراير 1976.⁸⁹

⁸³ - EDOUARD MOUHA : « trente ans de relations Algéro – Marocaines : les vérités cachées », Op cit, p : 197.

⁸⁴ -SADDIKI SAID: “la vision algérienne du droit à l’autodétermination à l’épreuve du principe de non ingérence dans les affaires intérieures des états » in : « Maroc – Algérie analyses croisées d’un voisinage hostile », Op. cit, p :143.

⁸⁵ - KHADIJA MOHSIN FINAN, Op, cit, p: 33.

⁸⁶ - NICOLE GRIMAUD Op cit, p: 212.

⁸⁷ BEN JAMIN STORA: “ « Algérie – Maroc: histoires parallèles, destins croisés » Op cit p :28.

⁸⁸ -JUAN GOYTISOLO: « témoignage” in : “Hassan II présente: la marche verte” collection : édification d’un état moderne librairie PLON. Paris, 1990, p : 61.

⁸⁹ - STEPHEN O. HUGHES, Op cit p: 317.

وتأسيسا على ما سبق؛ فقد انقلبت الموازين الجيو إستراتيجية. فباسترجاعه للصحراء؛ قلص المغرب شذاعة المساحة الترايية التي كانت تتجاوز به الجزائر. وأعاد الإرتباط بجذوره الصحراوية والإفريقية.⁹⁰

بله المزاي السياسية الداخلية، المتمثلة في خلق إجماع وطني؛ بعد فترة من الانقلابات العسكرية الفاشلة وقوة المعارضة السياسية للنظام.⁹¹

زد على ذلك المكاسب المادية المتمثلة في توفر منطقة الساقية الحمراء على احتياطي مهم من الفوسفات تم إكتشافه سنة 1963 يقدر بـ 10 مليار طن⁹²، كما أن هناك أقوال بوجود الحديد؛ النحاس؛ اليورانيوم؛ الغاز بكميات لا يمكن تسويقها. ووعود بوجود البترول.⁹³

ومن هذه المنطلقات؛ أتت ردة الفعل الجزائرية، التي وضعت أمام الأمر الواقع.⁹⁴ حيث إعتبرت أنها خدعت من طرف جيرانها. واستندت بسيناريو المؤامرة. رافضة أي حل يتم خارج التشاور معها⁹⁵.

فقد إعتبرت المسيرة الخضراء la marche verte التي أطلقت عليها الجزائر نعت "المقلب أو الهزلية الخضراء" la farce verte⁹⁶ حدثا فاصلا. تم تأويله في الجارة الشرقية على أنه فشلا دبلوماسيا بحكم قلبه للموازين.

فقد فقدت التحالف الموريتاني. وتعززت القدرات الإستراتيجية لجارها المنافس والتوازن المسطر لصالحها منذ سنة 1962 أصبح مهددا.

وتم الوصول إلى التسوية بعيدا عن أنظارها. وهو ما جعلها تصنف إرادة تجاوز هذا

⁹⁰ - MOHAMED BEN EL HASSAN ALAOUÏ Op, cit p: 103.

⁹¹ - STEPHEN O.HUGHES, Op cit, p:315.

⁹² - ATTILIO GAUDIO: "le dossier du Sahara occidental " nouvelles éditions latines, paris, 1978, p:192.

⁹³ - NICOLE GRIMAUD, Op cit, p: 204.

- STEPHEN O.HUGHES, Op cit, p:306.

⁹⁴ - KHADIJA MOHSIN FINAN , Op cit p: 52.

⁹⁵ - NICOLE GRIMAUD, Op cit, p: 213.

⁹⁶ - STEPHEN O.HUGHES, Op cit p:316.

الواقع "مصلحة وطنية مباشرة"⁹⁷.

وبناء عليه؛ فقد عملت الجزائر على تكييف موقفها والتععيد له قانونيا؛ بالقول بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير على الشعب الصحراوي ومحاولة الإستناد إلى أصول الشرعية الدولية.⁹⁸

والسعي لتنفيذ إعلان منح الإستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بمقتضى القرار رقم 1514 لسنة 1960.

وهو أمر قمين برفع العلاقات الثنائية للبلدين إلى أعلى درجات التوتر والصراع. فكانت أولى ردات الفعل؛ طرد الجزائر لآلاف المغاربة المقيمين بها منذ خريف 1975 إلى متم 1976.⁹⁹

وعطفا على ذلك؛ اعترفت بجهة البوليساريو، التي كانت قد ظهرت أول مرة للعلن في 20 يوليوز 1973¹⁰⁰ وستمنح لمقاتليها منطقة استقبال قرب تيندوف.

وهي التي ستتحول إلى أداة لتصريف السياسات الجزائرية في المنطقة. حيث ستعلن جبهة البوليساريو الحرب على المغرب وموريتانيا في 19 دجنبر 1975.¹⁰¹ وسيتوج هذا المنطق، بإعلان قيام "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية"، في 27 فبراير 1976. حيث ستصبح الجزائر ثالث دولة تعترف بها في 06 مارس بعد كل من مدغشقر وبوروندي. مبررة ذلك بمساندتها اللا مشروطة لحركات التحرر العالمي. مما سيفضي إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع المغرب.¹⁰²

⁹⁷ - NICOLE GRIMAUD, Op cit p: 314.

⁹⁸ - Ibid; p: 212.

⁹⁹ هناك تضارب للأرقام في هذا المضمار حيث ذهب "خوسي اغناسيو اليخيري كويربو" الإسباني إلى القول بـ 2500 مطرود. وقال "ستيفن هوغ" الإنجليزي بـ 30.000 وذهبت بعض المصادر المغربية إلى تبني طرد 45000 أسرة مغربية وهو ما يرفع العدد إلى 300 ألف مطرود أنظر: "بريطانيا و نتذكر مأساة المغاربة المطرودين من الجزائر: نحو 300 ألف مغربي تم اقتيادهم إلى مخيمات الاعتقال قبل ترحيلهم" جريدة النهار المغربية: عدد 3374 في 13 ماي 2015، ص 04

¹⁰⁰ - STEPHE, O. HUGHES Op cit p :320.

¹⁰¹ - STEPHE, O. HUGHES, Op cit, P : 327.

¹⁰² - عبد الحق دهبي، مرجع سابق، ص 162.

وقد تأكد في هذا المضمار، آلية استغلال النزاعات الترابية كوسيلة لتصفية الحسابات في أفق إستراتيجية للردع.¹⁰³ فقد جعلت الجزائر من قضية الصحراء آلة إنتاج حرب ضد المغرب.¹⁰⁴

وهو ما تم بالفعل ما بين 27 يناير و 15 فبراير 1976 حيث تواجه الجيشان في أمكاله.¹⁰⁵ على بعد 260 كيلومتر من الحدود الشرقية الجزائرية. وقد أسفرت تلك المعركة عن 200 جندي جزائري كقتيل و 109 أسيرا و هو ما أكدته الصليب الأحمر الدولي.¹⁰⁶

وهذه المواجهة المسلحة، ستستتبع سباقا نحو التسلح بين الأطراف المعنية.¹⁰⁷ الأمر الذي سيجعل المنطقة على صفيح ساخن. حيث سيتعزز هذا المشهد بالحرب الدبلوماسية والسياسية التي اشتعل أوارها وإستعر حتى اليوم.

وخلاصة القول؛ إن هذا الوضع دفع المغرب والجزائر إلى عدم الاكتفاء من شركائهم بأنصاف المواقف أو المواقف المداهنة. حيث أصبحت إسبانيا تحت إكراه هذا الواقع المغربي. الذي إعتصرها في مرحلة حرجة من تلمسها الطريق في إنتقال ديمقراطي صعب المخاض.

و هو ما كان أحد الأسباب القوية التي جعلتها تتبنى سياسة التوازن في المنطقة المغربية.

- فما هي آليات إشتغال هذه السياسة؟ وما هي تجلياتها؟.

¹⁰³ - BOUQENTAR EL HASSANE : “ la politique étrangère marocaine : un changement dans la continuité » in : « une décennie de reformes au Maroc 1999-2009" sous la direction du centre d'étude internationales éditions KARTHALA, Paris, 2010 p : 337.

¹⁰⁴ - FILALI ABDELATIF: « le Maroc et le monde arabe », Op. cit P : 113.

¹⁰⁵ - BENJAMIN STORA, Op, cit, P: 28

¹⁰⁶ - STEPHEN O. HUGHES, Op, cit, P: 328.

¹⁰⁷ - لقد دخل الجانبان في سباق محموم نحو التسلح مخافة تكرار المواجهة المباشرة بين الجيشين، وكنموذج لذلك تضاعفت ميزانية الجيش الجزائري بعيد معركة أمكاله بنسبة 20%.
- للمزيد من المعلومات : مزيان محمد؛ مرجع سابق، ص 48.

المطلب الثاني: آليات اشتغال سياسة التوازن وتقييمها

إن سياسة التوازن التي تبنتها إسبانيا في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها السياسي الممهور بالعمل على إنجاز الانتقال الديمقراطي. وتجاوز إرث المرحلة الفرنكاوية التي عزلتها غربيا. وقادتها إلى التخلف عن الركب عالميا. وكذا حساسية الوضع المغربي الإقليمي. وما عرفه من صراع جيو استراتيجي.

يدفعنا في محاولة لفهم المشهد أكثر والأخذ بتلاييب تقلبات العلاقات المغربية الإسبانية. إلى معرفة آليات اشتغال سياسة التوازن (الفقرة الأولى) ومحاولة تقييمها (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: آليات اشتغال سياسة التوازن:

من أهم العناوين التي تمكننا من وضع اليد على آليات اشتغال هذه السياسة؛ هو رصد وسائل الضغط المغربية. التي يتم من خلالها تكيف حضور الجارة الإيبيرية في المنطقة (أولا) ثم العمل على تتبع مظاهر هذه السياسة وتجلياتها (ثانيا).

أولا: وسائل الضغط المغربية

كل من المغرب والجزائر عمل على الضغط على إسبانيا لأخذ جاذبه في سياسة المحاور التي شهدتها المنطقة، وتبني طروحاته، خاصة من ملف قضية الصحراء التي استأثرت باهتمام الأطراف كما أسلفنا.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف كان لكل من الطرفين وسائله الخاصة. فعلى الجانب الجزائري نجد من أهم وسائل الضغط حركة تقرير المصير وإستقلال الأرخبيل الكناري MPAIAC. حيث استغلت الجزائر رأس المال الرمزي للثورة الجزائرية لدعم "حركات التحرر" العالمية. ومن جملتها هذه الحركة بزعامة السياسي الشاب "أنطونيو كوبيو" فقد تم الإعلان عن إنشائها في العاصمة الجزائرية سنة 1964. ¹⁰⁸ وسيتم استغلالها كآلية للضغط السياسي المكثف، مباشرة بعد توقيع إتفاق مدريد حيث أصبح للحركة محطة بث

¹⁰⁸ - JOSE IGNACIO AL GUERO CUERVO : « El Sahara y España : claves de una descolonizacion pendiente », Op.cit P132.

إذاعية من الجزائر أطلق عليها " صوت كناريا الحرة "، بدأت بالعمل في 02 دجنبر 1975.¹⁰⁹

وفي فاتح نونبر 1976 و في غمرة الإحتفالات بذكرى الثورة الجزائرية، ستعلن إذاعة "صوت كناريا الحرة" بداية العمل المسلح ضد إسبانيا.¹¹⁰ ما إعتبر ردة فعل عن عدم تراجع مدريد عن الاتفاق الثلاثي والمضي في انسحابها النهائي من الإقليم في 26 فبراير 1976.¹¹¹

فما بين ماي ودجنبر 1977 تبنت الحركة ثمانية تفجيرات في إسبانيا¹¹². وبعد توقيع إتفاق الصيد البحري بين المغرب وإسبانيا في فبراير 1977 والذي شمل مياه أقاليم الصحراء الغربية. ستعرض إسبانيا للمزيد من الضغوطات على مستوى الملف الكناري بمؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية في ليبروفيل صيف 1977.¹¹³ حيث دعمت الجزائر اقتراح زيارة لجنة للأرخبيل للنظر هل يتمتع بشروط تصفية الاستعمار¹¹⁴.

كما أن شهر دجنبر سيشهد نشر جريدة المجاهد الرسمية لافتتاحية حول إفريقية جزر الكناري. مما سيحرك الأجهزة الرسمية والرأي العام الإسباني.¹¹⁵ لتسحب إسبانيا سفيرها من الجزائر على إثر ذلك.¹¹⁶

¹⁰⁹ - JOSE IGNACIO AL GUERO CUERVO : « El Sahara y España : claves de una descolonización pendiente », Op.cit, p :220.

¹¹⁰ - Ibid, p :289.

¹¹¹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ : « la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995) » Op cit p: 144.

¹¹² - JOSE IGNACIO AL GUERO CUERVO Op. cit, p: 290.

¹¹³ - Ibid, p : 322.

¹¹⁴ - BERNABE LOPEZ GARCÍA : "Marruecos y España: una historia contra toda lógica » Op. cit p :288.

¹¹⁵ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique » annuaire de l'Afrique du nord, tome XXIX, 1990 éditions du CNRS, p : 158.

¹¹⁶ - ميغل هيرناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق، ص : 323.

الأمر الذي حذى بإسبانيا إلى القيام بحملة دبلوماسية في قمة الخرطوم لمنظمة الوحدة الإفريقية في يونيو 1978، لمنع المصادقة على توصية تصفية الإستعمار في الكناري كأرض إفريقية، و هو ما نجحت فيه¹¹⁷.

كما نجد من أهم وسائل الضغط الجزائرية، دعم تنظيمات إسبانية تمارس العنف كمنظمة "كرابو" GRAPO¹¹⁸. ومنظمة إيطة الباسكية¹¹⁹. هذه الأخيرة التي كثفت الجزائر من العلاقات التي تربطها بها على خلفية تطورات ملف الصحراء¹²⁰.

ففي سنة 1976 عملت الجزائر على تدريب 300 عنصر من "اوسكادي" Euskadi؛ الجناح السياسي لإيطة، تدريباً عسكرياً. لإذكاء عدم الاستقرار السياسي في إسبانيا.

كما نستحضر هنا منتصف ثمانينيات القرن الماضي، عندما تحسنت العلاقات المغربية الإسبانية. وبلغت مستوى التنسيق العسكري¹²¹. تم في الجزائر استقبال عناصر من منظمة إيطة الباسكية كنوع من الضغط لوقف تزويد المغرب بالأسلحة¹²². الغاز الطبيعي، شكل هو الآخر أحد أهم وسائل ضغط الدبلوماسية الجزائرية عموماً، وهو ما دفع إلى تسميتها بدبلوماسية المحروقات.

وهي منهجية اتبعتها الجزائر مع إسبانيا منذ مدة ليست بالقصيرة، ففي بواكير تفاعلات ملف الصحراء، عمل بومدين سنة 1966 إلى التوقيع مع إسبانيا على إتفاق للغاز بشروط تفضيلية مهمة¹²³.

¹¹⁷ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI: "perception espagnole du Maghreb...", Op cit, p:158.

¹¹⁸ - BERNABE LOPEZ GARCIA: "Marruecos y España: una historia contra toda lógica", Op cit, p: 289.

¹¹⁹ - POWELL CHARLES: "España en democracia 1975-2000: los claves de la profunda transformación de España", Op cit p:219.

¹²⁰ - JUAN CARLOS JIMENEZ REDONDO: "de SUAREZ a RODRI GUEZ ZAPATERO : la política exterior de la España democrática", Op. Cit, p :69.

¹²¹ - JOSÉ IGNACIO AL GUERO CUERVO, Op. cit, p:266.

¹²² - ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA: « la politique de l'Espagne au Maghreb » revue : Monde arabe Maghreb – Machrek , N° 137 juillet – septembre 1992, p :50.

¹²³ - EDOUARD MOHA, « Trente ans de relations Algéro-Marocaines... », Op. Cit, p :88.

وهو ما ساهم في خلق لوبي إسباني اقتصادي مرتبط بالغاز الجزائري، تعززت مكانته بتوقيع إتفاق مارس 1974 ما بين أيناغاز الإسبانية وسوناتراك الجزائرية. في أفق خلق شبكة للتصدير محاورها: مدريد / الجزائر / العيون.¹²⁴ وهي الأحلام التي عصفت بها المسيرة الخضراء. وقبل توقيع إتفاق مدريد هدد وزير الداخلية الجزائري حينها محمد عبد الغاني، بإلغاء الاتفاقات الاقتصادية الجزائرية الإسبانية. وإيقاف تصدير الغاز الطبيعي في حالة تخلت إسبانيا عن الصحراء دون إتمام استفتاء تقرير المصير تحت إشراف الأمم المتحدة¹²⁵.

وفي سنة 1979 وأمام الخطوات الإيجابية للتحالف اليميني الحاكم في إسبانيا "اتحاد الوسط الديمقراطي" تجاه جبهة البوليساريو. ستعمل الجزائر على تجديد اتفاق الغاز الطبيعي¹²⁶.

وفي مضمار الضغوطات السياسية، إستعملت الجزائر جبهة البوليساريو كورقة أخرى في هذا السياق. فبعد توقيع اتفاق الصيد مع المغرب سنة 1977. ستعاني قوارب الصيد الإسبانية من أعمال القرصنة. حيث تم اعتقال عدد من بحارتها. فعلى إثر حضور سكرتير العلاقات الدولية في حزب اضولفو سواريز الحاكم في المؤتمر الرابع للجبهة سنة 1978؛ سيتم إطلاق سراح ثمانية صيادين إسبان¹²⁷.

كما شكل السلاح الأيديولوجي عاملا آخر في لعبة الشد والجذب السياسية. فقد إستغلت الجزائر تقاربها مع المعسكر الشرقي في فترة مهمة من عمر الانقسام العالمي إلى قطبين. لتتسج علاقات وطيدة مع رجال اليسار في إسبانيا. الذين ضغطت مواقفهم من قضية الصحراء على الحزب الحاكم ليقدم تنازلات لا تسير في صالح المغرب. سيرد ذكرها في معرض النقد الموجه لسياسة التوازن.

¹²⁴ - JULIO GIL PECHARROMÁN : "la política exterior del franquismo: entre Hendaya y EL aaiún", Op. Cit, p :394.

¹²⁵ - STEPHEN O. HUGHES: "le Maroc de HASSAN , II", Op. cit p : 319.

¹²⁶ - ANTINIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA, Op. cit p : 50.

¹²⁷ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "Perception espagnole du Maghreb... », Op. cit p : 159.

وفي صلب هذا المنطق؛ لم يعدم المغرب هو الآخر وسائل ضغط مضادة تمكنه من تلبية مواقف الطرف الإسباني تجاه قضاياها، وتغلق الباب أمام الانخراط الإسباني الكامل في الطروحات الجزائرية.

ولعل أهم هذه الوسائل ملف الصيد البحري الذي سبق وأن تطرقنا لحديثاته التاريخية وحساسيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالنسبة للجارة الشمالية. ما أعطاه صفة العامل المحدد والحاسم في بعض مراحل علاقات البلدين الثنائية.¹²⁸

فأمام الأهمية التي يوليها المغرب لقضية صحرائه، فقد أجل المصادقة على إتفاق الصيد لسنة 1977، بسبب القراءة السياسية الإسبانية لإتفاق مدريد والقول بأنها تنازلت عن إدارة الإقليم ولم تتنازل عن السيادة.

كما أن الاتفاقات المؤقتة الإنتقالية في مجال الصيد البحري، التي بدأت منذ 29 يونيو 1979 وإستمرت حتى توقيع اتفاق 1983. كان يتم تجديدها على أساس حسن سلوك إسبانيا في قضية الصحراء.¹²⁹

المطالبات المغربية بسببة ومليلية والجزر التابعة لها، شكلت هي الأخرى أداة في يد صانع القرار السياسي المغربي لتكييف التصورات الإسبانية مع مصالحه.¹³⁰

ونظرا لإنشغال إسبانيا بمستقبل هذه الثغور، فقد كان "خوسي سوليس"؛ صديق مقرب من فرانكو ووزير بحكومته؛ قد تباحث في 21 أكتوبر 1975 مع الملك الحسن الثاني قبيل إنطلاق المسيرة الخضراء. وهو اللقاء الذي تمخض عن ما سمي "ميثاق مراكش" والذي كان أساس التوافقات التي وقع على إثرها اتفاق مدريد. وقد نص هذا الميثاق على تجميد المطالبات المغربية بمدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها.¹³¹

¹²⁸ - MOHAMED BEN EL HASSAN ALAOUÏ: "la coopération entre l'union européenne et les pays du Maghreb" Op cit p :70.

¹²⁹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "Perception espagnole du Maghreb..." Op. cit p : 160.

¹³⁰ - RAFAEL CALDUCH CERVERA : " la política exterior Española durante el franquismo, in : R-CALDUCH (coord) : « la política exterior Española en al siglo XX". Op cit p : 139.

¹³¹ - STEPHEN O. HUGHES Op. cit p : 316.

وهي المطالبات التي لن تطفو على السطح إلا سنة 1978 على لسان وزير الخارجية أن ذاك محمد بوسنة في واشنطن. على خلفية الاعتراف شبه الرسمي لحزب اتحاد الوسط الديمقراطي الحاكم بجهة البوليساريو كممثل للشعب الصحراوي.¹³² كما أن الإستراتيجية المغربية في الضغط على الطرف الإسباني إشتملت على جانب الترغيب أيضا. من خلال الوقوف إلى جانبها لحذف قضية أرخبيل كانارياس من جدول أعمال منظمة الوحدة الإفريقية كإقليم يستوفي شروط مسطرة تصفية الاستعمار.¹³³ وقد تم ذلك في قمة الخرطوم بالسودان في يونيو 1978.

زد على ذلك قبول نظام الصيد البحري الذي يميز بين مناطق شمال وادنون وجنوب وادنون في اتفاقية 1977 وما يليها. وذلك لتخفيف الضغط السياسي عن الطبقة الحاكمة في إسبانيا¹³⁴. في مواجهة المعارضة السياسية الداخلية التي جعلت من قضية الصحراء حسان طروادة الذي تخرج من خلاله منافسيها السياسيين.

وهو ما يدفعنا للمزيد من الفضول المعرفي لإمطة اللثام عن المظاهر التي تمخضت عنها سياسة التوازن عقب كل هذه الضغوط والإكراهات.

ثانيا: مظاهر سياسة التوازن

أهم مظاهر سياسة التوازن عكسه الموقف الإسباني من قضية الصحراء؛ حيث تبنت موقف الحياد السلبي¹³⁵ من نزاع الأطراف المغربية.

وستتمترس خلف توصيات الأمم المتحدة بالقول على أنها تساند الشرعية الدولية.¹³⁶ كما تبنت الأوساط الرسمية الإسبانية منذ 1976 قراءة محدودة لإتفاق مدريد من أجل حفظ مصالحها مع كل من المغرب والجزائر. وأخذ العصي من الوسط بالقول أنهم تخلوا عن الإدارة وليس عن السيادة في الصحراء¹³⁷.

¹³² - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "Perception espagnole du Maghreb..." , Op cit p : 160.

¹³³ - محمد العربي المساري: "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 73.

¹³⁴ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "Perception espagnole du Maghreb..." , Op cit p : 159.

¹³⁵ - Ibid, P 157.

¹³⁶ - EL AALLAOUI ALI : " Les relations Maroc - espagnoles de 1974 à 2004, la perception marocaine de la position espagnole concernant la question du Sahara », Op cit p : 78.

¹³⁷ - LAHLOU ABDELKADER : « le Maroc et le droit des pêches maritimes », Op cit p : 180.

وتبعاً لذلك أصبح كل ميول إسباني نحو المواقف الجزائرية، يتبع مباشرة بإشارة نحو الطرح المغربي¹³⁸.

وهي ممارسة تجاوزت قضية الصحراء، لتهم مجمل العلاقات الثنائية بين إسبانيا ودول المنطقة.¹³⁹ وأهم مؤشر على ذلك تبادل الزيارات الرسمية والزيارات التعويضية تجاه هذا الطرف أو ذاك.

فعلى إثر الزيارة التي قام بها وزير السياحة المغربي في 15 ماي 1978 لمدريد، سيتم استدعاء وزير الخارجية الجزائرية عبد العزيز بوتفليقة لمدريد في 30 من نفس الشهر¹⁴⁰.

وبعد زيارة وزير الخارجية المغربي محمد بوسنة لإسبانيا في 20 أبريل 1979، ستشهد الجزائر وصول رئيس الحكومة الإسباني أدولفوسواريز بعد عشرة أيام. وفي شهر يونيو 1979 سيعرف المغرب أول زيارة لملك إسبانيا. سيعقبها بمدة بعد ذلك زيارة وزير التجارة والسياحة الإسباني خوان أنطونيو غارسية دياز في شتنبر للجزائر.

كما أن لويس غامير الذي سيخلفه على حقيبة التجارة والصناعة والسياحة سيزور الجزائر في فاتح شتنبر 1980، حيث سيتم تعويضها بزيارة وزير الشؤون الخارجية للمغرب خوسي بيدرو بريز يوركا.

وبعد وصول الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني للحكم، ستستمر نفس الممارسة في سنواته الأولى. فزيارة وزير الخارجية الإسباني الشهير فرناندو موران للمغرب في دجنبر 1982، سيتم تعويضها بزيارة وكيل وزارته للجزائر في فبراير 1983.

¹³⁸ - ميغل هيرناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق، ص 322.

¹³⁹ - BERNABE LOPEZ GARCÍA: "Marruecos y España: una historia contra toda lógica", Op. cit p : 294.

¹⁴⁰ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A NÚÑEZ : "la politica exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995)", Op cit, p :146.

لقد اعتمدنا في جانب مهم من رصد مسار الزيارات والزيارات التعويضية الرسمية. بالإضافة إلى مراجع أخرى، على الكرونولوجيا التي أوردها "دي لاراميندي ونونيز في كتابهما من الصفحة 143 إلى 158.

وفي الوقت الذي كان فيه فيلبي غو نزالس يهتم بزيارة المغرب في 29 مارس 1983، بعث بنائبه "ألفونسو غيرا" في زيارة للجزائر في 22 مارس 1983¹⁴¹. كما أن هذا التوازن إنعكس حتى على المواقف. فبعد أن تم غلق مكتب جبهة البوليساريو وطرده أعضائه من إسبانيا على خلفية مهاجمة السفن الإسبانية "جونكيثو" و"طوغوماغو" في شتبر 1985. سيتم تعويض ذلك بدعم توصية للأمم المتحدة كانت وراءها الجزائر. تدعو إلى فتح مفاوضات مباشرة بين جبهة البوليساريو والمغرب¹⁴². كما كان قد سبق ذلك زيارة وزير الخارجية الإسبانية فرناندو موران للجزائر في 24 يناير 1984 وأعقبها بزيارة الغريم المغربي في 26 من نفس الشهر¹⁴³. وغيرها من الزيارات والزيارات التعويضية التي لا يتسع المجال لسردها جميعا. والتي أدخلت السياسة الإسبانية في المنطقة في متاهة حقيقية من الزيارات الشكلية. الأمر الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام ضرورة تقييم سياسة التوازن. فما هي القيمة الحقيقية لهذه السياسة ؟

الفقرة الثانية: تقييم سياسة التوازن

لا مناص من أن طرح سياسة معينة، والأخذ بها وتبنيها من قبل صناع القرار السياسي يفرض تتبعها ومحاولة تقييمها للوصول إلى نتائج أكثر نجاعة. وهذه القاعدة تزداد أهمية وإلحاحا. إذا علمنا أن السياسة التي نتوخى تقييمها هي سياسة التوازن التي تبنتها النخب السياسية الإسبانية الحاكمة في مرحلة إنتقالية بالغة الحساسية أرخت للبرزخ بين المرحلة الدكتاتورية العسكرية بكل مثالبها. والمرحلة الديمقراطية بكل تطلعاتها. وهو ما يدفعنا إلى تناولها من خلال رصد إجابات هذه السياسة (أولا) ثم فحص وتتبع مواطن القصور فيها (ثانيا) .

¹⁴¹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI: « Perception espagnole du Maghreb... », Op. cit, p :164.

¹⁴² - Ibid.

¹⁴³ - BERNABE, LOPEZ GARCÍA : « Marruecos y España : una historia contra toda lógica », Op cit p :293.

أولاً: إيجابيات هذه السياسة

أمام الواقع المغربي الذي تميز بالنديّة والصداميّة الجامحة إلى درجة الإشتباك العسكري في مواقع ولحظات شكلت حرب الرمال وموقعة أمكالة أكبر تجلياتها. وحديث لم يعد المغرب والجزائر يقبلان بأنصاف المواقف. جاءت سياسة التوازن كردة فعل طبيعيّة وقراءة سياسيّة لظرفيّة ولحظة تاريخيّة بكل إكراهاتها.

فقد مكنت إسبانيا من تجاوز فترة الإنتقال الديمقراطي. والوصول إلى إقرار الديمقراطيّة بموازاة التعايش مع إكراهات المشهد المغربي والإقليمي وتوتراته. في حدود ظلت مقبولة مكنت من بلوغ الهدف المرحلي الإستراتيجي : تجاوز الإرث الفرنكاوي وإقرار دستور وانتخابات نزيهة .

فهي سياسة لا يجب محاكمتها بما عاشته إسبانيا بعد ذلك من تغيير لوضعها الاعتباري. وإنضمامها للمجموعة الاقتصادية الأوروبية. بل يجب النظر لها في سياقها التاريخي.

فقد مكنت هذه السياسة إسبانيا من تحقيق بعض المكاسب و الأهداف الإستراتيجية في المنطقة المغربية. ففي الوقت الذي خسرت موقعا جيواستراتيجيا مهما بخروجها من الصحراء الغربية قبيل نهاية حكم فرانكو. كان هناك تخوف من فقدان مواقع أخرى على رأسها سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. التي تشكل موضوع مطالبات مغربيّة دولية.

وأیضا أرخبيل جزر الكناري، الذي تنشط فيه مجموعات تدعوا إلى استقلاله وتؤكد على انتمائه الإفريقي. من أهمها: حركة تقرير المصير وإستقلال الأرخبيل الكناري MPAIAC المشار إليها آنفا. وهذا كله في سياق دولي عرف إرتفاع عقيرة المنددين بالإحتلال. وبإشتداد عود القانون الدولي للتححرر.

فقد مكنت سياسة التوازن من إحتواء المطالب الترابية المغربية.¹⁴⁴ ومن ضمان إسبانية الأرخبيل الكناري في مواجهة الهجمة الدبلوماسية الجزائرية الشرسة في هذا السياق.

وهو ما تم في إطار إستغلال الندية المغربية – الجزائرية. ورغبة كل طرف في إستئمتالها لأطروحاته. وفي هذا المضمار شكلت قضية الصحراء أداة في يد الطرف الإسباني أيضا. من خلال الإشارات والخطوات التي تخطوها في اتجاه هذا الطرف أو ذاك.¹⁴⁵

وفي صلب المنطق المشار إليه أعلاه، مكنت سياسة التوازن إسبانيا من تحقيق أفضليات وميزات اقتصادية. تمثلت في الحصول على الغاز الجزائري بشروط تفضيلية. وضمن مشاركة الشركات الإسبانية في طلبات عروض المشاريع الجزائرية الكبرى.¹⁴⁶ وندفس الرؤية مع الطرف المغربي، في تلبين مواقفه في مجال الصيد البحري. فبإمساكها العصى من الوسط تمكنت إسبانيا من التخفيف من أزمته الاقتصادية الداخلية.¹⁴⁷ واللافت للانتباه أن سياسة التوازن استمرت حتى بعد وصول الحزب الاشتراكي للحكم. حيث عمل على تطبيقها بشكل جيد، في ظل بداية تراجع الصراعات الوجودية المغربية.¹⁴⁸ وهو ما يبين أنها جوابا مناسباً وقراءة سياسية لمرحلة مهمة وحساسة من تاريخ المنطقة.

¹⁴⁴ - UXIA LEMUS DELA IGLESIA : « los elementos constituyentes de la nueva política exterior y de seguridad de España hacia Marruecos (1976-2002) » revue : Paix et sécurité internationales ; dossier : les relations Maroc – Espagnoles; N°01juin 2003 , p : 131.

¹⁴⁵ - BOUDCHICHE BOUCHRA BOUCETTA : « Marruecos y España en la política de seguridad del mediterráneo » Op. cit p : 127.

¹⁴⁶ - ABOUDDAHAB ZAKARIA , Op cit p 93.

¹⁴⁷ - دريوش نبيل: " الجوار الحذر، العلاقات المغربية الإسبانية: منذ وفاة الحسن II إلى تنحي خوان كارلوس " مرجع سابق، ص: 137.

¹⁴⁸ - BERNABE LOPEZ GARCÍA : « Marruecos y España : una historia contra todas logica » Op. cit, p : 289.

بحيث أن هناك من يلوح بفشل حكومات اتحاد الوسط الديمقراطي اليمينية في تطبيق سياسة التوازن.¹⁴⁹ وليس فشلا لسياسة التوازن في حد ذاتها. وهي وصمة الفشل التي فتحت الباب أمام الإنتقادات التي وجهت لهذه السياسة.

ثانيا: مواطن القصور في سياسة التوازن

لقد وجهت الكثير من سهام النقد والتبخيس لسياسة التوازن. وتعاقب عدد مهم من رجالات السياسة الإسبان والمهتمين بشأن العلاقات الخارجية الإسبانية على جلدتها. ونزع الغطاء عن مثالبها.

ولعل أهم الأسماء التي انخرطت في هذا المنطق المقلل من أهمية سياسة التوازن. نجد فرناندو موران؛ صاحب كتاب: "سياسة خارجية من أجل إسبانيا" منشور سنة 1980. و هو دبلوماسي مخضرم، بصم السياسة الخارجية للحزب الاشتراكي تجاه المغرب العربي والمتوسط، ووزير خارجية فيليب غونزالس. كما يعتبر أحد أهم منظري السياسة الشاملة.

ومن الإنتقادات التي وجهها لسياسة التوازن والتعويض؛ عدم القدرة على الاستشراف وغياب التخطيط والرؤية الواضحة. كما ساءل آلية الأفعال وردود الأفعال في هذا الاتجاه أو ذاك.¹⁵⁰ بكونها تعبير عن اضطراب في التصور.¹⁵¹ وإنسياق وراء تسارع الأحداث بشكل غير متحكم فيه.¹⁵²

كما ذهب هيرناندو دي لاراميندي، الأكاديمي الإسباني المتخصص في الشؤون المغاربية وصاحب أطروحة أكاديمية حول السياسة الخارجية المغربية، أن سياسة التوازن ليست سياسة حقيقية. معتبرا أن إسبانيا لم تضحج سياسة واضحة بأهداف ملموسة تجاه

¹⁴⁹ - BERNABE LOPEZ GARCÍA : « Marruecos y España : una historia contra todas logica » Op. cit., p : 292.

¹⁵⁰ - IRENE FERNÁNDEZ MOLINA : « los partidos políticos y la política exterior Española hacia el Maghreb. los casos del PSOE y del PP », Op cit p : 39.

¹⁵¹ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر..." مرجع سابق، ص 173.

¹⁵² - JOSE IGNACIO AL GUERO CUERVO, Op cit, p:298.

المنطقة.¹⁵³ لتترك المجال للغموض،¹⁵⁴ والارتباك في الرؤية. بحيث تجاوزتها الأحداث¹⁵⁵.

وهو ما نتج عنه حسب تصور دي لاراميندي: ابتزاز مغربي لصانع السياسة الإسبانية، لدفعه لتبني مواقف هذا الطرف أو ذاك، من جهة. ومن جهة أخرى؛ فقدان الثقة والإحترام للجانب الإسباني من قبل المغرب والجزائر على السواء¹⁵⁶.

وعلى نفس النهج سارت الأكاديمية "بالوماغونزالس ديل مينيو"، التي وصفت سياسات حكومة إتحاد الوسط الديمقراطي بالسطحية وعدم القدرة على استيعاب تناقضات المنطقة المغربية، الحادة. وهو ما أفرز استثمارا لهذا الواقع من قبل هذه الدول¹⁵⁷.

فقد أصبحت السياسة الخارجية الإسبانية رهينة خطاطات التحليل المغربية والجزائرية¹⁵⁸.

الناشطة "ديلاوكسياليموس"، المحسوبة هي الأخرى على الحزب الاشتراكي، ترى في سياسة التوازن قصورا في التصور. بحيث تتعاطى مع امن إسبانيا في إرتباط بالمنطقة المغربية، من زاوية إستراتيجية عسكرية، ذات صلة مباشرة بالنزاعات الترابية¹⁵⁹. في إغفال مطلق للأمن في معناه الشمولي القائم على اعتبارات سياسية وإقتصادية وإجتماعية. والعمل على احتوائها.

ما عرض إسبانيا لإكراهات الضغوطات المغربية الجزائرية. وجعلها عرضة للإبتزاز على خلفية النزاعات الترابية، بحيث اهتزت صورتها في المنطقة¹⁶⁰.

¹⁵³ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI: « Perception espagnole du Maghreb... » Op. cit, p :153.

¹⁵⁴ - ميغل هيرناندو دي لاراميندي: "السياسة الخارجية للمغرب". مرجع سابق، ص 319.

¹⁵⁵ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A NUÑEZ : "la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995)", Op cit, p :60.

¹⁵⁶ - Ibid, p :60.

¹⁵⁷ - حوار مع : بالوما غونزالس ديل مينيو: "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للنوايت والتحولات." مجموعة حوارات من إعداد، بوعالب العطار؛ الاتحاد الاشتراكي، عدد 7633 في 06 يوليوز 2004.

¹⁵⁸ - PALOMA GON ZALEZ DEL MIÑO : « las relaciones entre España y Marruecos : perspectivas para et siglo XXI », Op cit p : 85.

¹⁵⁹ - UXÍA LEMUS DELA IGLESIA, Op cit p : 135.

¹⁶⁰ - Ibid, p :131.

ومن الانتقادات الأخرى الموجهة لهذه السياسة؛ عدم وجود تصور واضح لمستقبل المنطقة المغربية. نتج عن إنخراط إسبانيا في المشاكل والإصلاح الداخلي. والإنشغال بالفضاء الأوربي والبحث عن العضوية فيه.

ومن المؤشرات الدالة على ذلك قلة الإنتاج المعرفي حول المنطقة في تلك الفترة. وإلغاء بعض مؤسسات البحث الرسمية كمعهد الدراسات الإفريقية. فإسحاب إسبانيا من الصحراء الغربية؛ أدى إلى غياب مصالح إسبانية كبرى في المنطقة¹⁶¹.

وبالتالي أفرز تصورا قائما على أن الحفاظ على الوضع القائم؛ المتسم بالصراع المغربي الجزائري. وأخذ مسافة منه يشكل أفضل توجه لإسبانيا¹⁶².

هذا الإنسحاب، بالضبط، كان له تأثير مهم على الحياة السياسية في إسبانيا. فقد شكل المغرب وقضية الصحراء موضوع جدل داخلي. ارتبط بتتصيب الملك وبالجدال الذي أعقب المسيرة الخضراء وساهم في خلق ثقافة سياسية مهمة،¹⁶³ قائمة على العداء للمغرب. وهي مواضيع شكلت نوعا من "الموضة" في إسبانيا ما بين 1976 و 1978¹⁶⁴.

وهو ما تمخض عن أحد أهم الانتقادات الموجهة لسياسة التوازن، المتمثل في التحيز للجزائر.¹⁶⁵ حيث إنخرطت حكومات اتحاد الوسط الديمقراطي في السياق العام الداخلي الرفض لكل ما هو مغربي في هذه المرحلة التاريخية،¹⁶⁶ فكما قال الأستاذ العربي المساري:

¹⁶¹ - M. H. DE LARRAMENDI, IRENE. G. GONZALEZ Y BARBARA A. PIAZZA : "El ministerio de asuntos exteriores y la política exterior hacia el Magreb " in : M.H.DE LARRAMENDI AURELIA M. ESTRADA (eds) : « la politica exterior española hacia el Magreb : Actores e intereses », Op . cit, p : 72.

¹⁶² - BERNABÉ LOPEZ GARCÍA Y M.H DEL LARRAMENDI : "España y el norte de Africa : hacia una estabilidad dinámica " revue, Paix et sécurité internationales dossier: les relations Maroc Espagnoles N°1 juin 2003, p :31.

¹⁶³ - محمد العربي المساري: إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 67.

¹⁶⁴ - JUAN GOYTISOLO : «Témoignage » in : «HASSAN II présente la marche verte » Op. cit. p : 64.

¹⁶⁵ - IRENE FERNANDEZ MOLINA : « los Partidos políticos y la política exterior española hacia el Maghreb : los casos del PSOE y del pp » Op. cit. p : 57.

¹⁶⁶ - محمد العربي المساري : "الأحزاب السياسية الإسبانية تجاه العلاقات مع المغرب"، وجهة نظر: عدد 48 ربيع 2011، ص37.

"التموقع حيث تكون الجزائر تؤدي إلى التصنيف ضمن اليساريين الطيبين، وبالعكس فإن المغرب مصنف دائما في خانة الرجعيين السيئيين. وهذه مسألة لا تحتاج إلى تمحيص، وإنتحال موقف من هذا القبيل لا يكلف شيئا"¹⁶⁷.

وهو التوجه الذي كان يجد جذورا له أيضا داخل النخب اليمينية الفرنكاوية. فخلال حكومة "أرياس نفارو" الأولى قبيل وفاة فرانكو، كان وزير خارجيته "كورتينا أي ماوري"، ميالا للتنسيق مع الجزائر. وبعد وفاة فرانكو وتعيين الملك لحكومة أرياس نفارو الثانية، سيتبنى وزير خارجيته كوندي دي ميتريكو منطق القرب من الجزائر الذي حسب اعتقاده، يفتح نافذة للتواصل مع التقدميين عبر العالم.¹⁶⁸

وقد تجسد تحيز سياسة التوازن، عبر اعتراف حزب اضولفو سواريز الحاكم بجهة البوليزاريو ممثلا وحيدا للشعب الصحراوي.

وكان وزير الخارجية مارثيلينو أورخا يؤكد على أن إسبانيا انسحبت من الصحراء قانونيا، لكن لها اهتمام بتعبير الشعب الصحراوي عن إرادته¹⁶⁹.

وفي نفس السياق؛ تابحت أضولفوسواريز في أبريل 1979 إثر زيارته للجزائر مع محمد عبد العزيز "رئيس الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية".¹⁷⁰ هذا من بين الكثير من الشواهد التي تدل على عدم توازن سياسة التوازن.

ومن جانب آخر، هناك من انتقد إنحياز سياسة التوازن للمغرب، فحكومة ليوبولد كالبو صوطيلو اليمينية التي خلفت حكومة سواريز. رجحت كفة المغرب. ففي خطاب تنصيبه رئيسا للحكومة في 18 فبراير 1981؛ وصف صوطيلو المغرب بالجار الجنوبي

¹⁶⁷ - محمد العربي المساري: إسبانيا الأخرى" مرجع سابق، ص 65.

¹⁶⁸ - نفس المرجع، ص 30.

¹⁶⁹ - نفس المرجع، ص 64.

¹⁷⁰ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI: « Perception espagnole du Maghreb... », Op. cit, p :159.

الكبير.¹⁷¹ وأكد على أهمية دعم إستقرار المغرب ونسج علاقات جيدة معه إلى جانب بقية دول المغرب العربي.¹⁷² وهو ما تم على حساب الجزائر.¹⁷³

وقد ساهم في هذا التوجه، محاولة تدارك الإنحياز الذي انخرطت فيه حكومة أضولفو سواريز لصالح الجزائر. وبداية ظهور معالم الإصطفافات السياسية الداخلية الإسبانية. وتحررها من قضية الصحراء كموضوع تعبئة ودعاية سياسية داخلية.

وهي العوامل التي كانت بداية لظهور سياسة إسبانية جديدة في المنطقة وصفت بالشاملة. فما هي طبيعتها؟ وآليات اشتغالها؟

¹⁷¹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A NUÑEZ : " la política exterior y de cooperación de España en El Magreb (1982-1995) "، Op. cit, p :147.

¹⁷² - PALOMA GON ZÁLEZ DEL MIÑO : « las relaciones entre España y Marruecos : perspectivas para el siglo XXI », Op. cit p : 85.

¹⁷³ - وجهة نظر بالوما غونزالس ديل مينيو : "العلاقات الإسبانية المغربية: " مقاربات للتوابت والتحويلات " إعداد بوغالب العطار الاتحاد الاشتراكي : عدد 7633 في 06 يوليوز 2004.

المبحث الثاني: السياسة الشاملة

علاقة إسبانيا بالمنطقة المغاربية، حسب الباحث "ديلا راميندي" يمكن وصفها بأي نعت إلا أن تكون علاقة لامبالاة¹⁷⁴. فهي منطقة تجسد جانب مهم من المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية للجارة الإيبيرية¹⁷⁵. وهو ما دفع إلى إبداع السياسة الشاملة، بعد أن وصلت سياسة التوازن التي رأينا في المبحث الأول إلى مداها.

وقد سميت بالشاملة، إستنادا إلى شمولية مجال ونطاق تطبيقها سياسيا، إقتصاديا، ثقافيا، عسكريا وماليا... وأخذها بالإعتبار خصوصية كل بلد¹⁷⁶.

فقد بدأت بالتبلور؛ منذ 1982 تاريخ وصول الحزب الاشتراكي للحكم¹⁷⁷. ولم تأخذ شكلها النهائي إلا مع نهاية ثمانينيات القرن الماضي. حيث نضجت الشروط الموضوعية لتنزيلها.

وهناك من إعتبر وزير الخارجية الإسباني الأسبق، فرناندو موران صاحب هذه السياسة. في حين أن هناك من ينسبها لسفير إسبانيا الأسبق بالمغرب رايموندو باسول¹⁷⁸. مع العلم أن هناك جوقة من الدبلوماسيين والباحثين، الذين يؤمنون بحساسية، المنطقة المغاربية وتأثيرها على الإستقرار الإسباني ساهموا في بلورتها نذكر منهم: خورخي ديسكايار، ميغل أنخيل موراتينوس، كارلوس بلسكو وغيرهم¹⁷⁹.

فالسياسة الشاملة قائمة على ما إصطلح على تسميته: بساط المصالح colchón de intereses ونسيج المصالح أو أرضية المصالح المشتركة. وهو الاعتماد

¹⁷⁴- MIGUEL H. DE LARRAMENDI : «Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique », Op. cit P : 156.

¹⁷⁵- DJAMILA CHIKHI : « les relations Hispano-Marocaines á l'épreuve de la crise persil – Leila », revue : paix et securité internationales, N° 1 juin 2003, P : 100.

¹⁷⁶- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre Espana y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI », Op. cit P : 104.

¹⁷⁷- Ibid P :12

¹⁷⁸- BERNABÉ LOPEZ GARCÍA : « La Sociedad civil y las relaciones con Marruecos : el comité averroes : un instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? », Op. Cit, P : 195 .

¹⁷⁹- IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre españa y marruecos » Op. cit P : 182 .

المتبادل إلى أقصى الحدود. بحيث يمتص ويخفف من التوترات التي تعتري علاقات إسبانيا بدول الجوار المغربي¹⁸⁰.

فالكلمة المحورية هنا، هي تعزيز التعاون المتبادل في أفق تطبيع العلاقات¹⁸¹. وهو ما ذهب إليه رئيس الحكومة فليبي غونزالس بالحديث عنها كسياسة: "شاملة وليست للتوازن، سياسة تعاون وليست سياسة تدخل في الشؤون الداخلية للدول"¹⁸².

فمضمونها هو بناء الثقة¹⁸³. وجعل الدول المغربية تصل إلى أن كل خطوة في اتجاه طرف لا تعني أخذ موقف أو العداء للآخر. وفي نفس المنطق ليس مطلوبا من إسبانيا أن تعوض كل زيارة رسمية للمغرب بزيارة مقابلة للجزائر¹⁸⁴. وهو ما سيدفعنا إلى تناول السياسة الشاملة من خلال البحث في أسبابها (المطلب الأول) وتتبع آليات اشتغالها وتقييم ذلك (المطلب الثاني).

المطلب الأول: أسباب السياسة الشاملة:

الخوض في أسباب السياسة الشاملة التي تبنتها إسبانيا من المنطقة المغربية كبديل لسياسة التوازن؛ يدفعنا إلى اكتشاف أسباب ذاتية مرتبطة بالواقع الإسباني (الفقرة الأولى) وأسباب موضوعية مرتبطة بتغير المناخ السياسي في الضفة الجنوبية. وما عرفته العلاقات المغربية الجزائرية من تقارب (الفقرة الثانية).

¹⁸⁰- MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ : "la política exterior y de cooperacion de España en el Magreb (1982-1995)" Op. Cit, P : 63.

- CARLA FIBLA GARCIA-SALA : « España-Marruecos desde la orilla sur : la relacion hispano-marroquí : opiniones e ideas », Op. cit, P : 194.

¹⁸¹- BERNABE LOPEZ CARCÍA Y MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "España y el norte de Africa : Hacia una « Estabilidad dinámica" , Op. Cit, P : 32.

¹⁸²- ميغل هيرناندو دي لارامندي: "السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق ص: 340.

¹⁸³- YVES ZURLO : « Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves espagnoles », Op. cit, P : 117.

¹⁸⁴- MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb... », Op. cit, P : 164 .

الفقرة الأولى: الأسباب الداخلية الإسبانية:

من داخل النسق السياسي الإسباني ظهرت متغيرات جديدة. دفعت وهيات الظروف لتبني السياسة الشاملة. ولعل من أهمها وصول الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني للحكم وتبنيه تصورات جديدة عن المنطقة المغاربية (أولا) وإنضمام إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة وما خلفه من قفزة نوعية للاقتصاد الإسباني. حولها إلى دولة من دول الصف الأول في أوروبا. وأثر على توجهاتها في الفضاء المغاربي (ثانيا).

أولا: تصور الحزب الاشتراكي الحاكم للمنطقة

لقد عاش اليسار الإسباني في مرحلة الديكتاتورية، خلف الأضواء، وعانق العمل السري. وهو ما أثر على توجهاته. وفي مرحلة الانتقال الديمقراطي؛ ستشكل مواضيع السياسة الخارجية متنفسا؛ وترجمة للجدال السياسي الداخلي.

وقد شكل المغرب كما أسلفنا أحد محاور هذا الجدل الداخلي. والحزب الاشتراكي الإسباني لم يشذ عن هذه القاعدة. فقد تبنى مواقف متشددة من الوحدة الترابية المغربية، وعرف بميولاته الجزائرية، ومساندته لمطالب جبهة البوليساريو.

لكن مع ظهور البوادر الأولية لتقدم الحزب على الساحة السياسية الإسبانية، و منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي. سيعمل على تغيير جلده وتكييف مواقفه السياسية إستعدادا للعب أدوار جديدة في الواقع السياسي الإسباني. غير دور المعارضة.

فقد كان شعار الحزب في إنتخابات 1982 التي قادته للحكم: "من أجل التغيير" شعارا مركزيا حقيقيا ومعبرا عن واقع تغيير في الحزب ورغبته في تغيير إسبانيا¹⁸⁵.

وهو ما ستمكنه منه نتائج الإنتخابات، حيث حصد أغلبية برلمانية واسعة ومريحة¹⁸⁶. فقد فاز بـ 202 مقعدا من أصل 350. في حين لم يصل حزب إتحاد الوسط الديمقراطي اليميني إلا إلى 11 مقعدا¹⁸⁷.

¹⁸⁵ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص: 48.
¹⁸⁶ - وجهة نظر: بالوما غونزالس ديل مينيرو : "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للتوالت والتحويلات" إعداد بوغالب العطار الاتحاد الاشتراكي، عدد 7633 في 06 يوليوز 2004.
¹⁸⁷ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق..." مرجع سابق ص: 48.

حيث ستظهر شخصية فيلبي غونزالس رئيس الحكومة كرجل دولة وكشخصية كاريزمية. فقد تبنى نهج الواقعية السياسية¹⁸⁸. وتحول تدريجيا إلى المواقف المعتدلة من المؤسسات الدولية ودول الجوار الإقليمي.

وفي نفس المضمار تبنى البراغمتية السياسية، على الإعتبارات الإيديولوجية. من خلال تحسين علاقاته مع المغرب على حساب جبهة البوليساريو¹⁸⁹. التي كان يستعملها كأداة للإجراج السياسي إبان تموقعه في المعارضة. هذا التموقع الجديد للحزب الاشتراكي، سيدفعه إلى تبني تصورات جديدة في السياسة الخارجية الإسبانية. لعل من أهمها نظرتة للفضاء المغربي الذي شكل إكراها حقيقيا للسياسات الإسبانية داخليا وخارجيا.

ففي قراءته للوضع المغربي؛ إعتبر المنطقة فاقدة للتوازن والاستقرار، ولديها مشاكل متماثلة، وفي حاجة ماسة للمساعدة والتعاون لتجاوز التحديات التي تواجهها¹⁹⁰.

إضافة إلى تبني طرح عدم التدخل في المشاكل المغربية. خاصة النزاعات الترابية منها¹⁹¹؛ في تلميح واضح لموقف الحياد في قضية الصحراء. تفاديا لتأزيم علاقات إسبانيا بأحد الأطراف المغربية. وفي نفس الآن عدم المساهمة في تأزيم العلاقات البين-مغربية¹⁹².

ومن أوجه الفكر السياسي الجديد للحزب الاشتراكي في المنطقة، تبني القول بأن إستقرار المغرب العربي يمر حتما عبر المساهمة في ضمان إستقرار المغرب¹⁹³. مما سيتحول إلى هدف للسياسة المغربية للحزب. وقد كان وراء هذا التصور المفكر و وزير الخارجية فيرناندو موران؛¹⁹⁴ الذي زار المغرب عقب مظاهرات 1984 ليعرب للملك

¹⁸⁸- FELIPE SAHAGUN : « España frente al sur » Op. cit P : 249.

¹⁸⁹- IRENE FERNANDEZ MOLINA : « los partidos políticos y la política exterior española hacia el magreb. Los casos del PSOE y del PP » Op. cit P : 40.

¹⁹⁰- MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb... » Op. cit P : 162

¹⁹¹- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre España y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI » Op. cit P : 86.

¹⁹²- UXÍA LEMUS DELA IGLESIA : « Los elementos constituyentes de la nueva política exterior y de seguridad de España hacia Marruecos (1976-2002- » Op. cit P : 133

¹⁹³- JOSÉ IGNACIO ALGUERO CUERVO : Op. cit P 398

¹⁹⁴- حسين مجدوبي: "الدبلوماسية المغربية بين الإحتكار الملكي والبحث عن التوازنات البرغماتية في الساحة الدولية منذ الاستقلال وحتى القرن 21" وجهة نظر، عدد 48 ربيع 2011 ص: 31.

الحسن الثاني عن دعم إسبانيا ووقوفها إلى جانب الإستقرار السياسي في بلاده¹⁹⁵. وهي توجهات شكلت الإرهاصات الأولية والأسباب الحقيقية لتبني السياسة الشاملة. والتي ستعزز بإسقاطات إنضمام إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة.

ثانيا: الموقع الجديد لإسبانيا كدولة متقدمة

فقد عرفت المرحلة الممتدة من 1986 إلى 1996 دخول الجارة الإيبيرية مرحلة جديدة سيتم خلالها تعريف ووضع أسس نظرية وآليات جديدة لسياسة مدريد على مستوى المغرب العربي والمتوسط¹⁹⁶. تميزت أساسا بإنضمام إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة. واحتلالها موقعا تقاوضيا جديدا في علاقاتها المغربية¹⁹⁷. فمرافقتها واحتكاكها بالكبار في أوروبا وفي حلف الشمال الأطلسي الذي انضمت إليه سنة 1982 سيؤثر على توجهاتها الخارجية إيجابا¹⁹⁸.

كما نرصد تحرر السياسة الخارجية الإسبانية من عبء الفاتورة الطاقية. ففي فترة السبعينات من القرن الماضي كان للغاز الطبيعي دور في إستمالة إسبانيا للمواقف الجزائرية. لكن هبوط أثمان المحروقات عموما منذ سنة 1985 سيخفف الضغط عن صانع السياسة الإسبانية¹⁹⁹.

وفي نفس السياق، ساهمت الطفرة الاقتصادية النوعية الإسبانية في تهديئ الظروف للتغيير على مستوى السياسة الإسبانية تجاه المغرب العربي. فبعد أن كانت إسبانيا بلدا مستقبلا للمساعدات الدولية حتى سنة 1981. مع ما يستتبع ذلك من غياب تبنيها لسياسة تعاون مهمة مع دول الجوار²⁰⁰.

¹⁹⁵- BERNABE LOPEZ GARCÍA : « Marruecos y España : Una historia contra toda lógica », Op. Cit, P : 293.

¹⁹⁶- IRENE FERNANDEZ MOLINA, Op. Cit, P : 41.

¹⁹⁷- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO, Op. Cit, P : 88.

¹⁹⁸- FELIPE SAHAGUN « España frente al sur », op. Cit, P : 238.

¹⁹⁹- في حوار مع: فتح الله ولعلو.

-يوغالب العطار: "سبنة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" مرجع سابق، ص: 401.

²⁰⁰- MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb... » Op. cit P : 161.

ستشهد مؤشرات نموها إنقلابا جذريا، ففي سنة 1970 كان الدخل الفردي الخام الإسباني يعادل أربع مرات نظيره المغربي.²⁰¹ ليقفز إلى 8. 12 مرة بعد ذلك²⁰². ومع بداية عقد الثمانينيات من القرن الماضي؛ كان معدل دخل الفرد الإسباني 5430 دولارا أمريكيا، وسيرتفع بعد عقدين إلى 15644 دولارا²⁰³.

فهذه الطفرة الاقتصادية، منحت إسبانيا نوعا من السلطة المعنوية. والمرجعية داخل الفضاء المغربي.²⁰⁴ وأصبحت مصدر إعجاب في المغرب²⁰⁵، وبقية دول شمال إفريقيا. ففي ظرف عقد من الزمان من إنضمامها للسوق الأوروبية المشتركة، ستحتل مراتب متقدمة عالميا. وستعرف إشعاعا ثقافيا وسياسيا يضاهي الكبار في أوروبا والعالم²⁰⁶.

فنسبة النمو المهمة التي تم تحقيقها؛ ستمكن إسبانيا من رصد إعمادات مهمة للمنطقة المغربية. وخلق شبكة المصالح المشتركة المبحوث عنها منذ أمد²⁰⁷.

ناهيك عن تحولها لقلبة للآلاف من المهاجرين الشرعيين والسريين من أبناء المغرب العربي كما أسلفنا في القسم الأول. وهو ما سيشكل عاملا إضافيا معززا وداعما للموقع الإسباني الجديد. الذي ساهم في إعطاء الإنطلاق لتنفيذ السياسة الشاملة في المنطقة. وهو ما تعزز بشروط موضوعية في الواقع المغربي كانت هي الأخرى من الأسباب المهمة في هذا التغيير.

الفقرة الثانية: الأسباب المغربية

لا شك في أن المناخ المغربي وتفاعلاته شكل دائما عاملا ومتغيرا مهما في الضغط على العلاقات المغربية الإسبانية من جهة. ومن جهة أخرى؛ عامل تكييف وتوجيه للسياسات الإسبانية في المنطقة. وهو ما كان عليه الحال مع السياسة الشاملة التي تأثرت

²⁰¹ - THIBAUD CECILE : « Espagne – Maroc : L'embellie » l'Express International N° 2787 P :38.

²⁰² - INIGO MORÉ : « Le décalage économique entre l'Espagne et le Maroc » revue critique économique N° 16 Eté-automne 2005 P : 24.

²⁰³ - محمد العربي المساري: "إسبانيا الأخرى" مرجع سابق ص: 16.

²⁰⁴ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ, Op. Cit, P : 64

²⁰⁵ - الحسان بوقنطار: "المغرب ومحيطه الجيوسياسي: الحاضر والمستقبل" مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات": "العلاقات الدولية في العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين: أي أفق؟" الدورة الربيعية لسنة 2002 في 25-27 أبريل 2002 ص: 86.

²⁰⁶ - حسين مجدوبي: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي – العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ص: 50.

²⁰⁷ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb... », Op. cit , P : 165.

بالتقارب المغربي الجزائري (أولا) وبالمتغيرات الجديدة والإنفراج الذي عرفته قضية الصحراء على إثر دخول منظمة الأمم المتحدة على الخط. وقبل الأطراف مخطط التسوية الأممي (ثانيا).

أولا: التقارب المغربي الجزائري

بعد أن وصل الوضع المغربي أعلى درجات التوتر والانقسام. خاصة في شقه المغربي الجزائري. ستعرف المنطقة هبوب رياح أخرى مع بداية عقد ثمانينيات القرن الماضي. فمع وفاة الرئيس الجزائري هواري بومدين في 27 دجنبر 1978، بدأت البومدينية القائمة على العداء للمغرب وشيطنته في الانحسار داخل دواليب صنع القرار في الجارة الشرقية. كما أن العالم بدأ في التغير وأخذ أشكالا أخرى. بحيث لم تعد الجزائر تلك الدولة الثورية التقدمية التي ترغب في تغيير النظام الدولي الكلاسيكي. بل أخذت حجمها كمجرد قوة طاقة إقليمية²⁰⁸.

وزاد من تواضعها؛ انهيار أسعار المحروقات عالميا. وما خلفه داخلها من بداية ظهور أزمة اقتصادية حادة. زاد من تفاقمها انعكاسات إنخراط سابق في السياسة الدولية والإقليمية بحثا عن الزعامة.

كما نستحضر هنا قضية الصحراء وما شكلته من عبء مالي إضافي على الجزائر. وضغط الواقع العسكري على الأرض. من خلال عدم فاعلية الحرب ضد المغرب وشروعه في بناء الجدار العازل²⁰⁹.

ومما لا مرأ فيه؛ أن شخصية الرئيس الجزائري شاذلي بن جديد ساهمت في هذه التطورات بشدة. فهو لا يحمل عداء شخصيا للمغرب. كما أنه استطاع تجاوز مسار ورؤية هواري بومدين لقضية الصحراء وغيرها من المواضيع المشتركة. حيث ظهر أخيرا أنه

²⁰⁸ - BENKHATTAB ABDELHAMID : « La culture politique des dirigeants algériens : la tentation du leadership », Op. Cit P : 58.

²⁰⁹ - BOUJADAH AHMED : « La politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : Une analyse rétrospective », Op. cit p : 135.

كان من أنصار إيجاد حل لقضية الصحراء في إطار البناء المغاربي²¹⁰. كما شكلت معاهدة الإتحاد العربي - الإفريقي بين المغرب وليبيا في 13 غشت 1984 وسحب هذه الأخيرة الاعتراف والدعم المالي لجبهة البوليساريو. عاملا إضافيا ضاغطا على صانع السياسة الخارجية الجزائرية.

وقد ساهم في إعادة تشكل بنية الساحة المغاربية. وتوجهها نحو الإنفراج والعمل المشترك. فشل سياسة المحاور والمحاور المضادة²¹¹. وسياسة إقصاء هذا الطرف أو ذاك. فالجغرافية عنيدة ولا يمكن تغييرها بتجاهلها أو العمل ضدها.

وعلى هدى مما سبق؛ فقد دفعت الظروف الموضوعية إلى تقارب وإنفراج في العلاقات المغربية الجزائرية، ساهم في الدفع بالسياسة الشاملة إلى الأمام. فقد ظهرت أولى بوادر هذا التقارب والحاجة إليه في لقاء 25 فبراير 1983. الأول من نوعه بين الملك الحسن الثاني والرئيس الجزائري شاذلي بن جديد، على الحدود المشتركة قرب وجدة²¹².

وسيتم اللقاء الثاني في 04 ماي 1987 بوساطة من الملك السعودي فهد بن عبد العزيز. وبعد شهر من ذلك وفي إشارة لحسن النوايا وبداية تملل العلاقات نحو التحسن؛ سيتم إطلاق سراح 150 أسيرا مغربيا من الجزائر. وهو ما سيرد عليه المغرب بإطلاق 120 أسيرا جزائريا²¹³.

وتتويجا لهذا المسلسل تم في 06 ماي 1988 عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين من خلال تبادل السفراء وفتح الحدود. وفي شهر يونيو ولأول مرة بعد 15 سنة سافر الملك الحسن الثاني إلى الجزائر لحضور مؤتمر القمة العربي الاستثنائي²¹⁴. وعلى هامشه تم اجتماع زعماء المغرب العربي الخمس في زيرالدا في 10 يونيو 1988. حيث تم التوافق على لقاء مراكش التاريخي.

²¹⁰- BOUJADAH AHMED : « La politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : Une analyse rétrospective », op cit, P : 133.

²¹¹- MIGUEL H. DE LARRAMENDI y JESÚS A. NUÑEZ, Op. cit P : 36.

²¹²- STEPHEN O. HUGHES : « le Maroc de Hassan II », Op. cit P : 355.

²¹³- Ibid p : 360.

²¹⁴- EDOUARD HOHA : « Trente ans de relations Algéro-Marocaines : les vérités cachées » Op cit, P : 169.

وقد سبق ذلك الزيارة التاريخية الأولى للرئيس الجزائري للمغرب في فبراير 1989 بفاس. حيث تم التوقيع على اتفاق مرور الغاز الطبيعي الجزائري عبر الأراضي المغربية نحو إسبانيا²¹⁵.

كما صادق البرلمان المغربي على اتفاق تسطير الحدود بين الطرفين الموقع في 1972.

وختاما سيتوج هذا المسلسل؛ بتوقيع القمة المغاربية الملتئمة بمراكش في 17 فبراير 1989 على اتفاق إتحاد المغرب العربي. حيث تنازلت الجزائر للمغرب عن مقر الإتحاد. وقبلت بأن لا يشير الاتفاق لمشكل قضية الصحراء²¹⁶. وقد كانت إسبانيا أول بلد غربي أعرب عن مساندته ودعمه لقيام إتحاد المغرب العربي²¹⁷. لما سيكون له من إنعكاس على تطبيق السياسة الشاملة في المنطقة. الأمر الذي سيكون للإنفراج في قضية الصحراء دور مهم فيه.

ثانيا: الإنفراج في قضية الصحراء

تعتبر قضية الصحراء المحور الذي إستقطب إهتمام جميع الأطراف في المنطقة. ورهن مستقبل العلاقات بين مغاربية²¹⁸. بما فيها العلاقات مع الجارة إسبانيا. لذلك سيكون للإنفراج على مستوى هذه القضية، بالغ الأثر على شق السياسة الشاملة طريقها نحو تحقيق الأهداف التي تم تسطيرها لها.

فهذا الإنفراج جاء على خلفية التصور المغربي الجديد منذ سنة 1987 والقائم على فصل الجزائر عن تطورات قضية الصحراء²¹⁹. من خلال دخول المنظمة الأممية على

²¹⁵- STEPHEN O. HUGHES, Op. cit, P : 363.

²¹⁶- EL HOUDAÏGUI RACHID : « L'Algérie et le Sahara occidental : esquisse d'un jeu géographique à somme nulle » in : « Maroc – Algérie : Analyses croisées d'un voisinage hostile » , Op. cit, p : 115.

²¹⁷ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI y JESÚS A. NÚÑEZ, Op. Cit, P : 64.

²¹⁸- BENMESSAOUD TREDANO ABDELMOUGHIT : « La question du sahara : histoire d'une décolonisation pas comme les autres » collection : confluences, Imprimerie Afrique-Orient, Casablanca 2009, p : 66.

²¹⁹- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre España y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI », Op. cit, P :67.

الخط. ونتيجة عكسية أيضا للمستجدات الإيجابية على المسار المغربي الجزائري السالف الذكر.

فقد تقدم الأمين العام للأمم المتحدة في 11 غشت 1988 بوثيقة مقترحات التسوية الرامية إلى الوصول إلى حل عادل ونهائي لقضية الصحراء. قائمة على وقف إطلاق النار؛ وإجراء إستفتاء لتقرير المصير في الصحراء.

وهو ما وافق عليه المغرب في 30 غشت 1988. وسيعمل ظرفيا على تحرير العلاقات المغربية – الجزائرية من منسوب التوتر الكبير الذي عاشته في فترات سابقة. فبناء على عدم وجود مطالب ترابية جزائرية في الإقليم، سيصبح لدينا موقف قائم على إحترام الشرعية الدولية ومخطط التسوية الأممي.

وسيتعزز الانفراج على مستوى قضية الصحراء بالإستقبال الملكي لزعماء جبهة البوليساريو في مراكش أيام 3 و 4 يناير 1989²²⁰. وهي المحادثات المباشرة التي شكلت في حد ذاتها خطوة عملاقة. إذا وضعنا في الحسبان، توتر العلاقات المغربية – الإسبانية سنة 1988 على خلفية تصويت هذه الأخيرة لصالح توصية أممية تدعو الأطراف المعنية إلى محادثات مباشرة. وهو ما ألغي على إثره الزيارة التي كانت مقررة للملك الحسن الثاني لمدريد²²¹.

وبالجملة فإن الانفراج على مستوى قضية الصحراء سيفتح الباب أمام تقدم كل المسارات سواء المغربي – الجزائري أو المسار المغاربي ككل. وخاصة المسار الإيبيري الذي سيعرف التطبيق الفعلي للسياسة الشاملة. فما هي آليات اشتغالها؟ وحصيلة إنجازها؟

²²⁰- STEPHEN O. HUGHES, Op. cit, P : 363.

²²¹- STEPHEN O. HUGHES, Op. cit, p : 361.

المطلب الثاني: آليات السياسة الشاملة وتقييمها:

بعد التعرف على أسباب السياسة الشاملة سواء المتعلقة منها بالجانب الإسباني أو المغربي. تبقى ضرورة دراسة آليات هذه السياسة وتجلياتها (الفقرة الأولى) ثم محاولة سبر كنه حصيلتها من خلال رصد طبيعة الإنتقادات الموجهة لها (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: آليات السياسة الشاملة وتجلياتها:

وهو ما سنتناوله من خلال دراسة آليات ووسائل السياسة الشاملة. أي التصورات والمفاهيم التي توطر وتحرك هذه السياسة (أولا)، وتجلياتها ومؤثراتها. بمعنى التطرق للنتائج الملموسة للسياسة الشاملة على الأرض. والإيجابيات التي سطرت (ثانيا).

أولا: آليات ووسائل السياسة الشاملة

آليات ووسائل السياسة الشاملة تقوم على مجموعة من المفاهيم والتصورات، فهي إنعكاس لقراءة سياسية للحزب الاشتراكي الإسباني الحاكم. الذي أصبح يرى في الفضاء المغربي مجالا حيويا للأمن الإسباني، يجب احتواؤه²²².

فقد تم تبني مفهوم موسع للأمن. بالنظر إلى تعدد مشارب التحديات القادمة من الضفة الجنوبية: لا إستقرار إجتماعي، إقتصادي، الهجرة، صعود التنظيمات المتطرفة. وهو ما يستوجب جوابا وردا سياسيا²²³؛ من خلال خلق شبكة مصالح مشتركة عبر مجموعة من الآليات. ومن أهم هذه الآليات التي تبناها صانع القرار الإسباني، نجد مأسسة الحوار السياسي. من خلال تنظيم لقاءات سياسية دورية على كل المستويات منذ 1987²²⁴. والتي ستترجم في العلاقة مع المغرب من خلال لقاءات اللجنة العليا المشتركة السنوية التي نصت عليها معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون الموقعة بين الطرفين.

²²²- MIGUEL H. DE LARRAMENDI : «Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique » Op. cit P : 164.

²²³- IRENE FERNANDEZ MOLINA, Op. cit P : 40.

²²⁴- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre España y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI », Op. cit P : 87.

كما نجد سياسة التعاون²²⁵، كإحدى الآليات الفعالة في السياسة الشاملة. من خلال تبني تكثيف علاقات التعاون الثنائية²²⁶ على كل الواجهات. وقد تم في هذا الإطار، خلق سكرتارية للتعاون الدولي سنة 1985 سيتم توسيع أنشطتها وتحويلها إلى الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي سنة 1988.²²⁷ والتي كانت المنطقة المغاربية من أوائل المناطق المستفيدة من برامجها. حيث ستقود فيما بعد سياسة مهمة لتحويل الديون إلى استثمارات؛ سبق وأن تطرقنا لها في البعد الاقتصادي من القسم الأول من هذا العمل.

وعلى نفس المنوال؛ يشكل مفهوم: الاستقرار الديناميكي Estabilidad Dinámica إحدى لبنات السياسة الشاملة. فهو مفهوم قائم على الحفاظ على الأنظمة السياسية القائمة. ومحاولة مساعدتها على التطور والتوجه نحو الديمقراطية،²²⁸ من أجل ضمان المصالح الإستراتيجية الإسبانية.

فقد كان الحزب الاشتراكي في مراحل سابقة يدعم حركات الإحتجاج السياسي في الضفة الجنوبية. ويندد بالقمع وعدم إطلاق مسلسل التغيير الديمقراطي. وقد كانت فرنسا سباقة إلى تبني هذا المفهوم. فمن داخل مفهوم الإستقرار الديناميكي، جعلت إسبانيا من الاندماج الجهوي المغاربي أولوية لسياستها الخارجية²²⁹.

كما أن من الآليات السياسية، التي أثبتت المشهد العام للسياسة الشاملة، هناك نهج سياسة "الحياد الفعال" تجاه المشاكل المغاربية؛ خاصة ملف قضية الصحراء.²³⁰ حتى لا تعيد سيناريو حكومات إتحاد الوسط الديمقراطي اليمينية. التي إنخرطت في الصراعات

²²⁵- JOSE U. MARTINEZ CARRERAS : " El africanismo español" in : JUAN CARLOS PEREIRA (Coord). : « La Política exterior de España (1800-2003 » Editorial : Ariel, Barcelona, 2003 p : 368.

²²⁶- ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA : « La politique de l'Espagne au Maghreb » Op. cit, p : 51.

²²⁷ - JOSE U. MARTINEZ CARRERAS, Op. cit p : 368.

²²⁸- IRENE FERNANDEZ MOLINA, Op cit p :43.

²²⁹- MIGUEL H. DE LARRAMENDI, IRENE G. CONZALEZ y BARBARA AZAOLA PIAZZA : « El ministerio de Asuntos exteriores y la política exterior hacia el Magreb » Op. cit. p :75.

²³⁰- بيدرو كاناليس: "إسبانيا تراهن على إمتصاص التوتر القائم بين الجزائر والمغرب" الأيام عدد 174 في 09-15/ مارس 2005 ص:15.

المغربية. وفقدت البوصلة أمام قوة الاكراهات المغربية – الجزائرية مما رهن سياستها الخارجية.

وكما أسلفنا، فقد جعلت السياسة الشاملة من المغرب مركز ثقلها²³¹؛ والقاعدة التي وجهت تصوراتها في هذه الفترة كون:

"إسبانيا لا يمكن أن تسمح لنفسها بنسج علاقات سيئة مع المغرب"²³².

وفي هذا السياق؛ جعلت من الآليات والوسائل المهمة. وضع إطار مرجعي والتأسيس والتععيد لعلاقاتها مع المغرب. من خلال توقيع إتفاق الصداقة وحسن الجوار والتعاون لسنة 1991. الذي أطرته مبادئ عامة تمثلت في: إحترام الشرعية الدولية؛ المساواة في السيادة؛ عدم التدخل في الشؤون الداخلية؛ الإمتناع عن اللجوء إلى التهديد أو استخدام القوة؛ تسوية الخلافات بالطرق السلمية؛ التعاون من أجل التنمية؛ احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للأشخاص. والحوار والتفاهم بين الثقافات والحضارات.

كما وضع الخطوط الرئيسية؛ والتوجهات على مستوى العلاقات السياسية والتعاون بكل أشكاله: الاقتصادي والمالي والعسكري والثقافي والقانوني. ²³⁴ وأسس للقاءات العليا المشتركة، مما أعطى للعلاقات الثنائية قفزة نوعية مع بداية تسعينيات القرن الماضي.

وعلاقة بالجانب المغربي، فقد شكلت الدبلوماسية الملكية، آلية أخرى تتضافر إلى سابقتها. فالعلاقات الجيدة بين الملك خوان كارلوس والملك الحسن الثاني سمحت بالتخفيف من خلافات البلدين. وشكلت زيارة الملك الحسن الثاني سنة 1989 لمدرير تسطير فلسفة جديدة في العلاقات الثنائية تمثلت في "ربط العلاقات قبل حل المشاكل العالقة"²³⁵.

²³¹- BERNABE LOPEZ GARCÍA : « Marruecos y España : Una historia contra toda lógica » Op. cit. p : 315.

²³²- MIGUEL H. DE LARRAMENDI, IRENE G. GONZALEZ y BARBARA AZOALA PIAZZA, Op. cit. p : 86.

²³³- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, op. cit., p : 170.

²³⁴- انظر الملحق رقم 01.

²³⁵- ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA, Op. cit. p : 47.

وقد ساهم في تفعيل آلية الدبلوماسية الملكية، الوعي السياسي لرئيس الحكومة فيليبي غونزالس من خلال السماح للملك خوان كارلوس بالتحرك على مستوى السياسة الخارجية. في تأويل إيجابي للدستور الإسباني الذي لا ينص صراحة على هذا الاختصاص الملكي²³⁶. وهو ما يدفعنا إلى مقاربة ومحاولة التعرف على تجليات ومؤشرات تنزيل السياسة الشاملة.

ثانياً: تجليات ومؤشرات هذه السياسة

السياسة الشاملة عرفت بداية الحديث عنها منذ وصول الحزب الاشتراكي إلى الحكم سنة 1982. وأخذت الوقت الكافي للدراسة والنضج والتنزيل التدريجي. لتصل أوجها مع نهاية عقد الثمانينات من القرن الماضي. وهو ما انعكس على تجلياتها ومؤشرات تنزيلها التي شملت كل المجالات.

فعلى المستوى متعدد الأطراف، عملت إسبانيا على إستغلال موقعها من داخل السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد الأوروبي بعد ذلك للدفاع عن المنطقة المغربية وإعطائها أولية في السياسات الأوروبية²³⁷. وهو ما سنتطرق له في الفصل المقبل من هذا العمل. كما أن من مظاهر السياسة الشاملة على المستوى المغربي، الدفع بالتعاون المغربي الجزائري من خلال خلق مصالح مشتركة، تمثلت بالأساس في إنشاء أنبوب الغاز المغربي – الجزائري – الإسباني نحو أوروبا. و الذي تم إفتتاحه سنة 1996²³⁸.

وبعد دخول الجزائر في نفق الأزمة الداخلية وتدخل الجيش في الحياة السياسية. ستركز السياسة الشاملة على المغرب أكثر. حيث تمت مؤسسة الحوار الشامل من خلال

²³⁶ - خلال ولاية أئنار الثانية وإندلاع الأزمة السياسية بين المغرب وإسبانيا؛ منع رئيس الحكومة الإسبانية الملك خوان كارلوس من إستثمار علاقاته بالقصر المغربي للتخفيف والوساطة في هذه الأزمة. على اعتبار أن السياسة الخارجية من صميم العمل الحكومي. وما كان سائدا في فترة فليبي غونزاليس من إستثمار للدور الملكي في السياسة الخارجية شكل عرفا سياسيا خارج الوثيقة الدستورية.

²³⁷ - IRENE FERNANDEZ MOLINA, Op. Cit, p :59.

²³⁸ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI, IRENE G. GONZALEZ y BARBARA AZOALA A. PIAZZA Op. cit. p : 75.

اللجان العليا المشتركة السنوية. والتي أصبحت موعدا لتدارس جديد العلاقات الثنائية وتوقيع إتفاقيات التجارة والتعاون.

فعلى مستوى التعاون الاقتصادي والمالي؛ تم توقيع إتفاق الإطار لسنة 1988.²³⁹ الذي منحت بموجبه إسبانيا للمغرب قرضا بـ 1250 مليون دولار للفترة 1988-1992. منها 450 مليون للمساعدة على التنمية و800 مليون لشراء معدات إسبانية. وهو القرض الذي تم رفع قيمته إلى 1500 مليون دولار في دجنبر 1990 خلال زيارة رئيس الحكومة فيلبي غونزاليس للمغرب. كما تم رفع قيمته في السنة الموالية بمناسبة زيارة ملك إسبانيا للمغرب²⁴⁰.

وفي أكتوبر 1988 تم توقيع نفس الإتفاق المالي مع الجزائر بقيمة 380 مليون دولار لتسهيل رفع قيمة الصادرات الإسبانية نحوها. حيث إعتبرت إسبانيا حينها خامس مصدر نحو الجزائر وسادس زبون لها²⁴¹.

كما أن الفارق في القيمة المالية للإتفاق تبين الأولوية والقيمة التي أصبحت توليها إسبانيا للمغرب على حساب غريمه المغربي.

وفي نفس المضمار، جاءت العشرات من الإتفاقيات المغربية – الإسبانية التي تعكس فاعلية السياسة الشاملة من أهمها:

– إتفاقية التعاون العلمي والتقني بين المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث العلمي

والتقني المغربي والمجلس الأعلى للبحث العلمي الإسباني في ماي 1990.

– إتفاق فبراير 1996 للتعاون الإقتصادي والمالي الذي يغطي الفترة من 1996 إلى

2001. وبموجبه تساهم إسبانيا في تنمية أقاليم شمال المملكة. تم إبرامه أثناء انعقاد

الدورة الثانية للجنة العليا المشتركة بين الطرفين.

– إتفاق تشجيع وحماية الإستثمارات المتبادلة بين الطرفين في دجنبر 1997.

²³⁹ - RAMÓN ARMÉNGOD LÓPEZ : « España, Mediterraneo y mundo Árabe in JUAN CARLOS PEREIRA (Coord): « La política exterior de España (1800-2003) », Op. cit. p :375.

²⁴⁰ - ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA, Op. cit., p : 48.

²⁴¹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du maghreb ... », Op. Cit, P : 165.

ناهيك عن إحتلال المغرب الرتبة الأولى في مجال المساعدة الرسمية الإسبانية على التنمية²⁴². والتي سبقت الإشارة إليها في القسم الأول من هذا العمل.

وفي صلب منطق المؤشرات القوية للسياسة الشاملة، نجد التعاون العسكري الذي لا يخلو من دلالة على الإرادة السياسية القوية في التقدم بالتعاون بين الضفتين. فقد عرفت سنة 1983 إجراء المناورات الجوية المشتركة المغربية الإسبانية المعروفة بـ"أطلس". وتردد الطيارين المغاربة على الأكاديمية الجوية سان خابيير بمورسية لتلقي التدريبات²⁴³.

وعرفت سنة 1983 إجراء المناورات العسكرية المشتركة "أطلس 86"²⁴⁴. كما تمخضت زيارة الملك الحسن الثاني لإسبانيا سنة 1989 عن توقيع إتفاق إطار للتعاون العسكري شمل: تبادل الخبرات، القيام بمناورات مشتركة؛ خلق لجنة مشتركة للتنسيق العسكري لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. وفتح قناة للتزود بالأسلحة²⁴⁵.

وعلى المستوى الثقافي؛ تم الإهتمام بمضاعفة عدد مراكز سربانتس لتعليم اللغة و الثقافة الإسبانية.

وعموما فقد تم في الفترة الممتدة من سنة 1990 إلى 2001 توقيع أزيد من عشرين إتفاقية تعاون ثنائية مع الطرف المغربي. وثلاثة إتفاقات تعاون ثنائية مع الجزائر في نفس الفترة²⁴⁶.

وعلى هدى مما سبق، فإن إيجابيات السياسة الشاملة تعددت. وأعطت لإسبانيا موقعا متقدما في العلاقات مع الفضاء المغربي. وما يعزز منطق التفكير هذا؛ كونها تحولت إلى سياسة دولة *politique d'état*. وترسخت دون التأثر بتقلبات وتغيير صانع القرار. فالحزب الشعبي الذي تأسس نتيجة إندماج تيارات الوسط الشعبي المحافظ؛ وجذور

²⁴²- MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NUÑEZ, Op. cit P : 108.

²⁴³- دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية – الإسبانية: من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص: 92.

²⁴⁴- YVES ZURLO : « Ceuta et Melilla : histoire, représentation et devenir de deux enclaves espagnoles », Op. cit. p : 177

²⁴⁵- ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA, Op. cit. p : 48.

²⁴⁶- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre España y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI », Op. cit P : 99.

الفكر الديمقراطي المسيحي والليبيرالي. والذي وصل إلى الحكم في مارس 1996؛ حافظ على إستراتيجية أهداف السياسة الخارجية الإسبانية تجاه المنطقة²⁴⁷.

فقد أصبحت السياسة الشاملة سياسة توافقية، تعكس واقعية وبراعماتية سياسية. وهو ما دفع خوسي ماري أثنار رئيس الحكومة الإسبانية الجديدة إلى تبنيها كجواب للقراءة السياسية للوضع في الضفة الجنوبية²⁴⁸.

كما أن من أهم الإيجابيات التي سطرت؛ مساهمة إسبانيا على الإستقرار في المنطقة المغاربية. والمساعدة على الاندماج في المغرب العربي²⁴⁹. ففي هذا المضمار؛ جاءت التحركات الإسبانية على المستوى المتوسطي من خلال موقعها داخل الإتحاد الأوروبي لتعزيز فلسفة بساط المصالح.

هذا المفهوم الإقتصادي الذي ساهم في بناء الثقة السياسية بين المغرب وإسبانيا. وإعتبر الساسة الإسبان؛ أنه خلق اعتمادا متبادلا بين الطرفين. وسحب من المغرب القدرة على معاكسة المصالح الإسبانية. حيث سيصبح كالذي يرمي سقفه بالأحجار نتيجة وحدة المصالح والمصير²⁵⁰.

ومع كل ما تقدم، فإن السياسة الشاملة لم تسلم من سهام النقد والتجريح.

الفقرة الثانية: طبيعة الإنتقادات الموجهة للسياسة الشاملة

لقد عرفت السياسة الشاملة جملة من الإنتقادات، كشفت مواطن ضعفها ومثالبها (أولا) لكن أهم العوامل في هذا الجانب تمثل في وصول السياسة الشاملة إلى الباب المسدود. وتسجيل عودة سياسة التوازن التي سبق وأن عرفت العلاقات الإسبانية المغربية في فترات

²⁴⁷- UXÍA LEMUS DE LA IGLESIA y HAZAM AMIRAH FERNÁNDEZ : «La presidencia del gobierno y la política exterior española hacia el Magreb » in M.H.DE LARRAMENDI AURELIA M. ESTRADA : « La política exterior española hacia el magreb : Actores e intereses », Op. cit P : 93 .

²⁴⁸ IRENE FERNÁNDEZ MOLINA, Op. Cit, P : 44.

²⁴⁹- ANTONIO MARQUINA : « La evolucion de la política de seguridad española (1982-1992 » in R. CALDUCH (Coord): « La política exterior española en el siglo XX », Op. cit. p :372.

²⁵⁰- IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre españa y marruecos » Op. Cit, P : 182.

سابقة. وهذه العودة سطرها الصراع المغربي الذي تجدد. والأزمة السياسية التي عرفتها العلاقات المغربية الإسبانية إبان حكومة أثنار الثانية (ثانيا).

أولاً: نقاط ضعف السياسة الشاملة

فأهم الإنتقادات التي وجهت للسياسة الشاملة تمثلت في محدودية و عدم كفاية حجم التعاون بين الضفتين. بالنظر إلى حجم المشاكل القائمة وأهمية المصالح الإسبانية في المنطقة²⁵¹.

وهو ما نتج عنه، محدودية وهشاشة مفهوم بسات المصالح²⁵². فقد شكل إطارا غير كاف لمنع قيام نزاعات كبرى. خاصة في العلاقة مع المغرب الذي راهنت عليه السياسة الشاملة²⁵³.

ومن الأمثلة على ذلك؛ التوترات التي شهدتها العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية على خلفية قانون الأجانب سنة 1987. وأزمة تجديد إتفاق الصيد سنة 1995، ثم الأزمة السياسية الكبرى مع حكومة أثنار الثانية. وهو ما كان في كل مرة يفتح الباب أمام مارد الأحكام المسبقة وإستيهام المورو.

فمن أسباب فشل السياسة الشاملة؛ تركيزها على الجانب الاقتصادي؛ في وقت مازالت العوامل السياسية حاضرة في علاقات البلدين. وتضغط بكل ثقلها.

كما أن إتفاق الصداقة وحسن الجوار والتعاون الموقع سنة 1991 الذي يشكل مرجعية قانونية مؤطرة لعلاقات البلدين. لم يستطع منع الأزمات الدورية التي تتخطى فيها العلاقات المغربية – الإسبانية²⁵⁴. كما تجاوزته الأحداث مع اللجوء إلى إستخدام الطرف الإسباني للقوة في حل قضية جزيرة تورة.

²⁵¹- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO, Op. Cit, P : 89

²⁵²- BERNABÉ LÓPEZ CARCIA Y MIGUEL H. DE LARRAMENDI : "España y el norte de Africa" : Hacia una " Estabilidad dinámica", Op. Cit, P : 54.

²⁵³- UXIA LEMUS DELA IGLESIA y HAIZAM AMIRAH FERNÁNDEZ, Op. Cit, P : 94

²⁵⁴- BERNABÉ LOPEZ CARCÍA : « La sociedad civil y las relaciones con Marruecos : el comité Averroes : un Instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? », Op. cit., p : 196.

وتبعاً لذلك؛ فإن اللجان العليا المشتركة، التي من المفترض أن تقام سنوياً. والتي تعتبر من ثمار السياسة الشاملة. لم تصل حد مناقشة الإشكالات الجوهرية العالقة بين البلدين. خاصة في مجال النزاعات الترابية. وإلى حدود سنة 2007 لم يتم فعلياً إلا نصف هذه الاجتماعات. وإلغاؤها أو تأجيلها من هذا الطرف أو ذاك؛ شكل طريقة في التعبير السياسي عن عدم الرضى²⁵⁵.

وخلال الأزمة السياسية مع حكومة أذنان الثانية؛ لم تلتئم هذه اللجنة العليا المشتركة على مدار سنوات إلى حدود دجنبر 2007 بعد إنقضاء الأزمة²⁵⁶.

وهناك من ينتقد السياسة الشاملة، بكونها سياسة عدم توازن لا إرادي *Desequilibrio involuntario* تجاه الجزائر. حيث تم تفضيل المغرب وجعله شريكاً رئيسياً من داخل المنطقة المغربية. وهو ما إستعمله الحزب الشعبي في غمرة الحملة الانتخابية لسنة 1996 التي قادته للحكم²⁵⁷.

فضلاً عن عدم تطبيق وتفعيل مفهوم "الإستقرار الديناميكي" الذي قامت عليه السياسة الشاملة مع الجزائر. والتي بقيت فريسة لأزماتها السوسيو إقتصادية التي إنتهت بالحرب الأهلية.

ومع وصول الحزب الشعبي للحكم، تم استعمال آليات السياسة الشاملة؛ المتمثلة في سياسة التعاون وتشجيع الاستثمارات والمساعدة على التنمية من خلال برامج الوكالة الإسبانية للتنمية، كوسائل ضغط لحث الدول المغربية على مساندة التوجهات اليمينية للحكومة. وليست كآليات لتطوير العلاقات الثنائية²⁵⁸.

²⁵⁵- UXIA LEMUS DELA IGLESIA y HAIZAM AMIRAN FERNÁNDEZ, Op. Cit, P : 95.

²⁵⁶- Ibid p : 94.

²⁵⁷- محمد العربي المساري : "الانتخابات الإسبانية بأعين مغربية" دفاثر سياسية، عدد 61 في مارس 2004، ص: 08.

²⁵⁸- MONCEF SLIMI : « Los límites del juego político Hispano – Marroquí » in CARLA FIBLA CARCIA SALA : « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano-marroquí : opiniones e ideas », Op. cit P : 166.

وهو ما دفع إجمالاً إلى القول بتصلب السياسة الشاملة. والحاجة إلى سياسة أكثر ديناميكية. لتقوية الشراكة الإستراتيجية بين مدريد والرباط²⁵⁹، من جهة. ومن جهة أخرى؛ بين مدريد وبقية الأطراف المغربية. وهو ما سيتأكد أكثر مع عودة سياسة التوازن. التي اعتبرت أكبر فشل للسياسة الشاملة. وعدم قدرتها على مسايرة تسارع الأحداث في المنطقة.

ثانياً: عودة سياسة التوازن

هذه العودة التي إعتبرت مساراً سطره وساهم فيه تظافر عوامل مغربية. تمثلت في بداية خروج الجزائر من أزمتها الداخلية مع أواسط عقد تسعينات القرن الماضي. والعمل على تصدير الأزمة الداخلية. ثم بعد ذلك دخول العلاقات المغربية الإسبانية فترة أزمة في عهد "خوسي ماريا أثنار"، وعمله على إستغلال التناقضات المغربية في تذكير بتوجهات حكومات إتحاد الوسط الديمقراطي اليمينية. خاصة أن ذلك تزامن مع إنتخاب عبد العزيز بوتفليقة رئيساً للجزائر. وما عناه من عودة البومدينية للسيطرة على توجهات الجزائر وتصوراتها من المغرب.

أ- الأزمة الداخلية الجزائرية وحضور براديعم تصديرها

أكتوبر 1988 شكل تاريخ إنطلاق المظاهرات التي أثرت عميقاً على النظام السياسي الجزائري. ووضعت قطيعة مع تسيد جبهة التحرير الوطني للمشهد السياسي²⁶⁰. وما تبع ذلك من وقوف النخب العسكرية في وجه وصول التيار الإسلامي للسلطة. ودخول البلاد حرباً أهلية حصدت ما لا يقل عن 100000 قتيل²⁶¹. وهو ما تخلله مرحلة من الهدنة والحذر في العلاقات المغربية الجزائرية إمتدت من 1989 إلى 1993²⁶².

²⁵⁹ - وجهة نظر: بالوما غونزالس ديل مينيرو : "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للثوابت والتحويلات" إعداد بوغالب العطار الإتحاد الاشتراكي، عدد 7634 في 07 يوليوز 2004.

²⁶⁰ - BENJAMIN STORA : «Algérie – Maroc : histoires parallèles destins croisés » Op. cit, p :131.

²⁶¹ - Ibid P : 35.

²⁶² - EL HOUDAIGUI RACHID, Op. cit. p :33.

لكن صيف 1994 سيقرب المعطيات، بعد تعرض المغرب لهجوم إرهابي استهدف من خلاله مسلحين جزائريين ومغاربة فندق أطلس أسني بمراكش. وإتهام المغرب المخابرات الجزائرية بالوقوف وراء الهجوم. وإتخاذ إجراء فرض التأشيرة على الرعايا الجزائريين. وهو ما ردت عليه الجزائر بإغلاق الحدود وفرض منطق القطيعة بين دول المغرب العربي²⁶³.

وهي الحالة الفريدة الثانية في العالم بعد الحدود المغلقة بين الكوريتين²⁶⁴. الأمر الذي سيفتح الباب أمام ظهور الخطاطات المغربية القديمة. من خلال العمل على تصدير الأزمة الداخلية الجزائرية عبر البوابة المغربية؛ وعلى حساب وحدته الترابية.

فقد صرح الرئيس الجزائري ليامين زروال في نفس الفترة أمام لجنة تصفية الإستعمار التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية في "أوجا" أن:

"الصحراء الغربية تبقى في شمال إفريقيا بلدا محتلا بصفة غير قانونية... وما زال صوت شعب يرتفع للمطالبة بتحريره... ومن خلال منظمة الوحدة الإفريقية تبقى دولنا مدعوة بواجب التضامن مع الشعب الصحراوي الذي يتطلع إلى الحرية"²⁶⁵.

حيث ستسجل قضية الصحراء عودتها كرهان قوي للنظام الجزائري، في تحويل الأنظار الداخلية والدولية عن الأزمة الداخلية. فهي تلعب دور الجامع لكل النخب ولحمة المجتمع من خلال تعبئة الجموع. ناهيك عن تحرير الأنا وإذكاء الشعور الوطني، عبر القول بالطموحات التوسعية للمغرب التي تهدد الهوية الوطنية الجزائرية²⁶⁶.

²⁶³ - الحسان بوقنطار: "المغرب ومحيطه الجيوسياسي: الحاضر والمستقبل" مرجع سابق ص: 86.

²⁶⁴ - DARIO VALCARCEL : « Palabras cruzadas : es imposible un acuerdo sobre el Sahara ? apoyo loco al Polisario » ABC N° 32735 de 24/07/2005 p : 06.

²⁶⁵ - ذهبي عبد الحق: "قضية الصحراء المغربية ومخطط التسوية الأممي: دراسة قانونية وسياسية في مسارات التسوية في نطاق المنظمات الدولية" مرجع سابق، ص: 323.

فسيناريو استغلال المغرب في تجاوز الأزمة الداخلية سينطلق مع رئاسة الجنرال ليامين زروال حيث ستأخذ قضية الصحراء موقعها القديم في الصراعات المغربية الجزائرية.

أنظر:

- KHADIJA MOHSIN FINAN : « Sahara occidental les enjeux d'un conflit régional » Op. cit p : 116 et 146.

²⁶⁶ - BOUJADAH AHMED : « La politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : Une analyse rétrospective », Op. cit p : 137.

كما أن هذا الإنخراط في قضية الصحراء، ينظر له كوسيلة وعامل شرعنة لنظام سياسي أصبح يفتقر لقاعدة صلبة نتيجة الأزمة السياسية والإقتصادية. وانتشار مظاهر الفساد والبيروقراطية. وموضوع مزيدة حول الوطنية، والإحراج السياسي بإتهام الخصوم بنقص في الوطنية أو الخيانة²⁶⁷.

ففي نفس المضمار ذهب المفكر "ويليام زارتمان"؛ إلى أن دعم الجزائر لجبهة البوليساريو شكل مصدر فخر بالنسبة للجيش الجزائري الذي ليس له أي مبرر للوجود خارج الندية للمغرب²⁶⁸.

فقد صادر العسكر الحكم في الجزائر بناء على "المبدأ المقدس للوحدة الوطنية". وهو ما تجسد مع انقلاب هواري بومدين ولعبت فيه قضية الصحراء الدور المركزي²⁶⁹. وبالتالي فإن أي فتور للإنخراط الجزائري في هذا الملف ينظر له كإهانة للمؤسسة العسكرية.

بيد أن ما تقدم، لا يحجب عنا بقية العوامل الثاوية خلف هذا الإستنتاج الدائم بقضية الصحراء والتلويح بها داخليا لإعادة الإصطفاف خلف المؤسسات الرسمية.

فإستمرار قضية الصحراء يمكن بعض النخب من إطالة أمد الفساد والإفلات من أي مساءلة شعبية. بله إستفادة القيادات العسكرية من مراقبة وتسيير تجارة التهريب المريحة بين البلدين على خلفية التوتر الدائم وإغلاق الحدود المشتركة²⁷⁰.

فضلا عن إيجاد تبرير للنفقات العسكرية المبالغ فيها. والتي تجد نسبة مهمة منها طريقها إلى جيوب قادة النظام²⁷¹. وهو ما يفسر غرابة الإنخراط الكلي للجزائر في الصراع مع المغرب والتموقع من قضية الصحراء. فما كان في المنطلق موقفا إيديولوجيا

²⁶⁷ - BADR JALAL KACIMI : « l'implication de l'Algérie dans l'affaire du Sahara : une stratégie hégémonique sur fond de crise interne », Op. cit. p : 66.

²⁶⁸ - MEKOUAR MEROUAN : « Aux origines de la stratégie du statu quo : lectures dans la politique Saharienne de l'Algérie », Op. cit. P : 32.

²⁶⁹ - BADR JALAL KACIMI, Op. cit. p : 69.

²⁷⁰ - MEKOUAR MEROUAN, Op. cit. P : 36.

²⁷¹ - خوان غويتيسولو : "هل حكم علينا بعدم التفاهم؟" ترجمة مصطفى النحال الجديدة، عدد 482 في 12-13 دجنبر 2009، ص: 07.

تغذيه مخاوف إستراتيجية. سيتحول مع الوقت إلى إستراتيجية للحفاظ على الوضع القائم Statu-quo غير مرتبطة بالمصالح الإستراتيجية والاقتصادية الحقيقية للبلد²⁷². وعلى هدى مما سبق، فإننا سنجد أنفسنا أمام إعادة إنتاج التصور البومديني للمنطقة. القائم على الصراع والندية المغربية – الجزائرية. وعلى الصحراء كحجر أو حصي في الحذاء المغربي²⁷³. وهو التوجه الذي ستخدمه التغيرات التي عرفتها المنطقة. وتعرثر العلاقات المغربية الإسبانية. في ظل رؤية أثار لهذه العلاقات.

ب- أزمة حكومة أثار الثانية وتزامنها مع وصول عبد العزيز بوتفليقة لرئاسة

الجزائر

لقد بدأت البوادر المعلنة للأزمة السياسية التي ستعصف بالعلاقات المغربية - الإسبانية منذ النصف الثاني من الولاية الأولى لخوسي ماريا أثار. على خلفية إعلان المغرب لعدم رغبته في تجديد إتفاق الصيد البحري مع الإتحاد الأوروبي سنة 1999. وهو ما شكل وسيلة ضغط على الطرف الإسباني نتيجة غموض موقفه من الحل السياسي لقضية الصحراء الذي بدأ يتبلور دوليا، كما أسلفنا. ونشاط الساحة السياسية الداخلية الإسبانية غير المسبوق في دعم جبهة البوليزاريو.

وقد تعزز هذا كله، بوصول الحزب الشعبي اليميني لولاية ثانية في مارس 2000. وهي الولاية التي عرفت مسلسل إحتكار السياسة الخارجية الإسبانية من طرف رئيس الحكومة أثار. حيث أصبحت العلاقات مع المغرب تسير مباشرة من طرف مكتب رئاسة الحكومة²⁷⁴.

وأهم خطوط هذه السياسة تجسدت في القراءة السياسية لأثار للمنطقة. والقائمة على أن إسبانيا أصبحت قوة إقليمية معلنة. وتتطلع للعب أدوار دولية مهمة في ظل المراتب التي أصبح يحتلها الإقتصاد الإسباني. في حين أن المغرب يشكل فاعلا إقليميا ثانويا وجزءا من

²⁷²- MEKOUAR MEROUAN, Op. cit. P : 38.

²⁷³ -Ibid, P : 30.

²⁷⁴- M.H. DE LARRAMENDI , IRENE G. GONZALEZ y BARBARA A. PIAZZA Op. cit. p : 79.

الإشكالية الأمنية لإسبانيا²⁷⁵. الأمر الذي سيفتح الباب أمام سياسة التعويض والتقارب الإسباني - الجزائري²⁷⁶. وإطلاق اللعبة الثلاثية من جديد (إسبانيا، الجزائر، المغرب)²⁷⁷. أو الخطاطة القديمة في المنطقة، أي تحسن العلاقات الإسبانية - الجزائرية كلما ساءت العلاقات الإسبانية - المغربية²⁷⁸. فقد حاول أثنار تعويض المغرب بالجزائر. والتأكيد على خطأ منح المغرب الأفضلية في السياسة الشاملة. وخطأ القول بأن المغرب لا يمكن تعويضه Insustituible في العلاقات مع إسبانيا²⁷⁹.

فالتقارب الإسباني الجزائري يشكل في كثير من الأحيان سياسة عقابية من طرف مدريد للمغرب على أي مواقف أو سلوكات تقدر أنها سلبية أو معادية. وهو ما أصبح عليه الحال بعد أزمة 2001-2002 على خلفية جزيرة تورة.

ومنه ستبرز الأهمية السياسية للجزائر بالنسبة لأثنار، من خلال استعمالها أداة في الصراع مع المغرب والضغط عليه. بحكم الندية بين الطرفين المغاربيين²⁸⁰. فقد برز محور "مدريد - الجزائر" في سياسة إسبانية إنحيازية لصالح الجارة الشرقية.

وقد تزامنت كل هذه التغييرات على المسار المغربي - الإسباني؛ مع وصول عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية هواري بومدين الأسبق لرئاسة الجزائر في أبريل 1999. والذي يعتبر من الحرس القديم وأحد كبار رجال "البومدينية" كتوجه قائم داخل الدولة الجزائرية على العداء للمغرب. وعلى قداسة قضية الصحراء والدعم الجزائري لجبهة البوليساريو²⁸¹.

²⁷⁵- ELHOUDAÏGUI RACHID, Op. cit. p : 32.

²⁷⁶- IRENE FERNANDEZ MOLINA, Op. cit. p : 47.

²⁷⁷- BERNABE LOPEZ CARCÍA M.H DE LARRAMENDI : "España y el norte de Africa : Hacia una « Estabilidad dinámica", Op. cit P : 54.

²⁷⁸- ALEJANDRO MUÑOZ ALONSO : « España en primer plano : ocho años de política exterior (1996-2004- » Op. cit. p : 381.

²⁷⁹- JUAN CARLOS JIMENEZ REDONDO : « DE SÚAREZ a RODRÍGUEZ ZAPATERO : la política exterior de la España democrática », Op. cit. p : 94.

²⁸⁰- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op. cit. p : 46 et 192.

²⁸¹- KHADIJA MOHSIN FINAN, Op. cit p : 115.

فقد جعل بوتفليقة الرئيس؛ من أهداف دبلوماسيته ترميم موقع وهيبة الدولة الجزائرية بعد ما عرفت من حرب أهلية. وهو ما سيتم عبر الندية مع المغرب وتأزيم الوضع على مستوى قضية الصحراء²⁸². هذه الأخيرة التي ستعطي للرئيس هامشا من الحضور والتأثير الجهوي والدولي.²⁸³ يتجاوز من خلاله إحباطات وهشاشة الوضع الداخلي للجزائر.

فقد قامت سياسة بوتفليقة على عزل المغرب و إضعافه عبر ثلاثة محاور :

1. تحييد إسبانيا من خلال التحالف والإغراء، وهو شأن مرحلة حكومة أئنار الثانية. ومن خلال الضغط والإكراه وهو حال العلاقات الجزائرية الإسبانية في عهد لويس رودريغز ثباتيرو كما سيأتي لاحقا.

2. إستفادتها من موقعها داخل المنظمات الدولية. خاصة منظمة الوحدة الإفريقية التي تساهم في ميزانيتها العادية بنسبة 15%.

3. السباق نحو التسلح لإستنزاف المغرب. تحت ذريعة عصرنة نظامها الدفاعي وهو ما ستم الإشارة له لاحقا²⁸⁴.

وفي خطوات إجرائية لوضع هذه المخططات قيد التنفيذ. فقد أبدى بوتفليقة تشددا قويا تجاه المغرب مع بداية رئاسته. ففي شتبر 1999 في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة. أعلن للصحافة العالمية أن المغرب ممول دولي للمخدرات. وأن الشباب الجزائري يعاني من هذا الجوار. كما اتهم المغرب أيضا بدعم الإرهاب وتكوين الجماعات المسلحة²⁸⁵.

وعلى مستوى قضية الصحراء، وفي غمرة تقديم بلاده مقترحها أمام مجلس الأمن بتقسيم الصحراء بين المغرب والجمهورية الصحراوية. قام بوتفليقة في 26 فبراير 2002 بأول زيارة لرئيس جزائري لمخيمات تندوف ليشارك في الإحتفالات بالذكرى السادسة و

²⁸²- ELHOUDAÏGUI RACHID : « L'Algérie et le Sahara occidental : esquisse d'un jeu géographique à somme nulle » in : « Maroc – Algérie : Analyses croisées d'un voisinage hostile », Op. cit p : 118.

²⁸³- BOUJDAD AHMED, Op. cit., p : 141.

²⁸⁴- ELHOUDAÏGUI RACHID : « L'Algérie et le Sahara occidental » Op. cit, p : 121.

²⁸⁵- BENJAMIN STORA : «Algérie – Maroc : histoires parallèles destins croisés » Op. cit., p :32.

العشرين لإعلان قيام الجمهورية الصحراوية²⁸⁶. وهي الزيارة التي أعلن خلالها أن قضية الصحراء ليست ملفاً يطوى. وأن مصير إتحاد المغرب العربي مرتين بجلها.

وتأسيساً على ما سبق، سيأخذ محور مدريد – الجزائر طريقه في الإضرار بالمصالح الإستراتيجية المغربية. والتضحية بالعلاقات المغربية – الإسبانية على مذبح الصراعات المغربية. و تقديمها قرباناً لإعلاء شأن "الأثارية" التي أصبحت لصاحبها تطلعات دولية.

فقد انتقلنا من القول بعودة سياسة التوازن²⁸⁷ إلى مستوى الإنخراط الفعال لإسبانيا في الصراع المغربي، ومحاولة إضعاف الدور المغربي في السياق الإقليمي²⁸⁸.

وبناءً عليه، فقد بدأت إسبانيا هذا التصور بإستبدال الأهمية الاقتصادية للمغرب بتكثيف العلاقات مع أمريكا اللاتينية²⁸⁹، وإطلاق العنان "لشهر العسل"²⁹⁰ المعلن للعلاقات الإسبانية الجزائرية. وشكلت زيارة أثنار للجزائر العاصمة في يوليو 2000، أولى الخطوات في هذا المسلسل. باعتباره أول رئيس حكومة أوروبية يزور ها بعد الإنقلاب العسكري على صناديق الاقتراع الذي عرفته²⁹¹.

وهي زيارة ساهمت في نسج علاقة شخصية وصداقة بين أثنار وعبد العزيز بوتفليقة مبنية على المصالح المشتركة، وكذلك على تقاربات شخصية تاريخية. فقد كانت هناك علاقة سابقة بين بوتفليقة وكوزير خارجية وجد أثنار "مانويل أثنار زوبي غراي" الذي كان صحفياً ودبلوماسياً إسبانياً. حيث شغل منصب ممثل إسبانيا في الأمم المتحدة، في الفترة التي عرفت تداولاً مهماً لمسلسل تصفية الإستعمار في الصحراء الغربية، من ستينيات القرن الماضي. وعند حضور جنازة الراحل الحسن الثاني، صاح بوتفليقة منادياً على أثنار

²⁸⁶- KSIKES DRISS : « Maroc – Algérie : je t'aime moi non plus » Tequel, N° 144 du 02-08 octobre 2004 p : 27.

²⁸⁷- UXIA LEMUS DELA IGLESIA, Op. Cit, P : 134

²⁸⁸- وجهة نظر: بالوما غونزالس ديل مينيرو : "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للتوالت" إعداد بوغالب العطار مرجع سابق.

²⁸⁹- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op. cit. p : 45.

²⁹⁰- العبارة لإريني فرناندز مولينا أنظر:

- IRENE FERNANDEZ MOLINA : « los partidos políticos y la política exterior española hacia el Magreb. Los casos del PSOE y del PP », Op. cit P : 49.

²⁹¹- ALEJANDRO MUÑOZ-ALONSO : « España en primer plano : ocho años de política exterior (1996-2004) », Op. cit., p : 382.

بحفيد الرجل الذي ألقى أفضل خطاب سمعه في حياته. وهو الخطاب الذي ألقاه جد أثنار سنة 1967 بالأمم المتحدة وأثنى عليه رئيس الحكومة الإسبانية قبل ذلك في كتاباته²⁹². وهي العلاقات التي ستثمر في مارس 2002 اتفاق تحويل اللديون الجزائرية إلى استثمارات²⁹³.

وخلال رئاسة إسبانيا للإتحاد الأوروبي ستعمل على الدفع بتوقيع إتفاق الشراكة الأوروبية مع الجزائر في أبريل 2002 بحضور خوسي ماريا أثنار²⁹⁴. كما سيتم في أكتوبر من نفس السنة توقيع اتفاق الصداقة وحسن الجوار والتعاون الإسباني – الجزائري على إثر زيارة بوتفليقة لمدير.

وعطفا على ذلك؛ سيتم أول لقاء للجنة العليا المشتركة الإسبانية – الجزائرية في 27 نونبر 2003. في رغبة إسبانية لرفع مستوى الحوار مع أطراف مغاربيين آخرين نكاية في المغرب²⁹⁵. في فترة من السنوات العجاف على المستوى المغربي – الإسباني والوصول إلى الدرجة صفر من المعاهدات والإتفاقات الرسمية.

وعلى المستوى السياسي، من التنسيق الإسباني – الجزائري؛ تبنى الطرفان معارضة الحل السياسي على مستوى قضية الصحراء. من خلال عرقلة إتفاق الإطار الذي جاء به قرار مجلس الأمن في يونيو 2001 والذي سمي بمخطط بيكر الأول. حيث قام على قاعدة لا غالب ولا مغلوب. فقد كان الموقف الإسباني ملتبسا، والموقف الجزائري قويا في رفضه للمخطط²⁹⁶. حيث حشدت الدعم ضده ودفعت بمقترح التقسيم للتشويش عليه²⁹⁷.

²⁹²- ALEJANDRO MUÑOZ-ALONSO : « España en primer plano : ocho años de política exterior (1996-2004) », Op. Cit, p : 382.

²⁹³- Ibid p : 383.

²⁹⁴- BERNABE LOPEZ CARCÍA Y M. H DE LARRAMENDI : "España y el norte de Africa ...", Op. Cit, P : 44.

²⁹⁵- PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO, Op. cit P : 95.

²⁹⁶- AOMAR BAGHZOUZ : « Plaidoyer pour un couple algéro-marocain comme moteur de la construction maghrébine » in : ABDI NOURREDDINE : "Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen" » Op. cit. p : 159.

²⁹⁷- دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية – الإسبانية: من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص: 40.

وهو ما سيثمر "خطة السلام للحكم الذاتي في الصحراء الغربية" الذي إصطلح على تسميته مخطط بيكر إثنان في يوليو 2003 أثناء الرئاسة الإسبانية لمجلس الأمن. والذي رفضه المغرب بشدة، لتراجعه عن الحل السياسي وعودته إلى منطق تقرير المصير. وهو مخطط حظي بالدعم الإسباني والجزائري²⁹⁸، وشكل نموذجا آخر لتوافق التصورات الإستراتيجية لكل من أثنار وبوتفليقة في المنطقة.

وستعتبر أزمة جزيرة تورة في صيف 2002، أحد أمثلة فعالية محور مدريد الجزائر. وإستفادة هذه الأخيرة من التوتر المغربي الإسباني.²⁹⁹ حيث إعتبرت الجزائر البلد العربي الوحيد الذي ساند الموقف الإسباني في هذه الأزمة.³⁰⁰ مشيرة إلى نظرية "الأمر الواقع" التي قالت بتطبيق المغرب لها خلال المسيرة الخضراء. فقد أعلن الوزير المكلف بالشؤون الإفريقية والمغربية عبد القادر مساهل عن الموقف الرسمي الجزائري وبأن:

"الجزائر ترفض كل سياسة لفرض الأمر الواقع. أو أي خرق للشرعية الدولية، وأن الجزائر تدافع عن هذا المبدأ سواء تعلق الأمر بقضية الصحراء أو بالنزاعات المتولدة عن عدم إحترام الحدود الموروثة عن الإستعمار"³⁰¹.

لكن هذا الحلف الجزائري – الإسباني. ستنفك عراه على وقع التفجيرات الإرهابية لمارس 2004 والتي حملت الحزب الاشتراكي للحكم.

ج. عودة الحزب الاشتراكي مع ثباتيرو ومحاولة تصحيح الوضع

أمام الإنخراط الإسباني في العلاقات مع الجزائر. وإدارة الظهر للمغرب الذي عاشت معه شراكة حقيقية فيما قبل. خسرت الكثير على مستوى محاربة الهجرة السرية. وعلى مستوى الصيد البحري بعدم تجديد الإتفاق مع الاتحاد الأوروبي. وما عناه ذلك من معاناة لمناطق الأندلس وغاليسيا القائمة على الصيد كعامل توازن سوسيو إقتصادي.

²⁹⁸ - نفس المرجع، ص: 78.

²⁹⁹ - SADDIKI SAID : « La vision algérienne du droit à l'autodétermination à l'épreuve du principe de non - ingérence dans les affaires intérieures des Etats » Op. cit. p : 151.

³⁰⁰ - IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y marruecos » Op. cit P : 54.

³⁰¹ - AOMAR BAGHZOUZ, Op. cit. P : 156.

وجاءت التفجيرات الإرهابية لتبين أهمية تبادل المعلومات والتعاون في هذا المجال الذي خسرتة إسبانيا بفقدانها المغرب كحليف إستراتيجي على إثر سياسة حكومة أثنار الثانية سائلة الذكر. وهو ما دفع الإشتراكي "لويس رودريغز ثباتيرو" رئيس الحكومة الإسبانية الجديدة. إلى قلب صفحة الخلاف وإعادة الأمور إلى نصابها بزيارة المغرب كأول وجهة خارجية بعد تعيينه. والتصريح بمجرد فوزه في 14 مارس 2004 على أن المغرب يشكل أولوية بالنسبة له.³⁰² من خلال الحوار في القضايا المشتركة والتعاون المكثف لتعويض ما فات في هذه العلاقات وذلك من خلال شراكة إستراتيجية في كل المجالات³⁰³.

أما على مستوى قضية الصحراء، فقد عرف رئيس الحكومة الجديد بميوله للحل السياسي، وتبنيه للواقعية السياسية. فقد دعا في بيان مشترك مع الملك محمد السادس على إثر زيارته للمغرب في أبريل 2004 إلى حل سياسي توافقي للقضية. ناهيك عن قولته الشهيرة بأن قضية الصحراء سيتم حلها في ستة أشهر بعد توليه رئاسة الحكومة في إسبانيا. وهو ما دفع البعض إلى الحديث عن "التدخل الإيجابي" الإسباني في القضية لصالح المغرب. بدل الموقف التقليدي الرسمي الإسباني المتمثل في الحياد.

وهو ما سيفتح عليه أبواب الجحيم الجزائري. فقد كانت أهم ردة فعل للطرف الجزائري هو الموقف المتشدد جدا والمعبر عنه رسميا من قضية الصحراء. ففي رسالة وجهها الرئيس عبر العزيز بوتفليقة للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في غشت 2004. وصف المغرب بالقوة المحتلة للصحراء³⁰⁴.

وفي رسالة تضامنية مع "الجمهورية الصحراوية" في ماي 2005 أعرب عن إعتقاده الراسخ في دولة صحراوية مستقلة على التراب الصحراوي³⁰⁵.

³⁰² - دريوش نبيل: "الحوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية:....." مرجع سابق ص: 49.

³⁰³ - PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO, Op. cit P : 123

³⁰⁴ - Ibid p : 97.

³⁰⁵ - FRANÇOIS SOUDAN : « Maroc – Algérie la guerre des nerfs » Jeune Afrique l'intelligent, N° 2318, du 12-18 Juin 2005, P : 52.

كما طالب المنتظم الدولي بالتدخل لفرض حل انسحاب المغرب من الصحراء بالقوة احتراماً للشرعية الدولية. وفي زيارته للبرازيل قارن قضية الصحراء بقضية تيمور الشرقية؛ وكرر ذلك في زيارته للشيلي³⁰⁶.

هذه المواقف القوية للجزائر، ستدفع بشبح سياسة التوازن من جديد في السياسة الخارجية الإسبانية تجاه المنطقة المغربية. من خلال قول الشيء ونقيضه. وتغيير المواقف مع تغير العاصمة التي يتحدث منها المسؤول. ففي زيارة وزير الخارجية الإسبانية الجديد "ميغل أنخيل موراتينوس" للجزائر في 03 ماي 2004. أكد على أن مواقف الجزائر وإسبانيا من قضية الصحراء متطابقة، وقائمة على حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره³⁰⁷.

وأبلغ تعبير عن التضارب كون هذه الفترة:

"المرحلة الرمادية؛ بخصوص قضية الصحراء التي إختلط فيها السواد بالبياض... ثباتير ومعه موراتينوس إتبعاً إزاء قضية الصحراء في تلك المرحلة المثل الإسباني القائل: يشعل شمعة لله وشمعة للشيطان، وهو المثل الذي يطلق على الشخص الذي يريد إرضاء جميع الأطراف. والواقع أنها سياسة قادت في نهاية المطاف إلى إغضابهم"³⁰⁸.

كما تم تسجيل عودة ممارسة الزيارات والزيارات التعويضية التي شكلت أهم مؤشرات سياسة التوازن. وكمثال عليها زيارة وزير الخارجية موراتينوس لمدينة أصيلة صيف سنة 2004 لحضور فعاليات مهرجان المدينة الثقافي. حيث أرسل "برناردينوليون" (كاتب الدولة في الخارجية والرجل الثاني في الوزارة) إلى مخيمات تندوف في نفس اليوم كتعويض عن الزيارة الأولى³⁰⁹.

³⁰⁶- الريراكي محمد : "العلاقات بين الرباط والجزائر والعودة لأجواء القطيعة" الأيام، عدد 189 في 22-28 يونيو 2005 ص: 12.
³⁰⁷- ALAOUIE NADIA HACHIMI : « Sahara comment amorcer le dialogue ? » le journal hebdomadaire N° 159 du 08-14 2004 p : 15.

³⁰⁸- دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية – الإسبانية:" مرجع سابق ص: 80.

³⁰⁹- نفس المرجع.

وفي نفس السياق جاءت زيارة رئيس الحكومة ثباتيرو للمغرب يومي 6 و 7 مارس 2007 في إطار الدورة الثامنة للجنة العليا المشتركة للبلدين. وفي أقل من أسبوع جاءت زيارة الملك "خوان كارلوس" للجزائر أيام 13 إلى 15 مارس 2007³¹⁰.

طرح المغرب مقترح الحكم الذاتي، شكل هو الآخر حجرا حرك المياه الجارفة في العلاقات الإسبانية المغربية. فأمام ترحيب إسبانيا بهذا المقترح؛ وأمام الترحيب الدولي الذي لقيه. سيكلف الجارة الإيبيرية رفع فاتورتها الطاقية وسعر 9 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي التي تستوردها من الجزائر³¹¹.

حيث ستعود الجزائر إلى استعمال دبلوماسية الغاز؛ كآلية للضغط. فعلى خلفية الموقف الإسباني من مقترح الحكم الذاتي. وإبان زيارة الملك "خوان كارلوس" للجزائر؛ لمح وزير الطاقة الجزائري إلى إمكانية رفع أسعار الغاز لبعض الزبائن الأوروبيين³¹². وهو ما تم الإعلان عنه لاحقا للطرف الإسباني من خلال زيادة بنسبة 20%. مع العلم أن إسبانيا تستورد 30% من حاجياتها من هذه المادة من الجزائر³¹³.

وفي شتنبر 2007 ستقرر شركة سوناتراك الجزائرية فسخ عقدها مع شركة ريبسول الإسبانية حول تسويق الغاز الطبيعي. وهو العقد الذي تم توقيعه سنة 2004. وهي الآزمة التي سيتم تجاوزها لاحقا³¹⁴. والتي يدور ظاهرها حول الأسعار؛ وباطنها حول المواقف السياسية من قضية الصحراء.

وما سيميز المد والجزر في تطبيق إسبانيا للنسخة الثانية من سياسة التوازن، هو محدودية هامش المناورة الإسبانية في الفضاء المغربي. بحيث لا تستطيع إرضاء أي من

³¹⁰ - الحاكي عبد الإله: "إسبانيا وشهر العسل المغربي : ساطير يزور المغرب والملك خوان كارلوس يزور الجزائر" المغرب الدبلوماسي عدد 02 أبريل 2007 ص: 11.

³¹¹ - HOUDA FILALI ANSARI : «le statu quo bénéfique pour l'Algérie ? » la vie économique N° 4417 du 15-21 Juin 2007 p : 48.

³¹² - ELHOUDAÏGUI RACHID : « L'Algérie et le Sahara occidental : esquisse d'un jeu géopolitique à somme nulle » op.cit p : 121.

³¹³ - الحاكي عبد الإله مرجع سابق ص 11.

³¹⁴ - IRENE FERNANDEZ MOLINA Op. cit. P : 52.

الأطراف. فقد عرف نونبر 2007 إستدعاء السفير المغربي بمدير للتشاور على خلفية زيارة ملك إسبانيا لمدينتي سبتة ومليلية.

وهو ما سيعيد مشهد سبعينيات القرن الماضي، الذي تميز بصراع واحتكاك مغربي جزائري قوي. لا يقبل أنصاف المواقف من الأطراف الأخرى. الأمر الذي سيضع حكومة ثباتيرو تحت الضغط.

ومن أهم مؤشرات هذه الندية المغاربية المبالغ فيها، دخول المنطقة في سباق نحو التسلح.

فقد كان الرئيس الجزائري بوتفليقة قد وقع شراكة إستراتيجية مع موسكو في أبريل 2001، ستسمح بإعادة تجديد سلاح الجيش الجزائري³¹⁵.

لكن أمام إلهاب أسعار المحروقات سنة 2005، ووصول فائض الميزانية الجزائرية لأرقام قياسية³¹⁶ ستنتضم الجزائر لقائمة الدول العشر الأكثر شراءا للسلاح في العالم بتسجيلها المرتبة التاسعة عالميا³¹⁷ ففي سنة 2008 على سبيل المثال صرفت 5 مليار دولار للتسلح³¹⁸.

كما توجت الشراكة الإستراتيجية مع روسيا بإقتناء سبع مليارات دولار من الأسلحة؛ لتصبح أول زبون روسي في المجال العسكري متفوقة على الهند والصين³¹⁹. ناهيك عن

³¹⁵ - فقد وافقت موسكو على تزويد الجيش الجزائري بـ 70 طائرة حربية من نوع "ميغ 29" المتطورة في إطار صفقة بلغت 1.5 مليار دولار. انظر:

- الركاكي محمد: "المغرب في مواجهة الجزائر المريضة: لمن تتسلح الجزائر وتعيد هيكلة جيشها؟" الأيام عدد 217 في 05-11 فبراير 2006 ص: 11.

³¹⁶ - الاقتصاد الجزائري قائم على تصدير المحروقات بنسبة 97%. فالجزائر لديها خامس احتياطي عالمي من الغاز الطبيعي. وتحتل الرتبة 14 في احتياطات البترول. وهي ثالث مصدر عالمي للغاز الطبيعي وطفرة 2005 مكنتها من فائض ميزانية قدر بـ 34.30 مليار دولار سنة 2006، و 30.8 مليار دولار سنة 2007. وهو ما مكنها من أداء ديونها الخارجية البالغة سنة 2004: 21 مليار دولار.

للمزيد من التفاصيل أنظر:

BENKHATTAB ABDELHAMID : « la culture politique des dirigeants algériens : la tentation du leadership » in : « Maroc – Algérie : Analyses croisées d'un voisinage hostile » P : 41 à 64.

³¹⁷ - زهموط رشيد: "لمن تتسلح الجزائر؟" العلم عدد 21615 في 16 مارس 2010 ص 01.

³¹⁸ - EL HOUDAÏGUI RACHID : « l'Algérie et le Sahara occidental... » Op. cit. p : 121.

³¹⁹ - فخلال الفترة الممتدة من 2006 إلى 2008 حصلت الجزائر من روسيا على 300 دبابة من طراز "MBTS 90" و 84 طائرة سخوي وميغ. كما شملت الصفقة 8 صواريخ أرض جو من طراز تونغوسكي، وتجديد 250 دبابة جزائرية من طراز تي 27. إضافة إلى القيام بأعمال صيانة للسفن الحربية الجزائرية روسية الصنع. أنظر:

خشانة رشيد: "سباق التسلح المغاربي: لماذا وإلى أين؟" مجلة المساء، عدد خاص: "المغرب والجزائر: قصة عقدة عمرها نصف قرن" سنة 2006، ص: 43.

طموحاتها النووية بالإشتغال على مشروع مفاعل نووي بدعم من جنوب إفريقيا والأرجنتين والصين.

وستجر المغرب معها إلى هذا السباق المحموم نحو التسليح. فحسب مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بواشنطن، فقد عدل المغرب ميزانيته للإنفاق العسكري سنة 2009 من 26.8 إلى 34.70 مليار درهم. كما دخل في مشروع خماسي لتحديث قواته سيكلف ميزانية الدولة قرابة 64 مليار درهم.

ووافق الكونغرس الأمريكي على تسليمه 24 مقاتلة من طراز "أف 16" من الجيل الجديد سنة 2011. كما أشارت وزارة الدفاع الفرنسية إلى أن المغرب تصدر زبائنها في القارة السمراء خلال العشر سنوات الأخيرة بصفقات بلغت قيمتها الإجمالية قرابة 700 مليون أورو³²⁰.

وبالجملة فإن سباق التسليح هذا، والندية المغاربية التي أجبتها عودة سياسة التوازن الإسبانية. يعتبر كارثيا بالنسبة للجارة الشمالية ويهدد إستقرارها. وهو المشهد الذي سيستمر مع وصول حكومة ماريانو رخوي اليمينية سنة 2012. حيث المنطقة المغاربية على صفيح ساخن؛ وديدها أعلى درجات التوتر وشد الحبل.

فقد تزامنت رئاسة رخوي للحكومة مع التصعيد على مستوى ملف الصحراء. فقد وجه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رسالة إلى إجتماع أبوجا لمنظمة الوحدة الإفريقية في أكتوبر 2013 داعيا فيها إلى توسيع سلطات بعثة المينورسو الأممية في الصحراء لتشمل مراقبة حقوق الإنسان.³²¹ في تماش مع موقف الرئاسة الجزائرية الراض لمقترح الحكم الذاتي المغربي. بالقول أنه يخدم مشروع الاندماج مع المغرب ولا ينسجم مع عمل الأمم المتحدة في تصفية الاستعمار وتقرير المصير.

³²⁰ - "أسلحة فرنسية وأمريكية للمغرب" مجلة المساء، عدد خاص: "المغرب والجزائر: قصة عقدة عمرها نصف قرن" سنة 2006، ص: 43.

³²¹ - مزيان محمد: "المغرب والجزائر: الجوار الصعب" مرجع سابق ص 54.

وهو ما عده المغرب إفتعالا لأزمة سياسية جديدة بين الطرفين، ما دفعه لاستدعاء سفيره بالجزائر من أجل التشاور. إلا أن تظاهرات الدار البيضاء أمام القنصلية الجزائرية. والمنددة بتدخلات الرئيس الجزائري في ملف الوحدة الوطنية، وما تلاه من اقتحام لها من طرف المتظاهرين وتنكيس للعلم الجزائري³²². سيدفع هذه الأخيرة إلى تجميد علاقاتها السياسية مع المغرب.

وهو الوضع السياسي المغربي الذي سيثقل كاهل الحكومة الإسبانية منضافا إلى الأزمة الاقتصادية وإكراهاتها الداخلية. وحاجة "ماريانو رخوي" إلى الغريمين المغاربة للخروج منها، وتقادي تفاقمها من خلال إستعمال كل منهما لوسائل ضغطه التقليدية التي خبرتها العلاقات الإسبانية المغربية في مراحل سابقة.

وهو ما حقق الشروط الموضوعية المغربية والشروط الذاتية الإسبانية للإستمرار في إمساك العصا من الوسط في عودة قوية لسياسة التوازن.

³²² - إسماعيل روجي: "توتر جديد بين الرباط والجزائر بعد قرار الأخيرة تجميد علاقاتها مع المغرب" المساء عدد 2241 في 10 دجنبر 2013 ص 01.

الفصل الثاني:

الفضاء الأوربي والأطلسي كإطار لتفاعل علاقات البلدين

الفضاء الغربي في مستواه الأوربي والأطلسي يعتبر من الأبعاد المهمة التي تعمل على تكييف العلاقات المغربية - الإسبانية.

فإذا كان النقاش حول الدور العالمي للإتحاد الأوربي³²³؛ ومدى قدرته على معادلة الولايات المتحدة الأمريكية والوقوف في وجهها؛ موضوع خلاف . و أيضا توصيف الإتحاد "كقوة عظمى" وكيان موحد من شأنه قلب المعطيات الإستراتيجية في العلاقات الدولية،³²⁴ يعتبر معطى لا يحوز على الإجماع.

فإن حضور هذا الكيان على المستوى الجهوي؛ خاصة المغربي بما فيه العلاقات مع المغرب، يختلف. لأنه يدخل في المجال الديوي للإتحاد الأوربي ويؤثر مباشرة على أمنه وإستقراره.

هذا في حين تجد الولايات المتحدة لنفسها شرعية التدخل في المنطقة كأحد الفاعلين الدوليين الكبار في العلاقات الدولية.³²⁵ حيث نسجل حضورا مهما في المواضيع المشتركة المغربية الإسبانية، سواء مباشرة أو من خلال سياسات منظمة حلف الشمال الأطلسي.

وهو ما يدفعنا للتساؤل حول مدى عمق التأثير الأوربي على العلاقات المغربية الإسبانية؟ (المبحث الأول) ومدى تكييف الحضور الأطلسي لهذه العلاقات؟ سواء على مستوى السياسات الأمريكية في المنطقة؟ أو توجهات حلف الشمال الأطلسي؟ (المبحث الثاني).

³²³ - لنبقى منسجمين مع التسميات الرسمية المعتمدة، سنتحدث عن السوق الأوربية المشتركة في الأحداث التي سبقت نونبر 1993 وعن الاتحاد الأوربي فيما جاء بعد هذا التاريخ.

³²⁴ - Dictionnaire des relations internationales, Op, cit p/ 535.

³²⁵ - JEAN – CLAUDE ZARKA: « Relations internationales» collection : « Mise au point» éditions : ellipses, Paris, 2004, P : 44.

المبحث الأول:

السياق الأوربي وتفاعلات العلاقات المغربية – الإسبانية

في ثلاثينيات القرن الماضي قال المفكر الإسباني "أورتيجا إي غاسيت" في غمرة الصراعات الداخلية الإسبانية، أنه إذا كانت إسبانيا هي المشكلة فإن أوروبا هي الحل لذلك.³²⁶

وهو ما يدفعنا إلى تجريب صحة هذا التصور. هل يمكن أن تشكل أوروبا حلا للأزمات الدورية للعلاقات المغربية-الإسبانية؟ خاصة في ظل قول بعض الأكاديميين الإسبان بكون أوروبا عاملا مفسرا ومتغيرا مستقلا لفهم مستقبل والمصير التاريخي لإسبانيا.³²⁷ فقد كانت إسبانيا تعاني أكثر من الضغوط المغاربية بسبب عزلتها الجهوية؛³²⁸ وهو ما تغير بعد ولوجها السوق الأوروبية المشتركة.

فالأوربة la europeización مكنت إسبانيا من الاعتماد على وسائل جديدة في عملها الدولي، ومن المزيد من الديناميكية.³²⁹ خاصة على مستوى فلسفة الفعل الخارجي. فقد وقع تغير مهم في تصور إسبانيا للمنطقة المغاربية عموما.³³⁰ والعلاقات مع المغرب على وجه الخصوص، مستفيدة من الإطار متعدد الأبعاد. وهو ما دفع المغرب أيضا؛ إلى تكييف تصورات السياسية والإقتصادية من إسبانيا،³³¹ تماشيا مع موقفها التفاوضي الجديد.

³²⁶ - AFAYA NOUREDIN et GUERAOU DRISS : « l'image de l'Espagne au Maroc », Op cit p :146.

³²⁷ - ANTONIO MORENO JUSTE : « Del problema de España » a « la España Europeizada » : excepcionalidad y normalización en la posición de España en Europa » in : JUAN CARLOS PEREIRA : « la política exterior de España (1800-2003) » Op cit p : 296.

³²⁸ - ميغل هيرناندو دي لاراميندي: " السياسة الخارجية للمغرب " مرجع سابق، ص 342.

³²⁹ - JUAN CARLOS JIMENES REDONDO : « DE SUAREZ a RODRIGUEZ ZAPATERO; la política exterior de la España democrática » Op cit p : 124.

³³⁰ - ALEJANDRO DEL VALLE GÁLVEZ : « España – Marruecos : nuevos y viejos paradigmas de una relacion en un mundo en mutacion » Op. cit p : 29

³³¹ - EL HOUDAÏGUI RACHID : « la crise de la pêche Maroc européenne (1994-1995) : un nouvel enjeu de sécurité au sud de Gibraltar » revue : Paix et sécurité internationales, N° 01 juin 2003, p : 111.

و هي المتغيرات على مستوى المشهد الأوربي، التي سنرصدّها من خلال تأثير السياسات الأوربية على الملفات الثنائية للعلاقات المغربية الإسبانية (المطلب الأول) ثم انعكاسات فاعلية إسبانيا في الفضاء الأوربي. وبلورة سياساته الجماعية على علاقات البلدين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تأثير السياسات الأوربية على علاقات البلدين:

لا شك أن انضمام إسبانيا للسوق الأوربية المشتركة سنة 1986. لم يكن بالحدث الهين. بالنظر إلى تأثيراته السياسية والاقتصادية المنتظرة على المغرب ودول الجوار. وبالنظر إلى الندية والإشكالات العالقة في المسار المغربي الإسباني. وهو ما يدفعنا إلى محاولة مقارنة هذه التأثيرات الأوربية؛ سياسيا من خلال ملف النزاعات الترابية العالقة بين الطرفين. نظرا لأهميتها وحساسيتها الجيو استراتيجية (الفقرة الأولى) واقتصاديا من خلال ملف الصيد البحري؛ الذي يعتبر معبرا عن حضور فلسفة المفاوضات متعددة الأطراف و مدى نجاحتها في ملف عرف على المستوى الثنائي بمذسوبه الصدامي الكبير، كما أسلفنا في القسم الأول (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: على المستوى السياسي: النزاعات الترابية نموذجا

فالعلاقات المغربية الإسبانية مازال يحكمها الإرث التاريخي ومخلفات مراحل سابقة، لعل أهم تجسيد لها استمرار التواجد الإسباني في مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وهو ما جعل هذه العلاقات تجر خلفها نزاعا ترابيا عمر لقرون. فما هي طبيعة تعاطي الإتحاد الأوربي مع الوضع الإستثنائي لمدينتي سبتة ومليلية ؟ (أولا) وكيف عالج الإتحاد أزمة جزيرة تورة / ليلي ؟ التي كادت أن تعصف بالعلاقات الثنائية للبلدين. وأن تتحول إلى نزاع مسلح بين الطرفين. فيما أعتبر تحد أيضا للمؤسسات الأوربية في حلها للمنازعات التي تنشأ بين الدول الأعضاء ودول الجوار (ثانيا).

أولاً: تعاطي الاتحاد الأوروبي مع الوضع الاستثنائي لمدينتي سبتة ومليلية

لقد بدأ مسار مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها مع السوق الأوروبية المشتركة بشكل ملتبس وغير واضح منذ الوهلة الأولى. وهو ما أثر على التعاطي الأوروبي مع هذه القضية فيما بعد.

وقد كان من أسباب هذا اللبس و عدم الوضوح في الممارسة الأوروبية. عدم إثارة إسبانيا لقضية هذه الثغور بالشكل اللازم والحدة الإسبانية المعهودة في هذا المضمار، حتى لا تعرقل سير مفاوضات إنضمامها للمجموعة الأوروبية وسرعة ذلك.³³²

كما كان من أسباب ذلك؛ عدم الإجماع الأوروبي على إسبانية المدينتين. ففي 15 يناير 1985 كان البرلمان الأوروبي يستعد لإصدار قانون يعتبر فيه مدينتي سبتة ومليلية مستعمرتين، لكن في اليوم الموالي تم حذف كلمة "مستعمرتان" من نص البرلمان الأوروبي.³³³

وما زاد في إضفاء هذا اللبس، رفض الاتحاد الأوروبي لكرة القدم في أبريل 1987، إجراء مقابلة بين إسبانيا وألمانيا الاتحادية بمدينة مليلية باعتبارها مدينة غير واقعة في التراب الأوروبي.³³⁴

ومن جهة أخرى؛ ظل المغرب يذكر دائماً بمطالبه الترابية في المدينتين، وينعش التفكير في الوضع الاستثنائي لها. وهو ما يجد أذانا صاغية له لدى أصدقائه في السوق الأوروبية.

فبمناسبة إنضمام إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة؛ أبلغت بعثة المغرب لديها في أبريل 1988 الأمانة العامة للجنة الأوروبية عبر مذكرة بوضع سبتة ومليلية كمستعمرات. وأثناء توقيع المغرب على " إتفاق التعاون " الذي يربطه بالمجموعة الأوروبية. بعث بمذكرة

332 - المعزوزي محمد: "سبتة ومليلية... حتى لا ننسى" مرجع سابق ص 239

333 - بوغالب العطار: "سبتة ومليلية: مغاربة تحت الاحتلال" مرجع سابق ص 441

334 - نفس المرجع، ص 447.

مشابهة في 28 ماي 1988. على أن ذلك لا يمكن أن يؤول بأنه إقرار بوضع الإحتلال في المدينتين.³³⁵

وبمناسبة إتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي سنة 1995 واللقاءات التي رافقته. ذكر المغرب بمذكرة تحفظاته على وضع المدينتين بتاريخ 26 فبراير 1996. وكان جواب اللجنة يحمل توقيع نائب رئيس اللجنة الأوروبية "مانويل مارين"، يؤكد فيه خصوصية نظام كل من جبل طارق ومدينتي سبتة ومليلية. وهو نفس الجواب الذي تلقاه المغرب على إثر مذكرته التذكيرية في 03 يونيو 1985، من رئيس المجموعة الأوروبية آنذاك "كلود شيسن".³³⁶

فالوضع الخاص للمدينتين أوربيا؛ يتجسد في عدم إنتمائهما إلى الإتحاد الجمركي الأوروبي. وإقصائهما من السياسة الفلاحية المشتركة والنظام الجبائي الأوروبي.³³⁷ وهو ما يسجل البداية المحتشمة والمرتبكة لقبول المدينتين في الفضاء الأوروبي.

فقد بقيت سبتة ومليلية خارج الإتحاد الجمركي الأوروبي، وهو ما يقي على وضعها كموانئ للتجارة الحرة. فالمنتجات القادمة من المدينتين يتعامل معها كمنتجات قادمة من دولة ثالثة. وليس من دولة عضو بالمجموعة الأوروبية،³³⁸ بحيث لا تطبق عليها الإجراءات الداخلية للمنظومة الأوروبية المتعلقة بالصادرات والواردات.

وأمام إنحصار مستقبل إقتصاد المدينتين القائم على التهريب. وتوجه العلاقات الاقتصادية المغربية الأوروبية نحو خلق منطقة تبادل حر. سعت إسبانيا إلى ضم المدينتين للإتحاد الجمركي الأوروبي والإقرار بها كنقط حدودية.

فقد تقدمت سنة 2008 بطلب رسمي لضم معبر باب سبتة للإتحاد الجمركي الأوروبي وهو ما سيعتبر خطوة كبرى في سياق الإقرار الأوروبي بالسيادة الإسبانية على

³³⁵ - محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبات المغربية بسبتة ومليلية" دفاثر سياسية، عدد 107، دجنبر 2009 ص 11.

³³⁶ - نفس المرجع، ص 11.

³³⁷ - YVES ZURLO: "ceuta et melilla: histoire représentations et devenir de deux enclaves espagnoles" op cit 89

³³⁸ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..." مرجع سابق، ص 04.

المدينة، وفرصة لتغيير نموذجها الإقتصادي القائم على التهريب.³³⁹ وهو ما لم يتم نظرا لغياب الإجماع الأوروبي حول ذلك.

وسيرا على نفس النهج، تم إقصاء المدينتين من السياسة الفلاحية المشتركة للفضاء الأوروبي. وهو ما سيعاني منه الإنتاج الفلاحي المحتمل في المدينتين، والنشاطات التحويلية في مجال الصناعات الفلاحية والغذائية.³⁴⁰ وهو إقصاء وإجراءات تبقى محدودة المفعول بالنظر إلى النشاط الفلاحي شبه المنعدم في المدينتين.³⁴¹

كما أن المدينتين، تعذران أيضا خارج النظام الضريبي الأوروبي. نظرا للإستثناء المسطر بخصوص الضريبة على القيمة المضافة. وهو ما مكنها من نظام ضريبي مستقل، بحيث أن الواردات الأوروبية بما فيها الإسبانية الآتية من المدينتين تخضع لرسم القيمة المضافة بالنسبة المطبقة فوق التراب الأوروبي، حسب المواد المختلفة. في حين أن الصادرات الأوروبية في إتجاهها بما فيها الصادرات الإسبانية تعتبر معفية من هذا الرسم.³⁴²

لكن الحدث الأبرز أوربيا الذي ساهم في إسبانية المدينتين والتقدم بها في منطق التفكير الأوروبي، والذي شكل ضربة قوية للمطالبات المغربية بالثغرين. تمثل في إنضمام إسبانيا للتعاقية "شنغن" التي دخلت حيز النفاذ سنة 1995. حيث أصبحت إسبانيا مسؤولة عن الحدود البحرية الجنوبية لأوربا، وعن الحدود البرية مع المغرب التي تمثلها سبتة ومليلية واقعيا.³⁴³

³³⁹ - وهي جمال: "إسبانيا تعترف بفشلها في إقناع أوربا بإدراج معبر "باب سبتة" ضمن اتحادها الجمركي" المساء عدد 2621 في 04 مارس 2015 ص: 04.

³⁴⁰ - الحامدي فتيحة: جيو استراتيكية سبتة و مليلية" مرجع سابق ص 263

³⁴¹ - YVES ZURLO, Op cit :89

³⁴² - الحامدي فتيحة، مرجع سابق ص 262

³⁴³ - IRENE DURAN PARRA : "las empresas españolas, actores de la política exterior en marruecos" . Op cit, 209

فقد تم تزيين مداخل المدينتين بلافتات تعرفها كمدن أوروبية.³⁴⁴ وكان القوانين يمكنها أن تقفز على الجغرافيا وتتحداهما بإغفال ورفض كون سبتة ومليلية تقع في القارة الإفريقية.³⁴⁵

وقد تضمنت اتفاقية "شغن" إستثناءات شملت سبتة ومليلية، حتى لا يتم عزلها عن محيطها الجغرافي. من خلال السماح لسكان المناطق المجاورة لها بالدخول من دون تأشيرة لمدة أربعة وعشرين ساعة.³⁴⁶

وقد نددت المعارضة السياسية المغربية حينها، بإنخراط الاتحاد الأوروبي في مسلسل أسبنة المدينتين من خلال هذه الإجراءات.³⁴⁷ كما إستفادت إسبانيا معنويا من تشدد السياسات الأوروبية، نحو الهجرة. وتحول المدينتين إلى قاعدة لحراسة تدفق المهاجرين. من خلال تجهيزات المراقبة المتطورة الممولة أوروبيا. خاصة أمام تحول المغرب إلى بلد عبور للمهاجرين الأفارقة. وظهور ظاهرة القفز على الجدار العازل بملييلية من طرف المهاجرين السريين لدول جنوب الصحراء التي سبق وأن أشرنا لتفاصيلها. وهو ما ساهم واقعا في الإنخراط الأوروبي في الإعراف بإسبانية المدينتين.

بيد أن ما تقدم، لا يحجب عنا العامل المهم في هذا السياق. والذي أطر نظرة الأوربيين للمدينتين. وساهم في تعزيز أسبنتهما والمتمثل في جعل السياسة الجهوية الأوروبية محور التنمية الإقتصادية والإجتماعية للمدينتين. بإعتبارهما مناطق هامشية تعاني من بطء النمو الإقتصادي وهشاشة البنية التحتية. وهو ما سيفتح في وجهها برامج " الصندوق الأوروبي للتنمية الجهوية " FEDER و"الصندوق الاجتماعي الأوروبي" FSE و"الصندوق الأوروبي للتوجيه والضمان الفلاحي" FEOGA.³⁴⁸ وهو ما ستستفيد منه على الخصوص البنيات التحتية، مما سيحدث فارقا بينها وبين مناطق الجوار في شمال المملكة.

³⁴⁴ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI: "perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique", Op cit, p : 153

³⁴⁵ - YVES ZURLO, Op cit, P :147.

³⁴⁶ - دريوش نبيل: الجوار الحذر: "العلاقات المغربية الإسبانية..." مرجع سابق ص : 179

³⁴⁷ - YVES ZURLO, Op cit, P:122.

³⁴⁸ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..." ص 185.

ففي الفترة الممتدة من سنة 1989 إلى 1993 إستقبلت مدينة سبتة من مجموع الصناديق الأوربية المشار إليها أعلاه 40, 50 مليون أورو. في حين حصلت مليلية في نفس الفترة على 72, 10 مليون أورو.³⁴⁹

وفي الفترة الممتدة من سنة 1994 إلى 1999 إستقبلت مدينة سبتة 26, 50 مليون أورو، ومدينة مليلية كانت حصتها 43, 33 مليون أورو.³⁵⁰ وقد اعتبرت أكبر نسب المساعدة على البنية التحتية التي وزعها الاتحاد الأوربي على المناطق الهامشية. في حين ستعرف الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى 2006 أهم نسب المساهمة الأوربية بملايين الأوروهاات: ³⁵¹

الصندوق البنوي	سبتة	مليلية
الصندوق الأوربي للتنمية الجهوية	61, 50	48, 20
الصندوق الاجتماعي الأوربي	15, 60	10, 20
المجموع	77, 10	58, 40

كما تم رصد مساهمة هذه الصناديق في الإعداد للإحتفالات بمناسبة الذكرى الخمسمائة لإحتلال مليلية في 17 شتنبر 1997. للترويج لها كوجهة للإستقرار.³⁵² وهو ما يلقي بظلاله القاتمة على الموقف الأوربي من الإحتلال الإسباني لهذه الثغور. خاصة إذا علمنا أن للمدينتين حضورا في البرلمان الأوربي من خلال عضو عن كل مدينة.³⁵³

³⁴⁹ - YVES ZURLO, Op cit P.90.

³⁵⁰ - YVES ZURLO, Op cit, P : 91.

³⁵¹ - Ibid , p : 92.

وموقع الانترنت لوزارة المالية الإسبانية www.princast.es/hacienda/mca/marco تاريخ الزيارة في دجنبر 2016.

³⁵² - التقرير الاستراتيجي للمغرب 1997/1998، مجلة أبحاث؛ عدد 47/46، ص 29.

³⁵³ - حسين مجدوبي : "ما وراء جبل طارق: الانتقال الديمقراطي – العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق، ص 178.

كما أن الاتحاد العسكري الغربي الذي يجمع عددا من الدول الأوروبية تستغله إسبانيا لمحاولة دمج المدينتين في مخططات التدخل السريع لقوات "يورو فور" و"أورو مرفور" وهي قوات لمواجهة الطوارئ في البحر الأبيض المتوسط.³⁵⁴ تحاول إسبانيا من خلالها إرسال إشارات سياسية لبقية الأطراف الأوروبية لأهمية وضرورة التعبير عن أوروبية المدينتين.

ومع كل هذه الخطوات والتقدم الإسباني على درب الاعتراف الأوروبي بسيادتها على هذه المناطق. فإن هناك أحداثا تعيد العداد إلى الصفر، ومنها الأزمة المغربية - الإسبانية على خلفية زيارة الملك خوان كارلوس لمدينتي سبتة ومليلية سنة 2007. حيث اعتبر الإتحاد الأوروبي أنها قضية تدخل في إطار العلاقات الثنائية للبلدين.³⁵⁵

على عكس المواقف المعبر عنها إبان أزمة جزيرة تورة / ليلي، فما هي هذه المواقف؟ وما هو تأثيرها على العلاقات المغربية الإسبانية ؟

ثانيا: أزمة جزيرة تورة / ليلي والموقف الأوروبي

اعتبرت أزمة جزيرة تورة / ليلي من اللحظات الأكثر خطورة وحساسية في العلاقات المغربية الإسبانية، كما أسلفنا. نظرا للجوء إسبانيا إلى استعمال القوة. و احتمال قيام حرب شاملة بين الطرفين على خلفية هذا النزاع الترابي الذي تفجر في 11 يوليوز 2002 . وقد اعتبرت الأزمة إختبارا حقيقيا للإتحاد الأوروبي، وقدرته على التعامل مع الأزمات الحادة التي يمكن أن تجمع أحد الأعضاء بطرف آخر. أو إحدى دول الجوار كما هو عليه الحال مع المغرب.

وقد اعتبر هذا الإختبار فشلا ذريعا للإتحاد الأوروبي في أن يبقى منسجما مع مبادئه. وفي أن يطور آليات لفض النزاعات من هذا القبيل والعمل على احتوائها.

³⁵⁴ - حسين مجدوبي : "ما وراء جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية" مرجع سابق ، ص 180.

³⁵⁵ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..." ص 98

ففي اليوم الموالي لاندلاع الأزمة، صرح رئيس اللجنة الأوروبية رومانو برودي عن قلقه. ومن أن أي لجوء للقوة من طرف المغرب سيعرض علاقاته مع الإتحاد للخطر.³⁵⁶ كما سارعت الرئاسة الدنماركية للاتحاد، الى دعم إسبانيا اللا محدود في موقفها، والتنديد بالتدخل المغربي،³⁵⁷ وذلك من خلال بيان من فقرة واحدة يعكس تشددا واضحا في الموقف.³⁵⁸

وفي يوم 14 يوليو؛ صدر بيان عن رئيس اللجنة الأوروبية رومانو برودي يؤكد فيه أن جزيرة تورة:

"أرض تابعة للاتحاد الأوروبي، ونأمل أن ينتهي الإحتلال في أقرب وقت ممكن"³⁵⁹ وهو ما شكل انديازا كبيرا للأطروحات الإسبانية والذي سيفرز جسارة القوات الإسبانية على اجتياح الجزيرة يوم 17 يوليو.

الأمر الذي دفع المغرب قبل ذلك في شخص وزير خارجيته محمد بنعيسى للتأسف على ردة فعل الاتحاد الأوروبي الذي لم يطلب توضيحات من المغرب،³⁶⁰ لتكتمل لديه الرؤية. كما لم يتخذ مسافة من القضية ليلعب دور الوساطة بين الطرفين.

وقد ظهرت من داخل الفضاء الأوروبي مواقف معتدلة، دعت إلى الحوار و عدم التصعيد. شكل الموقف الفرنسي أهمها، حيث أن التحفظات التي أبدتها على الموقف الأوروبي حالت دون اعتماد بيان يدعم الموقف الإسباني من قبل اللجنة السياسية والأمنية التي تضم سفراء الدول الأعضاء المكلفين بمسائل الدفاع.³⁶¹

³⁵⁶ - ALEJANDRO MOÑOZ ALONSO, Op cit p : 422.

³⁵⁷ - LEON KLEIN : « Marruecos el enemigo del sur : el conflicto inevitable », Op cit, p :20.

³⁵⁸ - السماردينية: "إدارة الأزمات في العلاقات المغربية، الإسبانية: أزمة جزيرة تورة/ ليلي كنموذج"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والإقتصادية والإجتماعية، الرباط، أكدال السنة الجامعية: 2006/2005، ص 101.

³⁵⁹ - نفس المرجع، ص 68.

³⁶⁰ - Chronologie des relations politiques Maroc – espagnoles (1999-2002), revue paix et sécurité internationales N° 01 juin 2003, P : 154.

³⁶¹ - السماردينية، مرجع سابق، ص 102.

والموقف البرتغالي الذي لم ينخرط في الدعم الإسباني المطلق. حيث دعت في بيان لخارجيتها إلى حل الأزمة من خلال الوسائل السلمية والحوار بين الطرفين.³⁶²

وهي المواقف التي أثرت على توجه الاتحاد الأوروبي. ودفعته إلى مراجعة موقفه الأول المساند لإسبانيا، حيث أعلن الناطق الرسمي باسم اللجنة الأوروبية "جوناتان فول" يوم 19 يوليو أن الاتحاد لم يتخذ موقفا من الوضع القانوني للجزيرة. وأن الأمر يتعلق بتفهم لموقف دولة عضو في وضعية صعبة. كما عدلت اللجنة الأوروبية موقفها بالدعوة إلى الحوار الإسباني المغربي.³⁶³ وهو ما حذى برئيسها "رومانوبرودي" إلى القول بأن أزمة الجزيرة تدخل في سياق العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية.³⁶⁴

وعلى هدى مما سبق؛ يظهر إرتباك وتخطب الموقف الأوروبي. مما سيفقده المصداقية، وسيفتح الباب على مصراعيه أمام التدخل الأمريكي ووساطة وزير الخارجية كولن باول.

حيث أن تسارع الأحداث وتطورها؛ كشف عن جمود وعدم مواكبة أوروبية.³⁶⁵ وكما أشار "تيري دي مون برييار" مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، فإن أزمة جزيرة تورة شكلت مثالا قويا على انعدام وغياب السياسة الخارجية للأمن المشترك للاتحاد حتى بالنسبة للمواضيع الأوروبية.³⁶⁶

وفي نفس المضمار كشفت عن غياب آلية وميكانيزم لفض المنازعات من هذا الحجم من داخل منطق الشراكة الأوروبية المتوسطية.³⁶⁷ وهو ما جعل الضعف الأوروبي على مستوى

³⁶² - AMMOR FOUAD : "le partenariat euro – méditerranéen à l'heure de l'élargissement perceptions du sud" imprimerie de fédala, Mohammadia ; 2004 p :74

³⁶³ - chronologie des relations politiques maroco – espagnole (1992 – 2002), Op cit, p : 156

³⁶⁴ - IGNACIO CEMBRERO : "vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit p :55

³⁶⁵ - CARLA FÍBLA GARCÍA SALA : "España – Marruecos desde la orilla sur :la relación hispano – marroqui: opiniones e ideas" Op cit p:44

³⁶⁶ - MAXIMO CAJAL: "ceuta melilla, olivenza y gibraltar : dónde acaba españa? Op cit, p: 232

³⁶⁷ - MARTIN JERCH: "de Barcelona a Barcelona plus: pasado presente y futuro del proceso de Barcelona" in ANA F.ARDVIN Y MONICA GODED SALTO (Coords): "Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona", Op cit, p:52

السياسة الخارجية تحت الأضواء.³⁶⁸ في سياق ناتج عن صعوبة الوصول إلى توافقات بين الأعضاء وهو ما شكل عجزا بنيويا للإتحاد.

ومن الخلاصات التي خرج بها الطرف الإسباني في هذه الأزمة، صعوبة الإعتداد على شركائه الأوروبيين في الأزمة مع المغرب. وهشاشة البنية الأوروبية في حماية المصالح الإسبانية في هذا الجانب.

كما أماطت هذه الأزمة اللثام عن محدودية الدور الأوربي في التخفيف من حدة ووطأة الملفات الحارقة في العلاقات الثنائية للبلدين.

فهل سيكون الوضع مختلفا على مستوى التأثير الأوربي في العلاقات الإقتصادية للبلدين؟

الفقرة الثانية: على المستوى الإقتصادي: الصيد البحري نموذجا

لقد شكل ملف الصيد البحري في العلاقات الثنائية المغربية – الإسبانية، موضوعا ذو أهمية خاصة. عرف تداخل العوامل الإقتصادية، بالسياسة والتاريخية والثقافية كما أسلفنا. فهو يشكل "سيف ديموقليدس" المسلط على علاقات البلدين³⁶⁹، و تيرمومتر لقياس درجة حرارتها.

ومع انضمام إسبانيا للسوق الأوروبية المشتركة، سينص البند 167 من اتفاقية العضوية، أن مجال الصيد البحري من اختصاص المجموعة الأوروبية. وأن انضمام اسبانيا إليها يعطيها الإختصاص في الإتفاقات المبرمة سلفا، ومنها اتفاق 1983. الأمر الذي فسر وجود مراقبين أوروبيين في اللجان المشتركة المغربية الإسبانية الخاصة بتنفيذ الإتفاق. وهو ما استمر إلى غاية 31 دجنبر 1987 تاريخ انتهاء الإتفاق³⁷⁰.

³⁶⁸ - LABATUT BERNARD: "quelle méditerranée pour quelle Europe? Revue paix et sécurité internationales N° 01 juin 2003 P : 29.

³⁶⁹ - العبارة لوكيل وزارة الخارجية الإسبانية سابقا "أرياس إني سينسيو" أنظر:

FELIPE SAHAGUN : « España frente al sur » Op. cit p : 250.

³⁷⁰ - RAFAEL CARCÍA PEREZ : « EL sector pesquero gallego como actor de la política exterior de españa hacia Marruecos » ,Op. cit p: 239.

الأمر الذي سيفتح آفاقا جديدة من العلاقات الأوروبية المغربية في مجال الصيد البحري لن تخل من تأثير على العلاقات المغربية الإسبانية. وهو ما سنرصده من خلال تتبع الجيل الأول من الإتفاقات وواقع التعاون في مجال الصيد (أولا) ثم فترة الأزمة بعد محاولة المرور إلى أجيال جديدة من الاتفاقات. والمخاض العسير لذلك (ثانيا).

أولا: الجيل الأول من الإتفاقات وواقع التعاون في هذا المجال

فقد عرفت العلاقات المغربية الأوروبية مجموعة من الإتفاقات تندرج ضمن هذا الصنف والجيل. تميز كل منها بخصائص وظروف المرحلة التي أبرم فيها.

أ- إتفاق الصيد في : 25 فبراير 1988

قبل انتهاء الإتفاق الثنائي المغربي الإسباني لسنة 1983 بشهرين، أعلن المغرب عن راحة بيولوجية غير متوقعة. دفعت بقرابة 700 قارب إسباني كانت تنشط في المياه المغربية إلى العطالة.

وهي الوضعية التي سيتم تجاوزها بالتوصل لإتفاق بين السوق الأوروبية المشتركة والمغرب في 25 فبراير 1988. والذي سيدخل حيز التنفيذ منذ فاتح مارس 1988³⁷¹. فقد اعتبر في حينه إتفاقا من الجيل الجديد، لم تبرم المجموعة الأوروبية مثيلا له. حيث ربط بين مبادلة "حقوق الصيد" مقابل التعويض المادي. فضلا عن التنازل على مستوى الصادرات الفلاحية³⁷². وهو ما اعتبر منعطفا في العلاقات الإقتصادية للطرفين³⁷³.

فقد كانت مدة صلاحية الإتفاق أربع سنوات. ونص على إطلاق مفاوضات تجديده من قبل اللجنة المختلطة المشرفة على حسن سيره بستة أشهر قبل انقضائه. كما جاء بتعويض مادي للمغرب بقيمة 342 مليون إيكوس بارتفاع 62% عن آخر إتفاق إسباني. وسمح لعدد سفن بلغ 780 للإستفادة من الإتفاق، موزعة على حسب نوع الأسماك التي تصطاد.

³⁷¹- TARIK ATMANE : « España y Marruecos frente al derecho del mar » Op. cit p : 163

³⁷²- MOHAMED BEN ELHASSAN ALAOU : « la coopération entre l'union européenne et les pays du Maghreb » Op. cit p : 69.

³⁷³- RAMÓN ARMENGOD LÓPEZ : « España, Mediterráneo y mundo Árabe , Op. Cit, p : 375.

وقد أقر حقوق صيد تعتبر الأهم في تاريخ المجموعة الأوروبية حينها، بلغت 97400 طن مقابل 81900 في آخر إتفاق إسباني مغربي في المجال³⁷⁴.

ويبقى جديد الإتفاق هو تقديم تسهيلات للصادرات المغربية الفلاحية خاصة الطماطم والحوامض لولوج السوق الأوروبية. كما نص الملحق الثاني من الاتفاق على ولوج 17500 طن من صناعة مصبرات السردين الأسواق الأوروبية دون رسوم جمركية.

وسياسيا، تجاوز الإتفاق التمييز بين مناطق الصيد على أساس تقسيم شمال واد نون وجنوب واد نون. بل اكتفى بالحديث عن خط العرض. والمياه الواقعة تحت السيادة المغربية والسلطة القضائية المغربية. دون إثارة قضية النزاع الترابي للصحراء³⁷⁵.

كما اعترف الإتفاق للمغرب بالمنطقة الاقتصادية الخاصة في 200 ميل بحري³⁷⁶.

وعمل المغرب على استثناء السفن المرقمة في سبئة ومليلية من الإستفادة من الإتفاق ضمن الأسطول الأوروبي. وهو ما اعتبر ثمنا سياسيا على الطرف الإسباني دفعه للصيد في المياه الإقليمية المغربية. وشكل عاملا معززا للمطالب المغربية بالثغرين³⁷⁷.

وبالجملة، فقد شكل الإتفاق نسخة من الإتفاقات الإسبانية السابقة في مجال المراقبة التقنية والتكوين المهني ومراقبة المصايد والبحارة المغاربة الذين يرافقون المراكب.

ب- إتفاق 15 ماي 1992

وهو الإتفاق الذي جاءت المفاوضات التي تمخض عنها في سياق الأزمة السياسية بين المغرب والمجموعة الأوروبية على خلفية تصويت البرلمان الأوروبي في يناير 1992 ضد البروتوكول المالي الموجه للمملكة³⁷⁸.

وهو ما جعل المغرب يبدي تشددا أكبر في مواقفه الخاصة بالاتفاق. هذا الأخير الذي كان في إبرامه في 15 ماي 1992 مؤشرا على انفراج الوضع في علاقات الطرفين.

³⁷⁴- TARIK ATMANE, Op. cit p : 166.

³⁷⁵- MOHAMED BEN ELHASSAN ALAOUI, Op. cit, p : 71.

³⁷⁶- MIGUEL H. DELARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique », Op. cit., p : 154.

³⁷⁷- TARIK ATMANE, Op. cit, p : 177.

³⁷⁸- EL HOUDAÏGUI RACHID : « La crise de la pêche maroco-européenne (1994 – 1995) : un nouveau enjeu de sécurité au sud de Gibraltar », Op. cit. p : 120.

فقد بدأ سريان مفعوله بأثر رجعي منذ فاتح ماي. وقد منح للطرف الأوروبي إمكانيات جد مهمة. حيث بلغ عدد سفن الأسطول الأوروبي 736 قاربا بلغت حصة إسبانيا منها 650 قاربا. وهو ما اعتبرته إسبانيا نجاحا مهما.

ومن الجانب المغربي، تم الحصول على تعويض إجمالي قدر بـ 40.408 مليون إيكوس³⁷⁹. وهو ما اعتبر مبلغا مهما مقارنة بتعويضات الاتفاقات السابقة³⁸⁰.

كما اشتمل الاتفاق على تسهيلات لولوج السلع المغربية للأسواق الأوروبية. خاصة الصناعة الغذائية المرتبطة بالبحر. زد على ذلك إجراءات حمائية لتفادي إنهاك الثروة السمكية المغربية. حيث تم تخفيض نسب صيد العديد من الأصناف، وإقرار التوقف البيولوجي لمدة شهرين سنويا³⁸¹.

وإقرار إجراءات لمحاربة الصيد العشوائي، رغم صعوبات تطبيق هذه الآليات في مواجهة الصيادين الإسبان³⁸². كما تم النص على تكوين الطواقم المغربية، ودراسة التقنيات الجديدة في المجال. والتركيز على إنشاء الشركات المختلطة، ورفع عدد البحارة المغاربة على ظهر السفن المعنية بالاتفاق من بحار واحد بالنسبة للسفن التي تبلغ حمولتها 80 طن إلى خمس بحارة للتي تتجاوز حمولتها 150 طن³⁸³.

واستنادا إلى البند 15 الفقرة الثانية من الاتفاق، عمل المغرب على تخفيض مدة صلاحيته إلى ثلاث سنوات ليبلغ نهايته مع متم 30 أبريل 1995³⁸⁴.

وقد كان عذر المغرب في ذلك، الإستغلال المفرط للمصايد وتضرر مخزونه السمكي.

ج- اتفاق 13 نونبر 1995

يعتبر ثالث اتفاق يجمع بين المغرب والاتحاد الأوروبي. وقد عرف مفاوضات شاقة وعسيرة دامت أزيد من ثمانية أشهر. حيث تمثلت الإستراتيجية المغربية للتفاوض في

³⁷⁹-TARIK ATMANE, Op. cit, p : 168

³⁸⁰ MOHAMED BEN ELHASSAN ALAOUI, Op. cit, p : 75.

³⁸¹- ANTONIO MARQUINA y CARLOS ECHEVERRIA : « La politique de l'Espagne au Maghreb » Op. cit, p : 48.

³⁸²- MOHAMED BEN ELHASSAN ALAOUI, Op. cit, p : 70.

³⁸³- TARIK ATMANE, Op. cit, p : 168.

³⁸⁴- Ibid.

استعمال ورقة الصيد البحري للحصول على علاقات شمولية ومتوازنة مع الطرف الأوروبي³⁸⁵.

واعتبر هذا الربط بين اتفاق الشراكة الذي كان في طور التبلور واتفاق الصيد البحري مؤشرا آخر على الطابع السياسي لملف الصيد. بحيث لا يمكن دراسته بمعزل عن التداخل مع العوامل الأخرى³⁸⁶.

وقد شكلت صعوبة المفاوضات عامل توتر جديد في العلاقات المغربية – الإسبانية، حيث بدأت الآلة الإعلامية الإسبانية في تسويق صورة المورو سئية الذكر في المتخيل الإسباني. وتسليط الضوء على خصلة المورو الجشع³⁸⁷. وهو ما نتج عنه محاصرة الأسلع والبضائع الفلاحية المغربية من طرف الصيادين الإسبان في الموانئ الأندلسية. وغيرها من السلوكات التي تذكر بسياق الأزمات الثنائية المغربية – الإسبانية.

لنصل إلى اتفاق 13 نونبر 1995، الذي أشار في بنده 15 أن مدته أربع سنوات تبتدئ من فاتح دجنبر 1995. كما أن الملاحظة الأولى التي تسترعي الاهتمام، عدم إشارة الإتفاق إلى إمكانية تجديده أو إطلاق مفاوضات لإتفاقات مقبلة. كما كان ديدن الإتفاقات السابقة. وهو ما يشير إلى بداية دخول علاقات الصيد البحري مرحلة جديدة ليست كسابقاتها.

إضافة إلى أن التوقيع على اتفاق الصيد تم في بروكسيل في 26 فبراير 1996. وهو نفس يوم التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق الشراكة المغربية الأوروبية، الذي فتح الباب أمام مرحلة جديدة من العلاقات الأوروبية – المغربية تمتد إلى ما هو اقتصادي وسياسي وثقافي كما سيأتي لاحقا. وهو ربط بين الإتفاقات لا يخلو من دلالات على دخول مرحلة جديدة وتبلور فلسفة في مجال الصيد البحري ستشكل قطيعة مع ما قبلها.

³⁸⁵ - EL HOUDAÏGUI RACHID : « La crise de la pêche maroco-européenne (1994 – 1995) : un nouveau enjeu de sécurité au sud de Gibraltar », Op. cit. p : 122.

³⁸⁶ - TARIK ATMANE, Op. cit p : 171.

³⁸⁷ - BERNABÉ LÓPEZ CARCÍA : « Marruecos y España : Una historia contra toda lógica. Op. cit. P :317.

فقد سمح الإتفاق لقراية 500 سفينة من الصيد في المياه الإقليمية المغربية. 90% منها إسبانية تنتمي للأسطول الكناري والأندلسي والغاليسي³⁸⁸ ذات الطابع التقليدي. والممنوعة من المصايد الأوروبية – كبحر الشمال والمصايد الإيرلندية – وفق القوانين الأوروبية حتى متم تاريخ 31 دجنبر 2002³⁸⁹.

كما حصل المغرب مقابل ذلك على مبلغ إجمالي قدره 500 مليون إيكوس؛ شكل قراية 5. 41% من إجمالي المبلغ الذي خصصه الطرف الأوروبي لإتفاقات الصيد مع البلدان الأخرى³⁹⁰.

وقد نص الإتفاق على تزايد أهمية الكميات المفروضة إفراغها في الموانئ المغربية، حيث بلغت 30% من مجمل الكميات المصطادة. وعمل على خفض نسبة صيد الأصناف المعرضة للندرة، حيث بلغت هذه النسبة 40% فيما يتعلق بالرخويات³⁹¹ وغيرها من الإجراءات التقنية للمراقبة والمساهمة في تطوير القطاع بالمغرب.

وقد كان أكبر مستفيد من هذا الإتفاق هو الطرف الإسباني، حيث أن أسطوله العامل بالمغرب يشغل أزيد من 8000 بحار. دون احتساب الكم الهائل لمناصب الشغل غير المباشرة³⁹² فضلا عن رقم معاملات الكميات المصطادة. فإسبانيا تحقق 74% من إجمالي الكمية المصطادة أوروبيا³⁹³. وهو ما خلق تبعية قطاع الصيد الإسباني لمنطقة الصيد المغربية. الأمر الذي سيفسر حدة الأزمة السياسية التي أعقبت عدم تجديد هذا الاتفاق؛ والتدخل الكبير في المعطيات وظهور حدة الإحتكاك المغربي الإسباني رغم إطار علاقات الصيد متعدد الأطراف. وذلك نتيجة الحاجة إلى ظهور جيل جديد من الإتفاقات تواكب واقع المصايد المغربية التي تقف على حافة الإستنزاف.

³⁸⁸- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA : « Marruecos y España en la política de seguridad del mediterráneo », Op. cit. p : 46 et 152.

³⁸⁹- TARIK ATMANE, Op. cit, p : 175.

³⁹⁰- TARIK ATMANE, Op. cit, p : 171.

³⁹¹- RAFAEL CARCÍA PEREZ, Op. Cit, p : 241.

³⁹²- TARIK ATMANE, Op. cit, p : 172.

³⁹³- Ibid p : 175.

ثانيا: أزمة الصيد مع الإتحاد وصعوبة مخاض الجيل الثالث من الاتفاقات

لقد تولد لدى المغرب توجه جديد قائم على رفض فلسفة الإتفاقات السابقة، المبنية على فتح مياه الصيد مقابل التعويض المادي. وهو ما سمي الجيل الأول من الإتفاقات. حيث أصبح هناك توجه نحو إقامة شراكة شاملة في المجال. تعنى بالنهوض بقطاع الصيد البحري كقطاع إستراتيجي في مخططات التنمية المغربية³⁹⁴.

فصيغة المقابل المادي غير مجدية على المدى الطويل. ولا تساعد على القيام بتنمية بشرية مهمة. فاتفق الصيد الأخير لسنة 1995 كنموذج لم يساهم في خلق مناصب شغل كافية، حيث بلغت 900 منصب شغل مباشر³⁹⁵.

وهو توجه تبلور لدى المغرب منذ التوقيع على اتفاق 1995، بعدم النص على فتح مفاوضات في المستقبل لتمديده. وقبل ظهور عوامل التوتر في العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية التي ستدفعه إلى التمسك بموقفه.

فالمفاوضات المغربية الأوروبية للوصول إلى اتفاق جديد والخروج برؤية منسجمة حول مستقبل التعاون والعلاقات في هذا الجانب لم تبدأ إلا منذ نونبر 2000. وقد عرفت ثلاث جولات من الاجتماعات التقنية وسبع لقاءات سياسية عليا³⁹⁶.

وقد تركز الجانب التقني حول حماية الثروة البحرية المغربية وعدم استنزافها من خلال إثارة مواضيع: الراحة البيولوجية؛ تقسيم مناطق الصيد؛ إفراغ الحمولة في الموانئ المغربية؛ عدد السفن التي قد تنشط في المياه المغربية؛ التخفيض المهم من نسبة إصطياد الأصناف المهددة كالرخويات والقشريات.

والمقترح المغربي الذي شكل أرضية بين الطرفين، واعتبر تراجعاً عن عدم رغبته في إبرام اتفاق جديد. تمثل في طلب تعويض مالي قدره 90 مليون أورو سنوياً. في حين

³⁹⁴ - PALOMA CONZALEZ DEL MIÑO : « Las relaciones entre España y Marruecos : Perspectivas para el siglo XXI », Op. Cit, P : 157.

³⁹⁵ - TARIK ATMANE, Op. cit p : 176.

³⁹⁶ - Ibid, Op. cit p : 179.

صب المقترح الأوروبي في منح المغرب 70 مليون أورو في السنة الأولى و 60 مليون يورو في السنة الثانية و 40 مليون يورو في السنة الثالثة.³⁹⁷

وهو ما رفضه المغرب بشدة. ليتم الإعلان من طرف المفوض الأوروبي "فيشر" عن فشل المفاوضات في الوصول إلى اتفاق في 25 أبريل 2001 محملا المسؤولية في هذا الفشل للطرف المغربي³⁹⁸. والملاحظ هو التأثير السلبي الواضح لإتفاقات الصيد على العلاقات الأوروبية-المغربية. فبدخولها الفضاء الأوروبي حملت إسبانيا معها البعد الصدامي والانخراط الوجودي لعلاقاتها في الصيد مع المغرب للفضاء الأوروبي³⁹⁹.

فهو يعتبر من قضايا الصف الأول في العلاقات المغربية الإسبانية. وانخراط إسبانيا فيه يقلل من دور الاتحاد الأوروبي. بل الأكثر من ذلك، أصبحت المواقف المدافع عنها من مدريد والتي تتبنى؛ تجد لها صدى وتأثيرا كبيرا على المفاوضات الأوروبية⁴⁰⁰. وهو ما رسخ ثنائية العلاقات المغربية الإسبانية في مجال الصيد على حساب الحضور الفاعل للاتحاد الأوروبي.

وهذا ناتج عن الأهمية التي يكتسيها قطاع الصيد في الجارة الشمالية من جهة، ومن جهة أخرى؛ أهمية المصايد المغربية بالنسبة لها.

فمع بداية القرن الواحد والعشرين تعتبر إسبانيا أول بلد في الاتحاد الأوروبي من حيث الكميات المصطادة الموجهة للإستهلاك البشري. كما أن الأسطول الإسباني يضم 18000 سفينة. وهو ثاني أهم رقم في الاتحاد بعد اليونان. منها 8700 للأسطول الغاليسي.

وتصطاد في الإجمال 600.000 طن من الأسماك سنويا. وهو ما تسجل إيطاليا كقوة بحرية نصفه فقط⁴⁰¹.

³⁹⁷ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية: " مرجع سابق ص: 27.

³⁹⁸ - ALEJANDRO MUÑOZ ALONSO, Op cit., p : 402.

³⁹⁹ - RAFAEL CARCÍA PEREZ, Op. Cit, p : 250.

⁴⁰⁰ - Ibid p : 242.

⁴⁰¹ - RAFAEL CARCÍA PEREZ, Op. Cit, p, p : 233.

فضلا عن أن 25% من بحارة أوروبا إسبان، ومن ضمن هؤلاء 29000 أي حوالي النصف؛ ينتمون لمنطقة غاليسيا. وهي الجهة الأوروبية الأكثر اعتمادا على الصيد، حيث أن 10% من ناتجها الداخلي الخام يعود للأنشطة المرتبطة بالصيد. مع تشغيله 120000 شخص في هذه الجهة⁴⁰².

كما تعتبر إسبانيا من أكبر مستهلكي السمك في العالم، حيث تبلغ نسبة إستهلاك الفرد 40 كيلو غراما سنويا⁴⁰³. وهو ما نتج عنه تبعية للمصايد المغربية، ارتبطت حتى بالعوامل التاريخية والسياسية المشار إليها في القسم الأول من هذا العمل.

ناهيك عن أن في تسعينيات القرن الماضي، شكلت نسبة الكميات المصطادة من المصايد المحلية الإسبانية 35% من إجمالي نشاط الصيد، و35% من المياه الدولية و30% من اتفاقات ثنائية كتلك التي تجمع الاتحاد الأوروبي بالمغرب؛ الذي تشكل نسبة الصيد فيه 20% من هذه الحمولة. وقد شكلت تبعية الأسطول الكناري للمصايد المغربية نسبة 80%⁴⁰⁴.

كما حرم توقف اتفاقات الصيد مع المغرب، الاقتصاد الإسباني من قرابة مليار و500 مليون دولار نتيجة عائدات تجارة السمك داخل الاتحاد الأوروبي سنويا، و 3500 كيلومتر من سواحل الصيد الغنية⁴⁰⁵.

فقد شكل الأسطول الإسباني 90% من السفن العاملة في المياه المغربية بموجب الإتفاقات مع الاتحاد الأوروبي⁴⁰⁶. وهو ما ضيع على إسبانيا قرابة 16000 منصب شغل 4000 منها للبحارة الإسبان و12000 منصب شغل غير مباشر⁴⁰⁷.

⁴⁰²- RAFAEL CARCÍA PEREZ, Op. Cit, p, p : 233.

⁴⁰³- TARIK ATMANE, Op. cit p : 184.

⁴⁰⁴-RAFAEL CARCÍA PEREZ , Op. cit p : 234.

⁴⁰⁵- مساوي عادل: "الدبلوماسية المغربية: السمات والتحديات"، وجهة نظر، عدد 18 شتاء 2003: "المغرب بين سنتين 2002-2003" عدد خاص، ص : 43.

⁴⁰⁶- MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ : "la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995)", Op. cit P : 33.

⁴⁰⁷- IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y marruecos » Op. Cit, P : 18.

وفي نفس المضمار؛ أربك هذا الوضع الجديد تصورات خطط التنمية في عدة مناطق إسبانية. ما اضطر الحكومة المركزية إلى وضع خطة إنقاذ بلغت تكلفتها 540 مليون أورو. ومحاولة البحث عن شركاء جدد كموريتانيا؛ السنغال، غينيا بيساو وساحل العاج⁴⁰⁸. ورغم مساهمة الاتحاد الأوروبي في تمويل خطة الإنقاذ، إلا أن تدخل الاتحاد هذا، لا يمكن أن يتجاوز السنتين⁴⁰⁹. وهو ما سيشكل بعد ذلك عبءا على الميزانية الإسبانية.

أما على المستوى السياسي الداخلي، فقد تزامنت نهاية اتفاق الصيد مع الزمن الانتخابي الإسباني. حيث تحول موضوع تجديد الاتفاق إلى ورقة انتخابية بين الغريمين الحزب الشعبي والحزب الاشتراكي.

فقد جعل أثنار من ملف الصيد أولوية في علاقاته بالمغرب نتيجة الوعود التي التزم بها انتخابيا. وهو ما دفعه لزيارة المغرب حاملا معه مساعدة مالية بقيمة 50 مليون دولار لإتمام إنجاز الطريق الرابط بين الحسيمة وطنجة؛ وملوفا بإعادة جدولة الديون الإسبانية. مع الإصرار على العودة بجواب إيجابي من إعادة تجديد اتفاق الصيد⁴¹⁰. وهو ما يسלט الضوء على جانب آخر من سياسة أثنار المتعالية، الأمر الذي تم رفضه في الرباط. هذا فضلا عن الصدمة التي أطرت المشهد السياسي والرأي العام الإسباني نتيجة إغلاق المصايد المغربية، فقد صرح "دومينغو ديل بينو" بعد الإعلان عن فشل المفاوضات أن:

"نهاية تواجد أسطول الصيد الإسباني في المياه الإقليمية المغربية كان هزة عنيفة للإسبان. لا يمكن مقارنتها سوى بخروج إسبانيا من إفني والصحراء"⁴¹¹.

وتأسيسا على ما سبق، دخلت العلاقات المغربية الإسبانية نفق الأزمة. وأصبحت على أبواب أخرج اللحظات نتيجة عدم تجديد اتفاق الصيد. فقد أعلن أثنار في 25 أبريل 2001، يوم الإعلان عن فشل التوصل لاتفاق، على أمواج إذاعة "أونداثيرو" أن:

⁴⁰⁸ - TARIK ATMANE : "españa y marruecos frente al derecho del mar", Op cit p: 182

⁴⁰⁹ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op. cit. p : 152.

⁴¹⁰ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية: " مرجع سابق، ص: 23.

⁴¹¹ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية - " مرجع سابق، ص: 136.

"لا أحد يمكنه أن يتصور أن ذلك لن تكون له تبعات على العلاقات بين إسبانيا والمغرب، وكذا على المغرب وعلاقاته بالإتحاد الأوروبي"⁴¹².
كما أرفد قائلا أن:

"رفض المغرب لتجديد إتفاقية الصيد سيشكل محطة لإعادة النظر في العلاقات الثنائية بين البلدين"⁴¹³.

وهي التصريحات التي اعتبرت منافية للأعراف الدبلوماسية، وزادت من تفاقم الأزمة أكثر. وقد وجدت تصريحات رئيس الحكومة الإسبانية صدى لها على كل مستويات العلاقات الثنائية بين البلدين.

ولعل أول ترجمة للتغير الإسباني السلبي تم على مستوى قضية الصحراء، من خلال تنظيم حملات لصالح الانفصاليين وعرقلة الوصول إلى حل سياسي بالوقوف في وجه إتفاق الإطار. وإطلاق القداس الإعلامي المغرض ضد المصالح المغربية⁴¹⁴.

فأثناء ثورة المغرب على الجيل الأول من الإتفاقات في مجال الصيد البحري، وتعثّر إنطلاق المفاوضات أشار وزير الصيد الإسباني "خيسوس بوسادا" في إجتماع لمستشاري الصيد في الحكومات الجهوية أن حكومة مدريد قد تلجأ لإستعمال ورقة الصحراء للضغط على المغرب لتقديم تنازلات. وهو ما ستعكسه عملية خلط الأوراق بتقديم جمعية أرباب المراكب والصيادين الإسبان لمنظمة الأمم المتحدة طلبا لتعيين خبراء دوليين للإشراف على إبرام اتفاق صيد في المياه الصحراوية في انتظار إجراء استفتاء تقرير المصير في الإقليم.⁴¹⁵

وهو ما أدخل الطرفان في عملية شد الحبل المتبادلة. فخلال زيارة وزير الخارجية الإسباني بيكي لمدينة أكادير في إطار أعمال المنتدى المتوسطي المنعقد في أكتوبر 2001، صرح له وزير الخارجية المغربي بنعيسى أن إسبانيا عندما تشدد الخناق على

⁴¹² - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية: " مرجع سابق ص: 27.

⁴¹³ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق: الإنتقال الديمقراطي - العلاقات المغربية الإسبانية - " مرجع سابق، ص: 137.

⁴¹⁴ - الحسان بوقنطار: "المغرب ومحيطه الجيوسياسي: الحاضر والمستقبل"، مرجع سابق، ص: 92.

⁴¹⁵ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق: " مرجع سابق، ص: 136.

المغرب في قضية الصحراء، فيجب أن تنتظر منه ردة فعل في قضية الصيد البحري⁴¹⁶. وهو ما تم بالفعل من خلال فشل المفاوضات.

ومن المؤشرات السلبية، التي اعتبرت إجراءات عقابية لعدم تجديد إتفاق الصيد، إستعمال إسبانيا سياسة التعاون وتحويل الديون إلى استثمارات كوسيلة ضغط ضد المغرب⁴¹⁷. فقد أعلن أثنار في تصريحه لقناة "أونداثيرو":

"لن نساعد المغرب ولن نساهم في تطوير بنياته التحتية، وأن موقف المغرب من تجديد إتفاقية الصيد البحري بينه وبين الإتحاد الأوروبي مرفوض... وقد قامت حكومة مدريد بمبادرات مهمة تجاه نظيرتها في الرباط كالعفو على نسبة من الديون وتقديم مساعدات. لكن هذه الأخيرة لم تأخذها بعين الاعتبار وعليه سنجمد جميع أشكال التعاون الثنائي وخاصة في مجال المساعدات الاقتصادية"⁴¹⁸.

وهو ما انعكس أيضا على إجراءات دعم التواصل بين المجتمع المدني في الضفتين والحد من الجهود الرامية إلى تعزيز دولة القانون في الضفة الجنوبية⁴¹⁹.

وعطفا على ما سبق، عملت إسبانيا على المساهمة في تأزيم علاقات المغرب بالإتحاد الأوروبي حيث أورد وزير الخارجية المغربي أمام البرلمان في 21 أكتوبر 2001 هذا العامل ضمن أسباب استدعاء السفير المغربي بمدير للتشاور⁴²⁰.

ناهيك عن استعمال الجارة الإيبيرية لحق الفيتو داخل الفضاء الأوروبي ضد المصالح المغربية. مثل التصويت ضد زيادة حصص الصادرات الفلاحية المغربية للإتحاد والتي تتطلب إجماع الدول الأعضاء⁴²¹.

⁴¹⁶ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية: " مرجع سابق ص: 30.

⁴¹⁷ - IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : los secretos de la crisis entre españa y marruecos » op. cit P : 18.

⁴¹⁸ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق: " مرجع سابق، ص: 137.

⁴¹⁹ - BERNABE LOPEZ CARCÍA y M.H. DE LARRAMENDI : " España y el norte de Africa : Hacia una « Estabilidad dinámica", Op. cit P : 55.

⁴²⁰ - - IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados : » Op. cit P : 25.

⁴²¹ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية - الإسبانية: " مرجع سابق ص: 28.

ويبقى من أهم عوامل التوتر الجديد في العلاقات المغربية الإسبانية، التي أفرزتها هذه الأزمة. تحديد المجال البحري بين البلدين سواء على الواجهة المتوسطية أو الأطلسية⁴²².
ففي نونبر 2000، أعلنت إسبانيا من طرف واحد تحديد المجال البحري لجزر الكناري، وهو ما رفضه المغرب في رسالة لوزارة الخارجية موجهة للسفارة الإسبانية بالرباط في 27 نونبر من نفس السنة⁴²³.

وفي 21 دجنبر 2001، منحت الحكومة الإسبانية رخصة لشركة "رييسول" الطاقة للتنقيب عن البترول قبالة سواحل جزر "فوينتي بينتورا" و"نزلوتي" في أرخبيل كنارياس. وهو ما شكل موضوع احتجاجات قوية من الطرف المغربي لعدم وجود تحديد للحدود البحرية بين الطرفين. وقرب تلك التنقيبات من سواحل مدينة طرفاية المغربية⁴²⁴. خاصة إذا علمنا أن نسبة العثور على الغاز الطبيعي أو البترول في تلك السواحل تصل إلى 20%⁴²⁵. وهو ما من شأنه إذكاء الصراعات بين الطرفين مستقبلا.

فقد عمد المغرب هو الآخر إلى منح شركات أمريكية وفرنسية حقوق التنقيب في نفس المناطق⁴²⁶.

كما نجد في نفس مضمار تدهور العلاقات الثنائية، ظهور الصيادين والفلاحه الإسبان كفاعل مهم عند كل محطة توتر بين الطرفين. حيث تكررت أعمال اعتراض مرور الشاحنات المحملة بالبضائع والصادرات المغربية في الموانئ الأندلسية. كإجراء عقابي وإضرار بالمصالح المغربية نتيجة عدم تجديد إتفاق الصيد.

⁴²² - كرسى الإعتراف مع إغناسيو صيمبريرو، المساء عدد 62 في 30 نونبر 2006 ص: 20.

⁴²³ - CARLA FIBLA GARCIA-SALA : « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano-marroquí : opiniones e ideas » Op. cit. p : 206.

⁴²⁴ - BEL GUENDOUZ ABELKRIM : « L'ahrig du Maroc, l'Espagne et l'UE : plus d'Europe ...Sécuritaire » , Op. cit. P : 18.

⁴²⁵ - - IGNACIO CEMBRERO : « vecinos alejados », Op. cit, P : 139.

⁴²⁶ - YVES ZURLO : « Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves espagnoles » Op. cit. p : 127.

وهناك من وجد في أحداث بلدة "إليخيدو" العنصرية تمظهرها من تمظهرات هذه الأزمة. من خلال إطلاق العنان لإستيهمات المورو والأفكار النمطية والاستتجاد بالمحددات الثقافية التاريخية لتصفية حسابات الصيد البحري على مذبحتها.

ولعل أكبر مؤشر على تدهور العلاقات المغربية الإسبانية على خلفية إتفاق الصيد. أزمة جزيرة تورة/ ليلي وما آلت إليه من استعمال للقوة من الطرف الإسباني لحلها في ضرب لكل المعاهدات. والتراكم الذي بلغته علاقات الطرفين في السنوات الماضية.

وما يبين أهمية ورمزية الصيد البحري في علاقات البلدين، أنه شكل أيضا بوابة لبداية الإنفراج. ففي استثمار للبعد البحري للسياسة الخارجية المغربية، عمل الملك محمد السادس على إثر حادثة غرق ناقلة البترول الإسبانية "بريستيج" وتضرر سواحل إقليم غاليسيا من التلوث البيئي. على اتخاذ قرار في 23 دجنبر 2002 بالسماح لما مجموعه أربعة وستين سفينة غاليسية⁴²⁷ بالصيد في المياه المغربية لمدة ثلاثة أشهر⁴²⁸.

وهو ما شكل بداية التقارب في العلاقات عقب أزمة جزيرة تورة/ليلي. في تذكير واضح لما عرفته سبعينيات القرن الماضي من إقرار للإتفاقات المؤقتة سنة 1979؛ عقب زيارة الملك خوان كارلوس للمغرب. وذلك لملء الفراغ القانوني في مجال الصيد بعد رفض البرلمان المغربي المصادقة على اتفاق 1977.

بيد أن ما تقدم من تعثر لإتفاق الصيد مع الاتحاد الأوروبي. وما تلاه من عطالة للأسطول الإسباني في المياه المغربية. دفع بقطاع الصيد المغربي إلى الواجهة. حيث أصبح أول مصدر لمنتجات البحر في إفريقيا والعالم العربي. ويحتل المرتبة العشرين عالميا. وتمثل صادراته البحرية أكثر من 50% من الصادرات الفلاحية و16% من الصادرات الإجمالية للبلاد⁴²⁹.

⁴²⁷- Chronologie des relations politiques maroco – espagnoles (1999-2002) ; revue paix et sécurité internationales N° 01 Juin 2003, p : 157.

⁴²⁸- CARLA FIBLA GARCIA-SALA, Op. cit. p : 199.

⁴²⁹- الحسان بوقنطار: "المغرب ومحيطه الجيوسياسي: الحاضر والمستقبل" مرجع سابق، ص : 91.

كما أصبح أسطول الصيد يضم 3000 سفينة منها 450 تشتغل في أعالي البحار. إضافة إلى 12000 قارب صيد تقليدي⁴³⁰.

فقد تحسنت الكميات المصطادة من 758000 طن سنة 1999 إلى 1111000 سنة 2001. وهو ما ساهم في خلق 20000 منصب شغل إضافية⁴³¹. الأمر الذي دفع المغرب إلى التعاطي مع قطاع الصيد كقطاع إستراتيجي. من خلال طرح مخطط "المغرب – الأزرق – أليوتيس" وهو برنامج يهدف للنهوض بالقطاع ليساهم في التنمية ويواكب التغييرات الدولية والإتفاقية للمملكة.

بيد أنه بعد تغير المشهد السياسي الإسباني ووصول الحزب الاشتراكي للحكم مع رئاسة "خوسي رودريغز ثاباتيرو" للحكومة؛ وتغير مواقفه من القضايا المغربية. سيعرف قطار العلاقات المغربية الأوروبية في مجال الصيد طريقه نحو سكة الجيل الثالث من الإتفاقات في هذا المجال. ومن جملتها:

أ- إتفاق 28 يوليوز 2005

وهو الإتفاق الرابع من تاريخ الإتفاقات المغربية الأوروبية، وقد جاء بعد أكثر من خمس سنوات من الفراغ القانوني وغياب توافق بين الطرفين. وقد تم ذلك على خلفية تحسن العلاقات المغربية – الإسبانية مع وصول الحزب الاشتراكي للحكم⁴³². وتغير المناخ السياسي بين الأطراف. والذي أطرته المواقف الاشتراكية من قضية الصحراء وإستراتيجية التعاون مع المغرب.

فإذا كان إتفاق سنة 1995 قد تطلب سبع جولات من المفاوضات وتدخل جهات سياسية عليا من الضفتين لإبرامه. ومرحلة المفاوضات الفاشلة خلال سنة 2001/2000 تطلبت ثلاث عشرة جولة تقنية وسبع لقاءات سياسية دون الخروج بنتيجة⁴³³. فإن إتفاق 2005 كان في حاجة إلى جولة واحدة تقنية بدأت في 25 يوليوز. وانتهت في 28 يوليوز

⁴³⁰- TARIK ATMANE : « España y Marruecos frente al derecho del mar » Op. cit. p : 184.

⁴³¹- TARIK ATMANE : « España y Marruecos frente al derecho del mar » Op. cit. p : 183.

⁴³²- RAFAEL GARCÍA PEREZ, Op. cit. p: 241.

⁴³³- TARIK ATMANE, Op. cit. p: 188.

بتوقيع الإتفاق⁴³⁴. وهو ما يسلط الضوء على أهمية الاعتبارات السياسية الثنائية المغربية الإسبانية في ملف يتم تسييره في إطار متعدد الأطراف؛ عبر مسار العلاقات المغربية-الأوروبية.

وأهم خصوصيات هذا الإتفاق، أنه يندرج في إطار الجيل الثالث. حيث يفتح آفاقا جديدة للتعاون في إطار الشراكة ومسلسل برشلونة والتوجهات الجديدة للإتحاد.

وقد تجسد ذلك في خلق تعاونيات للشركات العاملة في المجال. وتأهيل البنية التحتية المغربية ببناء جيل جديد من أسواق الجملة السمكية، وإنشاء قرى للصيادين في الأقاليم الجنوبية⁴³⁵. والعمل على لامركزية الصناعات الأوروبية المرتبطة بالصيد من خلال خلق وحدات صناعية.

كما اهتم الإتفاق بالجانب البيولوجي من خلال العمل على عدم استنزاف المخزون المغربي. وذلك بإقصاء منطقة الصيد المتوسطة⁴³⁶. واستثناء بعض الأصناف كالرخويات والقشريات المهددة بالندرة. فقد شكلت أزيد من 70 ٪ من الأصناف المصطادة في اتفاق 1995 الأخير⁴³⁷. فهو اتفاق قائم على مفاهيم التعاون، البحث العلمي والتكوين في المجالات المرتبطة بالبحر والصيد البحري⁴³⁸.

وقد شكلت جزئيات الإتفاق وشروطه، مضمون المقترح الثالث للمغرب خلال مفاوضات سنة 2001/2000⁴³⁹. فقد سمح لأزيد من 119 قارب من الصيد في المياه المغربية. بلغ عدد القوارب الإسبانية منها 97 قاربا⁴⁴⁰.

⁴³⁴- Ibid, p : 188.

⁴³⁵- BOUKHALEF ABDELALI : « Maroc – Espagne : au large du partenariat halieutique » le Matin N° 13091 du 24 novembre 2006, p : 07.

⁴³⁶- BOUKHALEF ABDELALI : « Maroc – Espagne : au large du partenariat halieutique », op cit, p: 241

⁴³⁷- TARIK ATMANE, Op. cit. p : 188.

⁴³⁸- LUIS PLANAS PUCHADES : « Un an après sa nomination l'ambassadeur de l'Espagne dresse le bilan des relations de son pays avec le Maroc », Propos recueillis par : RIDOUANE KHADIJA, le Matin n° 5765 du Juin 2005, p: 05

⁴³⁹- TARIK ATMANE, Op. cit., p : 188.

⁴⁴⁰- BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op. cit. p : 156.

وقد بلغت مدة الإتفاق أربع سنوات، يحصل المغرب في كل سنة منها على 36 مليون أورو كتعويض مادي⁴⁴¹.

وسياسيا أدى الإختلاف حول نطاق تطبيق الإتفاق وشموله الصيغة المعتادة القائمة على المياه الخاضعة للسيادة المغربية والمياه الخاضعة للسلطة القضائية المغربية إلى عدم مصادقة البرلمان الأوروبي على الإتفاق في الآجال المحددة⁴⁴². وهو ما سيؤجل دخوله حيز النفاذ إلى 28 فبراير 2007.

والدول الأوروبية التي عارضت الإتفاق، هي الأقل اشتغالا في المياه المغربية والمنافسة أوروبيا لإسبانيا في تسويق المنتجات البحرية كالدينمارك، النرويج، فنلندا والنمسا. ومع وصول الإتفاق لنهايته في 27 فبراير 2011. تم الإتفاق على تمديد العمل به لمدة سنة إضافية. لكن البرلمان الأوروبي سيصوت في 14 دجنبر 2011 لعدم تجديد البروتوكول السنوي لإتفاقية الصيد بين الطرفين. متذرا بعدم استفادة ساكنة الأقاليم الصحراوية المتنازع حولها من مبلغ التعويض السنوي عن المصايد المتمثل في 36 مليون أورو الممنوحة سنويا للطرف المغربي⁴⁴³.

وهو ما شكل انتكاسة في العلاقات المغربية الأوروبية. واعتبره المغرب تطاولا على سيادته وتدخل في شؤونه الداخلية.

وقد صرح وزير الخارجية المغربي حينها سعد الدين العثماني بأن الأمر يتعلق بخلافات داخلية أوروبية. مع وجود دول داخل الإتحاد لا تستفيد من اتفاقية الصيد مع المغرب ولا تشكل بالنسبة لها أهمية إستراتيجية. فرغم وجود برلمانيين أوروبيين منخرطين في قضية الصحراء إلا أن هؤلاء وحدهم ليس بإمكانهم إسقاط الإتفاقية⁴⁴⁴.

⁴⁴¹- TOUNASSI FEDOUA : « Pêche : les dessous d'un accord » le Journal hebdomadaire , N° 220 du 03-09 Septembre 2005, P : 62.

⁴⁴²- CHANKOU ABDELLAH : «Pêche : la diplomatie marocaine à la peine » Aujourd'hui le Maroc, N° 1131 du Avril 2006 p : 02.

⁴⁴³- أزوكاح المصطفى: "ينوي مراجعة شراكته مع الاتحاد الأوروبي : المغرب يطلب من الأسطول البحري الأوروبي مغادرة مياهه الإقليمية الوطنية"، المساء، عدد 1626 في 16 دجنبر 2011 ص: 06.

⁴⁴⁴- دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..." مرجع سابق ص: 132.

وأبلغ تصوير لواقع رفض البرلمان الأوروبي المصادقة على بروتوكول إتفاقية الصيد البحري، تعليق السفير الإسباني بالرباط "رفائيل نابارو" بكونها: "صفعة موجهة إلى المغرب نزلت على خد إسبانيا"⁴⁴⁵.

فقد فقدت إسبانيا قرابة ألف منصب شغل مباشر و 5000 منصب شغل غير مباشر⁴⁴⁶. كما قدر الجانب الإسباني خسائره خلال الأشهر الأولى لتعطيل إتفاق الصيد بحوالي 36 مليون أورو. وهي نفس قيمة التعويض السنوي الذي يحصل عليه المغرب من الإتفاقية⁴⁴⁷.

ناهيك عن التحذيرات التي أطلقها وزير الفلاحة الإسبانية "ميغيل أرياس كانيتي" من أن تعطيل البروتوكول المالي سيكلف الإتحاد الأوروبي تعويضات مهمة لقطاع الصيد الإسباني⁴⁴⁸.

ولعل من حسنات هذه الأزمة بين الإتحاد الأوروبي والمغرب حول بروتوكول إتفاق الصيد، تقريب وجهات النظر مع الجانب الإسباني، والعمل المشترك على تجاوز الأزمة. وتحول إسبانيا إلى محامي المغرب النشيط في أروقة البرلمان الأوروبي.

ب- إتفاق 24 يوليوز 2013

وهو إتفاق جاء نتيجة مفاوضات شاقة ذات طابع سياسي. حيث عمدت أطراف أوروبية إلى إقحام مواضيع تمس بالسيادة المغربية على مياهه الإقليمية في الصحراء. فعلى مدار ثمانية عشر شهرا دارت جولات المفاوضات الخمس حول مدى توافق إتفاق الصيد البحري بين المغرب والإتحاد الأوروبي مع مقتضيات القانون الدولي بضمه مياهها متنازعا

⁴⁴⁵ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..." مرجع سابق، ص: 131.

⁴⁴⁶ - BOUKHALEF ABDELATIF : « Maroc-Union Européenne : de nouveaux signaux pour un accord de pêche viable » le Matin du Sahara et du Maghreb, N° 14629 du 12 Janvier 2012 P : 01.

⁴⁴⁷ - الحيمر عبد القادر: "الأسطول الإسباني يخسر في شهرين قيمة التعويض الذي يحصل عليه المغرب في سنة"، الإتحاد الاشتراكي عدد 9964 في 17-18 دجنبر 2011 ص: 01.

⁴⁴⁸ - ندير عبد الرحيم: "المغرب يستأنف مفاوضاته حول الصيد البحري مع الإتحاد الأوروبي" المساء عدد 1892 في 23 أكتوبر 2012 ص: 07.

حولها من جهة. ومن جهة أخرى، رفض المغرب لتناول الإتفاق الإشارة إلى حقوق الإنسان في المناطق الصحراوية. وهو ما اعتبره تدخلا في شؤونه الداخلية.

وخلال الجولة السادسة من المفاوضات، سيتم تذليل هذه الصعوبات في 24 يوليوز 2013 تاريخ التوصل للإتفاق الجديد⁴⁴⁹.

وسيصادق البرلمان الأوروبي على هذا الإتفاق في دجنبر 2013 بموافقة 310 برلمانيا أوروبيا ومعارضة 204 وامتناع 49.

وقد سمح هذا الإتفاق لما يناهز 126 سفينة أوروبية بالعمل في المياه المغربية، بما فيها المياه الصحراوية موضوع الخلاف مع الأطراف الأوروبية. وهي سفن بلغت حصة الأسطول الإسباني منها 99 سفينة.

وقد بلغ البرتوكول المالي لهذا الإتفاق 40 مليون أورو سنويا. خصصت منها 14 مليوناً للمساهمة في مخطط المغرب الأزرق "أليوتيس" للنهوض بقطاع الصيد المغربي⁴⁵⁰. وقد بلغت مدة الإتفاق أربع سنوات. وسار في الإجراءات التقنية والرقابية على نهج سابقه في محاولة حماية المياه المغربية بيئيا وعدم استنزافها.

وبالجملة، فقد أثبتت العلاقات المغربية الإسبانية احتفاظها بحرارة وصدامية الملفات الثنائية حتى في الإطار الإتفاقي متعدد الأطراف. وهو ما ثبت في العلاقات على المستوى الأوروبي مع نموذج النزاعات الترابية في المجال السياسي. وتقلبات ملف الصيد البحري في المجال الاقتصادي.

الأمر الذي يدفعنا إلى محاولة فهم طبيعة العلاقة الجدلية بين الفضاء الأوروبي والعلاقات المغربية الإسبانية في مجال الاندماج الجهوي والأمن الإقليمي. والعلاقات الشاملة بين الصفتين. خاصة أمام التوسع المتزايد للإتحاد الأوروبي من جهة. ومن جهة أخرى، تحول إسبانيا إلى قوة إقليمية متوسطة؛ لها مصالح جيو-إستراتيجية تدافع عنها.

⁴⁴⁹ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..."، مرجع سابق، ص: 132.

⁴⁵⁰ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية..."، مرجع سابق، ص: 83.

المطلب الثاني : انعكاسات فاعلية إسبانيا في الفضاء الأوربي على علاقات البلدين

الكثير من مفاتيح العلاقات المغربية الإسبانية يمكن فهمها وملاستها من خلال الإطار المتوسطي.⁴⁵¹ وهو البعد الذي أصبح حاضرا في السياسات الإسبانية مع بداية الديمقراطية ووصول الحزب الاشتراكي للحكم. الذي سيفرز ما اصطلح عليه بالمعجزة الإسبانية التي تجسدت في مؤشرات النمو الإقتصادي غير المسبوق، خاصة بعد الانضمام للمجموعة الاقتصادية الأوروبية.

و هذا الإهتمام الإسباني بالصفة الجنوبية، يعتبر أحد تجليات السياسة الشاملة التي تبناها الحزب الاشتراكي في المنطقة المغاربية. حيث الإهتمام بالمتوسط يستجيب لضرورة اقتصادية كسوق مهم ومصدر للطاقة والمواد الأولية.

ويستجيب لضرورة أمزية؛ فالبحر الأبيض المتوسط بحر مزعج وهو حسب بشارة خضر " بحر المتاعب" التي تجسدها الهجرة والنزاعات السياسية والتهريب وغيرها. ففي إسبانيا إذن، أصبحت الضفة الجنوبية موضوع نظرة جيو إستراتيجية، قائمة على الإستقرار وتعزيز التنمية. وهو ما يفرض تكاثفا للجهود بين الأطراف الأوروبية المعنية بالمنطقة، فهي مهمة تستعصي على الإطار الثنائي للعلاقات. وتتجاوز سقف إسبانيا الإقتصادي والسياسي.⁴⁵²

وقد وجدت هذه الأخيرة في الهلال اللاتيني المتوسطي،⁴⁵³ أو الأخوات اللاتينيات : فرنسا وإيطاليا إضافة إلى إسبانيا، خير سند في هذه التوجهات، خاصة بعد سقوط حائط برلين سنة 1989 والتخوف من توجه سياسات المجموعة الأوروبية نحو أوربا الشرقية.

⁴⁵¹ - FRANCISCO A. MUÑOZ Y MARIO LÓPEZ MARTINEZ : « Paz, Diálogo y convivencia en las relaciones entre Marruecos y España » in : Actos del encuentro España – Marruecos diálogo y convivencia, del 23-25 de octubre 1998 en tetuán y chauen , Op cit p : 104.

⁴⁵² - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ : « la política exterior y de cooperación de España en el magreb (1982-1995), Op cit p :73.

⁴⁵³ - ABDI NOUREDIN : "Introduction Algérie, Maghreb, Méditerranée » in : « Algérie – Maghreb ; le pari méditerranéen" ,Op. cit p :35.

وهو ما أدى بإسبانيا وأخواتها إلى ترجيح كفة التعاون مع المتوسط وتحويل نسيج علاقاتها الثنائية إلى واقع إقليمي.

وهو ما سيجرم من خلال مبادراتها ما قبل مسلسل برشلونة (الفقرة الأولى) ثم بعد ذلك منعطف برشلونة الذي اعتبر علامة فارقة وإيدانا بدخول مرحلة جديدة من التعاون بين الضفتين (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى : المبادرات الأوروبية ما قبل مسلسل برشلونة

وهي مبادرات تمت من خارج المجموعة الأوروبية كبنية مؤسسية، بإقتراح أو دعم من الدول الأعضاء (أولا) ومبادرات رسمية للمجموعة الأوروبية تعكس حضور التصورات الإيبيرية وفاعليتها (ثانيا).

أولا: المبادرات من خارج المجموعة الأوروبية

عرف هذا المستوى عدة مبادرات قائمة على اقتراح من دولة أو مجموعة دول أعضاء للنهوض بالتعاون بين الضفتين على كل المستويات، ومن أهم هذه المبادرات.

أ- الحوار العربي الأوربي.

ظهرت هذه المبادرة سنة 1973 في سياق الأزمة العالمية للمحروقات التي خلفها الصراع العربي الإسرائيلي وتطورات حرب أكتوبر. فقد عمدت الدول العربية المصدرة للبترول إلى خفض إنتاجها من جهة. ومن جهة أخرى؛ معاقبة مجموعة من الدول بعدم بيعها الذهب الأسود. حيث تم إطلاق المبادرة التي جمعت أعضاء جامعة الدول العربية 22 وأعضاء المجموعة الاقتصادية الأوروبية 15.

وقد عرف هذا الحوار التوجهات العربية حول المواضيع السياسية ومناقشة الاحتلال. في حين تم تسجيل الميولات الأوروبية، لمناقشة المواضيع الاقتصادية. وهو ما سيصيب الحوار بالشلل. ومنذ 1989 سيبدأ الدور الإسباني على هذا المسار من خلال محاولة إيجاد

رؤية وسط في التعاطي مع المعطيات السياسية. والعمل على توفير مشاريع تصب في إطار تحسين وضع الدول المتوسطية.⁴⁵⁴

وقد تصادف هذا مع دعوة فرنسا في دجنبر 1989، لمؤتمر للحوار العربي الأوروبي في باريس على مستوى وزراء الخارجية وبرعاية من الرئيس "فرانسوا ميترون".⁴⁵⁵ إلا أن احتلال العراق للكويت في غشت 1990، وتطورات الأحداث في الخليج نحو الحرب الشاملة وما تلاها من انقسامات واصطفافات دولية ستعصف بهذا الحوار.

ب- منتدى الحوار في المتوسط الغربي 5 + 5

عرف أول إرصاصاته في بداية ثمانينات القرن الماضي مع كل من الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميترون" والوزير الأول الإيطالي "بيتينو كراكي" ورئيس الحكومة الإسبانية "فليبي غونزالس" وقد تبلور هذا المنتدى عبر مجموعة من المحطات منها؛ مناظرة مرسيليا في فبراير 1988 حول " واقع وآفاق العلاقات بين الدول الأوروبية في المتوسط الغربي والدول المغاربية التي لها علاقة بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية".

ثم بعد ذلك منتدى طنجة في ماي 1989، كلقاء بين الدبلوماسيين لخلق إطار جهوي غير رسمي لتوحيد الرؤية حول مفهوم الأمن وإسقاطاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لكن الانطلاقة الحقيقية للمنتدى، ستكون في 10 أكتوبر 1990 بروما، من خلال قمة وزراء خارجية الدول المعنية. بحيث كان المنتدى تحت صيغة 4 + 5 : الدول الأوروبية الأربعة فرنسا، إسبانيا، إيطاليا والبرتغال ودول اتحاد المغرب العربي الخمس، فقد تم الإعلان عن حوار وتعاون في المتوسط الغربي ووضع مسلسل تعاون شامل، سياسيا وأمنيا وإقتصاديا.⁴⁵⁶

⁴⁵⁴ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI Y JESÚS A NÚÑEZ , Op cit p : 74.

⁴⁵⁵ - على الحاج: " سياسات دول الاتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة" سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم 51، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى، فبراير 2005، ص 194.

⁴⁵⁶ - COUSTILLIERE JEAN – FRANÇOIS : « la iniciativa 5+5 seguridad y defensa » in : «V seminario internacional sobre seguridad y defensa en el Mediterráneo: la seguridad multidimensional » colección monografías, Ediciones CIDOB Barcelona, octubre 2007, P : 40.

وفي لقاء الجزائر في أكتوبر 1991 أصبح المنتدى معروفا بصيغة "5+5" بقبول مالطا كعضو رسمي. وقد عني المنتدى بمناقشة قضايا الموارد الطبيعية ، البيئة ، الوقاية المدنية ، الإكتفاء الذاتي، مقاومة التصحر، الخوض في قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان وقضايا تحويل المتوسط كمنطقة للأمن والتعاون.

لكن مع تعطل إتحاد المغرب العربي تحولت صيغة المنتدى واقعيا من "5+5" إلى صيغة أقرب لـ: "1+1+1+1+1+1+5" حيث كل بلد مغربي له رؤيته الخاصة وتصوره للأمور المطروحة للنقاش في المنتدى⁴⁵⁷.

وبعد اندلاع حرب الخليج والحصار الذي فرض على ليبيا على خلفية قضية لوكربي. سيصل المنتدى إلى الباب المسدود.

ونظرا لأهمية هذا الإطار على مستوى التعاون والحوار، فقد طلبت تونس إعادة إنعاشه خلال مؤتمر شتودغارت الأورو متوسطي في أبريل 1999.⁴⁵⁸ وخلال قمة لشبونة لسنة 2001 تم الإتفاق على إجراء لقاءات سنوية للمنتدى لتقريب وجهات النظر. حيث تم تعميده رسميا "منتدى الحوار في المتوسط الغربي" ، حيث سيشمل كل مجالات التعاون من خلال لقاءات وزراء الخارجية، الداخلية، الدفاع وغيرها، مع تسجيل سيطرة الاعتبار الأمنية.⁴⁵⁹

ج- مؤتمر الأمن والتعاون في المتوسط

وهي المبادرة التي اعتبرت أول ترجمة فعلية، لفاعلية إسبانيا في الفضاء الإقليمي. حيث لم تعد تابعة لمبادرات الغير، بل أصبحت قوة إقتراحية، لديها تصوراتها الخاصة لطبيعة التعاون في المنطقة.

⁴⁵⁷ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM : « UE Maroc – Afrique migrante : politique européenne de voisinage barrage aux sudistes de schengen à barcelone + 10 » imprimerie beni snassen, salé, mars 2005, p : 127.

⁴⁵⁸ - BOUROUA ABDELJABBAR : « l'élargissement de l'union européenne et les partenaires méditerranéens : réalités, impacts et responsabilités » Maroc, 2007, P : 61.

⁴⁵⁹ - BEL GUENDOUZ ABDELKRIM : « Enjeux migratoires, Maghreb – Europe – Afrique subsaharienne ; un regard du sud » , Op, cit p : 300.

ففي فبراير 1990، بدأ وزير الخارجية الإسباني فرانسيسكو فرناندو أوردونيز بالتعاون مع نظيره الإيطالي. الترويج لفكرة ملتقى للأمن والتعاون في المتوسط، تحاكي نموذج ملتقى هلسنكي للأمن والتعاون في أوروبا.⁴⁶⁰

ومن أسباب هذا الانخراط الإسباني في هذه المبادرة، محاولة جعل المنطقة المتوسطية في قلب النظام الدولي الجديد الذي بدأت إرهاباته في التشكل⁴⁶¹. والخوف من أن تبقى على هامش الأحداث كقوة إقليمية متوسطة، أمام الإهتمام الذي بدأ يتزايد في الفضاء الأوروبي بأوروبا الشرقية بعد سقوط حائط برلين.⁴⁶²

علاوة على محاولة احتواء الخطر الذي أصبحت تشكله الضفة الجنوبية عبر تصدير الإشكالات الأمنية والسوسيو اقتصادية. ففي شتنبر 1990 طرحت رسميا المبادرة الإسبانية - الإيطالية في مؤتمر "الأمن والتعاون الأوروبي" في بالمادي ما يوركا.

وقد قام التصور الإسباني على حصر هذه الهيئة في دول البحر الأبيض المتوسط، في حين ذهب الرؤية الإيطالية إلى ضرورة ضم دول المتوسط والشرق الأوسط من موريتانيا إلى إيران مع إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية صفة العضو الملاحظ.

وتعتبر هذه المبادرة المشروع الإسباني الأكثر طموحا في المنطقة، من خلال تحديد أهداف طويلة المدى. فقد شكل حالة وعي بخطورة الوضع الأمني في المتوسط وضرورة العمل برؤية شاملة للمفهوم.

كما قامت المبادرة على محاولة نسج علاقات متكافئة بين الضفتين، عبر مناقشة ومطالبة المحاور الثلاث لمؤتمر الأمن والتعاون المتمثلة في : الأمن، التعاون الاقتصادي والبعد الإنساني للمبادلات بين الضفتين.

⁴⁶⁰ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI : «Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique, Op, cit p :166.

⁴⁶¹ - ABU-WARDA NAJIB : « las transformaciones del mundo arabe y sus consecuencias en las relaciones hispano – Magrebes » in : R. CALDUCH (coord) : « la política exterior Española en el siglo XX » Op. Cit, p : 309

⁴⁶² - BERNABÉ LÓPEZ GARCÍA Y MIGUEL H. DE LARRAMENDI : « España y el norte de africa : hacia una estabilidad dinámica, Op. cit p :46.

فقد شكلت المبادرة آلية وفضاء للتفاهم والإجابة عن الإهتمامات المشتركة المتمحورة حول :

- الحفاظ على الأمن والاستقرار
- الوصول إلى نمو إقتصادي وإجتماعي يعيد التوازن للمنطقة .
- خلق إطار لتعايش الثقافات
- بناء فضاء لحسن الجوار
- جعل حوض البحر الأبيض المتوسط منطقة رائدة عالميا.

وهو ما يشكل أيضا أهدافا مهمة لإسبانيا ويتطلب منها وضعا رياديا للنهوض بهذه الأعباء.⁴⁶³ لكن حدة الصراع العربي الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة . وشدة الإنقسام السياسي حول ذلك . ستقف عائقا أمام تقدم هذه المبادرة السياسية التي يحسب لها التقدم بالنقاش حول مفهوم الأمن والتعاون بين الضفتين وضرورة ذلك.

وهي المضامين التي لم تكن غائبة عن ما تمخض عنه مسلسل الشراكة الأورو متوسطية وروح برشلونة.⁴⁶⁴

وهو مما يحسب لإسبانيا، التي أبدت حركية كبيرة ومهمة في المتوسط . وهو ما يعكس إرادة سياسية للمساهمة في حل الإشكالات التي تقبع على حدودها.

ما سيتعزز من خلال الدعوة لمؤتمر برلماني حول الأمن والتعاون في المنطقة في يونيو 1992 بمالقا. دعت إليه بالإضافة للهيئات البرلمانية للدول المتوسطية كل من : الولايات المتحدة ، روسيا، فلسطين، وإنجلترا بصفة مراقب دون إغفال تمثيلات عن الجمعيات البرلمانية الدولية، وهو ما يدخل في سياق أجرة التعاون بين الضفتين.

⁴⁶³ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ : « la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995) », Op. cit p : 78.

⁴⁶⁴ - RAMÓN ARMENGOD LÓPEZ : « España, mediterráneo y mundo árabe » in . JUAN CARLOS PEREIRA (cord) : "la política exterior de España (1800-2003)", Op . cit p: 379.

- M.H DELARRAMENDI, IRENE GONZÁLEZ Y BÁRBARA AZAOLA PIAZZA : « El ministerio de asuntos exteriores y la política exterior hacia el Magreb », Op cit, p : 76.

هذا كله فضلا عن المجهود الذي بذلته الجارة الإيبيرية من داخل المؤسسات الأوروبية للسوق المشتركة للذهوض بالعلاقات بين الضفتين من جهة. ومن جهة أخرى؛ الدهوض بالعلاقات المغربية الأوروبية.

ثانيا : المبادرات من داخل المجموعة الأوروبية

مع دخول إسبانيا للمجموعة الاقتصادية الأوروبية أصبحت ملزمة بالسياسات والمبادرات الأوروبية الجماعية نحو منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها التصور الأوروبي للمغرب من داخل هذه البنية.⁴⁶⁵

وأهم السياسات الأوروبية في المنطقة تتجسد في :

أ- السياسة المتوسطية الشاملة

فقد قامت علاقات المجموعة الأوروبية مع المنطقة المتوسطية على أساس الإتفاقات التجارية مع دول الجوار. لكن منذ لقاء باريس في اكتوبر 1972 ستبنى المجموعة الأوروبية : السياسة المتوسطية الشاملة.⁴⁶⁶

غير أنها لم تخرج عن المضمار الإقتصادي الذي طبع العلاقات الأوروبية بالمنطقة سابقا. حيث عنيت بتوحيد الإتفاقات وشروطها مع دول الجوار المتوسطي. من خلال الخوض في طبيعة السلع التي تستقبل وحصص المنتجات الفلاحية من داخلها. وهو ما أفرز في المحصلة إتفاقات التعاون التي شهدها منتصف عقد سبعينيات القرن الماضي .

لكن مع إنضمام إسبانيا والبرتغال للمجموعة الأوروبية. وطبيعة اقتصاداتها المنافسة لدول شمال إفريقيا خاصة المغرب، ستتم ملاءمة الإتفاقات السالفة لتتكيف مع الوضع الجديد. فعلى مستوى النسيج تم عقد اتفاقات التحديد الذاتي، وعلى مستوى المنتجات الفلاحية تم العمل بالإلغاء التدريجي للحقوق الجمركية في حدود حصص سنوية، حسب معدلات التصدير في سنوات 1980-1984.

⁴⁶⁵ - UXÍA LEMUS DE LA IGLESIA : « los elementos constituyentes de la nueva política (1976-2002), Op. Cit, p :130

⁴⁶⁶ - بشارة خضر : "أوروبا من أجل المتوسط، من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995-2008) " مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، يناير 2010، ص 66.

غير أن السياسة المتوسطية الشاملة، وبالنظر إلى طابعها الإقتصادي، ساهمت في التبعية الإقتصادية للصفة الجنوبية للمتوسط. وهامشية تأثيرها الإيجابي دفعت إلى تعميق الهوة بين الضفتين.

وهو ما سطر فشل سياسات التعاون التجاري، أمام حساسية صادرات دول الجنوب؛ بما فيها المغرب. والمتمثلة في السلع الزراعية والمنتجات النسيجية.⁴⁶⁷ ناهيك عن محدودية التعاون المالي وضعفه. وهو ما سيدفع المجموعة الأوروبية إلى تبني السياسة المتوسطية المجددة، لتفادي إحباطات سابقتها.

ب- السياسة المتوسطية المجددة.

جاءت كبديل للسياسة المتوسطية الشاملة، حيث تمت المصادقة عليها في دجنبر 1990، وعملت على ترسيخ العلاقات الثنائية للمجموعة الأوروبية بدول الجوار المتوسطي. وقد اهتمت هي الأخرى بالجانب الإقتصادي، حيث شكلت جوابا محتشما عن إشكال وصول السلع الفلاحية المتوسطية لأوربا، وذلك في ظل استمرار الحواجز الجمركية.⁴⁶⁸

كما تم تسجيل طرح المعطى الأمني الذي أصبح حضوره متزايدا، خاصة بعد قمة لشبونة لسنة 1992. التي أقرت من خلالها المجموعة الأوروبية بمركزية دول جنوب المتوسط والشرق الأوسط في الإستقرار والأمن الأوربي.

ومن هذا المنطلق؛ تم الإهتمام بدول المغرب العربي، وإعطائها الأولوية في السياسة المتوسطية المجددة. فقد تم رصد بروتوكول مالي هو الرابع للمنطقة. خصص لها ما بين 1992/1996 : 1072 مليون إيكوس. وهو ما اعتبر ارتفاعا بنسبة 36% مقارنة بالبروتوكول المالي لسنة 1988.⁴⁶⁹

⁴⁶⁷ - FILALI ABDELATIF : « le Maroc et le monde Arabe », Op. cit, p : 170

⁴⁶⁸ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ, Op. Cit, p : 74.

⁴⁶⁹ - Ibid.

وقد عرفت هذه السياسة تدني للتصورات الإسبانية من خلال المساعدة المالية على التنمية. والمساعدة على الإصلاحات الاقتصادية والدفع نحو إنجاح مبادرات الاندماج في الضفة الجنوبية للمتوسط.⁴⁷⁰

كما دافعت عن إعطاء عمق لهذه السياسة وتمكينها من وسائل كذلك الموجهة، لدول شرق أوربا.⁴⁷¹ ناهيك عن تحولها لمحام دفاع عن دول الضفة الجنوبية. وخير مثال على ذلك أزمة البروتوكول الرابع بين المغرب والمجموعة الأوروبية. حيث تم إلغاؤه في يناير 1992 من طرف البرلمان الأوروبي على خلفية تعثر مسلسل التسوية الأممي في قضية الصحراء ، وإتهام المغرب بانتهاك حقوق الإنسان.⁴⁷²

فقد دعت إسبانيا إلى إيجاد إطار جديد للعلاقات المغربية الأوروبية،⁴⁷³ كما تقدم وزير الخارجية الإسباني، في مارس 1992 بمقترح خلق منطقة تجارة حرة بين المغرب والمجموعة الاقتصادية الأوروبية.⁴⁷⁴

فضلا عن أن الجارة الإيبيرية كانت وراء إعلان لشبونة الأنف الذكر. والذي شكل بداية إرهابات الشراكة الأورو متوسطية فيما بعد.

وبالجملة، فإن السياسة المتوسطية المجددة، عرفت هي الأخرى الكثير من المثالب لعل أبرزها غياب التعاون الثقافي والعلمي. وعدم الخوض في إشكالات الهجرة. ناهيك عن محدودية إنجازاتها الاقتصادية وفشلها في لعب دور القاطرة الإقليمية.⁴⁷⁵ وهو ما دفع الوزير الأول المغربي عبد اللطيف الفيلالي حينها إلى التصريح بان:

⁴⁷⁰ - ABU-WARDA NAJIB, Op cit p : 333.

⁴⁷¹ - MIGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ, Op cit p :75.

⁴⁷² - ELENA BARACANI ; “ De la asociación euro mediterránea a la política europea de vecindad : una nueva presión europea para la democratización en Marruecos?” in : ANA FERNÁNDEZ - ARDAVÍN y MÓNICA GODED SALTO (coods) « Europa y Marruecos : diez años del proceso de Barcelona “ , Op cit p : 93

⁴⁷³ - BERNABÉ LÓPEZ GARCÍA y MIGUEL H. DE LARRAMENDI, Op. cit p : 47.

⁴⁷⁴ ANTONIO MARQUINA Y CARLOS ECHEVERRIA, Op cit p : 48.

⁴⁷⁵ - بشارة خضر: "أوربا من أجل المتوسط : من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995-2008)، مرجع سابق، ص 66.

"السياسة المتوسطية المجددة التي افتتحت في أوروبا، ليست في نظري لا متوسطة ولا مجددة لسبب بسيط أنها لا تجيب عن حاجياتنا الواضحة والتي تعرفها أوروبا".⁴⁷⁶

وهي السياسة التي سيعصف بها الوضع الدولي والإقليمي المتمثل في تبعات حرب الخليج، الأزمة الجزائرية الداخلية والأزمة اليوغسلافية.

وبناء على ما سبق، يمكن أن نخرج بخلاصة حول الدور الإسباني الواضح والمهم في بلورة المبادرات الأوروبية من داخل مؤسسات المجموعة الأوروبية؛ ومن خارجها. والتي عنيت بالصفة الجنوبية للمتوسط وبالإستقرار في المغرب العربي عموما وفي المغرب على وجه الخصوص. نظرا لأهميته و محوريته في الأمن والإستقرار الإستراتيجي للجارة الشمالية.

كما نستخلص أن جل المبادرات السالفة الذكر، قد انطلقت مع بداية الثمانينات وانتهت مع بداية عقد تسعينيات القرن الماضي، حيث عرف المشهد الدولي والإقليمي هزات سياسية واقتصادية قوية يوطرها واقع ما بعد الحرب الباردة.

فمنذ نهاية سنة 1992، بدأت معالم تصورات جديدة، أشمل وأعمق ينقشع عنها غبار الأزمة الدولية، التي انتهت في حوض البحر الأبيض المتوسط بتبلور مسار برشلونة والشراكة الأورو متوسطية. وهو السياق الذي سيجد إسبانيا هي الأخرى في حلة جديدة، بحيث تستطيع أن تقارع الكبار في أوروبا. وأن تكون لها تصوراتها الخاصة. التي ستؤثر حتما على العلاقات الأوروبية - المغربية في مرحلة الشراكة.

الفقرة الثانية: منعطف برشلونة: الشراكة الأورو متوسطية وما بعدها

الشراكة الأورو متوسطية، تعتبر البنت الشرعية لكل المبادرات آذفة الذكر، والتي ساهمت في التقدم نحو مسلسل برشلونة. مع كل ما عناه ذلك من أهمية للدور الإسباني في هذا البناء المتوسطي (أولا) وهو الدور الإيبيري الذي سيتمد إلى ما بعد مسلسل برشلونة.

⁴⁷⁶ - FILALI ABDELATIF, Op. cit p : 170.

حيث استمر الحضور والفاعلية الإسبانية في الفضاء المتوسطي. الأمر الذي يشكل دعامة للعلاقات المغربية، الإسبانية، من داخل النسق والسياق الأوروبي (ثانيا).

أولا: مسلسل برشلونة وتحول العلاقات الأورو متوسطية

أول ما يسترعي الإنتباه في هذه المرحلة، هو انضمام إسبانيا إلى صف الفاعلين الكبار في مشهد القارة العجوز⁴⁷⁷، نتيجة اندماجها في الإتحاد الأوروبي. الأمر الذي سيضفي عليه الصفة المتوسطية أكثر⁴⁷⁸.

فقد كانت للجارة الإيبيرية كما أسلفنا، نظرتها الخاصة للمغرب العربي والصفة الجنوبية للمتوسط. من خلال العمل على خلق شبكة المصالح الثنائية. والتي ستعمل على تعميمها على المستوى الأوروبي⁴⁷⁹.

حيث دشنت حملتها لإقناع شركائها الأوروبيين بأهمية السياسة المتوسطية⁴⁸⁰. فأتداء تبلور مفهوم الشراكة وبداية اتضاح الرؤية، ستلعب إسبانيا دورا مركزيا وفاعلا في هذا السياق. تجسد في تحركات رئيس الحكومة فليبي غونزاليس في المجلس الأوروبي "إيسن ESSEN" في دجنبر 1994 وفي "كان" في يونيو 1995⁴⁸¹. وساهم في هذا التوجه وجود تيار من الدبلوماسيين الإسبان متخصص في حوض البحر الأبيض المتوسط؛ ووجود عدد من الإسبان في مواقع المسؤولية باللجنة الأوروبية، منهم "أبيل ماتيتوس" و"مانويل مارتين" من بين آخرين⁴⁸².

الأمر الذي انعكس على فاعلية ونشاط إسبانيا في تقديم المقترحات ودعم مسلسل الشراكة⁴⁸³.

⁴⁷⁷ - BENOTHMAN MOHAMED LARBI : « le couple Maroc-Espagne et le nouvel espace euro - méditerranéen » revue : Maroc-Europe N°09 1996 p : 212.

⁴⁷⁸ - فتح الله ولعلو : " المشروع المغربي والشراكة الأورو متوسطية"، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 1997، ص 237.

⁴⁷⁹ - IRENE FERNANDEZ MOLINA : « los prtidos políticos y la política exterior Española hacia El Magreb. Los casos del PSOE y del PP », Op cit P : 43 .

⁴⁸⁰ - RAMÓN, ARMENGOD LOPEZ : « España, Mediterráneo y mundo Árabe», Op.cit P :379.

⁴⁸¹ - M.H. DE LARRAMENDI, IRENE G. GONZALEZ Y BARBARA AZAOLA PIAZZA « El Ministerio de Asuntos exteriores y la política exterior hacia El Magreb », Op cit p : 77.

⁴⁸² - Ibid, p: 76.

⁴⁸³ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI Y JESÚS A NÚÑEZ : « la política exterior y de cooperación de españa en El Magreb (1982-1995)», op cit p : 127.

ولعل من أهم المؤشرات الدالة على ذلك، إطلاق مسلاسل الشراكة الأورو متوسطية سنة 1995 خلال الرئاسة الإسبانية للإتحاد الأوربي⁴⁸⁴ من جهة.

ومن جهة أخرى، انعقاد مؤتمر الشراكة على أرض إسبانية في برشلونة التي تحولت إلى أيقونة المتوسط. ورمز المبادرات الجامعة للمنطقة. الأمر الذي له دلالة سيميائية عن مركزية ومحورية دور الجارة الشمالية وأخواتها اللاتينيات (فرنسا، إيطاليا، البرتغال) في إرساء الشراكة الأورو متوسطية.

ومفهوم الشراكة الذي أُنشئت المرحلة الجديدة من العلاقات بين الضفتين قائم على أساس شمولية مفهوم التعاون من خلال ضم الأبعاد السياسية، الأمنية، الاقتصادية، المالية، الثقافية والاجتماعية الإنسانية.

وهو ما تمخض عنه إعلان برشلونة في المؤتمر الأورومتوسطي في 28 و 29 نونبر 1995 الذي وقعت عليه دول الإتحاد الأوربي الخمسة عشر وإثنا عشر دولة من دول شرق وجنوب المتوسط من ضمنها المغرب.

فقد شكل المشروع فرصة رحلة جماعية لبلدان ضفتي المتوسط باتجاه فضاء مستقر ومزدهر⁴⁸⁵، وذلك من خلال محاور ثلاث:

• المحور السياسي الأمني:

القائم على أساس خلق فضاء السلم والاستقرار في المتوسط، باحترام المواثيق الأساسية، لحقوق الإنسان وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وعدم اللجوء إلى استعمال القوة لحل النزاعات، واحترام قواعد الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة⁴⁸⁶، وتبني آليات الحكامة الجيدة.

⁴⁸⁴ - GUSTAVO DE ARÍSTEGUI : « La yihad en España : la obsesión por reconquistar Al-Andalus » Op cit p : 376.

⁴⁸⁵ - بشارة خضر : " أوروبا من أجل المتوسط من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس 1995-2008 " مرجع سابق، ص 168.

⁴⁸⁶ - CHAFIKI MOHAMED : « las relaciones hispano – marroquíes : incentivo para un mayor acercamiento de Marrueco à la Unión Eurpea » in :ANA FERNÁNDEZ-ARDAVÍN Y MÓNICA GODED SALTO (coords) Op cit p :172.

وهي توجهات وأسس تفاعل معها المغرب بشكل إيجابي، وساهمت في الدفع بمسلسل الإصلاحات السياسية الداخلية إلى مدام. حيث عرف المغرب سنة 1996 تعديلا دستوريا ستعقبه الانتخابات التي حملت حكومة التناوب التوافقي للسلطة، ناهيك عن تبني مجموعة من القوانين والمواثيق الدولية المعززة لهذا المسار.⁴⁸⁷

• المحور الاقتصادي والمالي:

وهو محور عززت أهميته فشل نماذج التنمية في بلدان الضفة الجنوبية من المتوسط من جهة. ومن جهة أخرى، أهمية هذا البعد في ترجمة أهداف الشراكة الأورو متوسطية القائمة على الاستقرار والازدهار في المنطقة⁴⁸⁸. وقد اعتبر قطب الرحي في هذا الجانب إنشاء منطقة التبادل الحر بين ضفتي المتوسط في أفق سنة 2010. خاصة في ظل ضغط إكراهات العولمة الاقتصادية. وتوسع الأسواق مع ظهور مناطق التبادل التجاري الحر عبر العالم من قبيل منطقة آسيا والمحيط الهادي APEC ومنطقة أمريكا الشمالية NAFTA. وهو ما سيدفع الاتحاد الأوروبي في هذا السياق إلى تشجيع حرية التبادل بأبعادها الثلاث:

تبادل السلع مع الإستثناء الفلاحي المهم، وتبادل الخدمات، وحرية تنقل رؤوس الأموال، وهو ما يستتبع القيام بتأهيل الإقتصادات الجنوبية بما فيها الاقتصاد المغربي. وفي هذا الإطار تم تمييز القطاع الخاص وتأهيل المقاولات لتحسين قدرتها التنافسية⁴⁸⁹، خاصة أن المغرب وقع على أولى إتفاقات الشراكة مع الاتحاد الأوروبي في 26 فبراير

⁴⁸⁷ - RIGAR SIDI MOHAMED : « l'impact du partenariat Euro-Marocain sur le processus de réformes au Maroc » revue ADDAWLIYA n°4 , 2008 p 85.

⁴⁸⁸ - EVA DIEZ PERALTA : « Balance y perspectivas de la zona de libre comercio euromediterráneo : El caso de Marruecos » in : ANA FERNÁNDEZ-ARDAVIN y MÓNICA GODED SALTO (coords) Op. cit p : 275.

⁴⁸⁹ - فتح الله والعلو، مرجع سابق، ص 28.

1996 والتي ستدخل حيز التنفيذ في فاتح مارس 2000 في أفق قيام منطقة التبادل الحر⁴⁹⁰.

وعلى المستوى المالي، يعتبر برنامج "ميدا" الأداة المالية الرئيسية للمشاركة الأورو متوسطة. فهو برنامج يقدم على شكل منح، لمواكبة الإصلاحات السياسية؛ الإقتصادية والإجتماعية المعتمدة من قبل دول الضفة الجنوبية.

ويختلف برنامج "ميدا" عن آلية البروتوكولات المالية التقليدية، بكون إعمادات الإلتزام تمثل نفقات غير ملزمة، فكل اعتماد لم يتم إلزامه في نهاية السنة المالية، يلغى بشكل أوتوماتيكي من طرف الإتحاد الأوربي⁴⁹¹.

وقد استفاد المغرب في إطار برنامج "ميدا I" الممتد على الفترة 1996/1999 من غلاف مالي بحجم 630 مليون أورو لمواكبة الإصلاحات التي همت النسيج الإقتصادي ودعم المقاولات⁴⁹².

وفي سنة 2000 ستعمل المفوضية الأوروبية على محاولة تجاوز الإنتقادات الموجهة للمشاركة الأورو متوسطة في سنواتها الأولى، من خلال إطلاق برنامج "ميدا II" الذي عرف في الحالة المغربية مرحلتين للتنزيل، المرحلة الأولى ما بين 2000-2004، تلقى خلالها المغرب دعم قدر بـ 687 مليون أورو لإصلاح القطاع المالي وتأهيل الصحة والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب وإصلاح الإدارة ودعم الأقاليم الشمالية للمملكة.

والمرحلة الثانية امتدت ما بين 2005-2006، تلقى خلالها المغرب مساعدة بمبلغ 275 مليون أورو لإنجاح برنامج السكن الإجتماعي وورش إصلاح النظام الضريبي⁴⁹³.

⁴⁹⁰ - لقد اعتبرت اتفاقية الشراكة الموقعة بين المغرب والاتحاد الأوربي الأولى من نوعها في المنطقة حيث سيأتي بعدها توقيع بقية الشراكات العربية مع الاتحاد ومنها : تونس في 1995/07/17، السلطة الفلسطينية في 1997/02/24، الأردن 1997/11/24، مصر في 2001/06/25، الجزائر في 2002/04/22، لبنان في 2002/06/17، سوريا في أكتوبر 2004. -المزيد من التفاصيل أنظر بشارة خضر: مرجع سابق، ص:70.

⁴⁹¹ - فتح الله والعلو، مرجع سابق، ص 193.

⁴⁹² - BELLAHA LARABI : « Marruecos y el proceso de barcelona : la consolidación de un futuro común » in : ANA FERNÁNDEZ-ARDAVÍN y MÓNICA GODED SALTO (coords), Op. cit p :156.

⁴⁹³ - BENMANSOUR ABDELLATIF : « la coopération de l'union européenne dans l'espace méditerranéen : quels atouts stratégiques pour le Maroc ? Revue ADDAWLIYA N°05, 2009 ; p : 18.

هذا فضلا عن مساهمة البنك الأوروبي للإستثمار في تقديم قروض لتأهيل البنية التحتية للمملكة. والإستفادة من التسهيل الأورو متوسطي للإستثمار والشاركة FEMIP الذي تم استحداثه في الإجتماع الإستثنائي لوزراء "الأوروميد" في اليونان في ماي 2003.⁴⁹⁴

وفي هذا المستوى المالي، أكد السفير، رئيس مفوضية اللجنة الأوربية في المغرب "برونودوطوما" أن المملكة تعد على رأس بلدان جنوب المتوسط المستفيدة من دعم الإتحاد الأوربي في إطار برنامج "ميديا" بمبلغ إجمالي قدره 15 مليار درهم.⁴⁹⁵ وهو ما اعتبر تكريما للإنخراط المهم للمغرب في مسلسل الشراكة.

• المحور الإجتماعي الثقافي والإنساني

الذي قام على الإعراف بدور المجتمع المدني كعنصر مهم في التعاون بين الضفتين والعمل على دعم التبادل والتواصل الحضاري. وهو ما عكسه تنظيم المنتدى المدني الأورو متوسطي الأول بموازاة مع مؤتمر برشلونة في 29-30 نونبر وفاتح دجنبر 1995.

وقد انعكس ذلك على التقارب النسبي بين الجمعيات المدنية والفاعلين السياسيين في الضفتين.⁴⁹⁶ كما أنشأ الإتحاد الأوربي "مجموعة الحكماء من أجل الحوار بين الشعوب والثقافات في المتوسط"، التي نشرت تقريرها سنة 2004 - وتم إقرار "المؤسسة الأورو، متوسطة لحوار الثقافات" التي أطلق عليها مؤسسة "أناليندت ANNA LINDT"⁴⁹⁷ وتم اعتماد مقرها في الإسكندرية.

وعلى هدى مما سبق، فقد سطر مسلسل الشراكة الأورو متوسطة عددا مهما من الإيجابيات. فسياسيا جنب المنطقة المتوسطية التهميش على المستوى العالمي.⁴⁹⁸ وساهم

⁴⁹⁴ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 167.

⁴⁹⁵ - حوار مع : "برونو دوطوما، سفير رئيس مفوضية اللجنة الأوربية في المغرب" الصحراء المغربية، عدد 6240 في 19 فبراير 2006، ص : 10.

⁴⁹⁶ - عبد الله ساعف : "الاتحاد من أجل المتوسط .. المكتسبات المدنية لمسار برشلونة"، دفاثر سياسية، عدد 102، أكتوبر / نونبر 2008، ص : 03.

⁴⁹⁷ - سميت المؤسسة على : أناليندت 1957-2003، وزيرة الخارجية السويدية السابقة تكريما لمجهوداتها في العمل على التقارب بين شعوب ومؤسسات المجتمع المدني المتوسطي. والمؤسسة هي منظمة غير حكومية.

⁴⁹⁸ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 153.

في الإصلاحات السياسية بدول المنطقة خاصة في المغرب من خلال مواكبة ودعم التحول الديمقراطي.

وعلى المستوى الإقتصادي، ساهم مسلسل برشلونة في المرور من منطق المساعدة إلى منطق التعاون والشراكة.⁴⁹⁹ والإستقرار في الإقتصاد الكلي في بلدان جنوب المتوسط مع التواصل الدوري بين الفاعلين من الضفتين على كل المستويات. فضلا عن برنامج ميذا المواكب للإصلاحات الإقتصادية، وتعزيزه بتسهيل مالي جديد هو FEMIP.

كما نستحضر من ضمن حسنات الشراكة الأورو متوسطية، المساهمة في إطلاق مشاريع الاندماج الإقتصادي ما دون إقليمي من خلال اتفاقية مجموعة أكادير ما بين المغرب، مصر، الأردن وتونس.⁵⁰⁰

وفي الإطار الثقافي، تم تسهيل تواصل منظمات المجتمع المدني، والمساهمة في بناء هوية جهوية أورو متوسطية.⁵⁰¹ ناهيك عن الإهتمام الأكاديمي الذي تزايد على القضايا المتوسطية.⁵⁰²

لكن كل هذه الإيجابيات لم تجعل مسلسل الشراكة الأورو متوسطية بعيدا عن مرمى الانتقادات الشديدة، فهناك من اتخذ من هذا المسلسل موقفا صارما ومباشرا، فقد أعلن المفكر سمير أمين، دون التلثم ومراجعة مصطلحاته أنه:

"في مواجهة توسع المشروع الأمريكي، اخترع الأوروبيون مشروعهم الخاص وعمدوه تحت إسم "الشراكة الأوربية المتوسطية" وهو مشروع قليل الجرأة يتلثم بلغوه المتكرر".⁵⁰³

⁴⁹⁹ - MÍGUEL H. DE LARRAMENDI Y JESÚS A. NÚÑEZ, Op. cit p : 80.

⁵⁰⁰ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 209.

⁵⁰¹ - MARTIN JERCH : « de Barcelona a Barcelona plus : pasado ; presente y futuro del proceso de Barcelona » Op. cit p :58.

⁵⁰² - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 16.

⁵⁰³ - سمير أمين: " جيو سياسة الأميرالية المعاصرة " في : " العولمة والنظام الدولي الجديد" سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد 38، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، دجنبر 2004، ص 28.

كما شكل التفاوت بين الخطاب المباشر بالشراكة وثمارها؛ وممارسة الشركاء على الأرض.⁵⁰⁴ أحد أهم نقط ضعف هذا المسلسل. وقد جسد المثال الأبرز لذلك حكومة خوسي مارية اثنار في الجارة الشمالية. فقد شكلت سياسته وتوجهاته الدولية الأطلسية كما سيأتي لاحقاً. وعودته إلى الندية مع المغرب وإلى محاولة استثمار التناقضات المغربية، ضرباً لإعلان برشلونة وروحه القائمة على إقرار السلم والتعاون بين الضفتين؛ والعمل على حل المنازعات عبر الطرق السلمية.

وهو ما ظهر من خلال انخراطه في الحرب على العراق سنة 2003، وقبل ذلك باللجوء إلى استعمال القوة لحل أزمة جزيرة تورة / ليلى مع المغرب، مما أضعف الحضور المتوسطي لإسبانيا، وجعل الشراكة تبدو مجرد شعارات.

وفي نفس السياق، هيمنت الإعتبارات السياسية على الشراكة. فقد أعلن السفير الفرنسي دوغاليه DEGALLAIS أثناء الترويج لمشروع بلاده "الإتحاد المتوسطي" أن: "الشراكة الأورو متوسطية بقيت سجينة الإعتبارات السياسية المرتبطة بالوضع في الشرق الأوسط وبمكافحة الإرهاب والهجرة".⁵⁰⁵

وهي مع ذلك لم تنجح في هذه الملفات، حيث تمت عولمة الإرهاب وارتفاع الجريمة وتهريب المخدرات.⁵⁰⁶

فالإنتقاد المركزي الذي تعرض له مسلسل الشراكة الأورو متوسطية، هو رفض منطق التحرير مع حرية انتقال الأفراد. مما جعلها حبيسة منطق شنغن،⁵⁰⁷ وتأثير الهموس الأمني والقنبلة الديمغرافية.⁵⁰⁸ ناهيك عن التطرق لموضوع الهجرة من داخل سلة

⁵⁰⁴ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 16.

⁵⁰⁵ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 238.

⁵⁰⁶ AKESBI NAJIB : « plus que l'association et moins que l'adhésion ... "quel statut avancé" », revue Marocaine des sciences politiques et sociales n°02 printemps – été 2011 volume III p : 148.

⁵⁰⁷ - فتح الله والعلو، مرجع سابق، ص 14.

⁵⁰⁸ - YASSIR BADRE EDDINE : « nouvelle politique de voisinage : cimetière des illusions perdues » perspectives du Maghreb, N° 08 décembre 2005, P : 19.

الإهتمام بمواضيع الجريمة والإرهاب والمخدرات.⁵⁰⁹ ما يشكل نموذجا لانتقائية الطرف الأوروبي وفرضه لخطاطة تصوره للمفاهيم المؤسسة للشراكة كمفهوم الأمن.

والجانب الإقتصادي هو الآخر لم يكن أحسن حالا من سابقه، ذلك أن الشراكة غير المتكافئة تخدم الأقوياء دائما.⁵¹⁰ فالمبادلات بين دول الضفة الجنوبية لم تتجاوز 8% من مبادلات الدول الأعضاء في المتوسط، في مقابل 50% تمت مع الإتحاد الأوروبي.⁵¹¹

في حين تجلى ضعف الجانب الإقتصادي أيضا، في استمرار النزاع حول ولوج المنتجات الفلاحية المغربية.⁵¹² بما يعنيه ذلك من عدم استعداد الإتحاد الأوروبي لتقديم تنازلات جوهرية قد تخدم اقتصادات دول الضفة الجنوبية.

كما أنه لا مراء في جدية وموضوعية الإنتقادات الموجهة للآلية المالية للشراكة متجسدة في برنامج "ميذا". فمبالغ المساعدة المرصودة للضفة الجنوبية في هذا الإطار تبقى محدودة. ففي الفترة الممتدة بين 2000 و 2006 تم رصد أقل من خمسة يورو للمواطن سنويا.⁵¹³ وهي مساعدة تصل في المتوسط إلى 800 مليون أورو سنويا توزع بين دول مختلفة. وما يبين عدم كفايتها هو 15 مليار يورو التي يجب على البلدان المتوسطية دفعها مقابل خدمة الدين.⁵¹⁴ هذه المديونية التي تعتبر هي الأخرى أحد أوجه فشل الشراكة الأورو متوسطية.⁵¹⁵

ومن المؤشرات الدالة على محدودية الآلية المالية للشراكة، كون المساعدة الرسمية الفرنسية للمغرب والجزائر وتونس بلغت 600 مليون يورو وهو ما يفوق محفظة "ميذا II" المبرمجة للبلدان الثلاث.⁵¹⁶

⁵⁰⁹ - MOUSSADEK NEZHA : « L'organisation de la sécurité dans la région Euro- Méditerranéenne » Mémoire de DESA en Etudes internationales, Faculté des sciences juridiques économiques et sociales, université Hassan II Ainchock, Casablanca, Année universitaire 2001/2002, p : 101.

⁵¹⁰ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص : 69.

⁵¹¹ - نفس المرجع، ص 74.

⁵¹² - AKESBI NAJIB, Op . cit p : 165.

⁵¹³ - BADR EDDINE Yassir : « Nouvelle politique de voisinage ; cimetière des illusions perdues » perspectives du Maghreb n°08 décembre 2005, p : 21.

⁵¹⁴ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص : 91.

⁵¹⁵ - AKESBI NAJIB, Op . cit p : 148.

⁵¹⁶ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 283.

كما أن قرابة 40 مليون، يورو من المبالغ المخصصة للمغرب موجهة لمراقبة الحدود في إطار برنامج لمحاربة الهجرة السرية.⁵¹⁷ وهو ما يبين إعطاء الشراكة مساحة أمنية من خلال جعل المغرب دركي الضفة الجنوبية للاتحاد الأوروبي. وخلاصة الانتقادات الموجهة للشراكة الأورو متوسطية، جاءت على لسان السفير المغربي حسن أيوب من أن :

"التحسن الذي طالما أطنبت في مديحه الخطب الرسمية، يعطي صورة رمزية لدينامية تقدم لا يجدها المواطن في حياته اليومية".⁵¹⁸ وأمام كل هذه الإنتقادات والمثالب، فضلا عن تغير المعطيات الجيو استراتيجية للإتحاد الأوروبي، سندخل مرحلة ما بعد الشراكة الأورو متوسطية ومسلسل برشلونة، وهو ما لن يخل من تأثير على العلاقات المغربية الإسبانية من جهة، والدور الفاعل للجارة الشمالية في هذا السياق من جهة أخرى.

ثانيا: ما بعد فلسفة مؤتمر برشلونة ومستوى الحضور الإسباني .

مع بداية القرن الواحد والعشرين سيعرف الواقع الجيوسياسي المتوسطي والأوروبي والعالمية تغيرات مهمة. تجلت أساسا في توسيع الاتحاد الأوروبي سنة 2004 ليضم مجموعة من دول أوربا الوسطى والشرقية.⁵¹⁹ والحرب على العراق وما أفرزت من إنقسام أوروبي عميق. زد على ذلك الفشل في الوصول إلى حل على مستوى القضية الفلسطينية واستمرار ضغط الإسقاطات السياسية لذلك على المسار الأورو متوسطي. كلها عوامل ستفرز تبني الإتحاد الأوروبي لإطار علائقي جديد تمثل في سياسة الجوار الجديدة.⁵²⁰ وأمام فاعلية الدبلوماسية الفرنسية وأخواتها اللاتينيات، وعلى رأسهن إسبانيا

⁵¹⁷- BELGUENDOZ ABDELKRIM : « enjeux migratoires : Maghreb- Europe – Afrique subsaharienne un regard du sud », Op. cit p :306.

⁵¹⁸- بشارة خضر، مرجع سابق، ص : 91.

⁵¹⁹ - AKESBI NAJIB : “plus que l’association et moins que l’adhésion... quel statut avancé ?” Op. cit p : 152.

⁵²⁰ - BARACANI ELENA: “de la asociación Euro- mediterránea a la política Europea de vecindad : una nueva. Presión Europea para la democratización en Marruecos,?” In : ANA FERNÁNDEZ ABDAVÍN y MONICA GODED SALTO (coords) Op cit p : 83.

سيتم إطلاق مبادرة الإتحاد المتوسطي التي ستعرف العديد من المنعرجات والتعديلات التي ستبرز الحضور الإسباني من داخل النسق الأوروبي.

أ - سياسة الجوار الجديدة.

قبل أن يصل قطار الشراكة إلى محطته الأخيرة، وأمام الواقع الجيوبوليتيكي السالف الذكر، سيستجد الإتحاد الأوروبي بمفهوم الجوار في "الإستراتيجية الأوروبية للأمن" المعلن عنها سنة 2003 في قمة كوبنهاغن.⁵²¹

وقد عمد رئيس اللجنة الأوروبية "رومانو برودي" في نونبر 2004 إلى تقديم عرض عن سياسة الجوار الجديدة في جامعة لوفان الكاثوليكية. حيث ظهر أن اهتمام الإتحاد الأوروبي في هذه المرحلة الجديدة هو الوصول إلى أطراف آمنة على حدوده المباشرة، بشكل لا يستورد معه مشاكل ونزاعات هذا الجوار.⁵²²

كما تم وصف جيران الإتحاد بـ "حلقة الأصدقاء"،⁵²³ حيث يتم التعاون على محاولة تأمين الإستقرار والإزدهار على الحدود الشرقية للاتحاد الأوروبي التي تمتد على طول 5000 كيلومتر. وعلى حدوده البحرية مع بلدان جنوب وشرق المتوسط التي تمتد هي الأخرى على مسافة 5500 كيلومتر.⁵²⁴

وفي نفس المضمار تم توصيف سياسة الجوار بأنها "كل شيء ما عدا المؤسسات" فقد أسست للمنزلة بين المنزلتين. فهي خارج نسق الشراكة وأقل من مرحلة العضوية.⁵²⁵ وتقوم سياسة الجوار على مجموعة من المبادئ يمكن تلخيصها في:

الملاءمة : من خلال التفاوض مع كل بلد حسب أولوياته وخطط العمل المشتركة بين الطرفين. دون أن يكون هناك أي فرض لتصورات مسبقة.

⁵²¹ - جعفر بنموسى: "حول الأداء الدبلوماسي المغربي" حالة المغرب 2009-2010، دفاثر: وجهة نظر، كراسات إستراتيجية 06 ص: 188

⁵²² - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 185.

⁵²³ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, op cit p : 10.

⁵²⁴ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 185.

⁵²⁵ - نفس المرجع، ص 198.

التمايز: من خلال الإقرار بخصوصية كل جار على حدى، و عدم إمكانية توحيد وشمولية السياسات المتبعة.

ربط المساعدة بالتقدم المنجز: لضمان السير قدما في البرامج والأهداف المسطرة.

التدرج : فلكل بلد سرعته ووتيرته الخاصة.⁵²⁶

في حين أن من جملة الوسائل المقترحة لتنزيل فلسفة الجوار الجديدة؛ هو محاولة المشاركة في الأسواق الأوروبية وتقارب الهياكل التنظيمية من خلال دعم الإصلاحات السياسية والديمقراطية. ناهيك عن نسج علاقات تجارية تفضيلية في أفق الوصول إلى توقيع إتفاقات جوار جديدة.

و تأسيسا على ما سبق، يظهر أن التوسيعات المتتالية للإتحاد الأوروبي لم تكن محايدة بالنسبة للبلدان المتوسطية. فبعد أن كانت مع مسلسل برشلونة "شريكا" أصبحت مع سياسة الجوار بلدانا " جارة"⁵²⁷، في خضم شديد الإتساع قد لا يجمع بين البلدان المعذية به أي عوامل مشتركة، فسياسة الجوار برزت بطابعها "اللا متوسطي"، أو بتراجعها عن الصفة المتوسطية لعملية برشلونة.⁵²⁸

والمغرب يعتبر من أوائل البلدان التي تحمست لسياسة الجوار، في الوقت الذي وجدت فيها إسبانيا إطارا جديدا وآلية تحاول من خلالها تجاوز الخلافات الثنائية السابقة.⁵²⁹ خاصة أنها صادفت عودة الحزب الاشتراكي للحكم مع خوسي لويس رودريغز ثباتيرو. ولخص هذه المرحلة سعي المغرب للحصول على "الوضع المتقدم" في علاقاته بالإتحاد الأوروبي، وهو المطلب الذي تسعى خلفه الرباط منذ سنة 2000.⁵³⁰

فهذا الوضع المتقدم يعتبر إطارا جديدا يتماشى مع سياسة الجوار الجديدة، من خلال العمل على اقتسام غنائم الجوار الجيد.⁵³¹ فهو عبارة عن خارطة طريق، تتوج بإصلاحات

⁵²⁶ - نفس المرجع، ص 200.

⁵²⁷ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 171.

⁵²⁸ - MARTIN JERCH, Op cit : : 59.

⁵²⁹ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op cit P :221

⁵³⁰ -IGNACIO CEMBRERO : « Vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos »Op cit p : 137

⁵³¹ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op cit, P :193.

سياسية واقتصادية عميقة، عبر استمرار المحادثات في إطار مجلس الشراكة المغربي - الأوروبي.

وتعذر إسبانيا أول بلد عبر عن دعمه للمغرب في مسعاه للحصول على الوضع المتقدم في علاقته بالاتحاد الأوروبي. وذلك خلال الزيارة الأولى لثباتيرو للمغرب كرئيس للحكومة في مارس 2004.⁵³² حيث تحولت مدريد وباريس إلى المناطق الرسمي الأول باسم المصالح المغربية في هذا الإطار.⁵³³

فمنذ انطلاق المفاوضات الرسمية بين المغرب والاتحاد الأوروبي حول هذا الوضع سنة 2005.⁵³⁴ سيتم تشكيل مجموعة عمل مشتركة مغربية - إسبانية لتدارس سبل وصول المغرب لهذا الوضع وإدماجه في النسيج الأوروبي.⁵³⁵ من خلال المطالبة بدعم مادي أكبر لجارها الجنوبي.⁵³⁶

وفي أكتوبر 2008 سنثمر هذه المجهودات المشتركة، مصادقة مجلس الشراكة الأوروبي المغربي على الخطوات التنفيذية لاستفادة المملكة من الوضع المتقدم في علاقاتها بالاتحاد الأوروبي في السنوات القادمة.⁵³⁷

وهذا الوضع سيمكن المغرب مستقبلا من حق التصويت في مؤسسات الاتحاد الأوروبي. وسيعمل على تقوية الروابط الاقتصادية للطرفين في أفق دمج المملكة في السوق الداخلية الأوروبية.⁵³⁸ ناهيك عن تسريع وتيرة التنمية الاجتماعية وتأهيل البنيات التحتية

⁵³² - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op, p : 223.

⁵³³ - IGNACIO CEMBRERO, Op. Cit, p : 126

⁵³⁴ - entretien avec : LUIS PLANAS PUCHADES , ambassadeur d'Espagne à Rabat ; diplomatica , n°26, 2009 p :27.

⁵³⁵ MANUEL JOSE TEROL BECERRA : « union europea y mediterráneo sur reflexiones sobre su posible ampliación » in : J.J SANCHEZ SANDOVAL Y EL FATHI ABDERRAHMAN (CORRDS) : relaciones España Marruecos nuevos perspectivas y enfoques » Op cit p : 102.

⁵³⁶ - إيفان مارتين (جامعة كارلوس مدريد) : "سياسة الجوار الجديدة لدى أوروبا الموحدة: هل هي فرصة لتوطيد العلاقات بين المغرب وإسبانيا؟ ترجمة محمد الخطابي: دفا تر سياسية عدد 61 في مارس 2004، ص : 12.

⁵³⁷ - حوار مع: "برونو دوطوماس، السفير رئيس مفوضية الاتحاد الأوروبي بالرباط" العلم، عدد 178 21 في 17 أكتوبر 2008، ص : 09.

⁵³⁸ -AKESBI NAJIB Op cit p : 167.

من خلال الاستفادة من صناديق الدعم البنوية للإتحاد. والتي تتجاوز بكثير المحفظة المخصصة لبرنامج ميدا.⁵³⁹

كما سيتمكن المغرب من دخول الاتحاد الجمركي،⁵⁴⁰ والوصول إلى مستويات متقدمة من التعاون السياسي والأمني والقضائي، بتزامن مع إشراف على تقدم الأشغال يتم من مستوى عال من الضفتين. عبر قمم للتوجيه تتعقد كل سنتين أو ثلاثة.⁵⁴¹ لكن الواقع الأوروبي سيشغل منذ مستهل سنة 2007 بديناميكية السياسة الفرنسية ومبادراتها المتمثلة في الإتحاد المتوسطي. فما هي القيمة المضافة لهذه المبادرة؟ وما هو موقع إسبانيا والمغرب من هذه الآلية الجديدة؟

ب- الاتحاد من أجل المتوسط

مع تزايد التوترات في حوض البحر المتوسط من جهة. ومطالب سياسة الجوار الأوروبية الجديدة التي انشغلت بهاجس تأمين الحدود الشرقية للاتحاد الأوروبي من جهة أخرى. ستظهر مبادرة الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي "الإتحاد المتوسطي". حيث سيجعل منها محور حملته الانتخابية للعودة إلى قصر الإليزي، منذ فبراير 2007. وأهم تصورات الرئيس الفرنسي في هذا الاتجاه، كون المتوسط لم يعد "يمثل و عدا، بل بات تهديدا"،⁵⁴² حقيقيا يتطلب المزيد من العناية والاهتمام الأوروبي.

ورغم المبادرات الأوروبية السابقة فيجب الذهاب أبعد وأسرع لتحقيق نتائج إيجابية في هذه المنطقة لأن مستقبل أوروبا في الجنوب.⁵⁴³

كما ركز الرئيس الفرنسي على أن الإتحاد المتوسطي ليس أداة حرب ضد عملية برشلونة أو بديلا عنها. بل يعتبر مشروعا استراتيجيا لفائدة المتوسط ويصب في اتجاه ترسيخ مكتسبات الشراكة الأورو متوسطية.

⁵³⁹ - IGNACIO CEMBRERO Op cit p : 263.

⁵⁴⁰ - IGNACIO CEMBRERO Op cit p : 137.

⁵⁴¹ - حوار مع: برونو دوطوماس، مرجع سابق، ص : 09

⁵⁴² - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 221.

⁵⁴³ - نفس المرجع، ص 224.

وفكرة الإتحاد المتوسطي مستوحاة من بدايات البناء الأوروبي باعتباره إتحاد مشاريع أكثر من كونه مشروع إتحاد.⁵⁴⁴

وقد كان أيضا من أهم عوامل إطلاق فرنسا لهذه المبادرة، تزايد حجم تهميشها في المنطقة نتيجة فتور دبلوماسيتها.⁵⁴⁵ والحضور الفاعل لأطراف أخرى خاصة إسبانيا.

هذه الأخيرة لم تعارض المبادرة الفرنسية لما تحمل من شحذ للوعي والمجهود الأوروبي نحو الواقع المتوسطي، لكنها ظلت متشبثة بمقاربة الشراكة الأورو متوسطية.

لكن بعد القمة الثلاثية المنعقدة في روما في دجنبر 2007 والتي جمعت رؤساء جمهوريات وحكومات فرنسا، إسبانيا وإيطاليا، سنتحول مع نداء روما إلى "الإتحاد من أجل المتوسط"، وهو أكثر من تغيير لفظي، حيث سيتم الإتفاق بين الأخوات اللاتينيات على جعل رسالة المبادرة هي إقامة علاقات على أساس التساوي مع دول الضفة الجنوبية.

واعتبار الإتحاد من أجل المتوسط داعما ومكملا لعملية برشلونة وسياسة الجوار الأوروبية التي تبقى هي الأخرى مركزية في هذا السياق.⁵⁴⁶

ومع دخول اللجنة الأوروبية على الخط وتشبث كبار القارة، خاصة ألمانيا بمسلسل برشلونة كمبادرة جماعية أوروبية. سنصل مع المجلس الأوروبي المنعقد في مارس 2008 إلى تبني مبادرة الإتحاد من أجل المتوسط وتسميتها:

"عملية برشلونة: الإتحاد من أجل المتوسط" وهو ما اعتبر إنعاشا لعملية برشلونة وتبني لجيل جديد من العلاقات بين الضفتين ينصهر في فلسفة الشراكة.

ناهيك عن إنخراط الإتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية كأعضاء قانونيين في هذا الإطار الجديد الذي سيتم تعميده أخيرا بـ "الإتحاد من أجل المتوسط"، في مؤتمر مرسيليا الوزاري في نونبر 2008.

544 - نفس المرجع، ص 243

545 - نفس المرجع، ص 232

546 - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 253

وقد تم تحديد مجال عمل الإتحاد من أجل المتوسط في كل ما ليس من الصلاحيات الحصرية للإتحاد الأوروبي مثل : التأهيل والتربية والثقافة. فضلا عن البنى التحتية البيئية وإدارة المياه والتوازن الاجتماعي وغيرها من المجالات.⁵⁴⁷

كما ستظهر أهمية إسبانيا في البناء المتوسطي من خلال اختيار برشلونة مقرا للأمانة العامة. فقد جعلت الديناميكية الدبلوماسية الإيبيرية من المدينة ممرا إلزاميا للعديد من المبادرات واللقاءات المتوسطية.

بيد أن ما تقدم، لم يمنع من تعثر مشروع الإتحاد من أجل المتوسط. نتيجة للعوامل السياسية التي شكلت الحرب على قطاع غزة في دجنبر 2009 حجر الزاوية فيها. والعوامل الإقتصادية المتمثلة في الأزمة الإقتصادية العالمية. حيث أن جزءا كبيرا من المشاريع التوجيهية للمشروع تقوم على تجنيد القروض التشجيعية والقطاع الخاص. والأزمة عملت على التقليل من القدرة على التمويل.

وهو ما حذى بكل من المغرب وإسبانيا إلى إطلاق مبادرة مشتركة للنهوض بالوساطة في المنطقة المتوسطية، كآلية للوقاية والتسوية السلمية للنزاعات في المنطقة.⁵⁴⁸ الأمر الذي اعتبر انعكاسا لتحسن العلاقات بين الطرفين على مستوى المسار الثنائي، خاصة بعد وصول مريانو راخوي للحكم وتبدد التخوفات التي كانت مرافقة لذلك.

⁵⁴⁷ - نفس المرجع، ص 251.

⁵⁴⁸ - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013، ص 56.

المبحث الثاني: **البعد الأطلسي لعلاقات البلدين**

لا يعتبر التطرق للبعد الأطلسي للعلاقات المغربية الإسبانية من نافل القول، نظرا لأهمية الحضور الأمريكي في هذه العلاقات، وتكيفه لها (المطلب الأول) ونظرا لمركزية سياسات حلف الشمال الأطلسي، كمنظمة تابعة للنفوذ الأمريكي، في فهم جانب من المشهد العلائقي للجارين. مرتبط أساسا بمفهوم الأمن وطبيعة الاصطفاف العسكري للطرفين (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الحضور الأمريكي في المنطقة وتأثيره على علاقات البلدين.
وهو ما سنعمل على رصده، من خلال وضع اليد على حجم أهمية البلدين في التصورات الأمريكية. الأمر الذي يفضي إلى تسطير طبيعة علاقاتهما بالولايات المتحدة (الفقرة الأولى) ثم رصد تأثير الحضور الأمريكي وانعكاسه على علاقات البلدين (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: أهمية وطبيعة علاقات البلدين بالجانب الأمريكي
وهي أهمية تبرز بالدرجة الأولى على المستويين الإستراتيجي والسياسي (أولا) ثم بدرجة، أقل على المستوى الاقتصادي (ثانيا).

أولا: الأهمية الإستراتيجية والسياسية للبلدين في السياسات الأمريكية.
يكتسي كل من المغرب وإسبانيا أهمية خاصة في التوجهات الأمريكية،⁵⁴⁹ تملئها ضرورات موقعها كقوة عظمى.⁵⁵⁰

فعلى المستوى المغربي، يبقى الاهتمام الأمريكي منصبا في المقام الأول على البعد الإستراتيجي.⁵⁵¹ وذلك منذ الحرب العالمية الثانية، نظرا لحساسية تواجد المملكة في

⁵⁴⁹- MOUSSA HORMAT-ALLAH : « chroniques sahariennes : les enjeux géopolitiques et géostratégiques du conflit du Sahara » éditions : MILS . 1^{ère} édition 2004. P : 143

⁵⁵⁰- YAHIA ZOUBIR : « les états-Unis et le Maghreb central : un intérêt croissant » in : ABDI NOUREDINE : Algérie, Maghreb, la pari méditerranéen». Op. cit p :226.

⁵⁵¹ - PALOMA GONZALEZ DEL MIÑO : « las Relaciones entre España y Marruecos », Op. cit p : 140.

المدخل الغربي لحوض البحر الأبيض المتوسط. وما يعنيه ذلك من حيوية للأسطول السادس الأمريكي.⁵⁵²

و هذا الاهتمام سيزداد منذسوبة مع اشتعال أوار الحرب الباردة. وفقدان الولايات المتحدة لعدد من حلفائها التقليديين إثر قيام الثورة الإيرانية. وغزو الإتحاد السوفياتي لأفغانستان.⁵⁵³ وهو ما سيتزامن مع وصول الرئيس ريغن للحكم ونهجه سياسة الاحتواء لمحاربة الإنتشار الشيوعي. من خلال العمل على ترميم تحالفات بلاده التقليدية⁵⁵⁴ متجاوزا بذلك إحباطات سياسة كارتر - بريجنسكي التي انفرط إبانها عقد تحالفات الولايات المتحدة التقليدية.⁵⁵⁵

فقد أسس عهد الرئيس ريغن لعلاقات مغربية أمريكية متميزة. لخصها تصريح مساعد كاتب الدولة في شؤون أسيا والشرق الأوسط "موريس دراير" بعد شهرين من وصول الرئيس ريغن للحكم:

"الإدارة الجديدة تشعر بقوة بأن الأصدقاء القدامى كالمغرب يستوجبون دعما واعتبارا خاصا".⁵⁵⁶

وهي صفحة جديدة من العلاقات المتميزة، ستتأسس على الأهمية الجيو إستراتيجية للمغرب وإمكانية إستعمال قواعده من طرف قوات التنقل السريع الأمريكية.⁵⁵⁷

⁵⁵² - YAHIA H. ZOUBIR : « la politique étrangère américaine au Maghreb : constances et adaptations».

http://meria.idc.ac.il/journal-fr/2006/jvl_nola8.html. p:02.

⁵⁵³ - المودن عبد الحي: ورقة حول العلاقات المغربية الأمريكية 1975-1998" ألقيت على طلبية السنة الثانية من الدراسات العليا المعمقة، شعبة الدبلوماسية المغربية، كلية الحقوق ، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية 1998/1999، ص04.

⁵⁵⁴ - الحسان بوقنطار: السياسة الخارجية المغربية: الفاعلون والتفاعلات" مرجع سابق، ص 183.

⁵⁵⁵ - وقد كان المغرب من ضمن الدول التي عرفت علاقتها بالولايات المتحدة توترات مهمة في هذه الفترة على خلفية إعلان حكومة كارثر في نونبر 1978 وقف بيع الأسلحة للمغرب بحجة خرقه لاتفاقية 1960 التي تجمع الطرفين. وذلك في ذروة حرب الصحراء التي كانت تخوضها المملكة. ففي ربيع 1979 أكد الراحل الحسن الثاني أن ثمن استمرار الصداقة المغربية الأمريكية هو استمرار تقديم الدعم العسكري لبلاده.

⁵⁵⁶ - أخصاص خاليد: "السياسة الأمريكية تجاه الصحراء المغربية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 17، شتاء 2008، ص: 79.

⁵⁵⁷ - وهو ما أكد عليه الاتفاق العسكري الموقع بين المغرب والولايات المتحدة في 27 ماي 1982 من طرف كل من وزير الخارجية محمد بوسنة ونظيره الأمريكي "إليكسندر هينغ".

ناهيك عن اعتبار المملكة قنطرة عبور وولوج لمناطق مختلفة من العالم، في تعزيز لشبكة القواعد الأمريكية المنتشرة عالمياً.⁵⁵⁸ وهو الأمر الذي سيتأكد مع دخول العلاقات الدولية طوراً جديداً على إثر تفجيرات 11 سبتمبر 2001. وبروز الأهمية العسكرية والأمنية للمملكة⁵⁵⁹، كما سيأتي لاحقاً.

ومما لا مرأى فيه، أن بالموازاة مع كل ما تقدم تبرز أهمية المغرب بالنسبة للطرف الأمريكي، في طبيعة نظامه السياسي التعددي، وقابليته للإنتفاخ المتزايد.⁵⁶⁰ وإنجاح العملية السياسية الداخلية. وهو ما تم بالفعل عقب وصول المعارضة الإشتراكية للحكم سنة 1998 وإطلاق مسلسل التناوب التوافقي.⁵⁶¹ ما دفع السفير الأمريكي السابق "مارك غيسنبورغ" إلى التصريح بأن: "مغرب قوي يعني أمريكا قوية".⁵⁶²

هذا الإعتدال السياسي، هو الذي تمخض عنه البعد الشرق أوسطي للعلاقات المغربية - الأمريكية.⁵⁶³ والدور الفاعل للمغرب في الدفع بعملية السلام في الشرق الأوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين.⁵⁶⁴ فضلاً عن أن المغرب، في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية اليوم المتمثلة أساساً في الربيع العربي وإسقاطاته. أصبح ينظر إليه أمريكا كنموذج سياسي ناجح.⁵⁶⁵

وانسجاماً مع نفس نمط التحليل، وفي ظل تقسيم العالم في التصورات الأمريكية إلى دول صديقة ودول حليفة، ودول فاشلة ودول مارقة وغيرها من التصنيفات. تم الدفع

⁵⁵⁸ - EDWARD GABRIEL : « l'importance stratégique du Maroc et de la région méditerranéenne. » Discours prononcé par l'ambassadeur des Etats-Unis au Maroc à la conférence sur « l'aide à la sécurité et la coopération » au commandement européen des États-Unis le 23/03/1999. A Grainau, en Allemagne . <http://www.usembassay.ma/usmorrelations/speeches/gabrielfr.htm>. p04

⁵⁵⁹ -YAHIA H. ZOUBIR :«la politique étrangère américaine au Maghreb ; constances et adaptations.» Op. cit p :08.

⁵⁶⁰ - بشارة خضر " أوروباً من أجل المتوسط : من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (2008/1995) "، مرجع سابق، ص 61.

-PALOMA GONZALEZ DEL MIÑO Op cit ; p : 140.

⁵⁶¹ - EDWARD GABRIEL Op cit : p : 01

⁵⁶² - التقرير الاستراتيجي للمغرب 1997/1998، مرجع سابق، ص 67.

⁵⁶³ - نفس المرجع، ص : 98.

⁵⁶⁴ - الحسان بوقنطار : السياسة الخارجية المغربية: الفاعلون والتفاعلات" مرجع سابق، ص 186.

⁵⁶⁵ - يحيى اليحيوي: "المغرب وأمريكا بحاجة إلى إصلاح المقاربة" المساء، عدد 2254 في 25 دجنبر 2013، ص 09.

بالمغرب وإعطائه أولوية في السياسات الأمريكية باعتباره نموذجا للدول المستقرة سياسيا، ومثالا للديمقراطية المطلوبة عربيا.⁵⁶⁶

وعلى الجانب الإسباني، نجد نفس الأهمية الإستراتيجية في خطاطات العمل الأمريكية، فكما صرح المفكر سمير أمين:

"تحتل إسبانيا موقعا مهما في إستراتيجية الهيمنة العالمية لدى الولايات المتحدة"⁵⁶⁷ وهو معطى لعب فيه الموقع الجغرافي الاستثنائي لإسبانيا دورا محوريا⁵⁶⁸، من خلال إطلالها على الواجهة الأطلسية والمتوسطية. ودورها المحتمل في إحلال الأمن والاستقرار على هذا المستوى.⁵⁶⁹ ناهيك عن كونها الممر البري الوحيد لأوروبا نحو إفريقيا،⁵⁷⁰ نتيجة احتلالها لمدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. وهذه الأهمية الإستراتيجية، شكلت تاريخيا المفتاح بالنسبة لنظام فرانكو في سياسة الدولية.

فقد عاشت إسبانيا الفرانكوية عزلة دولية نتيجة مواقفها في الحرب العالمية الثانية. و نتيجة طبيعة سلوك نظامها داخليا كما أسلفنا. الأمر الذي أفرز توصية الأمم المتحدة I 39 لسنة 1946 التي لم تعترف لنظام فرانكو بتمثيل الأمة الإسبانية. وأسست لعزله دوليا.⁵⁷¹ لكن الأهمية الإستراتيجية للجارة الإيبيرية المشار إليها أنفا، ودخول العالم مرحلة الحرب الباردة، استدفع "جورج كينان" صاحب سياسة الإحتواء، إلى التشجيع في أكتوبر 1947 على فتح العلاقات وتطبيعها مع إسبانيا.⁵⁷²

⁵⁶⁶ -YAHIA H. ZOUBIR :«la politique étrangère américaine au Maghreb ; constances et adaptations.» Op. cit p :03.

⁵⁶⁷ - سمير أمين: "جيوسياسية الأميرالية المعاصرة. مرجع سابق، ص 36.

⁵⁶⁸ - UXIA LEMUS DE LA IGLESIA : « los elementos constituyentes de la nueva política exterior y de seguridad de España hacia Marruecos(1976-2002) », Op . cit p :136.

⁵⁶⁹ - PECHARROMÁN JULIO GIL : « la política exterior del franquismo : entre Hendaya y el Aaiún » ,Op. cit . p :296.

⁵⁷⁰ - الحامدي فتيحة: " جيو إستراتيجية سبتة ومليلية"، مرجع سابق، ص 189.

⁵⁷¹ - MONTERRAT AUGUET : « la política exterior del franquismo (1939-1975) » in : JUAN CARLOS PEREIRA : «la política exterior de España (1800/2003) » Op. cit. p :505.

⁵⁷² - PECHARROMÁN JULIO GIL, Op. cit. p : 173.

وهو المخطط الذي ستدفع به حرب كوريا سنة 1951 للأمام. نتيجة رغبة الولايات المتحدة والمعسكر الغربي في تأمين الضفة الغربية لأوروبا والبحر الأبيض المتوسط. وتأسيسا على ما سبق، فقد توصلت الولايات المتحدة وإسبانيا إلى إتفاق دفاع مشترك ومتبادل بين الطرفين، تم توقيعه في 13 شتنبر 1953، وسيتمكن الجانب الأمريكي من امتلاك قواعد عسكرية مهمة في الجارة الشمالية.⁵⁷³

ومن أهم هذه القواعد العسكرية نجد القاعدة البحرية "Rota روتا" في خليج قادس Cadiz التي تقعد لأساس الحضور الإستراتيجي الأمريكي في إسبانيا من خلال التحكم في المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط.⁵⁷⁴

بالإضافة إلى قاعدة "توريخون دي اردوث Torrejon de ardoz" المتواجدة على مقربة من العاصمة مدريد والتي تم افتتاحها في يونيو 1957، وقاعدة "مورون دي لافرونثيرا Moron de La frontera" في اشبيلية بالأندلس. وقاعدة ثراغوسة Zaragoza.⁵⁷⁵

وهي قوا عد شكلت تحولا مهما في عمر النظام الإسباني، حيث مهدت لإستعمال علاقاته الأطلسية كأداة لتفادي العزلة الدولية.⁵⁷⁶ من خلال قبوله كعضو كامل العضوية في الأمم المتحدة في دجنبر 1955. وهو ما لم يكن ليتم لولا المساندة والدعم الأمريكي.⁵⁷⁷ كما مكن الوضع الجديد إسبانيا من لعب دور دركي الغرب في المنطقة.⁵⁷⁸

⁵⁷³ - BOUSSAID MOHAMED: "les relations entre le Maroc et l'Espagne de l'indépendance à 1990". Op. cit : 230.

⁵⁷⁴ - RAFAEL GARCÍA PÉREZ : "España en un mundo en Cambio : a la Busqueda de la influencia, internacional (1986-2002)". In : JUAN CARLOS PEREIRA : « la política exterior de España (1800-2003) » Op. cit. p :541.

⁵⁷⁵ - PECHARROMÁN JULIO GIL Op. cit. p: 198.

⁵⁷⁶ - JUAN CARLOS JIMÉNEZ REDONDO : « de SUAREZ A RODRÍGUEZ ZAPATERO : la política exterior de la España democrática » Op.cit p :35

⁵⁷⁷ - MONTSERRAT HUGUET, Op.cit. p : 35.

⁵⁷⁸ - POWELL CHARLES : « España en democracia 1975-2000 : los claves de la profunda transformación de España », Op. cit. p : 108.

وزاد من الأهمية الإستراتيجية لإسبانيا أمريكيا، اختيار وكالة نازا الفضائية لمنطقة "روبلدو دي تشابيللا" قرب مدريد سنة 1965 لإنشاء مرصد فضائي.⁵⁷⁹ فضلا عن قيام نظام معمر القذافي في ليبيا في شتبر 1969. وفقدان الولايات المتحدة لقواعدها العسكرية هناك. ما سيعزز قيمة القواعد الإسبانية في سياسة التدخل العسكري الأمريكية بالمنطقة.⁵⁸⁰

وسيتم تمديد عمر الحضور الأمريكي العسكري في إسبانيا في يناير 1976 بتوقيع إتفاق الصداقة والتعاون بين الطرفين. والذي اعتبر دعما مباشرا للملك الشاب خوان كارلوس في مسلسل الانتقال الديمقراطي الذي أطلقه.⁵⁸¹

فقد سارت المتغيرات الدولية لصالح تعزيز الأهمية الإستراتيجية للقواعد الأمريكية في إسبانيا؛ بالنظر إلى الخروج المذل للقوات الأمريكية من حرب الفيتنام وسقوط الدكتاتوريات المساندة لها في كل من اليونان والبرتغال. فضلا عن توتر الوضع العسكري في الشرق الأوسط من خلال تبعات الحرب العربية الإسرائيلية.⁵⁸²

و هي أهمية سيكرسها إتفاق دجنبر 1988 للتعاون والدفاع الذي أسس لعلاقات أمريكية - إسبانية متميزة.⁵⁸³ . و ذلك على أعتاب حرب الخليج الأولى إثر غزو العراق للكويت. حيث عرف 35% من الطيران الحربي الأمريكي طريقه نحو الخليج عبر القواعد المتواجدة في إسبانيا. كما عبر 237 قاربا حربيا للمنطقة عبر الموانئ الإسبانية.⁵⁸⁴

وعطفا على كل ما تقدم، فإن إسبانيا تكتسي في الولايات المتحدة الأمريكية أهمية تتجاوز بكثير البعد الإستراتيجي العسكري، لتتدرج في سياقات سياسية وثقافية لا تخلو من

⁵⁷⁹ - PECHARROMAN JULIO GIL, Op . cit . p :298.

⁵⁸⁰ - Ibid. p :330.

⁵⁸¹ - EN CARNACION LEMUS Y J.C PEREIRA CASTAÑARIS: « Transición y política exterior (1975-1986) » in JUAN CARLOS PEREIRA ; « la política exterior de España (1800-2003) », Op. cit. p :230.

⁵⁸² - PECHARROMAN JULIO GIL , Op. cit. p:379.

⁵⁸³ - LEÓN KLEIN : « Marruecos : la amenaza su guerra de baja cota contra España » colección Geopolítica, Editorial PYRE, 1ra edición, diciembre 2005, p :24

⁵⁸⁴ - ANTONIO MARQUINA: « la evolución de la política de seguridad Española (1982-1992) » in : R. CALDUCH (corrd) : « la política exterior Española en el siglo XX » Op. cit. p : 381.

أهمية وتأثير. ويكفي أن نشير إلى أن بذية الشعب الأمريكي اليوم رغم تنوعها واختلاف مشاربها. فقد أصبحت تعرف تزايدا مهما للعنصر الإسباني، وهو ما يعطي الجارة الشمالية حضورا وإمكانية للتأثير في الواقع الأمريكي نتيجة انتشار اللغة والثقافة الإسبانية.⁵⁸⁵

فكل ما تقدم يصب إذن في الأهمية الإستراتيجية والسياسية لكل من المغرب وإسبانيا بالنسبة للعلاق الأمريكي. وهو ما يبعث على التساؤل حول طبيعة الحضور الاقتصادي للبلدين في السياسات الأمريكية؟

ثانيا: مدى الأهمية الاقتصادية للبلدين في السياسات الأمريكية.

أهم ما يميز العلاقات الاقتصادية بين المغرب والولايات المتحدة هو ضعفها ومحدوديتها بالمقارنة بالأهمية الإستراتيجية للمنطقة⁵⁸⁶. فالمغرب يعتبر الشريك رقم 73 بالنسبة للولايات المتحدة،⁵⁸⁷ مع ما يرافق ذلك من ضعف في المبادلات على مستوى الصادرات والواردات.⁵⁸⁸

لكن بعد إنهيار المعسكر الشرقي بدأت المصالح الاقتصادية تفرض نفسها أكثر في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية. خاصة أمام احتدام المنافسة على الأسواق عالميا.

الأمر الذي سيفرز حضورا اقتصاديا أمريكيا متزايدا في المغرب في تسعينيات القرن الماضي.⁵⁸⁹

وهو حضور سيتم التعهيد له بإحداث المجلس المغربي - الأمريكي للتجارة والاستثمار سنة 1994. وتوقيع إتفاق الإطار في مجال التجارة والاستثمار لسنة 1995. دون إغفال دور الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في إنعاش هذا التوجه بين الطرفين.⁵⁹⁰

⁵⁸⁵ - ALEJANDRO MUÑOZ-ALONSO : « España en primer plano : ocho años de política exterior (1996-2004) » Op.cit. p ; 97.

⁵⁸⁶ - عبد الحي المودن، مرجع سابق، ص 02 و 09.

⁵⁸⁷ - التقرير الاستراتيجي المغربي، 2003-2005، ص 115.

⁵⁸⁸ - CARLA FIBLA GARCÍA - SALA : « España -Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroqui : opiniones e ideas », Op. cit. p : 43.

⁵⁸⁹ - علي الحاج: "سياسات دول الاتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة"، مرجع سابق، ص 166.

⁵⁹⁰ - الحسوني عبد الكريم : "المغرب في السياسة الخارجية الأمريكية"، المغرب الدبلوماسي، عدد 40، يونيو 2007، ص 13.

وأمام هذا الاهتمام المتزايد بالبعد الاقتصادي دوليا. ستتعزيز الأهمية الاقتصادية للمنطقة المغاربية ككل في التصورات الأمريكية.⁵⁹¹ وهو ما سترجمه "مبادرة ستيوارت أيزنستات" وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون الاقتصاد والأعمال والزراعة في يونيو 1998.⁵⁹² بالدعوة إلى شراكة اقتصادية أمريكية - مغربية، قائمة على إعطاء أولوية للقطاع الخاص للنهوض بها.

إلا أن حدة الخلافات السياسية حول قضية الصحراء بين كل من المغرب والجزائر. واستمرار إغلاق الحدود بين الطرفين. ومحدودية المبادلات البين- مغربية عموما، ستجعل المبادرة حبرا على ورق.

لكن أوج الأهمية الاقتصادية في العلاقات المغربية-الأمريكية سيتم تسجيله مع طرح إتفاق التبادل الحر للتفاوض بين الطرفين. حيث أصبحت الولايات المتحدة في ظل تفرداها بالزعامة الدولية من داخل نظام الأحادية القطبية، تسعى إلى إطالة أمد زعامتها الاقتصادية في سياق منافسة دولية شرسة على الأسواق العالمية وتراجع موقفها التجاري.⁵⁹³

فمن هذا المنطلق؛ يشكل المغرب دعامة مهمة في إستراتيجية التوسع الاقتصادي الأمريكية نحو إفريقيا. وفي المنطقة المتوسطية خاصة.⁵⁹⁴ ناهيك عن تمدد مفهوم الأمن⁵⁹⁵ بشكل يسمح للإستراتيجية الاقتصادية بخدمة الأجندة السياسية، فالشراكة لم تعد مجرد مشروع اقتصادي، بل آلية محورية على مستوى الدبلوماسية الوقائية للآزمات.

ما أفرز اعتبار اتفاق التبادل الحر بين الطرفين لبنة مهمة في المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير.⁵⁹⁶ الهادف إلى حل الإشكالات السياسية عبر خلق سوق شرق أوسطية موسعة.

⁵⁹¹ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 28.

-YAHIA H. ZOUBIR : «la politique étrangère américaine au Maghreb ; constances et adaptations.» Op. cit p :01.

⁵⁹² - عبد الحي المودن، مرجع سابق، ص 05.

⁵⁹³ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 51

⁵⁹⁴ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA : « Marruecos y España : en la política de seguridad del mediterráneo “ , Op cit. p :99.

⁵⁹⁵ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA : « Marruecos y España : en la política de seguridad del mediterráneo “ , Op cit. p :205.

⁵⁹⁶ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص : 53.

كما ساهمت تفجيرات نيويورك في شتبر 2001 في تعزيز منطق التفكير هذا، على اعتبار أن الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية ستساعد على تقليص أحزمة الفقر والبؤس المنتجة في جزء كبير منها لظاهرة الإرهاب.

وقد تم الإعلان عن مشروع اتفاق التبادل الحر بين الطرفين إثر زيارة الممثل التجاري الأمريكي " روبيرت زوليك" للمغرب. لتستمر المفاوضات على مدار تسعة جولات امتدت مدة أربعة عشرة شهرا ستنتهي بالتوقيع على الاتفاق في مارس 2004. ليصبح المغرب بذلك أول بلد إفريقي وثاني بلد عربي بعد الأردن يوقع اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة.⁵⁹⁷

وعلى هدى مما سبق، عرفت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين تحسنا ملحوظا، حيث أصبحت الولايات المتحدة تحتل الرتبة الرابعة بين الشركاء الاقتصاديين للمملكة بعد كل من فرنسا، إسبانيا والصين. كما أصبح المغرب يحتل المرتبة الخامسة بين الأسواق العربية المهمة لدى الولايات المتحدة.⁵⁹⁸

فقد تطورت المبادلات التجارية بين الطرفين بنسبة 147% بعد دخول اتفاقية التبادل الحر حيز النفاذ.⁵⁹⁹ إضافة إلى استثمار ما يقرب من 120 مقولة أمريكية في مختلف القطاعات الإنتاجية المغربية. ما مكنها من شغل 90 ألف منصب شغل.⁶⁰⁰

أما على الطرف الإسباني، فإن منطق الأهمية الاقتصادية للتجارة الإيبيرية أمريكيا، هو الذي حكم علاقات الطرفين. فمنذ نظام فرانكو وحتى اليوم ارتبطت مصالح الولايات المتحدة بالتطبيع سياسيا واقتصاديا مع إسبانيا.⁶⁰¹

الأمر الذي سيمكن الطرفين من جني ثمار هذه العلاقات الاقتصادية المتميزة، خاصة بعد القفزة المهمة للاقتصاد الإسباني في تسعينيات القرن الماضي. بشكل لا يمكن أن يبقى معه على هامش الإستراتيجية الاقتصادية للقوة العظمى الأولى عالميا.

597 - نفس المرجع، ص: 59.

598 - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013، ص: 07.

599 - التقرير الاستراتيجي المغربي 2010-2013، ص: 11.

600 - نفس المرجع، ص: 12.

601 - LORENZO DELGADO : "le régime de franco, le plan marshall et les puissances occidentales" revue relations internationales, N° 106 Eté 2001, p : 222.

ليتم اليوم رصد الولايات المتحدة كأول مستثمر أجنبي بالجارة الشمالية، في مجالات ذات علاقة بالتكنولوجيا الحديثة والطاقات المتجددة. في الوقت الذي تعزز فيه إسبانيا موقعها كثالث مستثمر أجنبي بالولايات المتحدة.⁶⁰²

وهذه القوة الاقتصادية لكل من الولايات المتحدة وإسبانيا كجزء من الاتحاد الأوروبي، ستجعل من المغرب كطرف ثالث محط منافسة. رغم نفي الرسميين لمنطق التفكير هذا.⁶⁰³ وخير مثال على ذلك اتفاق التبادل الحر بين المغرب والولايات المتحدة، والذي شكل بالنسبة للمغرب وسيلة ضغط على الشركاء الأوروبيين، بما فيهم إسبانيا.⁶⁰⁴ واستغلالا للمنافسة القائمة بين هذه الأطراف على الأسواق العالمية. ما شكل بالنسبة للمملكة تجسيدا للإستراتيجية التعويضية القائمة على اللعب على التناقضات الغربية. من خلال تعويض القوى الأوروبية بالولايات المتحدة تحسبا للتقلبات التي يفرضها واقع العلاقات الدولية.

ففي سياق زيارة الملك خوان كارلوس للمغرب في يناير 2005، وفي محاولة لتبديد المخاوف الأوروبية والإسبانية على الخصوص. سيعلن الملك محمد السادس في تصريح له لجريدة "الباييس" تعليقا على الاتفاق المغربي الأمريكي: "يتعلق الأمر بمبادرة تكمل الاتفاقيات الموقعة بين المغرب والاتحاد الأوروبي ولا تحل محلها".

مضيفا: "نحن المغاربة مضطرون إلى عدم وضع البيض في سلة واحدة".⁶⁰⁵

⁶⁰² - "Première visite officielle à Washington du dirigeant socialiste" in : www.latinreporters.com/espagnepol14102009.html

⁶⁰³ - EDWARD GABRIEL, Op cit: p:03.

⁶⁰⁴ - GONZALO ESCRIBANO FRANCES: « Marruecos y la unión Europea: 10 años después de la conferencia de Barcelona » . - In : ANA FERNANDEZ-ARDAVÍN Y MONICA GODED SALTO (Coods) Europa y Marruecos ; Diez años del proceso de Barcelona » Op.cit. p : 203.

⁶⁰⁵ - بشارة خضر، مرجع سابق، ص 58.
تصريحات أدلى بها الملك محمد السادس في 16 يناير 2005 لجريدة الباييس الإسبانية. وكانت قد ظهرت أصوات في الجارة الشمالية تبنت موقفا معتدلا من اتفاق التبادل الحر المغربي الأمريكي. ومن ضمنها رئيس الحكومة الإسبانية ثباتيرو فائتاء الإجابة على سؤال بالبرلمان الأوروبي حول الموضوع كان رده أن :
"كل ما من شأنه أن يجعل بلدانا كالمغرب تتقدم نحو الحداثة والانفتاح وعلاقات مهمة مع العالم الغربي، بلا شك سيكون جيدا بالنسبة لإسبانيا والمغرب" أنظر:

-LEON KLEIN : « Marruecos : la amenaza su guerra de baja cota contra España » Op cit p : 91.

وتأسيسا على كل ما سبق، تظهر الأهمية الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية لكل من المغرب وإسبانيا في سياسات وتصورات الولايات المتحدة الأمريكية. الأمر الذي سينعكس على طبيعة حضورها في العلاقات الثنائية للبلدين.

الفقرة الثانية: تأثير الحضور الأمريكي على علاقات البلدين

وهو الأمر الذي يمكن مقارنته من خلال ملف الصحراء بالنظر إلى أهميته ومحوريته في علاقات البلدين (أولا) ثم من خلال إستراتيجية محاربة الإرهاب الدولي التي انتهجتها الولايات المتحدة عقب تفجيرات نيويورك في شتنبر 2001؛ باعتبارها علامة فارقة في التاريخ الحديث للعلاقات الدولية من جهة. ومن جهة أخرى؛ بالنظر لأهمية البلدين في هذه الإستراتيجية، وتأثير ذلك على علاقاتهما (ثانيا).

أولا: التعاطي الأمريكي مع قضية الصحراء وتأثيره على مواقف البلدين

لا تعتبر قضية الصحراء أولوية بالنسبة لصانع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية.⁶⁰⁶ مقارنة بقضايا دولية أخرى تنصدر أجندتها. ومع ذلك فإن ثقل الولايات المتحدة في هذا الملف يعتبر وزنا؛ بالنظر لموقعها كقوة دولية كبرى. الأمر الذي كان له تأثيرا بيّنا على السلوك السياسي لكل من المغرب وإسبانيا في قضية تعتبر محورية في تجاذبات العلاقة الثنائية بينهما.

فمنذ سنة 1975، وارتباطا بحسابات جيوسياسية قائمة على منطق الحرب الباردة. ستتخذ الولايات المتحدة مواقف مؤيدة للمطالب المغربية في الصحراء، كحليف إستراتيجي في منطقة شمال إفريقيا.⁶⁰⁷

وذلك من خلال معارضة إمكانية قيام دولة صحراوية مستقلة على الواجهة الشرقية للمحيط الأطلسي. والضغط التي مارسها كاتب الدولة في الخارجية "هينري كيسنجر" على الطرف الإسباني لدفعه لتوقيع الإتفاق الثلاثي مع المغرب.⁶⁰⁸ فضلا عن تدخلات الجنرال

⁶⁰⁶ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA Op.cit.p:78

⁶⁰⁷ - POWELL CHARLES: "España en democracia 1975-2000: los claves de la profunda. Transformación de España", Op. cit. p : 119.

⁶⁰⁸ - Moussa Hormat Allah; op. cit.p:171.

"فرنون ولترز"، نائب مدير وكالة الإستخبارات الأمريكية حينها، والتي سارت في نفس الاتجاه.⁶⁰⁹

لكن بعد خروج إسبانيا من الصحراء، ودخول القضية منعرجا جيو سياسيا إقليميا تميز بالندية المغربية - الجزائرية. سيعرف الموقف الأمريكي تذبذبا مع رئاسة "كارتر". حيث اعتبر حرمان المغرب من صفقات التسليح بين 1977 و 1979 بدعوى إستخدامه في نزاع الصحراء أولا.⁶¹⁰ ثم لاحقا اشتراط فتح مفاوضات مع جبهة البوليساريو لإتمام تلك الصفقات.⁶¹¹ تجسيدا لهذا الموقف الجديد.

هذا في حين شكلت رئاسة ريغان مع بداية ثمانينات القرن الماضي، بداية انطلاقة جديدة للدعم الأمريكي للموقف المغربي. فقد عاد كاتب الدولة في الخارجية الأمريكية أليكسندر هيغ إلى أطروحة سلفه كسينجر في اعتبار نزاع الصحراء انعكاسا لمناخ الحرب الباردة، وبوابة لتعزيز حضورها الجيو ستراتيغي عبر دعم حلفائها التقليديين.

وهي التغيرات التي تزامنت إسبانيا، مع فترة البناء الداخلي ومسلسل الانتقال الديمقراطي وما شكلته قضية الصحراء من محورية في هذه السجلات الإيبيرية كما أسلفنا. والتي لن تنتهي على مستوى المواقف الرسمية إلا بعد سيطرة الحزب الاشتراكي العمالي على المشهد السياسي وبروز القراءة السياسية لزعيمه "فليبي غونزالس". والقائمة أساسا على ربط استقرار بلاده بالاستقرار السياسي للآجار الجنوبي المغرب، وهو الهدف الذي تشكل فيه مغربية الصحراء قطب الرحي.

ومما لا مراء فيه، أن تظافر مجموع العوامل الدولية والإقليمية مع بداية تسعينيات القرن الماضي. سيدفع في اتجاه إيجاد حل سلمي لمشكل الصحراء في إطار الاستفتاء وتقرير المصير.

⁶⁰⁹ - الحسان بوقنطار: السياسة الخارجية المغربية : الفاعلون والتفاعلات، مرجع سابق، ص: 182.

⁶¹⁰ - أخصاص خاليد، مرجع سابق، ص: 77.

⁶¹¹ - JOSE IGNACIO ALGUERO CUERVO: "El Sahara y España : claves de una descolonización pendiente" Op. cit p : 379.

فقد أثرت نهاية الحرب الباردة على تراجع الأهمية الإستراتيجية كبعد أساسي في السياسة الدولية.⁶¹² فضلا عن بحث الولايات المتحدة عن ضمان التوازن في منطقة المغرب العربي بعد الأزمة الداخلية التي عصفت بالنظام الجزائري. وثبوت أهميته في سياساتها النفطية.⁶¹³ ما سيدفعها إلى تبني سياسة الحياد والحفاظ على الوضع القائم.⁶¹⁴ لكن بعد الفتور الذي أصاب الدبلوماسية الأمريكية تجاه قضية الصحراء خلال الولاية الثانية للرئيس كلينتون، والذي نتج عن تعثر مسلسل التسوية الأممي وبطء عملية تحديد الهوية. ستبرز أهمية المنطقة من جديد في الفكر السياسي الأمريكي تأسيسا على البعد الإقتصادي.

الأمر الذي سيدفع الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان إلى الاستجداء بالدور الأمريكي للعمل على إنعاش مسلسل التسوية في الصحراء عبر تعيين شخصية متميزة مدعومة من قبل الإدارة الأمريكية.⁶¹⁵

ما سيدخل الملف في نطاق حسابات الولايات المتحدة منذ 13 مارس 1997 مع تعيين "جيمس بيكر" وزير خارجية واشنطن الأسبق مبعوثا خاصا للأمين العام للأمم المتحدة لتسوية مشكلة الصحراء.⁶¹⁶

وهو ما سيثمر سنة 2001 اتفاق الإطار الذي رحب به المغرب. والذي تزامن مع الولاية الثانية لانتار وما عرفته من نبذ لأي حل لقضية الصحراء قائم على التوافق السياسي.⁶¹⁷

بل أكثر من ذلك سعت إسبانيا إلى التأثير على المواقف الأمريكية في هذا الاتجاه، من خلال سعي أثنار إلى إدراج قضية الصحراء في جدول أعمال قمة كامب ديفد التي جمعته

⁶¹² - عبد الحي المودن، مرجع سابق، ص 05.

⁶¹³ - JOSE IGNACIO ALGUERO CUERVO, Op. cit p : 432.

⁶¹⁴ -YAHIA H. ZOUBIR :«la politique étrangère américaine au Maghreb : constances et adaptations.» Op. cit p:02.

⁶¹⁵ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 1997/1998، ص 100.

⁶¹⁶ - محمد العربي المساري: "30 سنة مسيرة من لاهاي إلى بيكر" مرجع سابق، 284.

⁶¹⁷ - ALEJANDRO MUÑOZ ALONSO : « España en primer plano ocho años de política exterior (1996-2004)» Op. cit. p :407.

بالرئيس بوش في 03 و 04 ماي 2002. وعمله على التأكيد على إقامة الاستفتاء و عدم إقصاء جبهة البوليساريو من أي حل محتمل.⁶¹⁸ فضلا عن التأثير على مواقف أعضاء آخرين في مجلس الأمن.⁶¹⁹ مستغلا علاقاته المتميزة مع الولايات المتحدة على خلفية دعمها دوليا في الحرب على الإرهاب. وكسر الموقف الأوربي الموحد من قضايا الشرق الأوسط بما فيها الحملة على العراق. كما سيأتي لاحقا.

فقد عمد الطرف الإسباني إلى الزج بالولايات المتحدة في الأزمة الثنائية المغربية الإسبانية عبر بوابة قضية الصحراء.

فبعد تسلم إسبانيا رئاسة مجلس الأمن في فاتح يوليوز 2003،⁶²⁰ ستدعم بقوة توجهات بيكر في فرض مخططة الثاني⁶²¹ القاضي ببحث مسلسل استفتاء تقرير المصير، الذي كان قد تجاوزه سابقا مع اتفاق الإطار نحو حل سياسي.

وهو ما تبنته الولايات المتحدة في 09 يوليوز 2003 عبر سفيرها لدى الأمم المتحدة "جون نيكروبونتي" من خلال مشروع القرار 1495 الذي تقدم به لدى مجلس الأمن.⁶²² الأمر الذي رفضه المغرب واعتبره معاديا له ومنافيا لمواثيق الأمم المتحدة.⁶²³ ونتيجة الموقف الفرنسي الموالي للمغرب سيتم تبني قرار مجلس الأمن 1495 في 30 يوليوز 2003 دون إقرار فرضه على أطراف النزاع.

⁶¹⁸ - دريوش نبيل : "الجوار الحذر...." مرجع سابق ص 39.

- BEL GUENDOUZ ABDELKRIM : « l'Ahrig du Maroc, l'Espagne et L'UE : plus d'Europe.. sécuritaire » Op. cit. p : 25

⁶¹⁹ - CEMBRERO INGNACIO : « Vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos » Op.cit. p :51

⁶²⁰ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2003/2005، ص 09.

⁶²¹ - EL AALLAOUI ALI : « les relations Maroc – Espagnoles de 1974 à 2004 : la perception marocaine de la position espagnole concernant la question du Sahara » Op. cit. p : 87.

⁶²² - HACHIMI ALAOUI NADIA : « Sahara : l'impasse du « BEKER II » le journal hebdomadaire n° 141 du 03 au 09 janvier 2004. P: 18.

⁶²³ - دريوش نبيل : " الجوار الحذر : العلاقات المغربية – الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق، ص 81

وقد تداركت الولايات المتحدة هذا الموقف الذي صنف في خانة العداء للمغرب من خلال تأكيد "نيكولا بورنز" وكيل الدولة الأمريكي في الشؤون السياسية في أكتوبر 2003 على أن بلاده:

"لا تسعى لفرض حل على المغرب أو على أحد الأطراف، لكنها تحت الأطراف على العمل البناء مع هيئة الأمم المتحدة ومع بعضها البعض لإيجاد مخرج".⁶²⁴ وهو ما تجاوزته رسالة الرئيس جورج بوش إلى الملك في الشهر الموالي، بالتأكيد على العمل على جعل بيكر يأخذ في الحسبان مخاوف المغرب المرتبطة بسيادته والأخطار التي يمكن أن تهدد استقراره.⁶²⁵

ومن اللافت للانتباه، أن وصول ثباتيرو لرئاسة الحكومة في الجارة الشمالية، وما رافقه من تفهم لقضية المغرب الأولى. سيدفع بالموقف الأمريكي الرسمي إلى مزيد من الاعتدال. خاصة أن ثباتيرو سبق وأن اقترح كجزء من الحل لقضية الصحراء قيام مفاوضات إقليمية بمشاركة الولايات المتحدة.⁶²⁶

فضلا عن أن توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تتماشى مع الحلول التفاوضية السياسية سواء من داخل الأمم المتحدة أو في علاقاتها الثنائية. وهو ما دفعها إلى الترحيب بمقترح الحكم الذاتي المغربي، على لسان المتحدث باسم الخارجية الأمريكية "ليسلي فيليب". بعد لقاءات الوفد المغربي مع المسؤولين الأمريكيين في فبراير 2007.⁶²⁷ ثم بعد ذلك دعم هذا المقترح بعد تقديمه رسميا في شهر أبريل بالأمم المتحدة.

⁶²⁴ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2003/2005، ص 30.

⁶²⁵ - نفس المرجع، ص 39

⁶²⁶ - مجدوبي حسين: "المغرب يصر على الحكم الذاتي والبوليساريو على الاستفتاء والأمم المتحدة تعجز عن التوفيق بينهما".

الأيام، عدد 286 في 23-29 يونيو 2007، ص 12

⁶²⁷ - إخصاص خليل، مرجع سابق، ص 88.

فقد اعتبرت سفيرة الولايات المتحدة بالأمم المتحدة "جاكي والكوت ساندرس" المقترح بكونه يحترم حق تقرير المصير.⁶²⁸ واعتبرته واشنطن جدي وواقعي وذو مصداقية.⁶²⁹

كما تفاعلت معه الطبقة السياسية إيجابيا من خلال توجيه رسالة من أكثر من 104 عضو في الكونغرس لوزارة خارجية بوش، "كوندوليزا رايس"، تحت بلادها على ضرورة تبني مقترح الحكم الذاتي كحل لقضية الصحراء.⁶³⁰ وهو ما تكرر في أبريل 2009 مع الرئيس "أوباما" من خلال مبادرة 233 عضو بالكونغريس الذين وجهوا له رسالة بنفس المضمون.⁶³¹

وفي صلب هذا المنطق؛ تعزز الموقف المغربي بالظرفية الدولية المتسمة بتنامي الإرهاب الدولي. ما دفع الرئيس الأمريكي بوش في رسالة موجهة إلى الكونغريس على حثه على التعاطي الإيجابي مع المبادرة المغربية للحكم الذاتي مبينا أنه:

" في الوقت الذي توسع القاعد ومجموعات إرهابية أخرى وجودها بشمال إفريقيا، نعرب عن قلقنا من كون عدم تسوية هذا النزاع الذي دام أزيد من ثلاثين سنة. يشكل تهديدا للأمن الأمريكي والإقليمي. كما يخلق حاجزا أمام الاندماج الاقتصادي لإتحاد المغرب العربي".⁶³²

بحيث تقف هذه القضية عائقا مهما أمام تحقق وتنزيل السياسات الأمريكية الأممية والاقتصادية في المنطقة.⁶³³ ناهيك عن أنه في دراسة للمعهد الأمريكي للبحث في السياسة الخارجية، تم نشرها في 16 أبريل 2010. حذر "هارفي سيشمان" مدير هذه المؤسسة من خلق دولة سادسة في المغرب العربي. حيث أكد أن خيار الاستقلال كحل لقضية

⁶²⁸ - HERRADI J.E : « Sahara : Washington conforte le Maroc » l'économiste, N° 2569 du 13 juillet 2007, p : 49.

⁶²⁹ - اليحيوي يحيى : "المغرب وأمريكا بحاجة إلى إصلاح المقاربة" المساء، عدد 2254 في 25 دجنبر 2013، ص 09.

⁶³⁰ - اخصاص خلود، مرجع سابق، ص 86.

⁶³¹ - BOUJDAD AHMED : « la politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : Une analyse rétrospective » Op. cit. p : 141.

⁶³² - الاتحاد الاشتراكي، عدد 8547 في ماي 2007، ص : 03.

⁶³³ - YAHIA H. ZOUBIR : « la politique étrangère américaine au Maghreb ; constances et adaptations. » Op. cit p : 07.

الصحراء. سيعطي الحياة لدولة غير قادرة وكسيحة في شمال إفريقيا. وستكون فريسة للقاعدة والإرهاب المعروف بتفضيله لثأل الفاشلة والمترنحة تحت وطأة الإحباطات.⁶³⁴

لكن صفو العلاقات المغربية الأمريكية على مستوى قضية الصحراء، والذي ساهمت فيه سنوات رئاسة ثباتيرو للحكومة في إسبانيا، وتدسيقه مع الجانب الأمريكي من داخل مجموعة أصدقاء الصحراء إلى جانب فرنسا، بريطانيا وروسيا. سيتعكر نتيجة اقتراح "سوزان رايس" سفيرة الولايات المتحدة بالأمم المتحدة في أبريل 2013 مشروع توصية تمنح بعثة المينورسو صلاحية مراقبة وضعية حقوق الإنسان في الصحراء.⁶³⁵ وهو ما تصادف مع حالة الحياد السلبي الذي تتجهه حكومة الإسباني ماريانور خوي اتجاه قضية الصحراء. نتيجة الأزمة الداخلية التي تعيشها بلاده ومحاولته عدم إثارة الجار المغربي.

وتأسيسا على ما سبق، يتضح أن قضية الصحراء في الأجندة الأمريكية، يتم تصنيفها في خانة النزاعات الصغرى،⁶³⁶ التي لا تهدد السلم والأمن الدوليين. فحجم التوتر في المنطقة يمكن إحتماله.⁶³⁷ ما جعل الموقف الأمريكي من قضية الوحدة الترابية المغربية عموما غير حاسم ويتأرجح بين التأييد البطيء والحياد.⁶³⁸ مع فقدان الانسجام وقابلية القراءة. خاصة على مستوى الأمم المتحدة.⁶³⁹

ما يعزز وجهة النظر القائلة بخدمة هذا النزاع للطموحات الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة. حيث أن هذا النزاع يرهن القرار السياسي لدول المنطقة ويضمن تبعيتها للولايات المتحدة في نسج التحالفات الإستراتيجية المتعلقة بالسياسة الدولية.

⁶³⁴ - KACIMI BADR JALAL : « l'implication de l'Algérie dans l'affaire du Sahara : une stratégie hégémonique sur fond de crise interne » in « maroc- Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » Op. ci. P : 84.

⁶³⁵ - اليحيوي يحيى : "المغرب وأمريكا بحاجة إلى إصلاح المقاربة" المساء، عدد 2254 في 25 دجنبر 2013، ص 09.

⁶³⁶ - EL HARTI AHMED : « Sahara : les solution démocratique et nationale » éditions ; NAWAFID ; 1^{ère} édition, Casablanca, juillet 2006, p : 137.

⁶³⁷ BAGHZOUZ AOMAR : « plaidoyer pour un couple Algéro-Marocain comme moteur de la construction maghrébine » .In ABDI NOUREDINE : « Algérie, Maghreb le paris méditerranéen » Op. cit. p ; 161.

⁶³⁸ - أخصاص خالد ، مرجع سابق، ص 76.

⁶³⁹ - MOUSSA HORMAT ALLAH Op. cit. P :31

لكن الملاحظ في السنوات الأخيرة هو التأثير الواضح للموقف الأمريكي من قضية الصحراء. بمتغيرات السياسة الإسبانية. وحضور التأثير الإيبيري بقوة. وهو ما برهن عليه الوضع بسلبية الموقف الأمريكي خلال فترة اثنار. وإيجابيته المهمة خلال فترة حكم ثباتيرو.

ما يدفع فضولنا المعرفي إلى تجريب تأثير إنخراط كل من المغرب وإسبانيا في إستراتيجية محاربة الإرهاب الدولي الأمريكية، على علاقاتهما الثنائية ورصد مؤشرات ذلك.

ثانيا: استراتيجية محاربة الإرهاب الدولي و الأدوار المغربية – الإسبانية

لقد أصبح العالم يعيش طورا جديدا من تاريخ العلاقات الدولية، من أهم سماته انتشار الإرهاب الدولي⁶⁴⁰. وبروزه من ضمن أهم التهديدات التي تطل السلام و الأمن الدوليين.⁶⁴¹ وهو التوجه الذي سيتعزز باستهداف الولايات المتحدة في 11 شتنبر 2001 حيث أصبح من أهم القضايا السياسية الداخلية بها.⁶⁴²

كما أصبح العقل الإستراتيجي الأمريكي محكوما بهاجسه. وهو ما تمخض عن مقاربة مركزية مكافحة الإرهاب في العلاقات الدولية للولايات المتحدة.⁶⁴³ وبروز الحرب على الإرهاب كمتغير أمني يحكم سياساتها. فبعد تفجيرات نيويورك أصبحت تجعل ربطا مباشرا بين كل عمل إرهابي في أي مكان من العالم وبين أمنها الداخلي⁶⁴⁴.

وهو ما غير المعادلة في المغرب العربي، ببرز الاهتمام الأمريكي الكبير بالمنطقة⁶⁴⁵، وتكريس دورها الأمني والإستراتيجي في محاربة الإرهاب⁶⁴⁶. و خاصة

⁶⁴⁰ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA Op cit 2 P :116.

⁶⁴¹ - سليمان محمد: "مفاهيم رئيسية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي" مجلة الدولية، عدد 04، 2008 ص: 33.
⁶⁴² - جرجس فواز: الأمريكيون و الإسلام السياسي : "تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية" في "الوطن العربي في السياسة الأمريكية" سلسلة كتب المستقبل العربي رقم 22، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، نوفمبر 2002 ص: 177.

⁶⁴³ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2010-2013 ص : 15.

⁶⁴⁴ -BADR JALAL KACIMI Op cit P :86.

⁶⁴⁵ -YAHIA H.ZOUBIR : « la politique étrangère américaine au maghreb : constances et adaptations » Op cit P :10.

⁶⁴⁶ - علي الحاج : "سياسات دول الإتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة" مرجع سابق ص 168.

المغرب الذي تربطه علاقات ثنائية وثيقة بالطرف الأمريكي عموماً، وعلى المستوى الإستراتيجي و الأمني على وجه الخصوص كما أسلفنا.

ما دفع المملكة إلى الانخراط اللامشروط في الإستراتيجية الأمريكية الغربية لمحاربة الإرهاب الدولي⁶⁴⁷. كحليف تقليدي في المنطقة، يتمتع بموقع استراتيجي. وخبرة في التعاطي مع التنظيمات المتطرفة أمنياً واستخباراتياً. ما يمنحه وزناً استراتيجياً وسياسياً في هذه الحملة الدولية.

ومن مؤشرات هذا الانخراط قانونياً، انضمام المغرب منذ دجنبر 2001 لأزيد من أربعة و عشرين اتفاقية دولية لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالإرهاب. ثم تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول "أنماط الإرهاب العالمي 2001" الذي صدر في 21 ماي 2002 الذي أضاف اللثام عن التعاون اللامحدود المغربي مع التحالف الدولي في حربه ضد الإرهاب.⁶⁴⁸

فضلاً عن تقديم تسهيلات استخباراتية، كان أهمها الترخيص بنزول و إقلاع طائرات المخابرات الأمريكية في مطارات المملكة. و التي تقل مشتببه بهم لاستنتاجهم في معتقل سري بمدينة تمارة من ضمن ثلاثة معتقلات سرية شيدتها المخابرات الأمريكية بالخارج.⁶⁴⁹

كما أن وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاغون" قد استفادت من هذا التعاون المغربي من خلال القواعد العسكرية المشتركة المغربية الأمريكية بمنطقة طانطان.⁶⁵⁰ إضافة إلى المشاركة في برنامج "بان الساحل" منذ سنة 2005 و الذي يضم دول الساحل و الصحراء في شراكة مع الولايات المتحدة.⁶⁵¹

⁶⁴⁷ - التقرير الاستراتيجي للمغرب : 2006-2010 ص: 34.

⁶⁴⁸ - عبد الكريم الحسوني: "المغرب في السياسة الخارجية الأمريكية " بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، أكادال الرباط، السنة الجامعية 2005 – 2006 ص: 61.

⁶⁴⁹ - MANSOUR ABDELATIF : « sites noires de la CIA au Maroc » maroc hebdo N° 682 DU 20 AU 26 JANVIER 2006 P: 18.

⁶⁵⁰ - مجدوبي حسين: "دبلوماسية العهد الجديد، مكاسب في الاتحاد الأوربي وتفريط في الانتماء العربي وانخراط في سياسة اليمين الأمريكي المحافظ." وجهة نظر عدد 42 خريف 2009 ص: 40.

⁶⁵¹ - « PAN – SAHEL » : هي مبادرة أطلقتها واشنطن سنة 2002 على شكل برنامج تعاون أمريكي مع موريتانيا، مالي، نيجر، تشاد وقد شملت تداريب لتكوين قوات النخبة لمحاربة الإرهاب وفي سنة 2005 ستوسع هذه المبادرة لتشمل السنغال ، نيجير ، المغرب، تونس و الجزائر حيث تحولت إلى شراكة فوق ساحلية ضد الإرهاب.

وهي معطيات جعلت المغرب في مرمى الجماعات المتطرفة، ما نتج عنه تفجيرات 16 ماي 2003⁶⁵².

وتأسيسا على ما سبق، تظهر أهمية المغرب كحليف في استراتيجية محاربة الإرهاب الأمريكية. و التي أثمرت علاقات متميزة على المستوى العسكري، الذي يعتبر هو الآخر مؤشرا إضافيا على عمق العلاقات المغربية الأمريكية، فالمغرب يستقطب أزيد من 75% من إجمالي المساعدات العسكرية الأمريكية لمنطقة المغرب العربي و التي تدرج في سياق محاربة الإرهاب الدولي⁶⁵³. إضافة إلى أن صفقات السلاح التي تسلمها المغرب من الطرف الأمريكي في الفترة ما بين 2008 و 2011 بلغت قيمتها 5.1 مليار دولار و هو ما لا يخل من دلالة⁶⁵⁴.

فضلا عن تسلم المغرب سنة 2010 ما يفوق 175 مليون دولار من المساعدات الأمريكية. ما يجعله من أكبر المستفيدين إلى جانب مصر، الأردن وإسرائيل.⁶⁵⁵ أما على الطرف الإسباني فأهم ظاهرة رافقت استراتيجية محاربة الإرهاب الدولي الأمريكية هو تمكن "خوسي ماريا أثنار" من الحكم و بروز النظرة الأثنارية للسياسة الخارجية الإسبانية *visión aznariana*⁶⁵⁶، و القائمة على شعار:

"إخراج اسبانيا من ركن التاريخ"⁶⁵⁷

- أنظر: KOUTTROUB SMAÏL : « l'intensification des menaces sécuritaire dans la région sahélo - saharienne et l'avenir des relations moroco-algériennes » in « maroc algérie analyses croisées d'un voisinage hostile » Op cit p : 203

⁶⁵²-ALFONSO MERLOS GARCÍA : « causas desarrollo e implicaciones estratégicas del auge del terrorismo salafista en el espacio de seguridad auromediterráneo : la amenaza de las redes marroquíes » in : ANA FERNÁNDEZ-ARDAVIN y MÓNICA GODED SALTO '(coords)' Europa y marruecos : Diez años del proceso de Barcelona » Op cit P : 69.

⁶⁵³ - التقرير الاستراتيجي للمغرب 2006-2010 ص: 37.

⁶⁵⁴ - "هكذا يحصل المغرب على السلاح الأمريكي" المساء عدد 2547 في 06 و 07 دجنبر 2014 ص : 08.

⁶⁵⁵ - التقرير الاستراتيجي للمغرب 2010 - 2013 ص : 10.

⁶⁵⁶ - ALEJANDRO MUÑOZ-ALONSO "España en primer plano: ocho años de política exterior (1996 - 2004)" Op cit p : 92

⁶⁵⁷ - دريوش نبيل: "الحوار الحذر: العلاقات المغربية-الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص: 34.

أي البحث عن دور الزعامة على المستويين العالمي و الإقليمي⁶⁵⁸. فهو ينظر لإسبانيا كقوة دولية⁶⁵⁹. و يحاول أن يجد لها موطئ قدم بين الكبار على المستوى العالمي⁶⁶⁰.

وهو ما ترافق مع انتقاده القوي لموقع إسبانيا داخل الإتحاد الأوروبي⁶⁶¹. و سيرها خلف كبار القارة. داعيا إلى مغادرة موقعها في القارة العجوز "كأقوى الصغار el más grande de los pequeños"⁶⁶².

كما أن الفكر السياسي لأثنار يساهم في فهم وجهة النظر هذه. فالرجل يعيش افتتاحا بالفكر الأنجلوساكسوني عموما⁶⁶³، و بالولايات المتحدة على وجه الخصوص. و يعتبرها لازمة لفهم تاريخ إسبانيا⁶⁶⁴، وضمانة لحفظ الأمن الدولي⁶⁶⁵.

و تأسيسا على ما سبق، وعقب تفجيرات 11 شتنبر الأمريكية، ستتخرط حكومة أثنار انخرطا تاما في الحرب على الإرهاب. وقد سهل الدعم غير المشروط للإتحاد الأوروبي لحملة محاربة الإرهاب الأمريكية على إسبانيا الابتعاد عن الحلفاء الأوروبيين و التماهي مع المواقف الأمريكية⁶⁶⁶.

فقد اعتبر أثنار أن تفجيرات نيويورك هي هجمات ضد كل الديمقراطيات⁶⁶⁷. و عدم الانخراط في الحرب على الإرهاب؛ و عدم التزام علاقات جيدة مع الولايات المتحدة، سيحول العالم إلى مكان خطر⁶⁶⁸.

⁶⁵⁸ - AZNAR JOSE MARÍA : "España la segunda transición editorial": Espasa calpe , 6 edición 1994 p :153.

⁶⁵⁹ - IRENA FERNÁNDEZ MOLINA : "los partidos políticos y la política exterior Española hacia el maghreb. los casos del PSOE y del PP", Op cit P: 48.

⁶⁶⁰ -CASIMIRO GARCÍA ABADILLO : "11 – M la venganza", Op cit p : 156. ⁶⁶⁰

⁶⁶¹ - AZNAR JOSÉ MARÍA : "España : la segunda transición", Op cit P : 162.

⁶⁶² - ALEJANDRO MUÑOZ-ALONSO, Op cit , P : 96.

⁶⁶³ - AZNAR JOSE MARÍA: "ocho años de gobierno : una visión personal de España", Op cit 153 y 160

⁶⁶⁴ -ibid P : 164

⁶⁶⁵ -Ibid

⁶⁶⁶ - RAFAEL GARCÍA PEREZ : "España en un mundo en cambio a la búsqueda de la influencia internacional (1986 -2002) " in: PEREIRA JUAN CARLOS: "la política exterior de España (1800 – 2003) " Op cit P: 547.

⁶⁶⁷ -ALEJANDRO MUÑOZ ALONSO, Op cit P : 272.

⁶⁶⁸ - AZNAR JOSE MARIA : " ocho años de gobierno : una visión personal de España", Op cit P:164.

ما حول اسبانيا إلى بلد مركزي في المعادلة الأمريكية الدولية لمحاربة الإرهاب.⁶⁶⁹ ومن المؤشرات الدالة على ذلك، تجديد الاتفاق العسكري الذي يربط البلدين في أبريل 2002. الأمر الذي عزز موقع قاعدة روتا في بنية الاستراتيجية الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط. من خلال المصادقة على بناء مخازن جديدة لستة عشرة طائرة نقل استراتيجية عملاقة من نوع "غلاكسي"⁶⁷⁰.

وفي صلب هذا المنطق، يبقى من أهم قرارات دعم الولايات المتحدة، مشاركة اسبانيا في الحرب على العراق في 20 مارس 2003. و هو القرار الذي سوقت له الحكومة الإسبانية باعتباره قرارا استراتيجيا يساهم في تعزيز موقع اسبانيا دوليا⁶⁷¹. وهو ما لمح له وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفلد، عشية الحرب على العراق بالحديث عن أوربا العجوز المعارضة للهجوم على العراق، وأوربا الجديدة المؤيدة له⁶⁷². حيث ارتسمت الأهمية الاستراتيجية لاسبانيا أمريكا من خلال كسر وحدة الموقف الأوروبي.

و من الوسائل التي اتخذها أثنار في الوصول إلى تحقيق مطامحه الدولية. و التي تعتبر مؤشرا دالا وانعكاسا لانخراطه في الحرب الأمريكية على الإرهاب. العلاقات الشخصية المتميزة التي نسج مع الرئيس الأمريكي جورج بوش⁶⁷³. والتي ترجمتها زيارته الثلاثة عشرة للولايات المتحدة الأمريكية في ولايته الثانية. و تكثيفه للمحاضرات المبررة للعدوان على العراق⁶⁷⁴. وهو ما أوصل إلى خطأ أثنار القاتل في السياسة الخارجية. أي الخلط بين العلاقات الشخصية الجيدة و علاقات الدولة⁶⁷⁵.

⁶⁶⁹ - سمير أمين : جيوسياسية الأمبريالية المعاصرة" مرجع سابق ص : 38.

⁶⁷⁰ - RAFAEL GARCÍA PEREZ, Op cit P : 548.

⁶⁷¹ -FERNANDO DELAGE : "una política exterior para el siglo XXI " in PEREIRA JUAN CARLOS: "la política exterior de España (1800-2003) ", Op cit : P: 572.

⁶⁷² - بشارة خضر: "أوربا من أجل المتوسط: من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995 – 2008)" مرجع سابق ص : 23.

⁶⁷³ -CEMBRERO IGNACIO : "vecinos alejados los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit , P: 255.

⁶⁷⁴ -HAMLILI MOHAMMED: " les relations marocco espagnoles (1975 – 2004)" Op cit, P : 53.

⁶⁷⁵ - LEÓN KLEIN : " Marruecos: la amenaza su guerra de baja cota contra España" Op cit, P: 30.

فتأسيسا على ما سبق، ستدفع اسبانيا فاتورة مواقفها السابقة وانخراطها في الحملة الأمريكية على الإرهاب. حيث أصبحت هدفا للهجمات في 11 مارس 2004⁶⁷⁶. مع كل ما تبعها من تغييرات سياسية داخلية عميقة. كما أصبحت سياستها الخارجية تعيش تبعية للولايات المتحدة⁶⁷⁷. ما كلفها إشعاعها الدولي عبر التخلي عن سياستها التقليدية اتجاه العالم العربي⁶⁷⁸ عموما. و المغرب العربي على وجه الخصوص،⁶⁷⁹ من جهة. و من جهة أخرى، فقدان المصادقية في أمريكا اللاتينية و مناطق نفوذها التقليدية⁶⁸⁰. وهو ما انتهى إلى تشكيل رأي عام إسباني معادي لسياسة بلاده الأطلسية⁶⁸¹. ما سيفرز تحدي إعادة التوازن للمحاور التقليدية، للسياسة الخارجية للجارة الشمالية مع وصول الحزب الاشتراكي العمالي للسلطة⁶⁸².

والشاهد عندنا، أن المعطيات السابقة التي تصب في إطار انخراط كل من المغرب واسبانيا في الحملة الدولية الأمريكية على الإرهاب. تجعل كل منهما يقف في نفس خندق التحالفات الدولية. بما يحمل من منطلقات ومرجعيات إستراتيجية موحدة.

الأمر الذي يعطي الولايات المتحدة شرعية التدخل بين الطرفين للعب دور الإطفائي في العلاقات المغربية الإسبانية. وهو ما تجلى بوضوح إثر اندلاع أزمة جزيرة ليلى/ ثورة في يوليو 2002، في مرحلة مهمة من عمر الإستراتيجية الأمريكية لمحاربة الإرهاب. وفي وقت كانت في أمس الحاجة إلى وحدة صف حلفائها في العالم. وخاصة في المنطقة المتوسطية التي اعتبرت إحدى المناطق المنتجة للجهاديين، حطب هذه المحرقة.

⁶⁷⁶ -HASBI AZIZ : "théorie des relations internationales", Op cit P : 277.

⁶⁷⁷ -FERNANDO DELAGE, Op cit P : 567.

⁶⁷⁸ -LABATUT BERNAND : "quelle méditerranée pour quelle Europe ?" Revue paix et sécurité internationales, N° 01 Juin 2003 ; OP cit P : 29.

⁶⁷⁹ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA, Op cit P : 32

⁶⁸⁰ -Ibid P : 25.

⁶⁸¹ -REDONDO JUAN CARLOS JIMENEZ : "de SUÁREZ a RODRIGUEZ ZAPATERO: la política exterior de la España democrática", Op cit P: 111.

⁶⁸² -الحسان بوقنطار: "2004: المغرب في عالم مضطرب" الاتحاد الاشتراكي في 01 و 02 يناير 2005 ص : 09.

فقد اعتبرت هذه الأزمة، أخطر اختبار عاشته العلاقات المغربية الإسبانية. والتي كان يمكن أن تتحول إلى حرب مفتوحة. وهو ما لم تسمح الولايات المتحدة بوقوعه بين حليفين استراتيجيين لها⁶⁸³.

الأمر الذي تم عبر وساطة كاتب الدولة في الخارجية الأمريكي كولن باول⁶⁸⁴. الذي رغم وصفه الجزيرة ب: " الصخرة التافهة التي لا قيمة لها"⁶⁸⁵، فقد سخر إمكانيات بلاده لإعادة الأمور إلى نصابها. وتجذب قيام نزاع مسلح مفتوح. وبالتالي انفراط عقد حلفائها الرئيسيين في المتوسط.

فقد أكد الدبلوماسي الإسباني المخضرم "ماكسيمو كاخال" أن الدرس المستفاد من التدخل الأمريكي في أزمة جزيرة تورة/ ليلي، هو أهمية المغرب في الإستراتيجية الأمريكية الشاملة⁶⁸⁶، فرغ الانخراط الكبير لإسبانيا أثار في المشروع الأمريكي. لم يتم الانحياز لوجهة نظره أمريكيا.

في حين يرى الأكاديمي "ميغيل إرناندو دي لاراميندي" أن: "الدفاع عن المصالح الإسبانية في شمال إفريقيا، إزاء صراع افتراضي مع المغرب يمر عبر تمتين الروابط مع الولايات المتحدة"⁶⁸⁷.

وهو ما أعطى ثماره مع التدخل الأمريكي وتطوير الأزمة بين الطرفين. الأمر الذي يميظ اللثام في كلا التصورين عن أهمية الدور الأمريكي في تقريب وجهات النظر؛ و العمل على إبقاء أي نزاع بين الطرفين في حدود درجات التوتر المتحكم فيها. الأمر الذي تمليه طبيعة المغرب واسبانيا كحليفين استراتيجيين للولايات المتحدة. وهو منطق التفكير

⁶⁸³ -JOSE IGNASIO ALGUERÓ CUERVO : "el Sahara y España : claves de una descolonización pendiente" Op cit, P : 419.

⁶⁸⁴ - مساوي عادل: "الدبلوماسية المغربية: السمات و التحديات" وجهة نظر عدد 18 شتاء 2003 عدد خاص : "المغرب بين سنتين 2002-2003 ص: 42.

⁶⁸⁵ - دريوش نبيل: "الجوار الحذر : العلاقات المغربية – الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس:" مرجع سابق ص: 62.

⁶⁸⁶ - CAJAL MÁXIMO : "Ceuta, Melilla, Olivenza y Gibraltar ¿Dónde acaba España ? " Op cit P: 232.

⁶⁸⁷ - حوار مع : ميغيل إرناندو دي لاراميندي، "المغرب – اسبانيا حوار العدوتين" إنجاز نادية بنسلام، العلم عدد 19734 في 02 يونيو 2004 ص: 05

الذي وجد له امتدادات إلى منظمة حلف الشمال الأطلسي، كهيئة ذات طابع عسكري لا يخل تاريخها و حاضرها من تأثير على العلاقات المغربية الإسبانية.

المطلب الثاني: تكييف استراتيجيات منظمة حلف الشمال الأطلسي لعلاقات البلدين

حضور البعد الأطلسي في العلاقات المغربية الإسبانية، لا يمكن الإلمام به كليا دون التطرق لدور منظمة حلف الشمال الأطلسي⁶⁸⁸ في هذا المضمار. باعتبارها من أهم أدوات الهيمنة الأمريكية على الساحة الدولية⁶⁸⁹، من جهة. ومن جهة أخرى؛ بالنظر إلى أهمية هذه المنظمة في فهم التوازنات الأمنية والعسكرية في غرب المتوسط. مع ما يعنيه ذلك من مركزية للحضور المغربي الإسباني في هذه المنطقة.

وهو ما سنعمل على إثارته من خلال رصد طبيعة علاقات كل من المغرب وإسبانيا بمنظمة حلف الشمال الأطلسي (الفقرة الأولى) ثم مدى تأثير استراتيجيات و ميكانيزمات عمل المنظمة على علاقات البلدين (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: طبيعة علاقات البلدين بمنظمة حلف الشمال الأطلسي

وهو الأمر الذي تحكمه مرحلة أولى تتمثل في ما قبل حصول إسبانيا على العضوية بالحلف، ووقوف البلدان على مسافة متساوية منه (أولا). ومرحلة ثانية تتمثل في وصول إسبانيا إلى مرتبة العضوية. وهو ما لم يكن بالأمر الهين حيث سبقه مخاض عسير (ثانيا).

أولا: مرحلة ما قبل حصول إسبانيا على العضوية بالحلف

طبيعة علاقة المغرب بحلف الشمال الأطلسي لا تخرج عن ما سبق تسطيره في المطلب الأول من موقعه إلى جانب الولايات المتحدة وحلفائها. وهو ما شكل انسجاما بينا مع المرجعية الليبرالية التي انتهجها النظام. وإدارته الظهر للمعسكر الشرقي والأنظمة الإشتراكية؛ إبان الحرب الباردة. وهو ما جسده انعدام أي علاقات للمملكة بحلف وارسو

⁶⁸⁸ - حلف الشمال الأطلسي منظمة تأسست في 04 أبريل 1949 بناء على معاهدة شمال الأطلسي التي تم التوقيع عليها في واشنطن. فهي وليدة الحرب الباردة. حيث نتجت عن تهديد القوة العسكرية للاتحاد السوفياتي وحلفاؤه. ودور الحلف حماية الدول الأعضاء عسكريا. ويبرز أثناء الأزمات، ويوجد مقر قيادة الحلف في بروكسيل بلجيكا.

⁶⁸⁹ - عنتار يوسف: "الهيمنة في النظام الدولي" أية قيود؟" مجلة الدولية، عدد 04، 2008 ص: 19.

الذي تأسس سنة 1955 والذي ضم دول أوروبا الوسطى و الشرقية الإستراتيجية كردة فعل على قيام منظمة حلف الشمال الأطلسي.

في حين أن عداء إسبانيا الفرانكوية للأنظمة الشيوعية، سيؤطر علاقتها بالحلف.⁶⁹⁰ ففي سياق الحرب الباردة جاء توقيع إسبانيا لاتفاق التعاون العسكري لسنة 1953 مع الولايات المتحدة. وهو ما ساهم في تعزيز القدرة الإستراتيجية للمعسكر الغربي. و تأمين الضفة الجنوبية لأوروبا و حلف الشمال الأطلسي تجاه أي هجوم من المعسكر الشرقي.⁶⁹¹ ما سيجعل منها جزءا من المنظومة الدفاعية الغربية. وعضوا من الدرجة الثانية خارج الحلف الأطلسي.⁶⁹²

وهو ما عكس علاقة جدلية في طبيعة العلاقة بين كل من اسبانيا والحلف، فالجارة الشمالية كانت هي الأخرى في حاجة إلى مظلة الحماية الأطلسية خاصة في ظل حضور مواضيع ذات حمولة صدامية في أجندتها الخارجية متمثلة أساسا في :

- احتلالها لمدينتي سبتة و مليلية والجزر التابعة لها، التي تربطها بالضفة الجنوبية
- قضية جبل طارق التي تربطها بجوارها الأوربي. واستمرار احتلال الصخرة من طرف بريطانيا.

• قيام احتمال التهديد الشيوعي المسلح للنظام في ظل حماة الحرب البارد وهي كلها مواضيع تراهن فيها الجارة الإيبيرية على الحماية العسكرية لحلف الشمال الأطلسي.

ما دفعها إلى تجاوز مرحلة التعاون بين الطرفين إلى البحث عن العضوية في الحلف. وهو ما لم يكن بالأمر الهين.

⁶⁹⁰ - LEÓN KLEIN : "Marruecos : la amenaza su guerra de baja cota contra España" Op cit P : 14.

⁶⁹¹ -RICARDO MENDEZ Y SILVIA MARCU: " la posición geoestratégica de España " in PEREIRA JUAN CARLOS : la política exterior de España (1800-2003)" Op cit: P:110.

⁶⁹² - الحامدي فتيحة: "جيوستراتيجية سبتة ومليلية " مرجع سابق ص : 184.

ثانيا: مخاض انضمام إسبانيا للحلف

لقد عرفت السياسة الأطلسية للنظام الفرانكوي نجاحا كبيرا في فتح أفاق دولية رحبة للنظام، وإخراجه من عزلته الدولية. وهو ما أفرز ثقافة معادية للولايات المتحدة antiamericanismo⁶⁹³ في إسبانيا، ولدى القوة المعارضة لفرانكو خصوصا. فهو عداء يمتح من الفكر الاشتراكي لكل ما هو أمريكي بما فيه حلف الشمال الأطلسي. فبعد وفاة فرانكو، وبدعم الإنقسام الكبير الذي عرفته الساحة السياسية الإسبانية. وبالنظر لأهمية التيارات اليسارية و تجذرها في المجتمع. سيتحول موضوع انضمام إسبانيا لمنظمة حلف الشمال الأطلسي، إلى إحدى القضايا المهمة في السياسة الخارجية لمرحلة الانتقال الديمقراطي⁶⁹⁴، وموضوع جدال عكس انقساما مجتمعيا حقيقيا حول مستقبل الإنتماء الإسباني⁶⁹⁵. وإحدى الأدوات التي استعملها الحزب الاشتراكي للمزايدة و الإحراج السياسي لخصومه السياسيين في اليمين. وبعد وصول الحزب للسلطة في أكتوبر 1982، حاول الوفاء بو عوده الإنتخابية بتجميد إجراءات الإنضمام للحلف⁶⁹⁶. معتمدا سياسة "الغموض المدسوب"⁶⁹⁷ في سنوات حكمه الأولى.

لكن الولايات المتحدة عاجلته بمرونة تأقلمها مع الوضع الجديد، واستعدادها لقلب المعطيات في المنطقة. فقد قامت في نونبر 1982 بمناورات عسكرية مشتركة مع المغرب في منطقة الحسيمة الشمالية المقابلة للشواطئ الإسبانية، وهي بذلك تلوح إلى إمكانية استبدال القوا عد العسكرية الإسبانية بقوا عد مقابلة في الضفة الجنوبية⁶⁹⁸؛ بدكم أهميتها

⁶⁹³ - REDONDO JUAN CARLOS JEMINEZ Op cit P : 107.

⁶⁹⁴ -ENCARNACIÓN LEMUS Y PEREIRA CASTAÑARES JUAN CARLOS : "transición y política exterior (1975 – 1986)" in PEREIRA JUAN CARLOS : "la política exterior de España (1800-2003)" Op cit P : 531.

⁶⁹⁵ -ANTONIO MARQUINA : "la evolución de la política de seguridad española (1982-1992)" in R.CALDUCH (coord.): "la política exterior española en el siglo XX" Op cit P: 369.

⁶⁹⁶ - دريوش نبيل "الجوار الحذر : العلاقات المغربية – الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص 176.

⁶⁹⁷ -ENCARNACIÓN LEMUS Y PEREIRA CASTAÑARES JUAN CARLOS Op cit P : 532.

⁶⁹⁸ - ميخيل هيرناندو دي لاراميندي: السياسة الخارجية للمغرب" مرجع سابق، ص 337.

الإستراتيجية هي الأخرى. وأن عدم انضمام إسبانيا لحلف الشمال الأطلسي لن يحرّمه من تأمين الضفة الغربية لأوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط.

بيد أن كل ما تقدم من تجاذبات سياسية إسبانية داخلية حول الموضوع. ومن تخمينات دولية. سيتحطم على صخرة الواقعية السياسية و البراغماتية التي أبداها رئيس الحكومة الإسباني فيليبي غونزاليس من خلال وعيه بعدم إمكانية فاعلية إسبانيا في الفضاء الأوربي، دون ولوج حلف الشمال الأطلسي⁶⁹⁹.

وأیضا من خلال تبلور فكرة ضمان أمن التراب الإسباني داخل شبه الجزيرة الإيبيرية وخارجها عبر الانضمام للحلف، في تلميح مباشر لسبّنة ومليلية وجزر الكناري⁷⁰⁰. ناهيك عن أهمية هذه العلاقات الأطلسية في تأهيل وعصرنة القوات المسلحة الإسبانية.

وهو ما سيدفع الحزب الاشتراكي الإسباني إلى تغيير موقعه بالدفاع عن انضمام بلاده لمنظمة حلف الشمال الأطلسي. والدفع في هذا الاتجاه، من خلال إخضاع الأمر للاستشارة الشعبية عبر الإستفتاء. الذي تم تنظيمه في 12 مارس 1986 حيث عرف نسبة مشاركة بلغت 4 %، 59 وافق منهم 52, 5 % على الانضمام للحلف، وعارض ذلك 39, 8 %⁷⁰¹.

ما سيؤرخ لدخول إسبانيا إلى النادي الغربي وولوج طور جديد من العلاقات الدولية للجارة الإيبيرية. وهو ما يدفع إلى سبر كنه تأثيرات هذه المرحلة على العلاقات المغربية الإسبانية، ومدى فاعلية حلف الشمال الأطلسي في الملفات المشتركة للبلدين؟

الفقرة الثانية: تأثير منظمة حلف الشمال الأطلسي على علاقات البلدين

وهو تأثير نرصده أساسا على مستوى قضية احتلال مدينتي سبتة ومليلية والجزر المجاورة لها، وطبيعة موقف المنظومة الدفاعية لحلف الشمال الأطلسي من أي مطالب

⁶⁹⁹ - ENCARNACIÓN LEMUS Y PEREIRA CASTAÑARES JUAN CARLOS Op cit P : 539.

⁷⁰⁰ - ANTONIO MARQUINA Op cit 371

⁷⁰¹ - ENCARNACIÓN LEMUS Y PEREIRA CASTANARES JUAN CARLOS Op cit P : 532

مغربية أو تحركات في هذا الاتجاه (أولا) ثم من خلال استراتيجيات الحلف في منطقة غرب المتوسط. و طبيعة الحضور الإسباني – المغربي في ذلك (ثانيا).

أولا: محورية قضية مدينتي سبتة و مليلية

كما أسلفنا فإن احتلال مدينتي سبتة و مليلية و الجزر التابعة لها، يشكل أكبر تهديد للعلاقات المغربية – الإسبانية، بالنظر إلى قيام احتمال تطور النزاع حولهما إلى نزاع مسلح يهدد السلم في غرب البحر الأبيض المتوسط⁷⁰².

وهو ما عكس حضور هذه الثغور في علاقات إسبانيا بحلف الشمال الأطلسي منذ الزمن الفرانكوي⁷⁰³. كما أن من أهم انتظارات الرأي العام الإسباني أثناء إثارة موضوع انضمام بلادهم للحلف، هو المساهمة في تعزيز إسبانية المدينتين.⁷⁰⁴ الأمر الذي أثار نقاشا واسعا في الجارة الإيبيرية في ماي 1982 مع حكومة كالبوسوتيلو المؤقتة. حيث واجت الحلف دون الوقوف والتأكيد على شمول منظومته الدفاعية للثغرين. في قراءة رسمية قائمة على أن وجود إسبانيا داخل حلف الشمال الأطلسي سيضمن للمدينتين حماية أكبر من وجودها خارجه⁷⁰⁵.

وهي القراءة التي سنتعزز مصداقيتها بعد استفتاء 1986 الذي دعى إليه الحزب الاشتراكي الإسباني. حيث بلغت نسبة التصويت بنعم على بقاء إسبانيا داخل الحلف في مدينة سبتة 69,04% و في مدينة مليلية 73,31%.⁷⁰⁶ وهو ما يعكس اطمئنان ساكنة الثغرين للوجود داخل المنظومة الدفاعية الأطلسية. خاصة أن التهديدات التي تتعرض لها سبتة و مليلية و الجزر التابعة لها نتيجة المطالبات المغربية، تبدو أكثر واقعية

⁷⁰² - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق" الانتقال الديمقراطي: العلاقات الثنائية المغربية – الإسبانية" مرجع سابق ص:169.

⁷⁰³ - براءة عبد الرحيم: "إسبانيا و المنطقة الشمالية المغربية : 1931 – 1956" الجزء الثاني مرجع سابق ص 110.
⁷⁰⁴ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI : perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique" Op cit P : 154.

⁷⁰⁵ - ZURLO YVES : "Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves Espagnoles" Op cit, P :143

⁷⁰⁶ - Ibid P : 144

بالنسبة للإسبان من احتمال هجوم مفترض من قبل المعسكر الشيوعي الذي تقوم عليه فلسفة الحلف حينها⁷⁰⁷.

وإذا كانت المادة الخامسة من ميثاق حلف الشمال الأطلسي تنص على أن أي هجوم مسلح ضد أي من أعضاء الحلف يعد هجوماً على دول الحلف كافة؛ بما يتيح لها حق الدفاع عن النفس. فإن المادة السادسة عمدت إلى تحديد المجال الجغرافي للدول الأعضاء بشكل حصري، ما يجعل المدينتين خارج نطاق تغطية المظلة الدفاعية للحلف. وهو ما دفع وزير الخارجية الإسباني "خوسي بيدرو بيريث يوركا" إلى التصريح عقب انضمام بلاده للحلف في محاولة تطمينية لمواطنيه أنه:

"حسب التقسيم الجغرافي لمعاهدة واشنطن فإن مناطق السيادة؛ يقصد - سبتة ومليلية- ستبقى خارج المعاهدة. وحسب باقي البنود فإنها مشمولة بالاتفاق... نعتقد أن سبتة ومليلية ستكونان محميتان أكثر بوجود إسبانيا ضمن الحلف"⁷⁰⁸.

إلا أن مذقوق المادة السادسة يبقى واضحاً، وتعرض المدينتين لأي تهديد يبقيهما خارج نطاق تدخل الحلف⁷⁰⁹. رغم ضغوط الحزب الاشتراكي الإسباني للحصول على اعتراف رسمي من الحلف بعكس ذلك؛ من خلال تعديل المادة السادسة. وهو نفس الوضع الذي عاشته البرتغال في مستعمراتها بغينيا وأنغولا و المزمبيق حيث لم تحصل على أي دعم عسكري من الحلف، وهو ما تكرر مع فرنسا في حرب الجزائر الاستعمارية⁷¹⁰.

بيد أن ما تقدم، لم يمنع من استفادة إسبانيا من موقعها داخل الحلف. فقد تم الإعلان سنة 1997 من قبل حلف الشمال الأطلسي، رسمياً عن إنشاء قوة تدخل سريع أوروبية في إطار اتفاقية "إرو فور" التي تضم دول غرب المتوسط الأوربية. و الإعلان عن تثبيت المقر

⁷⁰⁷ ZURLO YVES : "Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves Espagnoles" Op cit, P : 140.

⁷⁰⁸ - دريوش نبيل "الجوار الحذر : العلاقات المغربية - الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص: 178.

⁷⁰⁹ - JOSE IGNASIO ALGUER CUERVO : "El Sahara y España : claves de una descolonización pendiente" Op cit P : 394.

⁷¹⁰ - الحامدي فتيحة: "جيواستراتيجية سبتة ومليلية" مرجع سابق ص: 257

العام الفرعي للحلف بإسبانيا؛ مع إمكانية نشر أزيد من 50 ألف جندي بشمال المغرب العربي في إطار عمليات حفظ سلم محتملة⁷¹¹.

الأمر الذي أدخل المدينتين السليبتين في الحسابات الأطلسية، فقد نشرت جريدة "إلموندو" بداية سنة 1998، أن المنظومة العسكرية الأطلسية جعلت من سبتة ومليلية قواعد للتدخل في المغرب العربي. فضلا عن حديث جريدة "لاراثون" في أبريل 1999، تزامنا مع الذكرى الخمسين لتأسيس الحلف الأطلسي عن تعديل النطاق الجغرافي لتدخل الحلف ليشمل المدينتين⁷¹².

كما شكل شتنبر 1999 تاريخا مفصليا في هذا المسار، حيث تم الإفتتاح الرسمي للقيادة الأطلسية الجنوبية "ريتاماريس" شمال غرب العاصمة مدريد. التي تصدت لمهمة ضمان حرية الملاحة في مضيق جبل طارق. الذي تعبره أزيد من 73 ألف سفينة سنويا⁷¹³. ما يعزز دور كل من سبتة ومليلية و الجزر التابعة لها في استراتيجيات حلف الشمال الأطلسي المرتبطة بالمضيق؛ وضمان أمن غرب المتوسط.

وهي معطيات تصب في سياق أسبنة المدينتين و القفز على الحقيقة الاستعمارية لطبيعة الوجود الإسباني في شمال القارة؛ عبر حشد دعم منظمات من قبيل حلف الشمال الأطلسي. وهو ما تم اختباره فعلا مع اندلاع أزمة جزيرة تورة/للي. حيث أصدر الحلف بلاغا تضامنيا مع إسبانيا في هذه الأزمة كأول ردة فعل له⁷¹⁴. وصرح الناطق الرسمي باسمه "مارك لايتي" أن موقف المغرب عدائي، و يختلف مع مضمون اتفاقية الصداقة وحسن الجوار التي تربطه بإسبانيا. ⁷¹⁵ قبل أن يتراجع حلف الشمال الأطلسي عن هذا

⁷¹¹ - التقرير الاستراتيجي للمغرب "1997-1998، ص: 70.

⁷¹² - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق" الانتقال الديمقراطي - العلاقات الثنائية المغربية - الإسبانية" مرجع سابق ص: 179.

⁷¹³ - مجدوبي حسين: "ما وراء مضيق جبل طارق" الانتقال الديمقراطي - العلاقات الثنائية المغربية - الإسبانية" مرجع سابق ص: 180.

⁷¹⁴ - التقرير الاستراتيجي للمغرب 2003 - 2005، ص: 60. أنظر أيضا : السماردينة : "إدارة الأزمات في العلاقات المغربية - الإسبانية : أزمة جزيرة تورة/للي كنموذج " مرجع سابق، ص: 68.

⁷¹⁵ - LEON KLEIN : "Marruecos el enemigo del sur : el conflicto inevitable" Op cit P :23.

الموقف، ويعتبر النزاع المغربي الإسباني حول الجزيرة في صلب العلاقات الثنائية بين البلدين⁷¹⁶.

وهي الواقعة التي أعطت صورة سلبية عن دور الحلف في قضية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. والتي ترزح العلاقات المغربية – الإسبانية تحت تأثيراتها السلبية. في حين يمكن أن يكون جزءا من الحل، حيث سبق وأن أشرنا إلى موقف عالم الاجتماع و الصحفي الإسباني "أمندو دي ميغل" الذي اقترح مفاوضات رباعية لحل قضية الثغرين، تشمل : المغرب، إسبانيا، المملكة المتحدة وحلف الشمال الأطلسي. حيث تؤول سبتة ومليلية إلى المغرب، وجبل طارق إلى إسبانيا. ويشكل الحلف قواعد عسكرية في هذه المناطق مكونة من قوات مغربية، إسبانية وبريطانية. مع تمتيع هذه الأقاليم بوضعية الحكم الذاتي⁷¹⁷.

وبالجملة، فإن ارتباط المغرب هو الآخر بدلف الشمال الأطلسي. وحضوره الفاعل في قضايا الأمن في غرب المتوسط. سيساهم في التعريف بقضايا الوطنيات وحمايتها من قبيل قضية ثغوره الشمالية. كما سيساهم في إضفاء المزيد من العقلانية على علاقاته الثنائية بإسبانيا. وهو ما سنرصد تقلباته من خلال حضور قضايا الأمن المشترك في غرب المتوسط.

ثانيا: قضايا الأمن المشترك في غرب المتوسط

لقد شكل حلف الشمال الأطلسي فضاء آخر من الفضاءات التي عرفت تقلبات العلاقات المغربية – الإسبانية. فبعد أن أصبحت الجارة الشمالية عضوا فاعلا في الحلف عقب الاستفتاء الشعبي الذي أجرته. ستحمل معها تصوراتها عن ضفتها الجنوبية التي لا تخلو من روااسب وشوائب تاريخية. فقد أفصح وزير الدفاع الإسباني "نارسييس سيرا" في يونيو 1990 عن توجهات بلاده حول ضرورة تغيير أهداف الحلف الأطلسي نحو المنطقة

⁷¹⁶ - CARLA FIBLA CARCÍA – SALA: ‘España - Marruecos desde la orilla sur: la relación hispano – marroquí: opiniones e ideas ‘ Op cit P:236.

⁷¹⁷ - السمار دينة، مرجع سابق، ص 35.

المتوسطية لاحتواء "عدو الجنوب".⁷¹⁸ وهي تصريحات لاقت ردة فعل قوية في المغرب العربي عموماً، والمغرب على وجه الخصوص.

لكن أمام حضور إسبانيا الدولي وتغيير موقعها من خلال تبوؤها مكانة مهمة داخل الاتحاد الأوروبي وحلف الشمال الأطلسي. ستتحول إلى قوة اقتراحية فاعلة في المشهد الإقليمي. فخلال اجتماع لوزراء دفاع الحلف في مدينة اشبيلية أواخر سنة 1994 ستكون إسبانيا وراء الاهتمام بالمنطقة المتوسطية، عبر إطلاق مسلسل الحوار المتوسطي بين الحلف ومجموعة من الدول المتوسطية⁷¹⁹.

الأمر الذي سيتم تنبيه رسمياً من قبل المجلس الأطلسي المنعقد في 08 فبراير 1995 وذلك بهدف المساهمة في الأمن والاستقرار في المتوسط وتعزيز التفاهم المتبادل بين الحلف والدول المتوسطية. فضلاً عن العمل على محاربة التصورات الخاطئة عن الحلف وتحسين صورته⁷²⁰.

والأطراف المتوسطية المعنية بهذا الحوار هي: المغرب، الجزائر، تونس، موريتانيا، مصر، الأردن وإسرائيل. نظراً للتصورات الجديدة لحلف الشمال الأطلسي عن الأمن في المنطقة⁷²¹.

وما يعكس أهمية المغرب في هذا البناء المفاهيمي الجديد، الذي ساهمت إسبانيا في بلورته، حصوله على وضع العضو الملاحظ في جمعية الحلف الأطلسي⁷²²، وتصدره البعد

⁷¹⁸ - MIGUEL H.DE LARRAMENDI : "perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique" Op cit P : 169.

⁷¹⁹ - KOUTTROUB SMAÏL : " l'intensification des menaces sécuritaires dans la région sahélo – Saharienne et l'avenir des relations maroco algériennes " in : Maroc Algérie analyses croisées d'un voisinage hostile » Op cit p : 201.

⁷²⁰ - M.H DE LARRAMENDIE Y JESÚS A.NÚÑEZ: "la política exterior y de cooperación de España en el Maghreb (1982 -1995)" Op cit P:88

⁷²¹ - BENANTAR ABDENNOUR: "Algérie , Europe OTAN: vers une architecture globale de sécurité en méditerranée?" in : ABDI NOUREDDINE : "Algérie , Maghreb : le pari méditerranéen " Op cit : 279.

⁷²² - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2003-2005 ص: 109.

السياسي للحوار المتوسطي المتمثل في المشاركة في الاجتماعات الثنائية (1+26) أو الجماعية (7+26)⁷²³.

وعطفا على كل ما تقدم، سيعرف الوضع الاستراتيجي الدولي هزات مهمة منذ سنة 1999. ستعرف إقحام اعتبارات ثقافية، سياسية، اقتصادية واجتماعية في مفهوم الأمن و الاستقرار.⁷²⁴ وهو ما استدفع به أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة إلى أقصى مدى. فقد اعتبرت اعتداء على حلف الشمال الأطلسي كمنظمة من خلال الإعتداء على أحد أعضائه⁷²⁵. ودفعت بمحاربة الإرهاب كأولوية للحلف، وهو ما ستسطره قمة "براغ" في نونبر 2002 عبر خطة عمل مشتركة.

وتأسيسا على ذلك، سيتهيأ المشهد الدولي والإقليمي الذي سيعطي المغرب أولوية على مستوى استراتيجيات حلف الشمال الأطلسي في حربه على الإرهاب. ما سيفتح أفق تعاون الطرفين على المجال العسكري، من داخل الحوار المتوسطي أو في الإطار الثنائي لعلاقات الطرفين. من خلال القيام بتدريبات مشتركة للقوات المسلحة لكلا الطرفين. وتبادل المعلومات و المشاركة في أوراش العمل و التنسيق بين كبار المسؤولين العسكريين⁷²⁶. حيث أصبح البلد الأول الذي عين ضابط اتصال لدى خلايا تنسيق الشراكة بالقيادة العليا للقوى المتحالفة بأوربا في "مونس" ببلجيكا. و ضابط اتصال في "نورفولك" بالولايات المتحدة الأمريكية⁷²⁷.

ما سيفرز سنة 2005 إعلان المغرب حليفا أساسيا خارج منظمة حلف الشمال الأطلسي major non - nato ally، وهو تعيين يقدمه الحلف أو الرئيس الأمريكي للدول التي تربطها بها علاقات قوية، لكنهم ليسوا أعضاء في الحلف. وقد كان

⁷²³ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2006-2010 ص: 45.

⁷²⁴ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA Op cit P : 103.

⁷²⁵ - سليمان محمد : "مفاهيم رئيسة في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي" مرجع سابق ص : 36.

⁷²⁶ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2006-2010 ص: 43 و 46

⁷²⁷ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2010-2013 ص: 24.

الرئيس الأمريكي جورج بوش وراء هذا الإعلان. ما يعكس نجاح المغرب في أن يصبح شريكا استراتيجيا للحلف⁷²⁸. وفاعلا في المعادلة الأطلسية والأمريكية في المنطقة⁷²⁹.

وهو الوضع الذي سيسمح للمغرب بالمشاركة كعضو في اتفاقات وأبحاث عسكرية أمريكية وبرامج تحت تسيير البنتاغون.⁷³⁰ فضلا عن السماح أساسا برفع الإجراءات التي تضع شروطا على بيع الأسلحة والاحتكاك بجيوش الحلف. ما سيمكن المغرب من تطوير وعصرنة قواته المسلحة، و التقدم على درب حماية مصالحه الوطنية.

في حين أن هناك قراءة سياسية لكل ما تقدم، تعزي تميز العلاقة و مأسستها بين المغرب وحلف الشمال الأطلسي في فترة صعبة من عمر العلاقات الإسبانية – الأمريكية، إلى سياسة التعويض و الرد على سحب رئيس الحكومة الإسبانية ثاباتيرو قوات بلاده من العراق. وعودته للمحور التقليدي الأوربي في السياسة الخارجية الإسبانية.⁷³¹ و الانقلاب على التوجهات الأطلسية لسلفه خوسي مارية اثنار.

وهو ما نختلف معه، و تدحضه الوقائع. فقد شكلت الحملة الدولية على الإرهاب. و انخراط حلف الشمال الأطلسي فيها. مناسبة لتقريب وجهات النظر بين المغرب و اسبانيا والدفع بعلاقاتهما في ظل الحكومة الاشتراكية إلى مزيد من التحسن عبر البوابة الأطلسية. بغض النظر عن تقلبات مسار العلاقات الثنائية الإسبانية الأمريكية.

فإسبانيا كعضو في الحلف، ومقر لقيادته العليا بجنوب أوربا، دفعت في هذه الفترة إلى تعزيز المسار الإيجابي لعلاقات المغرب بحلف الشمال الأطلسي. وشكلت قمة الحلف في إسطنبول سنة 2005 مناسبة لرئيس الحكومة الإسبانية ثاباتيرو لاقتراح رفع مستوى العلاقة بين المغرب و الحلف إلى مستويات متميزة كالتى تربطه بروسيا⁷³².

⁷²⁸ - BOUCHRA BOUDCHICHE BOUCETTA : "Marruecos y España en la política de seguridad del mediterráneo" Op cit P :98

⁷²⁹ - PALOMA GONZÁLES DEL MIÑO : "las relaciones entre España y Marruecos Perspectivas para el siglo XXI" Op cit 142.

⁷³⁰ - LEÓN KLEIN : Marruecos : "La amenaza su guerra de baja cota contra España" Op cit P: 84.

⁷³¹ - Ibid P: 94

⁷³² - CEMBRERO IGNACIO: "vecinos alejados : los secretos de la crisis entre España y Marruecos" Op cit P: 138.

وتبعاً لذلك، ستثمر هذه التوجهات إضافة إلى مجهودات حلفاء آخرين، تزايد الدور المغربي في تعزيز الأمن في الضفة الغربية للمتوسط عبر الفاعلية والانخراط في توجهات حلف الشمال الأطلسي في المنطقة.

وهو ما عكسه اختيار الرباط لإنعقاد أول قمة للمشاورات السياسية في إطار الحوار المتوسطي (26+7) بحضور الكاتب العام للحلف "مينوتو ريزو"⁷³³.

والمشاركة في عملية "المسعى النشط" منذ 2008. وهي العملية التي تم تبنيها من قبل الحلف عقب تفجيرات 11 سبتمبر 2001. والقائمة على مراقبة الممرات البحرية بمضيق جبل طارق للحد من الأنشطة الإرهابية⁷³⁴.

كما احتضنت الرباط سنة 2010 ندوة حول "الحوار المتوسطي و المفهوم الاستراتيجي الجديد لحلف "الناتو" و التي ساهمت في تبلور العقيدة العسكرية الجديدة للحلف. والقائمة على مواجهة التحديات الجديدة للأمن كالإرهاب وانتشار الأسلحة النووية. عبر التوصل إلى توافق عابر للأطلسي. عبر مقاربة تشاركية تدمج كل الدول الأعضاء في الحلف وشركاء مجلس الشراكة الأورو-أطلسي و دول الحوار المتوسطي.

ناهيك عن مشاركة المغرب لأول مرة في قمة رؤساء وحكومات الحلف الأطلسي المنعقدة بشيكاغو في ماي 2012.⁷³⁵ وهو ما لا يخل من دلالة على مستوى التوافق في العلاقات بين المغرب وحلف الشمال الأطلسي.

⁷³³ - دريوش نبيل "الجوار الحذر : العلاقات المغربية – الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس" مرجع سابق ص : 94.

⁷³⁴ - التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2010-2013 ص: 20.

⁷³⁵ - نفس المرجع. التقرير الاستراتيجي للمغرب: 2010-2013 ص 20.

خلاصة القسم الثاني

لقد كانت العوامل والمتغيرات الإقليمية والدولية حاضرة دائما في العلاقات المغربية الإسبانية. ومعول عليها في إضفاء المزيد من العقلانية والاستقرار على هذه العلاقات. لكن تناقضات المشهد المغربي، والنديّة المغربية - الجزائرية، شكلت عامل إكراه وضغط على صنّاع السياسة الخارجية في الضفتين.

ما جعل التوتر على المسار المغربي - الجزائري يدفع غالبا الى التوتر على المسار المغربي - الإسباني. كما مكن المشهد المغربي الساسة الإسبان من آلية لسياسة التعويض عبر لعب الجارة الأيبيرية على التناقضات المغربية - الجزائرية. فمحور مدريد - الجزائر يأتي دائما كسياسة عقابية للطرف المغربي على خلفية الأزمات الدورية في علاقات البلدين الثنائية.

أما على المستوى الأوروبي، فرغم دور هذا البعد في التلطيف من حدة العلاقات الثنائية للبلدين من خلال السياسات المشتركة التي تتخبط فيها الدولتين مع الاتحاد الأوروبي كل من موقعها. وإيجاد إطار مؤسسي لتقريب وجهات النظر. فإن تقلبات العلاقة الثنائية للطرفين، وملفات الحارقة أصبحت تلقي بظلالها على هذا المسار. ودفعت به إلى العجز عن استيعاب تناقضات العلاقة المغربية - الإسبانية. وأهم نموذج في هذا السياق ملف الصيد البحري بين المغرب والاتحاد الأوروبي، الذي لبس رداء العلاقات الثنائية المغربية - الإسبانية. وحمل معه توتراتها ومنسوبها الصدامي القوي.

في حين البعد الأطلسي وحضوره في علاقات البلدين يمر عبر بوابة لعب دور الاطفاي الذي تنقمه الولايات المتحدة الأمريكية بين حليفين لها في منطقة المتوسط التي أصبحت تكتسي حساسية مهمة في الأمن والاستقرار الدولي.

ومما سبق يتبين تأثير صدامية ملفات العلاقات الثنائية المغربية الإسبانية على المسار متعدد الأطراف للضفتين وتأثيره. ففي فترة الأزمات والصراع الثنائي يتكدر صفو

علاقات الطرفين على المستوى متعدد الأطراف. وتتحول إسبانيا إلى طرف وعامل سلبي في هذا السياق.

وفي فترة الصفاء والود على المستوى الثنائي للبلدين؛ تلعب الجارة الشمالية دورها كوسيط و عراب للمصالح المغربية الإقليمية ودوليا.

وبالجملة فإن المعادلة المستحكمة في هذا الإطار هي كون الصفاء والتوافق المغربي الاسباني يساوي، ويعني علاقات متعددة الأطراف جيدة وقوية للبلدين في محيطهما الإقليمي والدولي. والعكس ليس صحيحا.

بمعنى أن علاقات متعددة الأطراف جيدة للبلدين في محيطهما الإقليمي والدولي لا تمنع توتر علاقات البلدين الثنائية على خلفية ملفات الطرفين المشتركة، الحارقة والقوية .

خاتمة عامة

دأبت الدراسات والأبحاث التي تناولت العلاقات المغربية - الإسبانية على تذييل خاتمها ومهرها بمقولة : " قدر المغرب وإسبانيا أن يتفاهما " في محاولة للتخفيف من وطأة جوار محكوم بالواقع الذي لا يرتفع. والمتسم بطابع الأزمات الدورية الحادة بين الطرفين. فالملاحظ أن قلب العلاقات المغربية - الإسبانية يخفق للكثير من العوامل والمتغيرات، والتي منها ما من شأنه أن يوصله إلى مستوى السكتة القلبية. وهي المتغيرات الحاسمة، الرئيسية، الوازنة والمستقلة. التي يتمخض توترها عن توتر عام في علاقات البلدين.

وبالمقابل هناك العوامل والمتغيرات التي تصيب قلب هذه العلاقات بالمرض والضعف والوهن؛ دون السكتة القلبية. وهي العوامل والمتغيرات المساعدة؛ المعززة، الثانوية والذرائعية. والتي تلعب دورها في عملية الضغط والإحراج السياسي المتبادل في فترات الصراع والأزمة.

فعلى الجانب المغربي رصدنا حجم القوة التفسيرية للعامل والمتغير الترابي في العلاقات المغربية- الإسبانية. حيث يتم تقديم علاقات التعاون وحسن الجوار بين الطرفين قربانا على مذهب مواقف الطرف الإسباني من مغربية قضية الصحراء، في المقام الأول. والتي تعتبر عاملا مفسرا للسلوك المغربي وردود الأفعال المرتبطة به.

وفي المقام الثاني نجد مغربية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها، والحرص على الإستراتيجية التذكيرية بواقع الاحتلال الإسباني لها.

ومما لا مراء فيه؛ أن الجانب الإسباني هو الآخر له أولوياته، ومتغيراته الحاسمة والرئيسية في هذا السياق. فلطالما أنت العلاقات المغربية الإسبانية تحت وطأة ملف الصيد البحري. الذي رهن طويلا علاقات إسبانيا بجارها الجنوبي. نظرا لأهميته الاقتصادية والاجتماعية، من جهة.

فضلا عن الاعتبار التاريخي والنفسي في هذا الاتجاه، من جهة أخرى. حيث اعتدبر الإسبان طويلا، المصايد المغربية حقا مكتسبا لهم ومياها شبه إقليمية. دون إغفال المنسوب التفسيري القوي للمتغير الترابي؛ المتمثل في العمل على تأييد إسبانية سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. كما رصدنا في الفترة الأخيرة ترحزا وتغيرا في أولويات الطرف الإسباني بإعطاء مزيد من الأهمية للعوامل الاقتصادية والأمنية في علاقات الطرفين. وبالجمل، ومن أجل الوقوف على جوانب من تعقد ما نحن بصدد. نشير إلى أن تداخل العوامل والمحددات السالفة الذكر؛ وتبادل الأدوار بينها حسب الظرفية والسياق الذي تجتازه علاقات البلدين. دفع بقوة إلى تعقيد وتداخل بنية العلاقات المغربية الإسبانية. ففي هذا المضمار، قد يتحول المحدد الاقتصادي إلى عامل سياسي بامتياز (نموذج ملف الصيد البحري). كما أن البعد السياسي والنزاع الترابي قد يصبح مصدر قلق اقتصادي حقيقي (نموذج احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها). ومؤدى ذلك كله خلط الأوراق. وجعل كل أزمة جزئية في قطاع وملف معين بين الطرفين تسفر عن أزمة شاملة عبر الاستعمال السياسي لكل القضايا والملفات الأخرى كوسيلة ضغط. مع رصد قفز الملفات الثانوية والذرائعية إلى الصف الأول من واجهة اهتمامات البلدين.

وعلى هدى مما سبق، يتبين أن مستقبل العلاقات المغربية الإسبانية تحكمه توجهات وسيناريوهات ثلاث:

أ) سيناريو الاستمرارية

وهو السيناريو المرجعي وسيناريو الاتجاهات العامة القائمة. من خلال استمرار الأزمت الدورية في علاقات الطرفين. وكل الظواهر السياسية السلبية التي ترافقها. وهو ما يذكى راهنية قضية الصحراء واستمرار احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. فضلا عن

تأثير المغرب للمشهد السياسي الداخلي الأسباني كأداة للإحراج الانتخابي بين النخب الحزبية .

ب) سيناريو الأزمة الشاملة:

أو سيناريو الانهيار، و هو يحمل نظرة تشاؤمية قائمة على دخول مرحلة الصراع المفتوح بين الطرفين على خلفية ارتهان السياسة الخارجية الإسبانية في يد التيارات اليمينية المتشددة. وحضور براديجم ومقاربة "الاسترداد la reconquista" القائمة على نفس صدامي توسعي. يمتح من تاريخ الجوار الصعب للطرفين ومن إستيهم "المورو" بكل تمثلاته في الذاكرة الجماعية الإيبيرية.

ج) سيناريو الانفراج والعلاقات الإستراتيجية :

وهو سيناريو التحول الجوهري. والسيناريو المرغوب فيه. حيث يحمل نظرة تفاؤلية قائمة على نضج الأطراف وتبنيهم للسياسة الواقعية. وهو سيناريو يتأسس على إيجاد حل نهائي لقضية الصحراء التي تشكل عائقا بنيويا في وجه العلاقات الثنائية للبلدين ، ومحور كسر العظم فيها. فهي ذاتها القضية التي تعطي بعدا استراتيجيا لعلاقات منافسة كالعلاقات المغربية – الفرنسية. حيث تدعم هذه الأخيرة مغربية الصحراء بشكل واضح وصريح. كما يتأسس هذا السيناريو على إيجاد توافقات على مستوى سبته ومليية والجزر التابعة لها. على اعتبار أن المغرب يؤجل قضية الثغور الشمالية ولا يفرط فيها . وفي ظل بيئة دولية غير مستقرة، ونظام دولي يترنح تحت وطأة تسارع الأحداث بشكل غير مسبوق. يبقى الرهان الحقيقي في هذه الألفية الثالثة قائم على الوصول بعلاقة البلدين

إلى المستوى الإستراتيجي وتغليب سيناريو الانفراج الذي لا يترك مجالا للأزمات الدورية التي طبعت هذه العلاقات في فترات سابقة.

وفي توجه لتجاوز الإشكالات التي تطرحها العلاقات المغربية الإسبانية؛ لا مناص من توافر إرادة سياسية من الضفتين للسير على درب الواقعية السياسية عبر إنتاج سياسة

براغماتية تخدم مصالح الطرفين وتؤسس للابتعاد عن سياسة الانفعالات وردود الفعل السلبية، خاصة في الملفات الكبرى الحرجة .

كما لا ينبغي أن نغفل التأكيد هنا على أهمية الرهان على هيئات المجتمع المدني في الضفتين. والاشتغال على تنقية الذاكرة الجمعية من الأفكار النمطية التي تم إنتاجها في مراحل من العلاقة الصدامية التاريخية بين الضفتين .

وفي صلب هذا المنطق، يشكل التحدي الديمقراطي. وتقدم المغرب على درب الإصلاح السياسي والاقتصادي بوابة للدفع بعلاقات البلدين إلى الندية والمزيد من العقلانية. فضلا عن أهمية البناء المغاربي، ليس كحلم ويوتوبيا . ولكن كضرورة حيوية ومشروع مصلي يعزز الموقع التفاوضي لدول الضفة الجنوبية .

فإذا كان التاريخ ينزل بثقله على علاقات البلدين، فإن المستقبل هو الآخر يحمل في ثناياه أبعادا أخرى يجب استحضارها. حيث يدعونا إلى التكتل لمواجهة الإشكالات الدولية المتسارعة ورفع تحديات الألفية الثالثة.

وهو ما يترجمه صدور هذا العمل عن إيمان بأهمية العلاقات الإستراتيجية الجيدة للبلدين. ويدفعنا على العكس من الأوصاف السلبيّة التي بدأنا بها مقدمة هذا العمل ، إلى تبني كون مقولات من قبيل : " الجوار الواجب"، "الجوار الممكن"، "الجوار الضروري" و"الجوار الجيد" بين المغرب وإسبانيا ليست من باب استعراض الأوصاف اللغوية والبلاغية، أو التعبير الجامح للقلم في لحظة تأمل فكري. بل ضرورة لدعم الأمن في غرب المتوسط، وبناء نموذج ثنائي للتعايش و"الجوار الجيد".

ملاحق

الملحق الأول:

معاهدة صداقة وحسن جوار وتعاون بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية

إن المملكة المغربية والمملكة الإسبانية، المشار إليهما فيما بعد " بالطرفين الساميين المتعاقدين"، إدراكا منهما للجوار الجغرافي الوثيق الذي يجمع بينهما في المنطقة الحساسة التي ينتميان إليها، وحرصا منهما على الروابط العميقة التي أقامها التاريخ تدريجيا بين شعبيهما عبر تقلبات أحيانا متناقضة إلا أنها دائما مليئة بالدلالات وعميقة وغنية بتقاربات مثمرة، وعزما منهما على صون التراث الثقافي المشترك الذي أفرزه التفاعل الوثيق للتقلبات التاريخية التي عرفها البلدان منذ حوالي ثلاثة عشر قرنا، والذي ترك بصماته الواضحة في كلا البلدين وكذا في الثقافة الإنسانية.

وشعورا منهما بالتواصل البشري المتزايد بين الإسبان و المغاربة الذي ساعدت عليه الظروف الدولية الراهنة، والذي يجب أن يتضاعف في المستقبل، وإذ تحذوهما إرادة مشتركة لتعزيز علاقاتهما السياسية الثنائية وعزما منهما على فتح عهد جديد من التضامن يستجيب أكثر لتطلعات أجيالهما القادمة عن طريق وضع إطار شامل ودائم لتعايش سياسي قوامه السلم والحرية وازدهار شعبيهما، ومتضامنين في المهمة التي يفرضها عليهما موقعهما المتميز عند نقطة التقاء المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وأخذا بعين الاعتبار التطابق الموجود بين مصالح بلديهما.

واقترعا منهما بأن التفاهم المتبادل والتعاون بين المملكتين هما الضمانة الأساسية للسلم والاستقرار والأمن في هذه المنطقة وأنجع وسيلة لخدمة أهداف تقدم وتنمية الشعبين.

ووعيا منهما، بالتالي، بالمسؤولية التي يضطلعان بها في طليعة جهود التعاون الدولي في هذه المنطقة الجغرافية.

واقترعا منهما بالقيمة الاقتصادية والسياسية الهامة التي تمثلها في الواقع الدولي مسلسلات الاندماج الإقليمي وحيث أن البلدين مشتركان، كل في المنطقة التي ينتمي إليها، في مجهود اندماجي.

ووعيا منهما بهذه التحديات، وعزما منهما على تشجيع مسلسل يسعى إلى إقرار نظام حوار وتعاون يبعد نهائيا أية نزعة نحو الصراع والمواجهة في مجموع منطقة البحر الأبيض المتوسط وبالأخص في

جزئها الغربي باعتباره مجالا حدوديا والذي نظرا لطبيعته وخصوصيته، يتطلب أولوية في العناية والتنمية.

وتأكيدا منهما على تشبثهما التام بمبادئ القانون الدولي و أهداف ومبادئ ميثاق منظمة الأمم المتحدة. وإذ يضعان في اعتبارهما المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات السارية المفعول بين البلدين. وتعبيرا عن إرادتهما في الحفاظ على علاقات الصداقة وحسن الجوار والتعاون الشامل ورغبة منهما في أن تكون هذه المعاهدة الإطار المناسب لتطوير مجالات جديدة للتفاهم والتعاون، طبقا لروح الإعلان المشترك الموقع بالرباط بتاريخ 21 دجنبر 1990، والبيان المشترك الذي تم توقيعه بمناسبة الزيارة الرسمية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لإسبانيا يوم 27 شتنبر 1989.

اتفقا على ما يلي :

مبادئ عامة

1- احترام الشرعية الدولية :

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بالوفاء بحسن نية بالالتزامات التي تعهدا بها طبقا للقانون الدولي سواء تلك المنبثقة من مبادئ وقواعد القانون الدولي، المعترف بها عموما، أو الصادرة عن معاهدات أو أوافق أخرى يعدان طرفين فيها وفقا للقانون الدولي.

2- المساواة في السيادة :

يحترم الطرفان الساميان المتعاقدان بصفة متبادلة، مساواتهما في السيادة وذاتية كل منهما وكذا جميع الحقوق المتصلة بسيادتهما والمندرجة فيها، بما في ذلك على الخصوص الحق في المساواة القانونية والوحدة الترابية والحرية، والاستقلال السياسي. كما يحترمان بالإضافة إلى ذلك حق كل طرف في اختيار وتنمية نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي بكل حرية،

3- عدم التدخل في الشؤون الداخلية :

يمتنع كلا الطرفين الساميين المتعاقدين عن القيام بأي تدخل مباشر أو غير مباشر. فردي أو جماعي، في الشؤون الداخلية أو الخارجية التي تدخل في اختصاص الطرف الآخر.

ويمتنعان بالتالي، وفي جميع الظروف، عن القيام بأي إكراه عسكري، أو سياسي، أو اقتصادي، أو من أي نوع آخر، يرمي من ورائه أحد الطرفين إلى إخضاع ممارسة الحقوق المرتبطة بسيادة الطرف الآخر لمصلحته الخاصة للحصول على امتياز من أي نوع.

4- الامتناع عن اللجوء إلى التهديد أو استخدام القوة :

يمتنع الطرفان، في علاقاتهما المتبادلة، عن اللجوء إلى التهديد أو استخدام القوة ضد الوحدة الترابية أو الاستقلال السياسي للطرف الآخر أو في أية صورة أخرى لا تتوافق وأهداف الأمم المتحدة. ولا يمكن الاستناد إلى أي اعتبار قصد تبرير ذلك. ونتيجة لهذا يمتنع الطرفان عن أي فعل يشكل تهديدا بالقوة أو استعمالا مباشرا أو غير مباشر لها.

5- تسوية الخلافات بالطرق السلمية :

اعتبارا للحوافز التي أدت إلى إبرام معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون هاته، يلتزم الطرفان الساميان المتعاقدان بتسوية الخلافات التي يمكن أن تنشأ بينهما بطرق سلمية، بكيفية تحول دون المساس بالسلم والأمن الدوليين وبالعدل.

وسيحاول الطرفان بحسن نية وبروح من التعاون الوصول - في أقرب أجل ممكن - إلى حل يتفق مع القانون الدولي، بغية الحصول على نتيجة منصفة.

6- التعاون من أجل التنمية :

يعمل الطرفان على تنمية إمكانياتهما الاقتصادية المتبادلة بأقصى ما يمكن بهدف خلق إطار تعاون مزدهر، متساو ومتوازن. وفي هذا الصدد يضعان نصب أعينهما دائما مصلحتهما في تقليص الفوارق في مستويات النمو الاقتصادي بواسطة خلق جو جديد من التضامن الاقتصادي والمالي يبرز المظاهر الإيجابية للتكامل الموجودة بين اقتصاديهما، حتى يصبح من الممكن الوصول إلى مستوى من النمو والازدهار في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والاجتماعية والثقافية والإنسانية.

7- احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للأشخاص :

يحترم الطرفان الساميان المتعاقدان حقوق الإنسان والحريات الأساسية بما في ذلك حرية التفكير والوجدان والدين أو المعتقد، دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين.

هذا السياق سيعملان على تشجيع وتقوية ممارسة فعلية للحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحقوق وحريات أخرى. التي تتبع كلها من الكرامة المرتبطة بالفرد والتي تعد أساسية من أجل تحقيق تطوره الكامل والحر.

وفي هذا الإطار، يتصرف الطرفان وفقا لتشريعاتهما الداخلية وأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وبيان أيضا بالتزاماتهما كما تم تحديدها في الإعلانات والافاق الدولية ذات الصلة بالموضوع بما في ذلك المواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي قد يكونا ملتزمين بها.

8- الحوار والتفاهم بين الثقافات و الحضارات :

يشجع الطرفان الساميان المتعاقدان جميع الأعمال التي تسعى إلى خلق مجال ثقافي مشترك يستلهم من روابطهما التقليدية التاريخية والإنسانية التي تجد في مبادئ التسامح والتعايش والاحترام المتبادل السبيل الذي يتيح نسج تراث مشترك مثمر وممتين . وفي هذا الإطار، سيعمل الطرفان على تشجيع تعارف متبادل أقوى وأمتن بينهما، قصد القضاء على الخلفيات القديمة و التخوفات الجماعية التي تحول دون قيام تفاهم أحسن بين مجتمعيهما وشعبيهما.

ويعلن الطرفان عن عزمهما للعمل على احترام و تطبيق هذه المبادئ قصد تطوير فلسفة جديدة في علاقات التعاون بينهما تركز على الثقة المتبادلة وعلى التكامل وكذا على الطابع الشمولي وضرورة تعبئة كل القوى وقدرات الابتكار لدى مجتمعيهما في البحث عن أسلوب مشترك جديد للتعاون.

الفصل الأول

العلاقات السياسية الثنائية

المادة 1

رغبة من الطرفين الساميين المتعاقدين في توطيد وتوثيق الروابط التي تجمع بينهما، يزمعان على وضع إطار للاتصالات السياسية الثنائية ينسجم أكثر مع مستوى التعاون والتشاور الذي يتطلعان إليه. ولهذا الغرض اتفقا على تنظيم :

(1) اجتماع سنوي على مستوى عال بين رئيسي حكومتي البلدين ينعقد بالتناوب في المغرب وإسبانيا . وتسبق هذه الاجتماعات لقاءات بين الوزراء وكتاب الدولة، قصد التحضير، بشكل ملائم، للاجتماع المذكور.

(2) اجتماع نصف سنوي في المغرب وإسبانيا بالتناوب، بين وزيري شؤون خارجية البلدين،

(3) مشاورات منتظمة بين كتاب الدولة، والكتاب العامين والمديرين العامين للشؤون السياسية،

والأمن ونزع السلاح، والشؤون القنصلية والشؤون الثقافية والعلاقات الاقتصادية والتعاون،

كما يشجعان الاتصال والحوار بين البرلمانات والمنظمات المهنية وممثلي القطاع الخاص

والمؤسسات الجامعية والعلمية والثقافية بالمغرب وإسبانيا.

الفصل الثاني

علاقات التعاون

أ - التعاون الاقتصادي والمالي :

المادة 2

بهدف تسهيل تنشيط وعصرنة اقتصاد المملكة المغربية، تستعمل حكومة المغرب وحكومة إسبانيا

اتفاقات التعاون الموقعة بين البلدين للدفع بالتعاون الاقتصادي والمالي، دون المساس بالالتزامات الدولية

لكلا الطرفين.

المادة 3

يشجع الطرفان الساميان المتعاقدان ويعززان تنمية اللقاءات بين القطاعات المنتجة وقطاعات الخدمات لكلا البلدين وكذا إنجاز مشاريع ملموسة للاستثمار والاستثمار المشترك.

المادة 4

يشجع الطرفان تنمية مشاريع البنية التحتية ذات الاهتمام المشترك في مجال الطاقة و النقل والمواصلات.

ب - التعاون في ميدان الدفاع :

المادة 5

يشجع الطرفان الساميان المتعاقدان التعاون بين قواتهما المسلحة، موليين أهمية خاصة لتبادل الأطر و الملاحظين وتنظيم دروس التكوين والتأهيل ومقارنة الخبرات فيما يخص وسائل التكوين وكذا إنجاز تمارين مشتركة.

ومن بين أهداف هذا التعاون أيضا إنجاز برامج مشتركة من أجل البحث وتنمية وإنتاج أنظمة الأسلحة ومعدات الدفاع الهادفة إلى سد حاجيات الطرفين، عن طريق تبادل المعلومات التقنية والتكنولوجية والصناعية.

ج - التعاون من أجل التنمية :

المادة 6

وعيا منهما بضرورة تنشيط هذا التعاون، سواء على المستوى الثنائي أو على مستوى متعدد الأطراف بهدف إنعاش التنمية الاجتماعية والاقتصادية لشعبيهما، يضع الطرفان الساميان المتعاقدان برامج ومشاريع خاصة بالقطاع الأول والثاني والثالث ويمكن لتلك البرامج والمشاريع أن تشمل أنشطة مشتركة في دول غير الدول الأطراف.

ولهذا الغرض يشجع الطرفان :

أ - التعاون في قطاع الصيد البحري وفي الأنشطة المرتبطة به؛

ب- التعاون في قطاعات فلاحية التغذية وحماية البيئة، وبالأخص محاربة التلوث والتصحر وفي تدبير الموارد المائية؛

ج - التعاون في الميدان الصحي؛

د - التعاون في قطاع السياحة؛

هـ - التعاون في ميدان الاستعمال العقلاني للطاقة و للطاقات المتجددة؛

و - التعاون في منطقة مضيق جبل طارق بواسطة إنعاش الدراسات والأعمال والمشاريع في الميدان الفيزيوجرافي ودراسة أعماق المحيطات والأرصدة الجوية ، وذلك قصد إنجاز ربط قار بين إسبانيا والمغرب عبر مضيق جبل طارق ؛

ز - التعاون في ميدان التكوين المهني .

ويتعهد الطرفان على إدماج تبادل تجارب المهنيين وتكوين الطاقات البشرية وتحويل التكنولوجيات في مختلف قطاعات التعاون.

د - التعاون الثقافي :

المادة 7

يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان، وعيا منهما بأهمية التراث التاريخي والثقافي الذي يقتسمانه، على تنمية تعاونهما في ميادين التربية والتعليم عن طريق تبادل الطلبة، والأساتذة والباحثين الجامعيين وكذا تبادل الوثائق العلمية والبيداغوجية.

ويتم كذلك تشجيع العلاقات بين الجامعات وإعطاء منح للدراسة والبحث.

المادة 8

يعمل الطرفان بصفة مشتركة على تشجيع التعاون في الميدان السمعي البصري وبالأخص بين المؤسسات العموميتين للإذاعة والتلفزة وفي ميادين السينما والفن والرياضة.

المادة 9

يتفق الطرفان على إعطاء أهمية خاصة لتعليم اللغة والحضارة العربيتين بإسبانيا واللغة والحضارة الإسبانيتين بالمغرب ، وكذا على إنشاء وتسيير مراكز ثقافية فوق تراب كل منهما.

ه - التعاون في الميدان القانوني :

المادة 10

في الميدان القانوني اتفق الطرفان على:

أ - تشجيع التعاون القانوني في المادة التجارية والمدنية والجنائية والإدارية من أجل توطيد التعاون

القائم بين إدارتهما ومؤسساتهما القضائية ولضمان حسن سيرها؛

ب- تشجيع دراسة تشريعاتهما وبالأخص في الميدان التجاري وميدان المقاولات قصد تسهيل التعاون

بين المقاولات واندماج اقتصاديهما؛

ج - إعطاء أهمية خاصة للمكافحة الدولية ضد الإرهاب والإجرام المنظم والاتجار غير المشروع في

المخدرات.

المادة 11

في الميدان القنصلي يتفق الطرفان على إقامة تعاون وثيق بين مصالحهما القنصلية بهدف تحقيق

اندماج أفضل لمواطني كل منهما في الدولة الأخرى.

المادة 12

يتعهد الطرفان بتنمية مختلف مجالات التعاون المذكورة قصد ضمان شروط ملائمة للإقامة

والعمل للجاليتين المغربية والإسبانية في كلا البلدين، وضمان قدر أكبر من التفاهم بين شعبيهما، تمشيا

مع الهدف الأقصى الذي تسعى إليه هذه المعاهدة.

المادة 13

يحدد الطرفان البرامج والمشاريع الخاصة للتنمية المتفاوض بشأنها بمقتضى هذه المعاهدة في

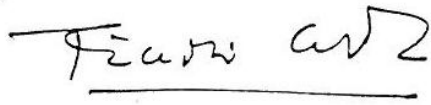
إطار اللجنة المختلطة المختصة بكل قطاع.

مقتضيات ختامية

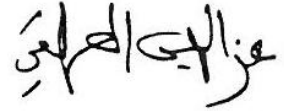
المادة 14

تدخل هذه المعاهدة حيز التنفيذ بتاريخ إشعار الطرفين بعضهما البعض عبر القناة الدبلوماسية، باستيفاء الإجراءات المنصوص عليها في تشريعهما الداخلي، وتبقى سارية المفعول إلى حين إلغائها من قبل أحد الطرفين، عبر نفس القناة، ويسري مفعول هذا الإلغاء بعد ستة أشهر من توصل الطرف الآخر بإشعار بذلك.

وحرر في الرباط بتاريخ 21 ذو الحجة 1411 الموافق 4 يوليوز 1991 في نظيرين أصليين باللغتين العربية والإسبانية، ولكلا النصين نفس الحجية.



عن المملكة الإسبانية



عن المملكة المغربية

الملحق الثاني:

اتفاق بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية بشأن تنقل الأشخاص والعبور وإعادة قبول الأجانب الذين دخلوا بصفة غير قانونية

في إطار التعاون القائم بين المملكة المغربية و المملكة الإسبانية و اعتبارا للروابط التاريخية التي تجمع بين الشعبين، و استجابة للانشغال المشترك من أجل تنسيق الجهود الرامية إلى وضع حد لتيار الهجرة السرية للأجانب بين المغرب و اسبانيا.

اتفق الطرفان على ما يلي:

الباب الأول

إعادة قبول الأجانب

المادة 1

تقوم سلطات الحدود للدولة المطلوب منها بناء على طلب رسمي لسلطات الحدود للدولة الطالبة، بإعادة قبول رعايا دول أخرى دخلوا بصفة غير قانونية فوق ترابها و القادمين من الدولة المطلوب منها.

المادة 2

يتم إعادة القبول إذا ما ثبت بجميع الوسائل أن الأجنبي المطلوب إعادة قبوله قد قدم فعلا من تراب الدولة المطلوب منها.

يجب تقديم طلب إعادة القبول داخل العشرة أيام الموالية للمرور غير القانوني فوق تراب الدولة الطالبة. و يجب أن يتضمن هذا الطلب جميع المعلومات المتوفرة حول الهوية و الوثائق الشخصية المحتمل توفرها عند الأجنبي و ظروف الدخول غير القانوني فوق تراب الدولة الطالبة، و كذا كل معلومات أخرى متعلقة بهذا الأجنبي.

و عند الموافقة على إعادة القبول، تكون هذه الأخيرة موضوع شهادة أو أي وثيقة أخرى مسلمة من طرف سلطات الحدود للدولة المطلوب منها و التي يتم فيها تثبيت الهوية، و إذا اقتضى الحال، الوثائق التي توجد بحوزة الأجنبي المعني بالأمر.

المادة 3

لا يشمل الإلزام بإعادة قبول:

- أ- رعايا الدول الأخرى التي لها حدود مشتركة مع الدولة الطالبة.
- ب- الأجانب الذين يمكن أن يكونوا قد سمح لهم بالإقامة فوق تراب الدولة الطالبة، بعد دخولهم غير القانوني إليها.
- ج- الأجانب الذين يتوفرون عند دخولهم إلى تراب الدولة الطالبة على تأشيرة أو على وثيقة إقامة مسلمة من طرف هذه الدولة أو الذين تم تسليمهم من طرف هذه الأخيرة تأشيرة أو وثيقة إقامة بعد دخولهم إليها.
- د- الأشخاص الذين يحتمل أن تكون الدولة الطالبة قد اعترفت لهم بوضعية لاجئين وفقا لمعاهدة جنيف في 28 يوليوز 1951.

المادة 4

تقبل الدولة الطالبة فوق ترابها الأجانب الذين كانت إعادة قبولهم قد تم طلبها و وافقت عليه الدولة المطلوب منها، عندما يثبت بعد التحريات التي أجريت بعد طردهم، أنهم كانوا يوجدون حين دخولهم إلى تراب الدولة المطلوب منها، ضمن إحدى الحالات المنصوص عليها في المادة الثالثة.

المادة 5

تسهر الدولة المطلوب منها على أن يتم ترحيل الأجانب المعاد قبولهم، في أقرب الآجال الممكنة، إلى بلدهم الأصلي أو إلى البلد الذي انطلقت رحلتهم منه، و ذلك إذا لم يكن لهم الحق في البقاء فوق تراب الدولة المطلوب منها.

الباب الثاني

العبور من أجل طرد الأجانب

المادة 6

يمكن لكل من الطرفين المتعاقدين أن يقبل بناء على طلب مسبق من الطرف الآخر، الدخول أو العبور عبر ترابه لمواطني الدول الأخرى المطرودين، عندما يكون إتمام سفرهم و قبولهم في الدولة المتجهين إليها مؤمنين.

يمكن لكل من الطرفين المتعاقدين، بناء على طلب مسبق من الطرف الآخر، أن يقبل كذلك عبور رعايا البلدان الأخرى المطرودين داخل المناطق الدولية للمطارات المتفق عليها، و طبقا لنفس الشروط المشار إليها في الفقرة السابقة، و يمكن أن يتم العبور جوا تحت مراقبة سلطات الدولة الطالبة عند الاقتضاء.

و تقوم الدولة الطالبة فوراً بإعادة قبول الأجانب فوق ترابها و الذين تم الشروع في طردهم، إذا ما رفضت الدولة المتجهين إليها دخولهم.

المادة 7

إن طلب العبور من أجل طرد رعايا البلدان الأخرى يتم مباشرة بين السلطات المعنية لهذه الغاية من طرف وزارتي الداخلية للطرفين. يتضمن طلب العبور بهدف الطرد المعلومات المتعلقة بالهوية و الوثائق الشخصية التي بحوزة الأجنبي، و إقامته فوق تراب الدولة الطالبة و شروط مروره عبر تراب الدولة المطلوب منها.

المادة 8

يمكن رفض العبور داخل من أجل الطرد:

- أ- إذا كان دخول الأجنبي ممنوعا في الدولة المطلوب منها.
- ب- إذا كان الأجنبي متهما أو صدر في حقه حكم جنائي من قبل إحدى محاكم الدولة المطلوب منها، لأفعال ارتكبت قبل العبور.

ج- إذا كان الأجنبي متهما و صدر في حقه حكم جنائي من قبل إحدى محاكم الدولة المتوجه إليها لأفعال ارتكبت قبل العبور.

د- إذا كان يخشى أن يتعرض الأجنبي لمعاملة سيئة في الدولة المتوجه إليها.

ه- إذا كان العبور قد تم طلبه قصد طرد رعايا البلدان المغربية الأعضاء في اتحاد المغرب العربي.

الباب الثالث

مقتضيات أخرى

المادة 9

لا يتعارض هذا الاتفاق مع الالتزامات المتعلقة بإعادة قبول رعايا البلدان الأخرى، الناتجة عن تطبيق مقتضيات اتفاقيات أخرى ثنائية كانت أو متعددة الأطراف.

المادة 10

تتحمل الدولة الطالبة:

- مصاريف النقل إلى حين دخول الأشخاص المطلوب إعادة قبولهم إلى الدولة المطلوب منها.
- مصاريف النقل إلى الدولة المتوجه إليها الأشخاص الذين تمت الموافقة على عبورهم بهدف طردهم . و تتحمل الدولة الطالبة كذلك مصاريف عودة الشخص غير المقبول.

المادة 11

تتسأ لجنة مشتركة مغربية إسبانية يعهد إليها تحت سلطة وزيرى الداخلية، البث فى كل حالات النزاع التى يمكن أن تنجم عن تطبيق هذا الاتفاق و تسهر على متابعة تطبيق مقتضاته.

و تدرس اللجنة المشتركة إجراءات و معايير التعويض المترتب عن عدم التوازن المالى الناتج عن إعادة قبول الأجانب المبعدين.

و تنظم هذه اللجنة مساعدة متبادلة لتطوير أجهزة المراقبة على الحدود و خاصة تجهيز و تكوين المكلفين بمراقبة الحدود.

المادة 12

طبقا للتشريع الإسباني و الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحرية تنقل الأشخاص و التي تكون إسبانيا طرفا فيها، يمكن للرعايا المغاربة المقيمين بصفة قانونية فوق تراب الدول أعضاء المجموعة الأوروبية، الدخول و التنقل بحرية عبر التراب الإسباني بدون تأشيرة خلال فترة لا تتعدى ثلاثة أشهر.

المادة 13

تتعاون السلطات الإسبانية و المغربية في إطار ملائم قصد تنظيم حركة الهجرة بين البلدين في حالة ما إذا كانت هذه الحركة ضرورية، مع الضمان المستمر للحقوق الاجتماعية للعمال المعنيين.

المادة 14

يمكن لوزارتي الداخلية للطرفين المتعاقدين إعداد، و إن اقتضى الحال، تغيير لائحة المراكز الحدودية التي يمكن أن يتم عبرها إعادة القبول و عبور رعايا البلدان الأخرى و كذا لائحة المطارات الممكن استعمالها لعبور الأجانب المبعدين من أجل سفرهم نحو الدولة المتوجهين إليها. ويشعر الطرفان المتعاقدان بعضها البعض بواسطة الطرق الدبلوماسية باللوائح المذكورة وبالتغييرات المحتملة.

المادة 15

يمكن للطرفين المتعاقدين في إطار اللجنة المشتركة المحدثّة طبقا للمادة 11، اقتراح جميع التعديلات التي تراها ضرورية من أجل تطبيق أفضل لهذا الاتفاق و من أجل حماية المصالح الوطنية للطرفين المتعاقدين.

المادة 16

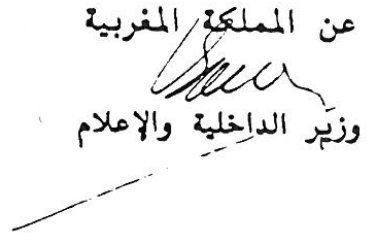
يدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ ثلاثين يوما بعد إشعار الطرفين المتعاقدين باستكمال الإجراءات الدستورية المعمول بها للتصديق عليه، و يطبق هذا الاتفاق مؤقتا ابتداء من تاريخ التوقيع عليه. و يبقى هذا الاتفاق نافذا لمدة ثلاث سنوات، و يجدد تلقائيا لنفس المدة.

و يمكن لكل من الطرفين إلغاء هذا الاتفاق في أي وقت كان، و يصبح مفعول هذا الإلغاء نافذا
ثلاثة أشهر بعد إشعار الطرف الآخر.

حرر بمدير في 13 يراير 1992، في نسختين أصليتين باللغتين العربية و الإسبانية، و لكل
منهما نفس الحجية.



عن المملكة الإسبانية
وزير الداخلية



عن المملكة المغربية
وزير الداخلية والإعلام

الملحق الثالث:

اتفاق بين المغرب وإسبانيا في ميدان التعاون لمكافحة المخدرات

ديباجة

إن المملكة المغربية و المملكة الإسبانية، وعيا منهما بالخطر الكبير الذي يشكله استهلاك المخدرات على مواطني البلدين و العواقب الوخيمة التي تنتج عن ذلك بالنسبة للأمن العام و الصحة العمومية و اعتبارا بكون تعاون وثيق بين سلطات البلدين لمكافحة المتاجرة في المخدرات و استهلاكها لن يعود إلا بالنفع،
قد اتفقتا على ما يلي:

المادة 1

يتم التعاون بشأن مكافحة المخدرات بواسطة إحداث تبادل منتظم للمعلومات و الوثائق في الميادين الآتية:

(1) في ميدان الوقاية:

- أ) تبادل الاقتراحات لسيير البرامج التجريبية؛
- ب) البرامج ذات الأولوية في ميدان الوقاية؛
- ج) البرامج العامة للرفع من مستوى الصحة و التربية من أجل خير المواطنين و خصوصا الشبيبة.

(2) في الميدان الاجتماعي و الصحي:

- أ) دور مختلف مصالح العلاج من حيث تقديم الإسعافات (مراكز مختصة، مستويات الخ)؛
- ب) تصنيف المراكز و مصالح الإسعاف في إطار البرامج الأوروبية المقدمة من طرف الحكومة الإيطالية بالتعاون مع مؤسسة "لابوص" و مشاركة إسبانيا و البرتغال؛
- ج) الدراسات و التقييم للبرامج التجريبية من أجل مباشرة شمولية تهدف إلى مساعدة المدمنين على المخدرات؛
- د) البرامج التجريبية لقطع التعود.

(3) في ميدان إعادة الإدماج في المجتمع

(4) في الميدان التشريعي.

المادة 2

يتبادل الطرفان المتعاقدان كل أنواع المعلومات عن النتائج و وسائل البحث في الأوبئة و المتعلقة بالتقييم والمراقبة و تطور استهلاك المخدرات.

المادة 3

يتبادل الطرفان المتعاقدان المعلومات بانتظام عبر الأجهزة الإدارية المسؤولة عن مكافحة المخدرات، مع تعاون خاص في مراقبة الأجانب، و المطارات، و الحدود و الموانئ، و من أجل هذا يقيمان الاتصالات والاجتماعات التي تعتبر اللجنة المختلطة المنصوص عليها في المادة (5) أنها ضرورية.

المادة 4

يمكن للسلطات المختصة للطرفين المتعاقدين أن تتفاوض و تعقد الاتفاقات الإدارية و قواعد الإجراءات الضرورية لتنفيذ هذا الاتفاق.

المادة 5

من أجل تطبيق هذا الاتفاق تحدث لجنة مغربية إسبانية متساوية العضوية تشمل أعضاء معينين من قبل السلطات المختصة لكلا البلدين.

يشارك في اللجنة المذكورة، من الجانب المغربي ممثلون عن وزارات العدل، و الشؤون الخارجية، والداخلية، و الصحة العمومية و من الجانب الإسباني ممثلون عن وزارات الصحة و الاستهلاك و العدل والداخلية و الشؤون الخارجية.

المادة 6

تقوم اللجنة، زيادة على المهام المخولة لها من قبل السلطات المختصة، بالمهام التالية:

(أ) تتصرف كأداة اتصال بين السلطات المختصة للبلدين في ميدان تطبيق هذا الاتفاق؛

(ب) تقترح على السلطات المختصة حيثيات التعاون في الميدان المشار إليه في المادة 2؛

(ج) تقترح على السلطات المختصة الاتفاقيات الإدارية و قواعد الإجراءات المذكورة في المادة 4.

المادة 7

يمكن للجنة أن تحدث داخلها مجموعات عمل و تدعو أي مصلحة وطنية معنية قد تساعد في مهمتها،
و ذلك باقتراح أحد الطرفين المتعاقدين.

بصرف النظر عن اجتماعات مجموعات العمل، فإن اللجنة تجتمع كل سنة و أيضا كل مرة تقتضيها
ظروف استثنائية لدراسة الأشغال الجارية و تحديد التوجيهات و تقييم النتائج المحصل عليها في مختلف
ميادين العمل.

المادة 8

يطبق هذا الاتفاق مؤقتا عند التوقيع عليه، و يصبح ساري المفعول نهائيا بعد ستين (60) يوما من
تبادل مذكرات بين الطرفين المتعاقدين يشعر بوسيلته كل من الطرفين الطرف الآخر باستيفاء الإجراءات
المتطلبة حسب تشريعهما الداخلي.

يبقى هذا الاتفاق ساري المفعول إلا إذا ألغاه أحد الطرفين و أبلغ ذلك إلى الطرف الآخر بواسطة
الطرق الدبلوماسية، مع إشعار مدته ستة (6) أشهر.

الرباط بتاريخ 21 يناير 1987.

عن المملكة المغربية

إدريس البصري.

عن المملكة الإسبانية

خوسي بريونوفو.

الملحق الرابع: بروتوكول إضافي لاتفاقية التعاون الموقعة بالرباط في 21 يناير 1987 بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية بشأن مكافحة المخدرات

بروتوكول إضافي لاتفاقية التعاون الموقعة بالرباط في 21 يناير 1987 بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية بشأن مكافحة المخدرات

إن وزير الدولة، وزير الداخلية في المملكة المغربية، ووزير الداخلية في
المملكة الإسبانية ؛

وعيا منهما بالمخاطر المترتبة عن الاتجار الدولي للمخدرات، والذي يغدي
أشكالا خطيرة أخرى من الإجرام ؛

تحدوهما الإرادة المشتركة لتعبئة كل الطاقات من أجل محاربة هذه الآفة عن
طريق مقارنة متكاملة تشمل الوقاية ، والمساعدة ومحاربة الاتجار اللامشروع ؛

واعتبارا منهما للنتائج المرضية المحصل عليها منذ توقيع اتفاقية 21 يناير
1987 بشأن التعاون المغربي الإسباني في مجال الاتجار في المخدرات ؛

واقترناهما منهما بضرورة تطوير التعاون وملاءمة الإطار القانوني في هذا
المجال مع مقتضيات معاهدة الأمم المتحدة حول الاتجار اللامشروع في المخدرات
ومشتقاتها الموقعة سنة 1988 بـ فيينا والمصادق عليها من طرف البلدين ، ومع
الالتزام الذي أخذه الطرفان في إعلان الرباط المؤرخ في 19 أبريل 1996 ؛

يتفقان على ما يلي :

المادة 1 : يلتزم كل طرف بمقتضى هذا الاتفاق بالتعاون مع الطرف الآخر وفقا لتشريعته الوطني .

يحترم الطرفان التزاماتهما بموجب هذا البروتوكول وفقا لمبادئ السيادة والوحدة الترابية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

المادة 2 : يلتزم الطرفان المتعاقدان بتطوير التعاون في مجال مكافحة الاتجار اللامشروع في المخدرات وذلك بتنويع العمليات وضمان المتابعة الفعالة للعمليات المشتركة .

المادة 3 : يتخذ الطرفان من أجل تطبيق مقتضيات المادة الثانية أعلاه الإجراءات الفعلية التالية :

- * تعيين مصلحة مركزية مختصة ومهياة ميدانيا في كل من البلدين لدعم العمل المنسق في مجال مكافحة الاتجار في المخدرات .
- * تطوير تبادل ضباط الاتصال .
- * تبادل المعلومات في أقرب الآجال وفقا لتشريعات البلدين في مجال معالجة المعطيات المعلوماتية .
- * توفير الوسائل الملائمة للاتصال .
- * تطوير التعاون في مجال البحث وتحديد هوية ومواقع المهربين .
- * تسهيل تنقل المختصين في مصالح الأمن لكل طرف متعاقد لحضور

التحريات ذات المصلحة المشتركة فوق تراب الطرف الآخر.

* متابعة وتقوية عمليات المراقبة الهادفة والمنسقة عند الحدود وفي المناطق الحدودية للطرفين .

* تطوير تبادل المعلومات التقنية والعينات المأخوذة من المواد المحجوزة .

* تنسيق برامج تكوين موظفي الشرطة المختصين وخاصة فيما يتعلق بمجال تبييض الأموال والتسليم تحت الحراسة للمخدرات وجميع التقنيات الأخرى لمحاربة الاتجار اللا مشروع المطابقة للقانون .

* ضمان تبادل المعلومات حول التكوين التقني بكيفية مستمرة .

المادة 4،

يلتزم الطرفان المتعاقدان بتكثيف التعاون بينهما عندما يتعلق الأمر بالتتبع والتنقل والمرور والعبور والتسليم المحروس للمخدرات طبقا للمادة 11 من معاهدة الأمم المتحدة المشار إليها أعلاه .

المادة 5،

تطبيقا للمادة 7 من اتفاقية 21 يناير 1987 المشار إليها أعلاه، يحدث الطرفان المتعاقدان مجموعة عمل مشتركة تتكون من ستة (6) ممثلين عن كل جانب ، ويعمل الطرفان بمجرد توقيع هذا البروتوكول على تبادل المعلومات حول تشكيلة هذه المجموعة .

تعمل مجموعة العمل المشتركة على تعميق دراسة مجمل القضايا التي تدخل في مجال تطبيق هذا البروتوكول الإضافي وتحديد التدابير الفعلية لتبادل المساعدة في مجال التعاون الدولي والدراسة والتكوين والتجهيز .

تجتمع مجموعة العمل بصفة منتظمة مرة كل ستة أشهر (6) أو بطلب من أحد الطرفين عند الاقتضاء ، وتعد الاجتماعات بصفة دورية في المغرب وإسبانيا .

المادة 6 . يمتد التعاون بين الطرفين بموجب هذا البروتوكول الإضافي إلى ما يلي :

- * التحيين المستمر والمتبادل للمعلومات والأخبار حول الاتجار في المخدرات .
- * تبادل الخبرات حول طرق الاتجار اللا مشروع في المخدرات وحول تجميع واستغلال المعطيات المعلوماتية المتعلقة بهذا الاتجار .
- * تبادل المعلومات حول المقتضيات القانونية التي تسري على الجرائم موضوع هذا البروتوكول الإضافي واتفاقية 21 يناير 1987 .

المادة 7 .

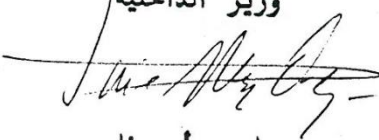
يعقد هذا البروتوكول الإضافي بين الطرفين لأجل غير محدد . ويمكن لكل طرف أن يضع حدا لالتزامه بمقتضياته شريطة إشعار الطرف الآخر بذلك كتابة وبالطرق الدبلوماسية في أجل ستة أشهر .

وحرر بملكا في 4 يوليوز 1997 في نسختين أصليتين باللغة العربية والإسبانية والفرنسية ، ويعمل بالنصوص الثلاث للبروتوكول الإضافي على قدم المساواة .

عن حكومة المملكة المغربية
وزير الدولة ، وزير الداخلية


ادريس البصري

عن حكومة المملكة الإسبانية
وزير الداخلية


مايور أوريجا

الملحق الخامس: إعلان برشلونة

الوزراء.. المشاركون في المؤتمر الأوروبي- المتوسطي في برشلونة:

- مشددون على الأهمية الإستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط ومدفوعون بالإرادة لإعطاء علاقتهم المستقبلية بعدا جديدا، يركز على تعاون شامل ومتضامن على مستوى الطبيعة الممتازة لعلاقات سبكهما الجوار والتاريخ؛
- مدركون بأن الرهانات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة تشكل، على جانبي البحر الأبيض المتوسط تحديات مشتركة تتطلب حلا شاملا ومنسقا؛
- مصممون من أجل هذا على خلق إطار متعدد الأطراف ودائم لعلاقتهم، يركز على روح المشاركة مع احترام ميزات وخواص وقيم كل المشاركين؛
- معتبرون هذا الإطار المتعدد الأطراف كمكمل لتوطيد العلاقات الثنائية وذي ذاتية سيتم التركيز عليها بإتمام اتفاقات تجمع أوروبية- متوسطية وعلى ضوء خلاصات المجلس الأوروبي، بإنجاز بدء التنفيذ الكامل للاتحاد الجمركي مع تركيا والتوسيع المتوقع للاتحاد الأوروبي نحو الجنوب بما يخص قبرص ومالطا، الذي من شأنه توطيد البعد المتوسطي لهذا الاتحاد؛
- مشددون على أن هذه المبادرة الأوروبية- المتوسطية لا تهدف إلى الحل محل المبادرات الأخرى المباشر بها من أجل السلام والاستقرار والنمو في المنطقة، ولكن ستساهم في دفع هذه إلى الأمام. يدعم المشاركون تحقيق تسوية سلام عادلة وشاملة ومستديمة في الشرق الأوسط تركز على القرارات الملائمة لمجلس أمن الأمم المتحدة وعلى المبادئ المذكورة في الدعوة إلى مؤتمر مدريد حول السلام في الشرق الأوسط؛
- مقتنعون بأن الهدف العام الذي يقضي بجعل البحر الأبيض المتوسط منطقة حوار وتبادل وتعاون من شأنهما تأمين السلام والاستقرار والازدهار، يفرض توطيد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، ونموا اقتصاديا واجتماعيا مستديما ومتوازنا ومكافحة الفقر وتنمية أفضل للتفاهم بين الثقافات، كلها عناصر رئيسية للمشاركة.

يوافقون على إقامة مشاركة عامة أوروبية-متوسطية، بين المشاركين عبر حوار سياسي معزز وتنمية التعاون الاقتصادي والمالي وإضفاء أكبر على قيمة الأبعاد الاجتماعية والثقافية والإنسانية. وتشكل هذه المحاور الجوانب الثلاثة للمشاركة الأوروبية المتوسطية.

مشاركة سياسية وأمنية: تعريف مجال مشترك من السلام والاستقرار

يعبر المشاركون عن قناعتهم بأن السلام والاستقرار والأمن في منطقة البحر الأبيض المتوسط يشكلون مكسبا مشتركا يتعهدون على تشجيعه وتوطيده بكل الوسائل التي بحوزتهم. من أجل هذا يوافق المشاركون على قيادة حوار سياسي مكثف ومنتظم يركز على الاحترام للمبادئ الجوهرية للقانون الدولي ويعيدون التأكيد على عدد من الأهداف المشتركة في مجال الاستقرار الداخلي والخارجي .

عملا بهذا يتعهد المشاركون عبر البيان المبدئي التالي على:

- العمل وفقا لميثاق الأمم المتحدة والبيان الدولي لحقوق الإنسان وكذلك للواجبات الأخرى الناتجة عن القانون الدولي وبالتحديد تلك التي تنجم عن الأدوات الإقليمية والدولية المشاركين فيها؛
- تنمية دولة القانون والديمقراطية في جهازهم السياسي مع الاعتراف ضمن هذا الإطار بحق كل مهم بحرية اختيار وتنمية جهازه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعدلي(*)؛
- احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، إضافة إلى الممارسة الفعلية والمشروعة(*) لهذه الحقوق والحريات، بما فيه حريات الرأي وحرية التجمع لأهداف سلمية، وحرية التفكير والضمير والدين فرديا وجماعيا مع أعضاء آخرين في نفس المجموعة، بدون أي تمييز بسبب العنصر والجنسية واللغة والدين والجنس؛
- التقدير برضا عبر الحوار بين كل الفرقاء، إلى تبادلات المعلومات حول المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان، والحريات الجوهرية، والعنصرية وكره الأجانب(*)؛
- احترام وفرض احترام التنوع والتعددية في مجتمعاتهم وتشجيع التسامح بين مختلف مجموعاتها والمكافحة ضد مظاهر التعصب وبالأخص العنصرية وكره الأجانب. يشدد المشاركون على أهمية التأهيل المناسب في مجال حقوق الإنسان والحريات الأساسية؛

- احترام مساواتهم المستقلة وكذلك كل الحقوق المتعلقة باستقلاليتهم وتنفيذ واجباتهم المضطلع بها وفقا للقانون الدولي بحسن نية؛
- احترام مساواة حقوق الشعوب وحقوقهم في تدبير شؤونهم بأنفسهم مع العمل في كل لحظة طبقا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والنماذج الملائمة في القانون الدولي، بما فيه تلك التي تتعلق بوحدة الأراضي للدول، (نص مأخوذ عن مرسوم هيلسينكي النهائي)؛
- متابعة إعادة التأكيد على حق الشعوب في تدبير شؤونها بنفسها مع الأخذ بعين الاعتبار للحالة الخاصة للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية أو لأشكال أخرى من السيطرة والاحتلال الخارجيين، والاعتراف بحق الشعوب باتخاذ التدابير المشروعة وفقا لميثاق الأمم المتحدة من أجل إنجاز حقوقهم المطلقة في تقرير المصير، (نص مأخوذ عن بيان الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة الذكرى الخمسينية لتأسيسها)؛
- الامتناع طبقا لنماذج القانون الدولي عن كل تدخل مباشر أو غير مباشر في شؤون شريك آخر الداخلية؛
- احترام حدود ووحدة كل من الشركاء؛
- التخلي عن التهديد أو استخدام القوة ضد وحدة الأراضي أو الاستقلال السياسي لشريك آخر وعن كل أسلوب لا يتوافق مع أهداف الأمم المتحدة، (بما فيه كسب الأراضي بالقوة) وحل خلافاتهم بأساليب سلمية؛
- توطيد التعاون من أجل الوقاية ضد الإرهاب ومكافحته تحديدا بالتصديق على الأدوات الدولية التي يشاركون فيها وتطبيقها، وبالانضمام إلى تلك الأدوات، وكذلك بكل التدابير الملائمة؛
- المكافحة ضد انتشار وتنوع الجرائم المنظم ومحاربة آفة المخدرات بكل أشكالها؛
- العمل على عدم انتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية بتعهد كل المشاركين على الانضمام إلى معاهدة الحد من الأسلحة النووية واتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية واتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية وعلى التنفيذ بحسن نية للتعهدات في إطار الاتفاقيات التي تربطهم بما يخص السيطرة على التسلح وتجريد السلام وعدم انتشار الأسلحة؛

- عدم التجهز بقدرات عسكرية تتعدى الحاجات المشروعة للدفاع مؤكدين في نفس الوقت إرادتهم للوصول إلى نفس الدرجة من الأمان والثقة المتبادلة على أدنى المستويات الممكنة من القوة والسلاح؛
- تشجيع الظروف التي من شأنها تنمية علاقات حسن الجوار فيما بينهم ودعم العمليات التي تهدف الاستقرار والأمن والازدهار والتعاون على المستوى الإقليمي والتحت إقليمي؛
- دراسة وسائل واستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط" (بما في ذلك إمكانية وضع عقد أوروبي- متوسطي).

مشاركة اقتصادية ومالية: بناء منطقة ازدهار متقاسمة

- يشدد المشاركون على الأهمية التي يعلقونها على النمو الاقتصادي والاجتماعي المستديم والمتزن في أفق تحقيق هدفهم ببناء منطقة ازدهار متقاسمة.
- يعترف الشركاء بأهمية مسألة الدين في النمو الاقتصادي لبلدان منطقة البحر الأبيض المتوسط. ونظرا لأهمية علاقاتهم، يوافقون على متابعة الحوار حول هذه المسألة في (المنتدىات الملائمة) [إطار المشاركة الأوروبية- المتوسطية].
- ملاحظون بأن على الشركاء مجابهة تحديات مشتركة، بالرغم من تظاهر هذه على درجات مختلفة،

يحدد المشاركون الأهداف الأصلية على المدى البعيد:

- تسريع عجلة النمو الاجتماعي والاقتصادي المستديم؛
- تحسين ظروف الحياة للسكان، ورفع مستوى الاستخدام وتخفيف فوارق النمو في المنطقة الأوروبية- المتوسطية؛

- تشجيع التعاون والتكامل الإقليميين.

من أجل تحقيق هذه الأهداف، يوافق المشاركون على إقامة مشاركة اقتصادية ومالية تركز مع الأخذ بعين الاعتبار لمختلف درجات النمو على:

- التأسيس التدريجي لمنطقة تبادل حر؛
- تنفيذ تعاون وتداول اقتصادي ملائمين في المجالات المعنية؛

- زيادة ضخمة للمعونة المالية من الاتحاد الأوروبي إلى شركائه.

(أ) منطقة تبادل حر :

ستحقق منطقة التبادل الحر عبر اتفاقية أوروبية-متوسطية جديدة واتفاقيات تبادل حر بين شركاء الاتحاد الأوروبي. حدد المشاركون سنة 2010 كتاريخ علمي للتأسيس التدريجي لهذه المنطقة التي ستشمل مجمل التبادلات مع احترام الواجبات الناجمة عن OMC التنظيم الدولي للتجارة. تتجول المنتجات المصنعة في هذه المنطقة بحرية وبدون أي حاجز تعريفي انطلاقاً من التدفقات التقليدية، وضمن الحدود المسموح بها في مختلف السياسات الزراعية، سيتم تحرير تجارة المنتجات الزراعية تدريجياً عبر المنفذ التفضيلي والمتبادل. سيتم تحرير حق الإنشاء وتقديم الخدمات تدريجياً مع الأخذ بعين الاعتبار لاتفاقية الكات سيتم إزالة العوائق التعريفية وغير التعريفية تدريجياً في وجه تبادلات المنتجات المصنعة والزراعية وفقاً لمنهج يناقش ويوافق عليه بين كل الشركاء. ستحرر تبادلات الخدمات، بما فيها الحضور التجاري وحركة الأشخاص الضرورية لتأمين هذه الخدمات، تدريجياً مع الأخذ الوافي بعين الاعتبار لاتفاقية الكات.

يقرر المشاركون تسهيل التأسيس التدريجي لهذه المنطقة ذات التبادل الحر بـ:

- تبني التدابير الملائمة فيما يخص قواعد الأصل، والتصديق الإثباتي، وحماية الملكية الفكرية والصناعية، والمضاربة؛
- متابعة وتنمية السياسات المرتكزة على مبادئ الاقتصاد الحر وتكامل اقتصادياتهم مع أخذ حاجاتهم ومستويات نموهم بعين الاعتبار؛
- الإقدام على استواء وتحديث البنيات الاقتصادية والاجتماعية مع إعطاء الأولوية لتشجيع وتنمية القطاع الخاص، ورفع القطاع الإنتاجي إلى المستوى المطلوب، ووضع إطار دستوري وقانوني ملائم لسياسة الاقتصاد الحر. إضافة إلى ذلك، سيجدون لتخفيف العواقب السلبية التي قد تنجم عن هذا الاستواء على المستوى الاجتماعي وذلك بتشجيع برامج لصالح السكان الأكثر فقراً؛
- تشجيع الأولويات الهادفة إلى تنمية تبادلات التكنولوجيا.

ب) تعاون وتداول اقتصاديين :

- سيتم تنمية التعاون وبالأخص في المجالات اللاحقة الذكر وفي هذا الصدد:
- يعترف المشاركون بواجب دعم النمو الاقتصادي بالتوفير الداخلي، قاعدة كل استثمار، وبالاستثمارات الخارجية المباشرة معا. يشددون على أنه من المهم تأسيس جو مناسب لهما وبالتحديد عبر إزالة العوائق في وجه هذه الاستثمارات تدريجيا، التي قد تؤدي إلى تبادلات للتكنولوجيا وزيادة الإنتاج والتصدير.
- يؤكد المشاركون بأن التعاون الإقليمي، المحقق على أساس اختياري وبالأخص من أجل تنمية التبادل بين الشركاء أنفسهم، يشكل عاملا رئيسيا في سبيل التشجيع على تأسيس منطقة تبادل حر؛
- يشجع المشاركون الشركات على عدة اتفاقات فيما بينها ويتعهدون بدعم هذا التعاون والتحديث الصناعي وذلك بمنح جو وإطار قانوني مواتيين. يعتبرون القيام ببرنامج دعم تقني للشركات ذات الحجم الصغير والمتوسط أمرا ضروريا؛
- يشدد المشاركون على ترابطهم في مجال البيئة الذي يفرض تحليلا إقليميا وتعاوننا مكثفا وكذلك تنسيقا أفضل للبرامج المتعددة الأطراف الموجودة بالتأكيد على تعلقهم باتفاقية برشلونة وبـ "بام". يعترفون بضرورة التوفيق بين النمو الاقتصادي والحفاظ على البيئة، وإدراج المسائل البيئية في الأوجه المناسبة للسياسة الاقتصادية، وتخفيف العواقب السلبية التي قد تنتج عن النمو في مجال البيئة يتعدون بإنشاء برنامج أعمال ذات أولوية على المديين القصير والمتوسط، بما في ذلك مكافحة ضد التصحر، وتكثيف الدعم الفني والمالي الملائم لهذه الأعمال؛
- يعترف المشاركون بالدور الرئيسي للنساء في التنمية وينهضون بتشجيع مشاركة النساء الفعالة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وفي خلق فرص العمل؛
- يشدد المشاركون على أهمية الحفاظ على الموارد السمكية وإدارتها إدارة منطقية، والتحسين للتعاون في مجال البحث عن الموارد بما فيها تربية المائيات، ويتعهدون بتسهيل التأهيل والبحث العلمي والنظر في خلق الأدوات المشتركة؛

- يعترف المشاركون بالدور البناء لقطاع الطاقة في المشاركة الأوروبية- المتوسطية الاقتصادية ويقررون توطيد التعاون وتعميق الحوار في مجال سياسات الطاقة. يقررون خلق الشروط الشاملة والملائمة لاستثمارات وأعمال الشركات العاملة في ميدان الطاقة وذلك بالتعاون من أجل خلق الظروف التي من شأنها السماح لهذه الشركات بتوسيع شبكات الطاقة وتشجيع الربط فيما بينها؛
- يعترف الشركاء بأن التزويد بالماء وكذلك الإدارة المناسبة وتنمية الموارد سيشكلون مسألة أولوية لكل الشركاء المتوسطيين وأنه من الضروري تنمية التعاون في هذه المجالات؛
- يوافق المشاركون على التعاون من أجل تحديث وإعادة بنى الزراعة وتشجيع النمو الريفي المتكامل. سيتوجه هذا التعاون بالتحديد نحو محاور المعونة الفنية والتأهيل، والدعم للسياسات المعمول بها من قبل الشركاء من أجل تنويع الإنتاج وتخفيف التبعية الغذائية، وتشجيع زراعة تحترم البيئة. يوافقون أيضا على التعاون في هدف استئصال الزراعات غير الشرعية.
- يوافق المشاركون أيضا على التعاون في مجالات أخرى وفي هذا الصدد:
- يشددون على أهمية تنمية وتحسين البنية التحتية بما في ذلك خلق جهاز مواصلات فعال، وتنمية تكنولوجيات المعلوماتية وحديث الاتصالات. في سبيل هذا، يوافقون على إعداد برنامج للأولويات؛
- يتعهدون باحترام مبادئ القانون البحري الدولي وبالأخص الأداء الحر للخدمات في مجال المواصلات الدولية والمنفذ الحر إلى الحمولات الدولية؛
- يتعهدون بتشجيع التعاون بين الوحدات المحلية (ولايات، محافظات..) ومن أجل تنظيم الأراضي؛
- يوافقون على توطيد القدرات الذاتية في البحث العملي والتطوير، والمساهمة في تأهيل العاملين في القطاعين العلمي والتقني، والحث على المشاركة في مشاريع البحث المشتركة انطلاقا من خلق الشبكات العلمية؛
- يوافقون على تشجيع التعاون في مجال الإحصائيات من أجل التوفيق بين الطرق وتبادل المعطيات.

ج) معونة مالية :

يعتبر المشاركون أن تحقيق منطقة تبادل حر ونجاح المشاركة الأوروبية-المتوسطية يرتكزان على زيادة ضخمة في المعونة المالية، التي يجب أن تشجع قبل كل شيء تحريك كالفعاليات الاقتصادية المحلية ضمن آفاق نمو داخلي مستديم. يلاحظون في هذا الصدد:

- إن الجلسة الأوروبية في كان وافقت على احتياطي بمبلغ 4685 مليون إيكو لهذه المعونة خلال الفترة التي تتراوح ما بين 1995 و 1999، وذلك بشكل اعتمادات مالية متوفرة لدى المجموعة الأوروبية. يضاف على هذا تدخل BEI ، بشكل ديون بمبلغ اضخم وكذلك المساهمات المالية الثنائية للدول الأعضاء؛

- إن تعاوننا ماليا فعالا تتم إدارته في إطار برمجة متعددة السنوات، تأخذ ذاتيات كل من الشركاء بعين الاعتبار، أمرا ضروريا؛

- إن إدارة صالحة على مستوى الاقتصاد الجمعي تعتبر ذات أهمية جوهرية من أجل تأمين النجاح لمشاركتهم. يوافقون في سبيل هذا على تشجيع الحوار حول سياساتهم الاقتصادية وحول أسلوب تحسين التعاون المالي إلى أقصى الحدود.

مشاركة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإنسانية: تشجيع التبادلات بين المجتمعات المدنية:

يعترف المشاركون بأن تقاليد الثقافة والحضارة على جانبي البحر الأبيض المتوسط، والحوار بين الثقافات والتبادلات الإنسانية والعلمية والتكنولوجية تشكل عنصرا رئيسيا في التقارب والتفاهم بين الشعوب وتحسين الإدراك المتبادل. في هذا السياق يوافق المشاركون على خلق مشاركة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإنسانية. في سبيل هذا:

- يؤكدون من جيد بان الحوار والاحترام بين الثقافات والأديان هما شرطان ضروريان لتقارب الشعوب. يشددون في هذا الصدد على أهمية الدور الذي تستطيع أجهزة الإعلام القيام به بشأن المعرفة والتفاهم للثقافات كمنبع للإثراء المتبادل بين الأطراف؛

• يلحون على الميزة الرئيسية لنمو الموارد السنينة سواء بما يخص التعليم والتأهيل تحديدا للشبيبة أو في مجال الثقافة. يعبرون عن إرادتهم في تشجيع التبادلات الثقافية ومعرفة لغات أخرى مع احترام الهوية الثقافية لكل شريك، وتنفيذ سياسة مستديمة للبرامج التربوية والثقافية. في هذا المجال، يتعهد الشركاء بأخذ التدابير التي من شأنها تيسير التبادلات الإنسانية وبالتحديد عبر تحسين العمليات الإدارية؛

• يشددون على أهمية قطاع الصحة في النمو المستديم ويعبرون عن إرادتهم في تشجيع المشاركة الفعالة للتجمعات السكنية في التدابير الصحية والمعيشية للسكان؛

• يعترفون بأهمية النمو الاجتماعي الذي حسب رأيهم، يجب أن يواكب كل نمو اقتصادي يعلقون أهمية خاصة على احترام الحقوق الاجتماعية الجوهرية بما فيها الحق في النمو؛

• يعترفون بالدور الرئيسي الذي بإمكان المجتمع المدني القيام به في عملية تنمية كل جوانب المشاركة الأوروبية- المتوسطية كعامل أساسي لتفاهم أفضل وتقارب بين الشعوب؛

• نتيجة لذلك، يوافقون على توطيد و/ أو ترتيب الأدوات اللازمة لتعاون غير مركزي في سبيل تشجيع التبادلات بين فعاليات النمو في إطار القوانين الوطنية: المسؤولون عن المجتمع السياسي والمدني، العالم الثقافي والديني، الجامعات، البحث، أجهزة الإعلام، الجمعيات، النقابات والشركات الخاصة والعامة؛

• يعترفون بأهمية تشجيع الاتصالات والمتبادلات بين الشباب في إطار برامج تعاون غير مركزية؛

• يشجعون أعمال الدعم لصالح المؤسسات الديمقراطية وتوطيد دولة القانون والمجتمع المدني؛

• يعترفون بأن التطور السكاني الحالي يشكل تحديا رئيسيا تتم مواجهته بواسطة السياسات الإسكانية المناسبة من أجل تسريع الإقلاع الاقتصادي؛

• يعترفون بالدور المهم الذي تلعبه الهجرة في علاقاتهم. يوافقون على تكثيف التعاون فيما بينهم من أجل تخفيف وطأة الهجرة بواسطة برامج تأهيل مهني ومساعدة على خلق فرص العمل وغيرها.

يتعهدون بتأمين الحماية لمجمل الحقوق المعترف بها في القانون الموجود حل المهاجرين المستقرين

شرعيا على أراضيهم. [يعترف الشركاء بواجباتهم من أجل إعادة قبول مواطنيهم الذين تركوا بلادهم.

من أجل هذا سيعتبر الاتحاد الأوروبي مواطني الدول الأعضاء كمقيمين طبقا لتعريف المجموعة الأوروبية؛]

- يقررون إقامة تعاون وثيق في كل مجالات الهجرة الخفية؛
- يوافقون على دعم التعاون عبر تدابير مختلفة تهدف إلى الوقاية من الإرهاب ومكافحته بشكل فعال؛
- يعتبرون أيضا من الضروري المكافحة معا وبشكل فعال ضد تهريب المخدرات والإجرام الدولي والرشوة؛
- يشددون على أهمية المكافحة بدون تردد ضد المظاهر العنصرية وكره الأجانب وضد التعصب، ويوافقون على التعاون في هذا السبيل.

متابعة المؤتمر

المشاركون:

- باعتبارهم أن مؤتمر برشلونة وضع أسس عملية مفتوح ومدعوة للتطور
- باعتبار تأكيدهم على إرادتهم بتأسيس مشاركة تركز على مبادئ وأهداف معرفة بالإعلان الحاضر؛
- بعزمهم على إعطاء هذه المشاركة الأوروبية- المتوسطية صيغة واقعية؛
- بقناعتهم بأنه من الضروري متابعة الحوار الشامل المفتوح وتحقيق مجموعة من الأعمال الفعلية في سبيل الوصول إلى هذا الهدف؛

يتبنون برنامج العمل المرفق.

سيجتمع وزراء الشؤون الخارجية دوريا من أجل تأمين متابعة تطبيق البيان الحاضر وتحديد الأعمال الذاتية للمساهمة في تحقيق أهداف المشاركة.

ستخضع الأعمال المختلفة لمتابعة على شكل اجتماعات موضوعية مناسبة للوزراء والموظفين الكبار والخبراء وتبادل الخبرات والمعلومات والاتصالات بين المشاركين من المجتمع المدني أو حسب أي وسائل أخرى مناسبة. ستشجع الاتصالات على مستوى النوادي والوحدات المحلية .

وسوف يتم العمل على تشجيع الاتصالات بين الهيئات البرلمانية والسلطات الإقليمية والمحلية. وسوف تجتمع بانتظام لجنة مشكلة من مسؤولين كبار، تدعى "اللجنة الأوروبي-متوسطية لعملية برشلونة"،

وتتكون من ممثلي الرئاسة الثلاثية لمجلس الاتحاد الأوروبي وممثل كل شريك من الشركاء المتوسطيين، ومهمتها هي تقدير وتقييم عملية متابعة أنشطة الشراكة علاوة على تحديث برنامج العمل وفقا لمقتضى الحال. وسوف تتولى الإدارات التابعة للجنة الأوروبية، القيام بالأعمال التحضيرية وأعمال المتابعة الخاصة بالاجتماعات النابعة من برنامج برشلونة للعمل، وأيضا الاجتماعات النابعة من النتائج التي تنتهي إليها اللجنة الأوروبي-متوسطة لعملية برشلونة.

وسوف ينعقد الاجتماع القادم لوزراء خارجية دول الشراكة في النصف الأول من عام 1997، في إحدى الدول المتوسطة الضالعة في الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، من أجل الشروع في المزيد من المشاورات المتبادلة .

المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية

الكتب

- أحمد إحدوثن: "المغرب وإسبانيا: الهجرة والتعليم والتربية"، سلسلة شراع رقم 47، يناير 1999.
- أحمد زايد: "سيكولوجية العلاقات بين الجماعات: قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات"، سلسلة عالم المعرفة، عدد 326 في أبريل 2006.
- أنخيل هيرنانديث مورينو: "حرب اعلام في الصحراء (محنة اسبانيا)"، ترجمة ماء العينين مربيه ربو منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربو لإحياء التراث والتبادل الثقافي: 21 مطبعة بني يزناسن، سلا الطبعة الأولى 2006.
- بشارة خضر: "أوروبا من أجل المتوسط، من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995-2008)"، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، يناير 2010.
- بوغالب العطار: "سبتة ومليلية مغاربة تحت الاحتلال"، مطبعة دار النشر المغربية، الطبعة الأولى: 1996.
- الحسان بوقنطار: "السياسة الخارجية المغربية الفاعلون والتفاعلات"، بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرباط، 2002.
- حسن الفكيكي "المقاومة المغربية للوجود الاسباني بمليّة" (1859-1967)، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 39 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط مطبعة النجاح الجديدة البيضاء الطبعة الأولى 1997.

- حسين مجدوب: "ما وراء مضيق جبل طارق: الانتقال الديموقراطي- العلاقات المغربية الإسبانية"، مطبعة الخليج العربي- تطوان، الطبعة الأولى 2002 .
- خوان باندو: "التاريخ السري لحرب الريف: المغرب ... الحلم المزعج"، ترجمة: سناء الشعيري، منشورات: الزمن سلسلة ضفاف عدد 12 مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 2008.
- خوان غويتيسولو: "في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية" ترجمة كاضم جهاد"، نشر الفينك 1997.
- خيما مارتين مونيوت: "الإسلام والمسلمون في إسبانيا : من خلال دراسات ميدانية"، ترجمة: الدكتورة كنزة الغالي سلسلة ضفاف، عدد 11 منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
- راسل جاكوبي: "نهاية اليوتوبيا: السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة"، ترجمة : فاروق عبد القادر، عالم المعرفة عدد 269، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001.
- رشيد مقتدر: "الإرهاب والعنف السياسي: من تفجيرات الدار البيضاء إلى قضية بلعيرج"، منشورات: مدارك: مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى، ماي 2008 .
- عبد الحق دهبى : "قضية الصحراء المغربية ومخطط التسوية الاممي :دراسة قانونية وسياسية في مسارات التسوية في نطاق المنظمات الدولية"، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2003.
- عبد الرحيم براءة: "إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956"، الجزء الأول مطابع إفريقيا الشرق؛ المغرب 2007.

- عبد الرحيم برادة: "إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956"، الجزء الثاني، مطابع افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.
- عبد الواحد أكميز: "الجالية العربية في إسبانيا"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، أكتوبر 2013.
- عبد الواحد أكميز: "الهجرة إلى الموت: إسبانيا وأحداث إلخذو"، منشورات الزمن، كتاب الجيب رقم 28، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2001.
- على الحاج: "سياسات دول الاتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة" سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم 51، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى، فبراير 2005.
- عمل مشترك: "المنهجية في الآداب والعلوم الإنسانية"، دار توبقال، الطبعة الثانية 1993.
- فتح الله ولعلو: "المشروع المغاربي والشراسة الأورو متوسطية"، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 1997.
- فرانسيس فوكومايا: "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم ورضا الشايب، مركز الإنماء القومي بيروت، 1993 .
- ماريا روزا مينوكال: "الاندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح"، ترجمة: عبد المجيد جحفة ومصطفى جبار سلسلة: معالم: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006.

- مارية روسادي ماداريغا: "مغاربة في خدمة فرانكو"، ترجمة : كنزة الغالي، تقديم : محمد العربي المساري، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، عدد 10، طبع : مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الأولى 2006.
- مايك كرانغ : " الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافية في تفسير الظواهر الإنسانية"، ترجمة سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة، عدد 317 ، مطابع السياسة، الكويت في يوليو 2005 .
- محمد العربي المساري: : "30 سنة: مسيرة من لاهاي إلى بيكر"، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة الأولى 2005.
- محمد العربي المساري: "إسبانيا الأخرى"، منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، الطبعة الأولى 2015.
- محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة : "سبّة ومليلية حتى لا ننسى"، شركة الهلال العربية للطباعة والنشر الرباط الطبعة الاولى 1986.
- محمد حكيم ابن عزوز: "سبّة ومليلية في عهد الحماية"، وثائق تاريخية: من خلال النصوص التشريعية والتنظيمية التي تعترف بمغربية المدينتين"الناشر: الهلال- العربية للطباعة والنشر: مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1988.
- محمد سعدي : "مستقبل العلاقات الدولية : من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام"، سلسلة أطروحات الدكتوراه عدد. 58 مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2006
- ميغيل هيرناندو دي لارامندي: "السياسة الخارجية للمغرب"، ترجمة عبد العالي بروكي، سلسلة ضفاف منشورات الزمن، الطبعة الأولى، 2005.

- ميكيل مرتين: "الاستعمار الإسباني في المغرب 1860-1956"، ترجمة: عبد العزيز الودي منشورات التل، الطبعة الأولى، الرباط، 1988.
- نبيل دريوش: "الجوار الحذر: العلاقات المغربية الإسبانية من وفاة الحسن الثاني إلى تنحي خوان كارلوس"، سليكي اخوين. طنجة الطبعة الأولى 2015.

قواميس:

- يوسف محمد رضا: "المعين الوسيط: قاموس إسباني - عربي" مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى 1995.

الرسائل والأطاريح:

- خالد ميار الإدريسي: "خطاب ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية : دراسة تحليلية ونقدية لاستراتيجية تفكيك النماذج النظرية"، أطروحة لنيل الدكتوراة في الحقوق، شعبة العلوم السياسية. كلية القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن II عين الشق الدار البيضاء، السنة الجامعية 2000/2001.
- دينة السمار: "إدارة الأزمات في العلاقات المغربية- الإسبانية: أزمة جزيرة تورة/ ليلي كنمودج"، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، أكدال، الموسم الجامعي 2005-2006.
- عبد الكريم الحسوني: "المغرب في السياسة الخارجية الأمريكية"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط، السنة الجامعية 2005 - 2006.
- فتيحة الحامدي: "جيو استراتيجية سبته ومليية"، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا .

- لكرمز علي: "الأبعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات المغربية -الإسبانية"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية -أكادال الرباط السنة الجامعية 1999 - 2000 .

تقارير

- التقرير الاستراتيجي المغربي: 2010-2013 ، الناشر مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، منشورات أبحاث التقرير السنوي العاشر 2014.
- التقرير الاستراتيجي المغربي : 2006-2010 ، الناشر مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية التقرير السنوي التاسع.
- التقرير الاستراتيجي المغربي، 2003-2005، انجاز مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية. التقرير السنوي الثامن.
- التقرير الاستراتيجي للمغرب: 1997/ 1998، مجلة أبحاث عدد 46-47 انجاز مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية.

المقالات:

- أحداد محمد: "الكيف يتحول في البرلمان إلى نبتة وطنية عجيبة " ، المساء عدد 2237 في 2013/12/05.
- أحمد امشكح: "ملف زراعة القنب الهندي دخل إلى البرلمان :الكيف النبتة التي عرقلت انضمام المغرب إلى الاتحاد الأوروبي " ، المساء عدد 2237 في 2013/12/05.
- أخصاص خلود : "السياسة الأمريكية تجاه الصحراء المغربية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 17، شتاء 2008 .

- إدريس الكنبوري: "ملف المغاربة ضحايا الحرب الأهلية الإسبانية على مكتب القاضي غارسون" **المساء**، عدد 640 في 10 أكتوبر 2008.
- أزوكاح المصطفى: "ينوي مراجعة شراكته مع الاتحاد الأوروبي : المغرب يطلب من الأسطول البحري الأوروبي مغادرة مياهه الإقليمية الوطنية"، **المساء**، عدد 1626 في 16 دجنبر 2011.
- إسماعيل رويحي: "توتر جديد بين الرباط والجزائر بعد قرار الأخيرة تجميد علاقاتها مع المغرب"، **المساء** عدد 2241 في 10 دجنبر 2013.
- اغناسيو صمبريروكرسي الاعتراف ، **المساء**، عدد 60 في 28 نونبر 2006.
- اغناسيو صمبريروكرسي الاعتراف (الحلقة 05) **المساء** عدد 65 في 04 دجنبر 2006.
- إليزابيت لونغنس: "في معضلة الباحث ووضع البحث في العلوم الاجتماعية حول العالم العربي في الجامعة الفرنسية". في "صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه"، تحرير: الطاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع الطبعة الأولى، غشت 1999.
- إنياسيو صوطيلو: "سبته ومليلية ليستا بالضرورة إسبانيتين"، **الأيام** عدد 444 في 29/09/2010.
- إيفان مارتين: "سياسة الجوار الجديدة لدى أوروبا الموحدة: هل هي فرصة لتوطيد العلاقات بين المغرب وإسبانيا؟"، ترجمة محمد الخطابي: **دفاتر سياسية** عدد 61 في مارس 2004.

- إينما كولا سمولكا: "النخب السياسية الإسبانية وأزمة العلاقات المغربية الإسبانية"، ترجمة بتصرف: حاتمي محمد. **وجهة نظر**، عدد 17 نونبر 2002 .
- بالوما غونزالس ديل مينيرو: "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للثوابت والتحولات"، مجموعة حوارات من إعداد، بوغالب العطار؛ **الاتحاد الاشتراكي**، عدد 7633 في 06 يوليوز 2004.
- الحاكي عبد الإله: "إسبانيا وشهر العسل المغربي : سابطير يزور المغرب والملك خوان كارلوس يزور الجزائر" ، **المغرب الدبلوماسي** عدد 02 أبريل 2007.
- الحجري مصطفى : "رغم تشديد المراقبة ,,الحشيش المغربي يواصل اكتساح السوق الأوروبية " ، **المساء** عدد 2705 في 11 /06/ 2015 .
- الحجري مصطفى :الحشيش الأمريكي والافغاني يغزو حقول كتامة والشاون، " **المساء** عدد 2007 في 08/03/2013.
- الحسان بوقنطار : "2004 :المغرب في عالم مضطرب " ، **الاتحاد الاشتراكي** في 01 و02 يناير 2005.
- الحسان بوقنطار: "المغرب ومحيطه الجيوسياسي: الحاضر والمستقبل" ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات": "العلاقات الدولية في العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين: أي أفق؟" الدورة الربيعية لسنة 2002 في 25-27 أبريل 2002.
- الحسوني عبد الكريم : "المغرب في السياسة الخارجية الأمريكية" ، **المغرب الدبلوماسي**، عدد 40، يونيو 2007.

- الحسين بوجداد: "لكي لا ننسى: آثار وانعكاسات الحرب الاهلية الاسبانية على شمال المغرب من خلال المكتوب والموروث الشفهي الريف نموذجاً" الجزء الثاني. العلم، عدد 20194 في 10 شتنبر 2005.
- الحمداوي أحمد: "الانعكاسات النفسية والاجرامية للسلاح الكيميائي على سكان الريف" في: "الحرب الكيماوية ضد الريف" إشراف رشيد راخا: ميمون شرقي وأحمد الحمداوي. أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجاً. الناظور في 24 فبراير 2004، سلسلة: التاريخ والانتربولوجيا. الناشر: إيديسيون أمازيغ، مطبعة بني يزناسن- سلا، الطبعة الأولى 2005.
- الحيمر عبد القادر: "الأسطول الإسباني يخسر في شهرين قيمة التعويض الذي يحصل عليه المغرب في سنة"، الإتحاد الاشتراكي عدد 9964 في 17-18 دجنبر 2011.
- الرركاكي محمد: "العلاقات بين الرباط والجزائر والعودة لأجواء القطيعة"، الأيام، عدد 189 في 22-28 يونيو 2005.
- الرركاكي محمد: "المغرب في مواجهة الجزائر المريضة: لمن تتسلح الجزائر وتعيد هيكلة جيشها؟"، الأيام عدد 217 في 05-11 فبراير 2006.
- الزعلي عبد الصمد: "169 ألف زبون إسباني للحشيش المغربي"، المساء عدد 2622.
- الطاهر لبيب: "الآخر في الثقافة العربية" في: صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه" تحرير: الطاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع الطبعة الأولى، غشت 1999.
- المتوي حمزة: "الامن الاسباني يضبط 85 طناً من المخدرات في اقل من اسبوع"، المساء عدد 2058 في 07/05/2013.

- الغزالي اسامة حرب : "كرة القدم والسياسة الخارجية" مجلة: السياسة الدولية، عدد 179 في يناير 2010..
- بجاجا يوسف : أكدها المكتب الدولي لمراقبة المخدرات :المغرب أول مصدر للحشيش في العالم " ، الأيام عدد 182 في 03 2005/05/09.
- برنابي لوبيز غارسيا : "المتقنون والعلاقات المغربية-الإسبانية: خنادق من ورق"، الصحيفة المغربية في 16-22 شتنبر 2005 عدد 01 .
- برونو دوطوما: حوار مع الصحراء المغربية، عدد 6240 في 19 فبراير 2006.
- بورفيسي جمال :إسبانيا تعفي البرلمانين من التأشيرة " ، الصباح عدد 3882 في 2012/10/05.
- بوغالب العطار (وجهة نظر): "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للثوابت والتحويلات"، إعداد بوغالب العطار.الاتحاد الاشتراكي، عدد 7648 في 21 يوليوز 2004 .
- بيدرو كاناليس: "إسبانيا تراهن على إمتصاص التوتر القائم بين الجزائر والمغرب" ، الأيام عدد 174 في 09-15/ مارس 2005.
- جرجس فواز: الأمريكيون و الإسلام السياسي : "تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية" ، في "الوطن العربي في السياسة الأمريكية" سلسلة كتب المستقبل العربي رقم 22، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، نوفمبر 2002.
- جعفر بنموسى : "حول الأداء الدبلوماسي المغربي "حالة المغرب 2009-2010 ، دفاتر : وجهة نظر, كراسات إستراتيجية 06.

- جمال وهبي : "سجون المغرب تؤوي 174 معتقلا اسبانيا" ، **المساء** عدد 1626 في 2011/12/16.
- جمال وهبي: "الضمير الاسباني الرسمي يرفض الاعتذار للموريسكيين **المساء**، عدد 826 في 18 ماي 2009.
- جمال وهبي: لهذه الأسباب يعزف المغاربة عن الهجرة إلى اسبانيا"، **المساء**، عدد 2203 في 26-27 أكتوبر 2013.
- جوزي أنطونيو غونزالس الكنتود : "أصل الشغف بالآخر لدى حركات الانتليجنسيا الطلائعية في اروبا" في : « صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه" تحرير: الطاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع الطبعة الأولى، غشت 1999.
- حسين مجدوبي : "11 مارس كان امتحانا للمخابرات الاسبانية " ، **الأيام** : عدد 227 في 2006/04/23 - 17.
- حسين مجدوبي: "دبلوماسية العهد الجديد، مكاسب في الاتحاد الأوربي وتقريط في الانتماء العربي وانخراط في سياسة اليمين الأمريكي المحافظ." **وجهة نظر** عدد 42 خريف 2009.
- حسين مجدوبي: "إتهام المخابرات المغربية والمحجوبي أحرصان بالوقوف وراء تفجيرات 11 مارس بمدريد"، **الأيام**، عدد 150 في 23 – 29 شتنبر 2004.
- حسين مجدوبي: "إحصاء اسباني: مليون مهاجر سري و 535 ألف مقيما شرعيا" ، **الأيام** عدد 242 في 31 يوليوز- 06 غشت 2006 .

- حسين مجدوبي: "الدبلوماسية المغربية بين الإحتكار الملكي والبحث عن التوازنات البرغماتية في الساحة الدولية منذ الاستقلال وحتى القرن 21" **وجهة نظر**، عدد 48 ربيع 2011.
- حسين مجدوبي: "فتح ملف الغازات السامة ومشاركة المغاربة في الحرب الاهلية وإشكالية الموريسكيين: استيقاظ الذاكرة المغربية التاريخية تجاه إسبانيا " **الأيام** عدد 349 في 17-23 أكتوبر 2008 .
- حسين مجدوبي: سبتيرو يرفض التضحية بالعلاقات الجيدة مع المغرب رغم الضغط السياسي والإعلامي في ملف أمينتو " ، **الأيام**، عدد 405 في 10-16 دجنبر 2009.
- حسين مجدوبي: مقترح في البرلمان الاسباني لتحويل سبتة إلى نقطة محطة جمركية بين المغرب والاتحاد الاروبي"، **الأيام**، عدد 371 في 27 مارس إلى 02 أبريل 2009.
- حسين مجدوبي: "أسباب الهوس الإسباني الدائم لتأزيم العلاقات مع المغرب". **الأيام**، عدد 374 في 17 – 23 أبريل 2009 .
- حسين مجدوبي: "اسبانيا تسن سياسة دفاع وطني جديدة: أطروحة المغرب كعدو جنوبي تتضاءل" **الأيام** عدد 177 في 30 مارس- 04 أبريل 2005 .
- حسين مجدوبي: "المغرب يقاطع منتدى تحالف الحضارات وسبتيرو يطرح جامعة الملكين في تطوان ضمن مقترحات تفعيل التحالف"، **الأيام**، عدد 312 في 19-25 يناير 2008 .
- حسين مجدوبي: "مع بروز ظاهرة اقتحام الحدود الإسبانية بالسلاليم الخشبية: الكاميروني الذي ورط مقتله المغرب"، **الأيام**، عدد 195 في 05-11 شتنبر 2005.

- خافيير بالنزويلا : "اسفار مع ثباتيرو" ، ترجمة ادريس الكنبوري . **المساء** عدد 219 في 02-03 يونيو 2007 .
- خافيير فالينزويلا: حوار مع **الاتحاد الاشتراكي**، عدد 8588 في 19 يونيو 2007 .
- خشانة رشيد: "سباق التسلح المغربي: لماذا وإلى أين؟" ، **مجلة المساء**، عدد خاص: "المغرب والجزائر: قصة عقدة عمرها نصف قرن" سنة 2006.
- خشانة رشيد: "الهجرة السرية ... معضلة أروبية؟"، **الصباح** عدد 1370 في 01 شتنبر 2004
- خمريش عز الدين :راخوي، اسبانيا وقضية الصحراء المغربية " ، **المساء** عدد 1890 في 20-21 /10/2012.
- خوان غويتيسولو: "هل حكم علينا بعدم التفاهم؟" ، ترجمة مصطفى النحال **الجريدة**، عدد 482 في 12-13 دجنبر 2009.
- خيما مارتين مونييز : "العلاقات بين المغرب وإسبانيا تتراوح بين المد والجزر" ترجمة: سهيلة الريكي. **الأحداث المغربية**، عدد 609 في شتنبر 2000.
- دافيد ألبارادو: "العلاقات المغربية الإسبانية الجديدة على خلفية الحكم الذاتي للصحراء"، **دفاتر سياسية**: عدد 90، أبريل 2007.
- روبرتو توسيبرياني وماريا مانسي في: "ما بعد الأحكام المسبقة" في: صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه" تحرير: الطاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع الطبعة الأولى، غشت 1999.
- زمهوط رشيد: "لمن تتسلح الجزائر؟" ، **العلم** عدد 21615 في 16 مارس 2010.

- سعيد محمد عبد الكريم الخطابي: "الحرب الكيماوية القذرة في الريف" في: "الحرب الكيماوية ضد الريف" إشراف رشيد راخا: ميمون شرقي وأحمد الحمداوي. أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجاً. الناظور في 24 فبراير 2004، سلسلة: التاريخ والانتروبولوجيا. الناشر: إيديسيون أمازيغ، مطبعة بني يزناسن-سلا، الطبعة الأولى 2005.
- سعيد منتسب: "المغرب في مواجهة الهجرة السرية: من تقوية الحراسة الحدودية إلى إحداث المرصد الوطني للهجرة"، الاتحاد الاشتراكي، في 01 – 02 يناير 2005.
- سليمان محمد: "مفاهيم رئيسية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي"، مجلة الدولية، عدد 04، 2008.
- سمير أمين: "جيو سياسة الأمبريالية المعاصرة" في: "العولمة والنظام الدولي الجديد" سلسلة كتب المستقبل العربي، عدد 38، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، دجنبر 2004.
- "سيرخيو سيربيان": مدير موقع marruecos digital حوار مع المساء، عدد 740 في 22 دجنبر 2008 .
- صدقي يوسف: "إستراتيجية العمل الدبلوماسي الاقتصادي المغربي: توسع المجال وتعدد الفاعلين"، مجلة سياسات عربية العدد 12 يناير 2015 .
- عبد الإله بنكيران في حوار مع "إيل باييس" في 2012/05/21 ترجمة: عزيز الساطوري الاتحاد الاشتراكي عدد 10097 في 2012/05/22 .
- عبد الصمد الزعلي: "تقرير 2500: مغربي ب "داعش" وصعوبات باتت تواجه تجنيد المزيد"، المساء: عدد 2620 في 03 03 2015.

- عبد الله الدامون: "لويس بلاناس سفير الوقت الضائع" المساء، عدد 783 في 28-29 مارس 2009 .
- عبد الله ساعف : "الاتحاد من أجل المتوسط .. المكتسبات المدنية لمسار برشلونة"،
دفا تر سياسية"، عدد 102، أكتوبر / نونبر 2008.
- عبد الواحد أكميز : حوار : اسبانيا ترى في المغرب شريكا لتجاوز تأثير الازمة
الاقتصادية ، المساء عدد 1876 في 04 10 2012 .
- عبد الواحد أكميز: "على هامش قمة اسطنبول حول تحالف الحضارات: تحالف
الحضارات أي مصداقية؟ العلم، عدد 20596 في 08/12/2006 .
- عبد الواحد أكميز: مدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. حوار مع جريدة
المساء، عدد 1016 في 28 دجنبر 2009 .
- عبد الواحد أكميز: "الجالية العربية في إسبانيا": المستقبل العربي عدد 418 في ديسمبر
2013.
- عبد الواحد أكميز: "على هامش قمة إسطنبول حول تحالف الحضارات: تحالف
الحضارات أية مصداقية؟"، العلم، عدد 20596 في 08 دجنبر 2006.
- عبد الله ساعف . حاوره توفيق بوعشرين، الأيام عدد 152 في 07-13 أكتوبر 2004.
- عزيز الساطوري : "الاعلام الاسباني يتسبب في أزمة جديدة بين الرباط ومدرید"،
الاتحاد الاشتراكي عدد 9696 في 01 فبراير 2011 .
- عزيز الساطوري: "جدار جديد حول سبئة المحتلة": الاتحاد الاشتراكي عدد 8245 في
12 ماي 2006.

- علي موسى خديجة : "دبلوماسي للمساء :هدف مدريد من القمة هو حل أزمتها الاقتصادية والأمنية " ، **المساء** عدد 1876 في 04 /10/2012.
- عماد عادل:"239 ألف مغربي عرضة للبطالة والعنصرية باسبانيا، **الاتحاد الاشتراكي**، عدد 9696 في 01 فبراير 2011 .
- عمر لبشيرين وجمال وهبي"رصاص مؤكد وقتلى تضاربت الآراء حول عددهم": **الصحيفة المغربية**، عدد 04 في 07 إلى 13 أكتوبر 2005.
- عنتار يوسف:" الهيمنة في النظام الدولي " أية قيود؟" **مجلة الدولية**، عدد 04 ، 2008.
- فريد أمعضشو: "الاستشراق الإسباني والتراث العربي الإسلامي بالأندلس: ميغيل أسين بلاتئوس نموذجاً"، **وجهة نظر**: عدد 52، 2012 .
- لبشيريت عمر:"تحويلات المهاجرين ليست رهانا ودور الدركي ليس في صالح المغرب"، **الصحيفة** عدد 199 في 23 فبراير-01 مارس 2005 .
- مجدوبي حسين: " المغرب يصر على الحكم الذاتي والبوليساريو على الاستفتاء والأمم المتحدة تعجز عن التوفيق بينهما". **الأيام**، عدد 286 في 23- 29 يونيو 2007.
- محمد الخشان: (وجهة نظر):"العلاقات الإسبانية – المغربية: مقاربات للثوابت والتحويلات"، إعداد: بوغالب العطار **الاتحاد الاشتراكي**، عدد 7637 في 10 يوليوز 2004
- محمد العربي المساري : "الأحزاب السياسية الإسبانية تجاه العلاقات مع المغرب"، **وجهة نظر**: عدد 48 ربيع 2011.
- محمد العربي المساري:« الأحزاب السياسية الإسبانية تجاه العلاقات مع المغرب"، **وجهة نظر**، عدد 48، ربيع 2011 .

- محمد العربي المساري: "الانتخابات الإسبانية بأعين مغربية"، **دفاتر سياسية**، عدد 61 في مارس 2004.
- محمد العربي المساري: "السياق الحالي للمطالبة المغربية بسبّطة ومليّة"، **دفاتر سياسية**، عدد 107، دجنبر 2009.
- محمد العربي المساري: "المغرب وإسبانيا ذاكرتان لفضاء واحد"، **المساء**، عدد 486 في 11 أبريل 2008 .
- محمد المرابطي: "وضعية المهاجرين المغاربة بإسبانيا وآفاق الاندماج"، **مجلة: الدولية** عدد 04 سنة 2008.
- محمد بوهريد: "دراسة ميدانية عن سوق الشغل في إسبانيا أكدت أنهم يواجهون صعوبات في الحصول على تعويضات فقدان الشغل والبطالة: % 44 من مغاربة إسبانيا عاطلون عن العمل" ، **المساء**، عدد 1605 في 22 نونبر 2011.
- محمد بوهريد: "مغاربة بإسبانيا يتوسلون مصاريف نقل موتاهم إلى المغرب"، **المساء**، عدد 1838 في 21 غشت 2012.
- محمد رامي: "معايير الحشيش بالشمال المغربي : مسار مخدر القنب الهندي (الكيف) من الزراعة الى الاستهلاك " ، **الاتحاد الاشتراكي**: عدد 8064 في 2005/10/11.
- محمد طارق حيون: "هذه صورة المغرب والمغاربة عند الاسبان"، **العلم**، عدد 21145 في شتنبر 2008.
- المختار عماري: "الصراع من أجل أموال المهاجرين في إسبانيا"، **الأحداث المغربية**، عدد 2451 في 14 أكتوبر 2005.

- مزيان محمد: "المغرب والجزائر: الحوار الصعب"، مجلة: سياسات عربية، العدد 12، يناير 2015..
- مساوي عادل: "الدبلوماسية المغربية: السمات والتحديات"، وجهة نظر، عدد 18 شتاء 2003 عدد خاص: المغرب بين سنتين 2002-2003.
- مصطفى محسن: "أطروحة نهاية التربية في الخطاب العولمي الجديد عناصر وملاحظات نقدية للتفكير والتساؤل" في: "العولمة والنظام الدولي" سلسلة كتب المستقبل العربي رقم 38. مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2004.
- المصطفى مرادا: "الذاكرة الجماعية... حوار النسيان والتذكر"، المساء، عدد 1347 في 21 يناير 2011.
- ميغيل هيرناندو دي لاريمندي: "المغرب- إسبانيا : حوار العدوتين"، حوار من إنجاز: نادية بنسلام. العلم: عدد 19734 في 02 يونيو 2004.
- نبيل الدريوش: "الرباط و مدريد تعيشان أزمة غير معلنة"، المساء :عدد 481 في 2008/04/06.
- نجدي عادل: "المستثمرون الإسبان يلجؤون إلى المغرب لمواجهة أزماتهم المالية"، المساء عدد 1785 في 2012/06/19.
- ندير عبد الرحيم: "المغرب يستأنف مفاوضاته حول الصيد البحري مع الاتحاد الأوروبي"، المساء عدد 1892 في 23 أكتوبر 2012.
- وجهة نظر: عبد الواحد أكميز: "العلاقات الإسبانية - المغربية: مقاربات للثوابت والتحولات" اعداد بوغالب العطار، الاتحاد الاشتراكي: عدد 7640 في 2004/07/13.

- وجهة نظر: محمد الخشاني: "العلاقات الإسبانية المغربية: مقاربات للتأويلات والتحويلات" إيداد: بوغالل العطار؛ الاتحاد الاشتراكي، عدد 7636 في 09 يوليوز 2004.
- وهبي جمال: "إسبانيا تعترف بفشلها في إقناع أوروبا بإدراج معبر "باب سبتة" ضمن اتحادها الجمركي"، المساء عدد 2621 في 04 مارس 2015 .
- يحيى اليحيائي: "المغرب وأمريكا بحاجة إلى إصلاح المقاربة"، المساء، عدد 2254 في 25 دجنبر 2013.
- يوسف بجاجا: "أكدتها المكتب الدولي لمراقبة المخدرات: المغرب أول مصدر للحشيش في العالم"، الأيام عدد 182 في 03 05/09/2005.
- يوسف بجاجا: يشكلون قوة جبارة تفوق قوات الدولة: تجار المخدرات بين عهدين «»، الأيام عدد 182 في 03 05/09/2005.
- يوسف جبيلي: "إسبانيا تستفز المغرب كلما فتح أسواقه لمقاولات أجنبية"، المساء، عدد 353 في 07 نونبر 2007 .

ندوات ومحاضرات

- مصطفى مرون: "منطقة شمال المغرب في مواجهة حرب الغازات السامة (1921-1927) في: "الحرب الكيماوية ضد الريف" إشراف رشيد راخا: ميمون شرقي وأحمد الحمداوي. أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجاً. الناظر في 24 فبراير 2004، سلسلة: التاريخ والانتروبولوجيا. الناشر: إيديسيون أمازيغ، مطبعة بني يزناسن- سلا، الطبعة الأولى 2005.

- معروف عبد اللطيف: "الهجرة السرية والمهاجرون بدون أوراق في العلاقات المغربية الأوروبية: النموذج الهولندي"

In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999. L'association marocaine d'études et de recherches sur les migrations. Publié avec le concours de la fondation Hassan 2 pour les Marocains résidant à l'étranger .Imprimerie papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.

- المودن عبد الحي: "ورقة حول العلاقات المغربية الأمريكية 1975-1998" ، ألفت على طلبة السنة الثانية من الدراسات العليا المعمقة، شعبة الدبلوماسية المغربية، كلية الحقوق ، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية 1998/1999.

المراجع باللغة الأجنبية

OUVRAGES EN FRANÇAIS :

- ABDELKHALEQ BERRAMDANE : « **le Maroc et l'occident** », Editions : KARTALA 1987.
- AFFAYA NOUREDDINE ET GUERRAOUI DRISS : « **l'image de l'Espagne au Maroc** », Publication de l'ARCI et Fundacion CIDOB 1^{ere} édition Avril 2005.
- ALAOUI MOHAMED BEN ELHASSAN : « **La coopération entre l'union européenne et les pays du Maghreb** », Collection : Edification d'un Etat moderne ; Editions NATHAN , Paris 1994.
- ALAOUI MY ABDELHADI: « **le Maroc face aux convoitises européennes: 1830-1912** », Imprimerie Beni Snassen – Salé, 2001 .
- AMMOR FOUAD : « **le partenariat euro – méditerranéen à l'heure de l'élargissement : perceptions du sud** », imprimerie de Fédala, Mohammadia ; 2004.
- ATTILIO GADIO : « **Sahara espagnol fin d'un mythe colonial** » ,Editions: Arrissala ; Rabat; 1975 .
- ATTILIO GAUDIO: « **le dossier du Sahara occidental** » , Nouvelles éditions latines, Paris, 1978.
- AZIZ HASBI : « **Théories des relations internationales** », Editions L'HARMATTAN , 2004 .

- BEEVOR ANTONY :« **la guerre d’Espagne** »,Traduit de l’anglais par JEAN FRANCOIS SENE Edition : Calmin- Levy, 2006
- BEL GUENDOZ ABDELKRIM : “**Enjeux migratoires: Maghreb-Europe- Afrique Sub saharienne un regard du sud**”, Imprimerie : Beni Snassen, salé 1ère édition Mars 2006.
- BEL GUENDOZ ABDELKRIM : « **UE Maroc – Afrique migrante : politique européenne de voisinage barrage aux sudistes de Schengen à Barcelone + 10** », imprimerie Beni Snassen, Salé, mars 2005.
- BELGUENDOZ ABDELKRIM :« **lahrig du Maroc l’Espagne et l’UE : plus d’Europe ... sécuritaire**», Boukili impression, Kenitra ; juin 2002
- BENMESSAOUD TREDANO ABDELMOUGHIT : « **La question du Sahara : histoire d’une décolonisation pas comme les autres** », collection : confluences, Imprimerie Afrique-Orient, Casablanca 2009.
- BERTRAND BADIE : " **Le diplomate et l'intrus : l'entrée des sociétés dans l'arène internationale**", Editions Fayard , 2008 .
- BERTRAND BADIE ET MARIE CLAUDE SMOUTS : “ **le retournement du monde : sociologie de la scène internationale** “, Presses de la Fondation nationale des sciences politiques’ et DALLOZ Paris 1992
- BERTRAND MAURICE : « **la fin de l’ordre militaire** », Presses de la fondation nationale des sciences politiques, 1996

- BOUDON RAYMOND : " **Les méthodes en sociologie** ", que sais- je ? N°1334, 11^{eme} éditions 1998 , Editions : PUF
- BOUROUA ABDELJABBAR : « **l'élargissement de l'union européenne et les partenaires méditerranéens : réalités, impacts et responsabilités** », Maroc, 2007.
- CHARLES ANDRE JULIEN: "**le Maroc face aux impérialismes: 1415-1956**", Edition : J. A, Paris, 1978.
- DE COSTER MICHEL: "L'analogie en sciences Humaines", éditions : PUF, 1^{ere} édition 1978.
- EDOUARD MOHA: "**trente ans de relations Algéro marocaines : les vérités cachées**", imprimerie saint Paul, France, septembre 1993.
- EL HARTI AHMED : « **Sahara : la solution démocratique et nationale** », éditions ; NAWAFID ; 1^{ere} édition, Casablanca, juillet 2006.
- FILALI ABDELATIF : « **Le Maroc et le monde Arabe** », Editions : Scali, Paris , 1^{ère} édition 2008.
- GRAWITZ MADELEINE : "**Méthodes des sciences sociales** ", Editions: DALLOZ , 10^{eme} édition 1996.
- GRIMAUD NICOLE: « **la politique extérieure de l'Algérie : 1962-1978** », éditions KARTHALA , Paris, 1984 .
- J. DELPERRIÉ DE BAYAC :« **les brigades internationales : 1936-1938 l'épopée de la guerre d'Espagne** », Collection : marabout université ; Editions Librairie Arthème Fayard 1968.

- KHACHANI MOHAMED: « **les Marocains d'ailleurs : la question migratoire à l'épreuve du partenariat euro-Marocain** », Imprimerie : AL KARAMA, Rabat, 2004.
- LAHLOU ABDELKADER : « **le Maroc et le droit des pêches maritimes** », Collection : Bibliothèque de droit international tome 89 librairie générale de droit et de jurisprudence ; imprimerie de Fédala Mohammedia Maroc ;Janvier 1990.
- LAMOURI MOHAMED: « **le contentieux relatif aux frontières terrestres du Maroc** », Editions 2ème semestre 1979.
- LAZRAK RACHID: « **le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne** », DAR EL KITAB Casablanca 1ère édition 1974 .
- MOHSEN FINAN KHADIJA : « **Sahara occidental :les enjeux d'un conflit régional** », CNRS ;éditions ;Paris 1997 .
- MOUCHOT CLAUDE : « **Introduction aux sciences sociales et à leurs méthodes** » : Les Editions TOUBKAL , Presse universitaires de Lyon ,1^{ère} édition Marocaine 1986.
- MOUSSA HORMAT-ALLAH : « **chroniques sahariennes : les enjeux géopolitiques et géostratégiques du conflit du Sahara**», éditions : MILS . 1^{ère} édition 2004.
- REZETTE ROBERT: « **les enclaves espagnoles au Maroc** », Nouvelles éditions LATINES, Paris, 1ère édition, 1976.
- STEPHEN O.HUGHES : « **le Maroc de Hassan II** », traduit de l'anglais et révisé par l'auteur, éditions et impressions : BOUREGREG, Rabat , 2003.

- STORA BENJAMIN: « **Algérie – Maroc: histoires parallèles destins croisés** », TARIK Editions, 2002.
- YVES ZURLO : « **Ceuta et Melilla : histoire, représentations et devenir de deux enclaves espagnoles** », Editions L’HARMATTAN 2005 .
- ZAIM FOUAD : « **le Maroc et son espace méditerranéen histoire économique et sociale** », Collection : confluences Imprimerie : EL MAARIF AL JADIDA, Rabat, 1990.
- ZAKYA DAOUD : Gibraltar: improbable frontière : de Colomb aux clandestins, collection : les colonnes d'HERCULE Editions : Séguier, Paris 2002.
- ZARKA JEAN – CLAUDE : « **Relations internationales**», collection : « Mise au point» éditions : Ellipses, Paris, 2004.



OUVRAGES EN ESPAGNOL :

- ARTAL ROSA MARIA : “11-M” 14-M: onda expansiva: quién miente ? ”
- ATMAN TARIK : España y marruecos frente al derecho del mar editorial Netbiblo 1^{ra} edición 2007.
- BERNABE LOPEZ GARCIA :” Marruecos y España : una historia contra toda lógica” taller de editores Andaluces, 1 ra edición, julio 2007
- BOUDCHICHE BOUCETTA, BOUCHRA: “marruecos y España: en la política de seguridad del mediterráneo” Ediciones : espejo de tinta, 1ra edición, abril, 2004.

- CASIMIRO GARCIA ABADILLO :’’ 11M :la venganza’’ la esfera de los libros 6ta edición ;Madrid ; octubre ; 2004 .
- CEMBRERO IGNACIO:“vecinos alejados: los secretos de la crisis entre España y Marruecos” Glaxia gutenber/ circulo de lectores; Barcelona 2006.
- Coordinador de la edición : instituto de estudios hispano-lusos. Rabat. Editions et impresiones bouregreg, 1ère edición, diciembre 2008 .
- DE LA SERNA ALFONSO : « Al sur de Tarifa : Marruecos España un malentendido histórico”, Marcial Pons Ediciones de historia, Madrid 2006 .
- ELOY MARTIN CORRALES (ed) : " Marruecos y el colonialismo español [1859-1912] : de la guerra de África a la penetración pacífica " Colección Albarán Edicións Bellaterra , Barcelona 2002 .
- ELOY MARTIN CORRALES . :« la imagen del magrebí en España : Una perspectiva histórica siglos XVI-XX » Ediciones :Bellaterra,Barcelona 2002.
- GOYTISOLO JUAN :« el problema del Sáhara », Editorial : ANA GARAMA, Barcelona, 1979.
- GUSTAVO DE ARISTEGUI: “la yihad en España: la obsesión por reconquistar AL Ándalus” La esfera de los libros, 5 ta edicion, 2005.
- INMACULADA SZMOLKA VIDA : ’’ Marruecos ; 1984 – 1999 : Dinámicas políticas internas y su representación en el diario El País ‘ ’ Siglo XXI de España Editores, Madrid, 2007

- JAVIER VALENZUELA y ALBERTO MASEGOSA : " la ultima frontera : Marruecos el vecino inquietante" Temas de Hoy , 1996.
- JOSE ANTONIO GONZALEZ ALCANTUD (ED) : "Marroquíes en la guerra civil española : campos equívocos" Anthropos Editorial; Barcelona , 2003.
- JOSE ANTONIO GONZALEZ ALCANTUD :« lo moro : las lógicas de la derrota y la formación del estereotipo islámico » Colección : pensamiento critico/ Pensamiento Utópico N : 122. Anthropos editorial, Barcelona, 2002.
- JOSE IGNACIO ALGUERO CUERVO; “el Sáhara y España: claves de una descolonización pendiente” Ediciones Idea. 1ra edición 2006 colección :cuadernos del Magreb N° 01
- JOSE MARIA AZNAR: “ocho años de gobierno: una visión personal de España” Editorial: Planeta, Barcelona, 1ra edición en colección Booket, mayo 2005
- JOSE MARÍA AZNAR: “España la segunda transición” editorial: Espasa calpe , 6ta edición 1994 .
- JOSE MARIA AZNAR:“ ocho años de gobierno: una visión personal de España” Editorial, planeta, Barcelona , 2005.
- JULIO GIL PECHARROMAN : 'la política exterior del franquismo (1939-1975)entre Hendaya y el Aaiún'' colección : con franco vivíamos peor ; flor del viento ediciones 1ra edición; Barcelona ; junio de 2008 .

- LEON KLEIN : Colección geopolítica: 2 Editorial: Pyre Producciones y representaciones editoriales; 1ra edición, octubre 2002. : “marruecos: el enemigo del sur: el conflicto inevitable”.
- M ANGUSTIAS PAREJO FERNANDEZ : ‘ las elites políticas marroquíes : los parlamentarios: 1977 – 1993 ’ Ediciones: Mundo Arabe e Islam ; Madrid ; 1999.
- MANUEL LERIA y ORTIZ DE SARACHO: “Ceuta y Melilla en la polémica”, Editorial; san Martin, Madrid 1991.
- MAXIMO CAJAL : « Ceuta, Melilla Olivenza y Gibraltar donde acaba España ? Siglo XXI de España editores, Madrid, octubre 2003.
- MIGUEL H. DE LARRAMENDI y JESUS A. NUNEZ: “la política exterior y de cooperación de España en el Magreb (1982-1995) ” Los libros de la catarata; 1996.
- MUNOZ- ALONSO ALEJANDRO: “España en primer plano: ocho años de política exterior (1996-2004) ” Editorial Fundación FAES/ Gota-Gota 1ra edición, Madrid, septiembre de 2007.
- PALOMA GONZALEZ DEL MINO: “las relaciones entre España y Marruecos: Perspectivas para el siglo XXI ” Los libros de la catarata, Madrid, 2005 .
- POWELL CHARLES : « España en democracia 1975-2000 : los claves de la profunda transformación de España » plaze y janès Editores, 2 da edición, 2001.
- RAFAEL VINES TABERNA : " Notas históricas sobre el Sáhara occidental " Ediciones del CABILDO DE CANARIA, 2003.

- REDONDO, JUAN CARLOS JIMENEZ : « de SUAREZ a RODRIGUEZ ZAPATERO : La política exterior de la España democrática » Editorial DILEX ;Madrid 2006.

DICTIONNAIRES :

- JEAN SALMON (Sous la direction de) Dictionnaire de droit international public Collection Universités francophones . Etablissements EMILE BRUYLANT , Bruxelles 2001.
- SMOUTS MARIE - CLAUDE, BATTISTELLA DARIO et VENNESSON PASCAL: "Dictionnaire des relations internationales Editions : DALLOZ, Janvier 2006 .

THESES ET MEMOIRES :

- ALAOUI ALI:« les relations maroco espagnoles de 1974 a 2004 : la perception marocaine de la position espagnole concernant la question du Sahara » Thèse de doctorat nationale, université HASSAN II .faculté des sciences juridique économique et sociales Département : droit public/ sciences politique UFR : droit international et relations internationales année universitaire 2005.
- BEL GOURCH ABDERRAHMAN : les politiques étrangères maghrébines 1962-1992 : spécificités des trajectoires nationales et divergences des pratiques"Impression de l' université cadi AYYAD : collection de la FSJES Marrakech, série : thèses et mémoires N°08 année 2001.

- BOUSSAID MOHAMED : « les relations entre le Maroc et l’Espagne de l’indépendance à 1990 » Mémoire de D.E.S à FSJES université Mohamed v ; rabat année universitaire 1990 – 1991 .
- HAMLILI, MOHAMMED : “les relations maroco-espagnoles : 1975-2004 » Université SIDI MED BEN ABEDLLAH. Faculté des sciences juridique : économiques et sociales Fes mémoire DESA. Année universitaire 2004-2005 .
- MOUSSADEK NEZHA : « L’organisation de la sécurité dans la région Euro-Méditerranéenne » Mémoire de DESA en Etudes internationales, Faculté des sciences juridiques économiques et sociales, université Hassan II Ainchock, Casablanca, Année universitaire 2001/2002.
- TBER ABDELADIM : ‘ les relations maroco-espagnoles dans le domaine des pêcheries maritimes ‘ cycle supérieur ENAP N° : 10 année universitaire 78/1980.



ARTICLES EN FRANÇAIS :

- « Un an après sa nomination l’ambassadeur de l’Espagne dresse le bilan des relations de son pays avec le Maroc »,
- ABDI NOUREDIN : ‘introduction Algérie, Maghreb, Méditerranée »
- ABOU BAKER JAMAI ’’ZAPATERO marocophile suscite l’ire irrédentistes ‘: Le journal hebdomadaire du 01^{er} au 07 mai 2004

- ABOUDDAHAB ZAKARIA : «A la recherche d'un paradigme explicatif d'un voisinage difficile : Maroc Algérie, conflictualité enracinée ou accident de l'histoire in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- AKESBI NAJIB : « plus que l'association et moins que l'adhésion ... "quel statut avancé" ». Revue Marocaine des sciences politiques et sociales N°02 printemps – été 2011 volume III
- ALAMI OUAHHABI: «la présence marocaine dans la vie politique espagnole: 1909-1921» In" marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coordinador SALHI MED serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanos, Rabat Imprimerie Najah el jadida, casablanca, 1999.
- ALAOUIE NADIA HACHIMI : « Sahara comment amorcer le dialogue ? » le journal hebdomadaire N° 159 du 08-14 2004
- AMMOR, MOHAMED FOUAD:« rapport de synthèse » In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999.L'association marocaine d'études et de recherches sur les migrations .Publié avec le concours de la fondation Hassan 2 pour les Marocains résidant à l'étranger .Imprimerie papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.
- ANTONIO MARQUINA, CARLOS ECHEVERRIA: « la politique de l'Espagne au Maghreb » revue : Monde arabe Maghreb – Machrek , N° 137 juillet – septembre 1992

- AZNAR JOSE MARIA Interview quotidien le monde du 28-25 mai 2000.
- BAGHZOUZ AOMAR; « plaidoyers pour un couple Algéro –Marocain comme moteur de la construction maghrébine» in : « Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen » sous la direction de : ABDI NOUREDINE, éditions. Paris méditerranée, mai 2005
- BENANTAR ABDENNOUR: 'Algérie , Europe OTAN: vers une architecture globale de sécurité en méditerranée?'' in : « Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen » sous la direction de : ABDI NOUREDINE, éditions. Paris méditerranée, mai 2005.
- BENCHEMSI AHMED REDA: "la sainte colère du roi" Telquel N° : 297 du 10 au 16 Novembre 2007
- BENJELLOUN ABDELMAJID:"l'arrière plan des relations entre le Maroc et l'Espagne: mythe et réalité" Lamalif, N° :126 juin 1981.
- BENKHATTAB ABDEL HAMID : « la culture politique des dirigeants algériens : la tentation du leadership » in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- BENMANSOUR ABDELLATIF : « la coopération de l'union européenne dans l'espace méditerranéen : quels atouts stratégiques pour le Maroc ? Revue ADDAWLIYA N°05, 2009.
- BENNANI DRISS et PENNA ARMANDINE: " haschich : faut-il brûlé les récoltes ?"Telquel N° 192 du 24 30 / 09 /2005

- BENOTHMAN MOHAMED LARBI: «le couple Maroc-Espagne et le nouvel espace euro-Méditerranéen» Revue : Maroc- Europe : N : 09, 1996.
- BERNABE LOPEZ GARCIA : « des clandestins en Espagne : démagogie ici et ailleurs »
In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé à la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999. L'association marocaine d'études et de recherches sur les migrations .Publié avec le concours de la fondation Hassan 2 pour les Marocains résidant à l'étranger .Imprimerie papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.
- BERNABE LOPEZ GARCIA: «l'Espagne porte européenne du Maghreb» Revue Confluences méditerranée . N° 05 hiver 1993.
- BERNABE LOPEZ GARCIA: «l'Espagne entre le Maghreb et l'Europe : imaginaire et interférences de l'opinion dans la politique maghrébine de l'Espagne » In : « le Maghreb l'Europe et la France » sous la direction de KACEM BASFAOU et JEAN ROBERT HENRY. AL KALAM l'année, diffusion CNRS
- BONIFACE PASCAL: « Géopolitique du football » Manière de voir N° 39, bimestriel, mai/juin 1998 .
- BOUJDAD AHMED: «la politique étrangère algérienne et l'intégrité territoriale du Maroc : une analyse rétrospective » in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011

- BOUKHALEF ABDELALI : « MAROC – Espagne : au large du partenariat halieutique »
le Matin du Sahara et du Maghreb N° 13091 du 24 novembre 2006.
- BOUKHALEF ABDELATIF : « Maroc-Union Européenne : de nouveaux signaux pour un
accord de pêche viable » in : « Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen » sous la
direction de : ABDI NOUREDINE, éditions. Paris méditerranée, mai 2005.
- BOUQENTAR EL HASSANE : “ la politique étrangère marocaine : un changement dans
la continuité » in : « une décennie de reformes au Maroc 1999-2009 » sous la direction du
centre d’étude internationales éditions KARTHALA, Paris, 2010
- CANTAN THOMAS : « Espagne: Zapatero doit soigner "ses faiblesses » les documents de
l’économiste: Maroc-Monde 2007.
- CHADI TAIEB et BENNANI HICHAM : « Maroc-Espagne : les royaumes sous tension »
Le journal hebdomadaire du 10 au 16 Novembre 2007.
- CHANKOU ABDELLAH : le Matin du Sahara et du Maghreb, N° 14629 du 12 Janvier
2012
- CHIKHI DJAMILA: “les relations hispano – marocaines a l’épreuve de la crise Persil-
Leila” Revue : Paix et sécurité internationales, dossier : les relations Maroco-Espagnoles,
N 01 juin 2003.
- CHIKHI DJAMILA:« les relations hispano-marocaines a l’épreuve de la crise persil
« LEILA » In « les relations moroco-espagnoles »Revue : paix et sécurité internationales
N° 01 juin 2003

- EL AMRANI ABDELLAH : "Cohabitation" la vérité, N° 457 du 28 Mai au 03 Juin 2011.
- EL HOUDAÏGUI RACHID : « L'Algérie et le Sahara occidental : esquisse d'un jeu géographique à somme nulle » in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- EL HOUDAÏGUI RACHID : « la crise de la pêche Maroc européenne (1994-1995) : un nouvel enjeu de sécurité au sud de Gibraltar » Revue : Paix et sécurité internationales, N° 01 juin 2003.
- EL HOUDAIGUI RACHID ;'' la politique étrangère du Maroc entre la constante géopolitique et les contraintes De la mondialisation '' Revue marocaine d'études internationales ; N° 11 ; juin 2003
- FERAHATE HALIMA Interview avec : Le journal, N° 324 du 10-16 Novembre 2007
- FRANÇOIS SOUDAN : « Maroc – Algérie la guerre des nerfs » Jeune Afrique l'intelligent, N° 2318 du 12-18 Juin 2005
- FTOUH ABEDESLAM Entretien.Le Matin N° 14599 du 06 décembre 2011.
- GARRIC ANDREY: « Espagne :ces résultats donnent un aperçu des élection générales de2012» La vérité du 28 mai au 03 juin 2011 N° : 457.
- GONZALO MAURE Y OTROS:“ : In « le Maghreb l'Europe et la France » Sous la direction de KACEM BASFAOU et JEAN ROBERT HENRY.

- HACHIMI ALAOUI NADIA : « Sahara : l'impasse du « BEKER II » le journal hebdomadaire N° 141 du 03 au 09 janvier 2004
- HACHIMI ALAOUI NADIA : « Sahara : comment amorcer le dialogue » : Le journal hebdomadaire N° 159 du 08 au 14 mai 2004
- HADDAD MUSTAPHA entretien avec Aujourd'hui le Maroc N° 923 du 16 juin 2005 interview avec Revue Challenge N° : 154 du 28/07 au 31/08/ 2007
- HERRADI J.E : « Sahara : Washington conforte le Maroc » l'économiste, N° 2569 du 13 juillet 2007.
- HOUDA FILALI ANSARI : « le statu quo bénéfique pour l'Algérie ? » la vie économique N° 4417 du 15-21 Juin 2007
- IGNACIO RAMONET : « un fait social total » in « football et passions politiques » Manière de voir N° 39, bimestriel, mai/juin 1998
- INIGO MORE : « Le décalage économique entre l'Espagne et le Maroc revue critique économique N° 16 Eté-automne 2005
- JEAN LOUIS GUI GOU Aujourd'hui le Maroc N° : 954 du 29-31 juillet 2005 le Sahara et les intellectuels Marocains
- JUAN COYTISOLO interview avec L'express " international N° 2787
- JUAN GOYTISOLO: « témoignage » in : « Hassan II présente: la marche verte » collection : édification d'un état moderne " librairie PLON. Paris, 1990
- KACIMI BADR JALAL: « l'implication de l'Algérie dans l'affaire du Sahara : une stratégie hégémonique sur fond de crise interne » in : « Maroc – Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile » sous la direction du centres d'études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011

- KHACHANI MOHAMED : “la question migratoire dans les relations entre la Maroc et l’Espagne” Revue paix et sécurité internationales, N° 01 juin 2003
- KOUIDRI MOHAMED : « du refus de l’exil à l’émigration clandestine : le cas de l’Algérie » In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999. L’association marocaine d’études et de recherches sur les migrations .Publié avec le concours de la fondation Hassan 2 pour les Marocains résidant à l’étranger .Imprimerie papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.
- KOUTTROUB SMAÏL : « l’intensification des menaces sécuritaire dans la région sahélo – saharienne et l’avenir des relations Maroc-algériennes » in : « Maroc – Algérie : analyses croisées d’un voisinage hostile » sous la direction du centres d’études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- KSIKES DRISS : « Maroc – Algérie : je t’aime moi non plus » Tequel, N° 144 du 02-08 octobre 2004.
- LABATUT BERNARD: "quelle méditerranée pour quelle Europe? Revue : Paix et sécurité internationales, N° 01 juin 2003.
- LORENZO DELGADO: "le régime de franco, le plan Marshall et les puissances occidentales" Revue relations internationales, N° 106 Eté 2001.
- LUIS PLANAS PUCHADES : le Journal hebdomadaire , N° 220 du 03-09 Septembre 2005 « Pêche : les dessous d’un accord ».
- LUIS PLANAS PUTCHADES ambassadeur d’Espagne a rabat. Entretien avec Revue Diplomatica, N : 26, 2009 .

- M’JID NAJAT. :“la migration clandestine de mineurs: un vrai mythe” In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit-Agdal Rabat les 29-30 avril 1999.L’association marocaine d’études et de recherches sur les migrations .Publié avec le concours de la fondation Hassan 2 pour les Marocains résidant à l’étranger .Imprimerie papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000.
- MANSOUR ABDELATIF : « sites noires de la CIA au Maroc » Maroc hebdo N° 682 DU 20 AU 26 Janvier 2006.
- MANSOUR ABDELLATIF:“ immigration clandestine: le Maroc accuse ” Maroc-hebdo N° : 669 du 14-20 octobre 2005.
- MEKOUAR MEROUAN: « aux origines de la stratégie du statu quo : lectures dans la politique saharienne de l’Algérie » in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d’un voisinage hostile » sous la direction du centres d’études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI : « Perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l’Espagne démocratique annuaire de l’Afrique du nord, tome XXIX, 1990 éditions du CNRS
- MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI“perception Espagnole du Maghreb et politique étrangère de l’Espagne démocratique » ALKALAM éditions- diffusion CNRS éditions .
- NAJIB ABDELHAK: “terrorisme, drogue, contrebande, immigration clandestine ... Sebta, ville dangereuse” La gazette du Maroc, N° 429 du 18 au 24 juillet 2005.

- PACO SOTO : « gaz toxiques contre le rif » : إشرف رشيد راخا: "الحرب الكيماوية ضد الريف" في: ميمون شرقي وأحمد الحمداوي. أعمال الندوة الدولية حول: استعمال الغازات السامة، حرب الريف نموذجاً. الناظر في 24 فبراير 2004، سلسلة: التاريخ والانتروبولوجيا. الناشر: إيديسيون أمازيغ، مطبعة بني يزناسن- سلا، الطبعة الأولى 2005.
- Propos recueillis par : RIDOUANE KHADIJA, le Matin N° 5765 du Juin 2005.
- RIDOUANE KHADIJA: ‘‘un an après sa nomination l’ambassadeur de l’Espagne dresse le bilan des relations de son pays avec le Maroc’’ Le matin N° 5765 du 01/06/2005.
- RIGAR SIDI MOHAMED : « l’impact du partenariat Euro-Marocain sur le processus de réformes au Maroc» Revue ADDAWLIYA N°04 , 2008.
- SADDIKI SAID. : “la vision algérienne du droit à l’autodétermination à l’épreuve du principe de non ingérence dans les affaires intérieures des états » in : «Maroc – Algérie : analyses croisées d’un voisinage hostile » sous la direction du centres d’études internationales, éditions KHARTHALA, paris, 2011.
- SEHIMI MUSTAPHA: ‘‘la récidive ‘‘ Maroc hebdo N° :766 du 09-15 -11 2007
- SEHIMI MUSTAPHA:« ce que cache l’affaire AMINATOU HAIDAR en duplicité, intrigue et subversion : le double jeu de l’Espagne » Maroc hebdo international, N° :866 du 18-24 décembre 2009
- THIBAUD CECILE :“ Espagne –maroc : l’embellie » L’express international N° : 2787.
- TOUNASSI FEDOUA : Aujourd’hui le Maroc, N°1131 du Avril 2006 «Pêche : la diplomatie marocaine à la peine »
- YAHIA ZOUBIR: « les Etats-Unis et le Maghreb central : un intérêt croissant » in : « Algérie, Maghreb : le pari méditerranéen » sous la direction de : ABDI NOUREDINE, éditions. Paris méditerranée, mai 2005

- YASSIR BADRE EDDINE : « nouvelle politique de voisinage : cimetière des illusions perdues » Perspectives du Maghreb, N° 08 décembre 2005.
- YVES ZURLO Interview ; le journal hebdomadaire N° 324.



ARTICLES EN ESPAGNOL :

- ABDELMAJID BENJELLOUN : “ las causas de la participación de marroquíes en la Guerra civil Española (1936-1939)” in : « marroquíes en la guerra civil española campos equívocos” .Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico .José A. G Alcantud, editor, anthropos editorial Barcelona, 1ra edición 2003.
- ADILA MUSTAPHA : “por un mayor entendimiento entre marruecos y España” in : JUAN JOSE SANCHEZ SANDOVAL Y EL FATHI ABDERRAHMAN (eds) : " Relaciones España -Marruecos : Nuevas perspectivas y enfoques " Impresión : Artes Gráficas Nueva , 1^{ra} edición, Marzo, 2007 .
- ADILA MUSTAPHA: “por un mayor entendimiento entre marruecos y España” in : JUAN JOSE SANCHEZ SANDOVAL Y EL FATHI ABDERRAHMAN (eds) : " Relaciones España -Marruecos : Nuevas perspectivas y enfoques " Impresión : Artes Gráficas Nueva , 1^{ra} edición, Marzo, 2007.
- AKMIR ABELWAHED : « los orígenes de la guerra del Rif en la obra de Germán Ayache » In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999.
- ALEJANDRO DEL VALLE GALVEZ: " España-Marruecos: Nuevos y viejos Paradigmas de una relación en un mundo en mutación" in : JUAN JOSE SANCHEZ SANDOVAL Y EL

- FATHI ABDERRAHMAN (eds) : " Relaciones España -Marruecos : Nuevas perspectivas y enfoques " Impresión : Artes Gráficas Nueva , 1^{ra} edición, Marzo, 2007.
- ALFONSO MERLOS GARCIA :« causas , desarrollo e implicaciones estratégicas del auge del terrorismo salafista en el espacio de seguridad euromediterráneo : la amenaza de las redes marroquíes » In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007.
 - ANTONIO MARQUINA : « La evolución de la política de seguridad española (1982-1992)» in “la política exterior española en el siglo XX” R. CALDUCCH (coord) Ediciones de las Ciencias sociales Madrid, 1994.
 - ANTONIO MORENO JUSTE :« Del problema de España a la España europeizada : excepcionalidad y normalización en la posición de España en Europa » In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1^{ra} edición 2003.
 - BEATRIZ MOLINA RUEDA : "El entendimiento hispano marroquí desde las cosmovisiones de paz." in Actas del encuentro : “España marruecos : dialogo y convivencia del 23-25 de octubre de 1998 en Tetuán y Chauen ; publicaciones de la asociación Tetuán-Asmir . Altopress, Tánger 1^{ra} edición octubre 1999.
 - BELLAHA LARBI: “Marruecos y el Proceso de Barcelona: la consolidación de un futuro común” In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007

- BEN SALEM ABDELATIF : « la participación de los voluntarios árabes en las brigadas internacionales : una memoria rescatada » in : « marroquíes en la guerra civil española campos equívocos” .Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico .José A. G Alcantud, editor, anthropos editorial Barcelona, 1ra edición 2003
- BENJELLOUN ABDELMAJID : « l’attitude des partis ouvriers espagnols a l’égard du Maroc 1909- 1936.In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999.
- BENREMDANE AHMED :« la doble imagen del « moro » en la literatura española de tema africano » In « El siglo XVII hispano marroquí » Mohamed SALHI (coord) publicaciones de la facultad de letras y de ciencias humanas- Rabat- serie : coloquios y seminarios N° : 64.Imprimerie Najah El Jadida-Casablanca 1997
- BENREMDANE AHMED : « marruecos y España en reivindicación del Conde Don Julián de Juan Goytisolo o la destrucción de mitos” in « huellas comunes y miradas cruzadas :Mundos árabe;ibérico e iberoamericano" Mohamed SALHI coord ;publicaciones de la facultad de letras y ciencias humanas Rabat serie : coloquios y seminarios N° 45. Imprimerie Fédala Mohammadia 1995.
- BENREMDANE AHMED:“el colonialismo español en marruecos y la descolonización de SIDI IFNI a través de los artículos de prensa, entrevistas y reportajes de JUAN GOYTISOLO » In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999.

- BERNABE LOPEZ GARCIA Y MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI''España y el norte de áfrica hacia una estabilidad dinámica'' Revue: paix et sécurité internationales ; dossier ; les relations Maroco- Espagnol N° 01 juin 2003.
- BERNABE LOPEZ GARCIA : « la sociedad civil y las relaciones con Marruecos el comité Averroes un instrumento para el acercamiento entre las sociedades o la retórica de la mediación civil ? » In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009
- BOUAYACH AMINA:“ la prensa española ? un medio de proximidad? ” In « España- Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroquí : opiniones e ideas » CARLA FIBLA GARCIA SALA (coordinadora).Icaria/ Antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005
- CARLA FIBLA GARCIA SALA“España- Marruecos: desde la orilla sur: la relación hispano-marroquí: opiniones e ideas” (coordinadora). Icaria/ antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005
- COUSTILLIERE JEAN – FRANÇOIS : « la iniciativa 5+5 seguridad y defensa» in : «V seminario internacional sobre seguridad y defensa en el Mediterráneo : la seguridad multidimensional » colección monografías, Ediciones CIDOB Barcelona, octubre 2007
- CHAACHOO ABDESLAM :“carta abierta a TVE” in Actas del encuentro : “España marruecos : dialogo y convivencia : del 23-25 de octubre de 1998 en Tetuán y Chauen ; publicaciones de la asociación Tetuán- Asmir . Altopress, Tánger 1 ra edición octubre 1999
- CHAFIKI MOHAMED : “ las relaciones hispano marroquíes : incentivo para un mayor acercamiento de marruecos a la unión europea ” In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de

Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007

- CHAKOUR MOHAMED :« prejuicios hispano marroquíes : el moro en el imaginario español” in Actas del encuentro : “España marruecos : dialogo y convivencia : del 23-25 de octubre de 1998 en Tetuán y Chauen ; publicaciones de la asociación Tetuán- Asmir . Altopress, Tánger 1 ra edición octubre 1999
- DAHIRI MOHAMED Entrevista Kantara, N° 08 julio-agosto 2011
- DARIO VALCARCEL : « Palabras cruzadas : es imposible un acuerdo sobre el Sahara ? apoyo loco al Polisario » ABC N° 32735 de 24/07/2005
- DE VEGA LUIS : ” los otros mmarroquíes del 11 de marzo” ABC : N° 32601 del 11/03/ 2005
- DELAGE FERNANDO : "una política exterior para el siglo XXI" In : « la política exterior de España 1800-2003 » Juan Carlos Pereira (coord). Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- DURAN PARRA IRENE “ las empresas españolas ; actores de la política exterior en marruecos” In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009
- EDKHIL BACHIR Entrevista kantara N° 08 julio –agosto 2011
- EDKHIL BACHIR: “relaciones hispano-Marroquíes : Vecinos incomunicados” in “la política exterior española en el siglo XX” R. CALDUCCH (coord) Ediciones de las Ciencias sociales Madrid, 1994

- EL ARBI EL HARTI :« El tema del moro entre la historiografía y la ficción » In « El siglo XVII hispano marroquí »Mohamed SALHI (coord) publicaciones de la facultad de letras y de ciencias humanas- Rabat- serie : coloquios y seminarios N° : 64.Imprimerie Najah El Jadida-Casablanca 1997
- EL HAYUI WISSAL : ‘ ’ Marruecos España UE : las ventajas del estatuto avanzado” Kantara N° 08 julio agosto 2011
- EL HAYUI WISSAL : “CRISIS ECONOMICA : la oportunidad al sur” kantara ;N° 08 ; julio – agosto 2011
- ELENA BARACANI : “ De la asociación euro mediterránea a la política europea de vecindad : una nueva presión europea para la democratización en Marruecos?” In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007
- ENCARNACION LEMUS Y JUAN CARLOS PEREIRA CASTAÑARES: « Transicion y política exterior (1975-1986) » In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- EVA DIEZ PERALTA : « Balance y perspectivas de la zona de libre comercio euro mediterránea : El caso de Marruecos » In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007
- FELIPE SAHAGUN“España frente al sur” in “la política exterior española en el siglo XX” R. CALDUCCH (coord) Ediciones de las Ciencias sociales Madrid, 1994.

- FELIU LAURA Y SALOMON MONICA : “territorios en aguas turbulentas: la crisis entre España y Marruecos” Revue :Paix et sécurité internationales Dossier : « les relations Maroc espagnoles »N : 01 juin 2003
- FRANCISCO A. MUÑOZ Y MARIO LÓPEZ MARTINEZ : « Paz, Diálogo y convivencia en las relaciones entre Marruecos y España » in Actas del encuentro : “España marruecos : dialogo y convivencia : del 23-25 de octubre de 1998 en Tetuán y Chauen ; publicaciones de la asociación Tetuán- Asmir . Altopress, Tánger 1 ra edición octubre 1999.
- FRANCISCO J.ALVAREZ CURIEL J :« romances desde una guerra » In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999.
- FUAD ABDELMUMNI :« Marruecos España, o la miopía de las élites » In « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroquí : opiniones e ideas » CARLA FIBLA CARCIA SALA (coordinadora).I caria/ Antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005
- GONZALO ESCRIBANO FRANCES: « Marruecos y la unión Europea: 10 años después de la conferencia de Barcelona” In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords):“Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona” Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007
- IRENE FERNANDEZ MOLINA : "los partidos políticos y la política exterior española hacia el Magreb: los casos del PSOE y del PP” In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009.

- JAVIER RUBIO . :« qué ha sido la política exterior para España ? » In : « la política exterior de España 1800-2003 » Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003.
- JOSE LUIS RODRIGUEZ CANDELA : « las políticas migratorias de los países de acogida como responsables de la migración clandestina » In : « la migration clandestine : enjeux et perspectives » actes du colloque organisé a la faculté de droit- Agdal Rabat les 29-30 avril 1999.L'association marocaine d'études et de recherches sur les migrations .Publié avec le concours de la fondation Hassan II pour les Marocains résidant à l'étranger .Imprimerie Papèterie : AL KARAMA, Rabat, 2000
- JOSE.U . MARTÍNEZ CARRERAS ‘ ‘ el africanismo español’ ’ In : « la política exterior de España 1800-2003 » Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- JUAN B.VILAR Y MARIA JOSE VILAR:“España de la emigración a la inmigración : Incidencia en su proyección internacional » In : « la política exterior de España 1800-2003 » Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- LUIS DE VEGA y LUIS AYLLON: “Marruecos “rechaza” la visita de los reyes a los “ciudades expoliadas” ABC de 02 Noviembre 2007 N° 33560
- MANUEL JOSE TEROL BECERRA : « union europea y mediterráneo sur :reflexiones sobre su posible ampliación » in : JUAN JOSE SANCHEZ SANDOVAL Y EL FATHI ABDERRAHMAN (eds) : " Relaciones España -Marruecos : Nuevas perspectivas y enfoques " Impresión : Artes Gráficas Nueva , 1^{ra} edición, Marzo, 2007 .
- MARIA ROSA DE MADARIAGA : « la guerra de Melilla 1893 : ofensiva colonial y resistencias locales » In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de

- dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999
- MARIA ROSA DE MADARIAGA: "El falso contencioso de la isla de perejil" el país 17 julio 2002
 - MARIA ROSA DE MADARIAGA: "la Guerra colonial llevada a España: las tropas marroquíes en el ejército franquista » in : « marroquíes en la guerra civil española campos equívocos » . Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico . José A. G Alcantud, editor, anthropos editorial Barcelona, 1ra edición 2003
 - MARTIN JERCH : "de Barcelona a Barcelona plus : pasado presente y futuro del proceso de Barcelona" In : ANA FERNANDEZ ARDAVIN Y MONICA GODED SALTO (coords): "Europa y Marruecos: diez años del proceso de Barcelona" Colección: La sociedad internacional contemporánea Editorial : Biblioteca Nueva, Madrid, 2007
 - MENJRA HICHAM : « día del español : en honor de la lengua cervantina » Kantara ,N° 08 julio- agosto 2011
 - MERCEDES JIMENEZ: "las nuevas migraciones en Marruecos: los menores emigrantes" In « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroquí : opiniones e ideas » CARLA FIBLA CARCIA SALA (coordinadora). Icaria/ Antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005
 - MIGUEL HERNANDO De LARRAMENDI , IRENE GONZALEZ Y BARBARA. AZAOLA PIAZZA: "el ministerio de asuntos exteriores y la política exterior hacia el Magreb" In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009

- MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI :« perception espagnole du Maghreb et politique étrangère de l'Espagne démocratique » In « le Maghreb, l'Europe et la France » sous la direction de KACEM BASFAOU et JEAN ROBERT HENRY. AL KALAM l'année, diffusion CNRS
- MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI: " España -Marruecos: una vecindad compleja" Afkar/Ideas , N°01, Madrid 2003
- MIGUEL.A MORETA.“la imagen del moro en la literatura de la Guerra civil Española” in « huellas comunes y miradas cruzadas :Mundos árabe;ibérico e iberoamericano"Mohamed SALHI coord ;publicaciones de la facultad de letras y ciencias humanas Rabat serie : coloquios y seminarios N° 45. Imprimerie Fédala Mohammadia 1995
- MOHAMED ABRIGACHE: :“el africanismo de PEDRO ANTONIO DE ALARCON en diario de un testigo de la Guerra de África”In : « Marruecos, España y Portugal : hacia nuevos espacios de dialogo » coord. Mohamed SALHI serie : coloquios y seminarios N° 82 Facultad de letras y ciencias humanas, Rabat Imprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 1999
- MOHAMED IBN AZUZ :“una visión realista del protectorado ejercido por España en marruecos” in Actas del encuentro : “España marruecos : dialogo y convivencia : del 23-25 de octubre de 1998 en Tetuán y Chauen ; publicaciones de la asociación Tetuán- Asmir . Altopress, Tánger 1 ra edición octubre 1999
- MOHAMED IBN AZZUZ HAKIM :“el testamento de Isabel la católica y sus consecuencias nefastas sobre las relaciones hispano marroquíes” in « huellas comunes y miradas cruzadas :Mundos árabe;ibérico e iberoamericano"Mohamed SALHI coord ;publicaciones de la facultad de letras y ciencias humanas Rabat serie : coloquios y seminarios N° 45. Imprimerie Fédala Mohammadia 1995

- MOHAMED IBN AZZUZ HAKIM: «la oposición de los dirigentes nacionalistas marroquíes a la participación de sus compatriotas en la guerra civil española» in : « marroquíes en la guerra civil española campos equívocos » .Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico .José A. G Alcantud, editor, anthropos editorial Barcelona, 1ra edición 2003
- MOHAMED LARBI BEN OTHMANE: «marruecos-España: un uso desestructurante de la historia» In « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroquí : opiniones e ideas » CARLA FIBLA CARCIA SALA (coordinadora).I caria/ Antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005 .
- MONCEF SLIMI : « Los límites del juego político Hispano – Marroquí » In « España-Marruecos desde la orilla sur : la relación hispano- marroquí : opiniones e ideas » CARLA FIBLA CARCIA SALA (coordinadora).I caria/ Antrazyt, Al fanar traductores N° 228 / 2005
- MONTSERRAT HUGUET : « la política exterior del franquismo (1939-1975) » In : « la política exterior de España 1800-2003 » Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- NAJIB ABU- WARD : “las transformaciones del mundo árabe y sus consecuencias en las relaciones hispano –magrebíes” in “la política exterior española en el siglo XX” R. CALDUCCH (coord) Ediciones de las Ciencias sociales Madrid, 1994
- RAFAEL CALDUCCH CERVERA ” la política exterior español durante el franquismo” in “la política exterior española en el siglo XX” R. CALDUCCH (coord) Ediciones de las Ciencias sociales Madrid, 1994
- RAFAEL GARCIA PEREZ: “el sector pesquero gallego como actor de la política exterior de España hacia marruecos ” In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y

AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el Magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009

- RAFAEL GARCIA PEREZ'' España en un mundo en cambio :a la búsqueda de la influencia internacional(1986-2002)'' In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- RAFAEL NUNEZ FLORENCIO:“la imagen de España en el mundo: la “marca España” In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- RAMÓN ARMÉNGOD LÓPEZ : « España, Mediterráneo y mundo Árabe “In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003
- RICARDO MENDEZ Y SILVIA MARCU: ‘’ la posición geoestratégica de España ‘In : « la política exterior de España 1800-2003 »Juan Carlos Pereira (coord).Editorial Ariel, Barcelona, 1ra edición 2003.
- SEBASTIAN BALFOUR :« el otro moro en la guerra colonial y la guerra civil » in : « marroquíes en la guerra civil española campos equívocos” .Colección : pensamiento crítico/ pensamiento utópico .José A. G Alcantud, editor, anthropos editorial Barcelona, 1ra edición 2003
- UXIA LEMUS DE LA IGLESIA : « los elementos constituyentes de la nueva política exterior y de seguridad de España hacia Marruecos (1976-2002) » revue : Paix et sécurité internationales ; dossier : les relations Moroco – Espagnoles; N°01juin 2003

- UXÍA LEMUS DE LA IGLESIA y HAIZAM AMIRAH FERNÁNDEZ : «La presidencia del gobierno y la política exterior española hacia el Magreb » In : MIGUEL HERNANDO DE LARRAMENDI Y AURELIA MANE ESTRADA (eds): « la política exterior española hacia el magreb : actores e intereses » Editorial Ariel, Barcelona/ Real instituto Elcano, 1ra edición Abril de 2009
- VERDASCO PEDRO , « entrevista con »(director general: trade maroc consulting) kántara N° 08 julio /agosto 2011

المواقع الإلكترونية:

- www.casaarabe.es ? Quiénes somos تاريخ الزيارة يناير 2016.
- WWW.WIKIPEDIA.COM تمت الزيارة في يناير 2016.
- www.ar.m.wikipedia.org .، تاريخ الزيارة : نونبر 2015.
- www.nadorcity.com : تاريخ الزيارة دجنبر 2015.
- موقع الانترنت لوزارة المالية الإسبانية www.princast.es/hacienda/mca/marco تاريخ الزيارة في دجنبر 2016.
- EDWARD GABRIEL : « l'importance stratégique du Maroc et de la région méditerranéenne.» Discours prononcé par l'ambassadeur des Etats-Unis au Maroc à la conférence sur «l'aide à la sécurité et la coopération » au commandement européen des États-Unis le 23/03/1999. A Grainau, en Allemagne.
<http://www.usembassay.ma/usmorrelations/speeches/gabrielfr.htm>.
- Première visite officielle à Washington du dirigeant socialiste" in : www.latinreporters.com/espagnepol14102009.html

فهرس المحتويات

4	مقدمة
13	القسم الأول: الإطار الثنائي للعلاقات المغربية الإسبانية
15	الفصل الأول: أهمية البعد الثقافي التاريخي وثقل المطالب الترابية على علاقات البلدين
16	المبحث الأول: أهمية البعد الثقافي التاريخي في علاقات البلدين
16	المطلب الأول: المضامين المؤتثة للبعد الثقافي التاريخي للبلدين:
16	الفقرة الأولى: محددات المخيال الجمعي الإسباني تجاه المغرب:
16	أولا : الأسس النظرية للمواقف الإسبانية من المغرب:
17	أ. مفهوم المورو EL MORO:
22	ب- وصية الملكة إيزابيلا.
23	ج- الفكر الأفريقياني:
24	ثانيا: محطات تاريخية محددة في بناء صورة المغرب بإسبانيا.
25	أ- حرب أفريقيا 1860:
25	ب- حرب مليلية 1893:
26	ج- وهدة الذئب 1909 el baranco del lobo
27	د- حرب الريف 1921.
28	هـ- ثورة أستورياس 1934.
28	و- الحرب الاهلية 1936
30	الفقرة الثانية: العوامل المحددة لصورة اسبانيا في المغرب.
31	أولا : سلبية العوامل التاريخية:

- أ. استمرار احتلال سبتة ومليلية والجزر التابعة لها:.....31
- ب- طرد الموريسكيين 1609:.....32
- ج- حرب إفريقيا 1860:.....33
- د- حرب الغازات السامة.....34
- هـ- الحرب الأهلية الإسبانية:.....36
- ثانيا : العوامل المساهمة في خلق صورة إيجابية.....37
- أ- الحنين إلى الأندلس:.....37
- ب- إسبانيا الديمقراطية:.....38
- ج- كرة القدم.....39
- المطلب الثاني: تقييم لحضور العامل الثقافي - التاريخي في علاقات البلدين**.....40
- الفقرة الأولى: حجم وأهمية البعد الثقافي-التاريخي:.....40
- أولا: الحضور الوازن للبعد الثقافي-التاريخي 41
- ثانيا : المغرب كضحية للتاريخ المشترك للبلدين: الحرب الاهلية الاسبانية نموذجا.....46
- ثالثا: الاستعمال التبريري للبعد الثقافي التاريخي:.....49
- الفقرة الثانية: مبادرات وحلول الطرفين للتخفيف من وطأة العامل الثقافي - التاريخي. 58
- أولا : المبادرات الرسمية:.....59
- ثانيا : مبادرات المجتمع المدني: 63
- المبحث الثاني: استمرار التأثير السلبي بالحضور الاسباني في مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لها**.....67
- المطلب الأول: التعريف بالمناطق المتنازع عليها وحجج كل طرف حول إنتمائها.**.....67
- الفقرة الأولى: التعريف بالمناطق المتنازع عليها. 67
- أولا: سبتة ومليلية.....68

- أ. سبتة: 68.....
- ب. مليلية: 69.....
- ثانيا: الجزر التابعة لها: 70.....
- أ. صخرة باديس: 70.....
- ب. جزيرة النكور: 71.....
- ج. الجزر الجعفرية: 71.....
- د. جزيرة البرهان: 71.....
- هـ. جزيرة تورة: 72.....
- الفقرة الثانية: حجج كل طرف حول الانتماء الحقيقي لمناطق النزاع: 74.....
- أولا: الحجج الإسبانية: 74.....
- ثانيا- الحجج المغربية: 80.....
- المطلب الثاني:** تأثير سبتة ومليلية على علاقات البلدين وإمكانية الحل. 94.....
- الفقرة الأولى: سياق المطالبات بسبتة ومليلية وتأثيرات استمرار احتلالهما 94.....
- أولا: سياق المطالبات المغربية: 95.....
- ثانيا : التأثير السلبي لاستمرار وجود إسبانيا في المدينتين: 104.....
- الفقرة الثانية: الوضع الراهن للتغور المحتلة والحلول الممكنة. 114.....
- أولا- المتغيرات الراهنة التي تعرفها سبتة ومليلية والجزر التابعة لها. 114.....
- ثانيا: الحلول الممكنة لإنهاء احتلال المدينتين والجزر التابعة لها: 117.....
- المبحث الثالث: تفاعلات ملف قضية الصحراء** 122.....
- المطلب الأول:** السياق العام لتبلور أهمية قضية الصحراء في العلاقات الثنائية للبلدين 122.....
- الفقرة الأولى: الوجود الإسباني في الصحراء وتقلبات المرحلة الفرنكاوية. 122.....
- أولا: الوجود الإسباني في الصحراء. 122.....

- ثانيا: مسلسل تصفية الاستعمار في الصحراء.....125
- الفقرة الثانية: أهمية قضية الصحراء بالنسبة للطرفين : 132
- أولا: مركزية قضية الصحراء في النظام السياسي المغربي : 132
- ثانيا: الحضور الفاعل لقضية الصحراء في الانتقال الديمقراطي الاسباني : 134
- المطلب الثاني:** اسبانيا الديمقراطية وتأثير قضية الصحراء على علاقات البلدين.....138
- الفقرة الأولى: العلاقات المغربية الاسبانية في ظل معطى "تقرير المصير".....138
- أولا: الحكومات الاشتراكية ومقاربة مشكل الصحراء.....138
- ثانيا: حكومة أثنار الأولى وبداية التوتر في العلاقات الثنائية : 141
- الفقرة الثانية: الحل السياسي وتأثيراته على علاقات البلدين.....144
- أولا: حكومة اثنار الثانية واندلاع الأزمة السياسية بين البلدين 144
- ثانيا: إيمان ثباتير بالحل السياسي وانعكاسه على علاقات البلدين : 149
- ثالثا: مرحلة مريانو رخوي وإكراهات الأزمة الاقتصادية : 154
- الفصل الثاني: الهجرة والإشكالات الأمنية وأهمية البعد الاقتصادي في تجاوزها**.....158
- المبحث الأول: الهجرة والإشكالات الأمنية**.....158
- المطلب الأول:** الهجرة كعامل توتر أم إطار للتعاون بين البلدين؟.....158
- الفقرة الأولى: أسباب وأهمية الهجرة بين البلدين 159
- أولا: واقع الهجرة وأسبابها. 160
- ثانيا: أهمية الهجرة بالنسبة للبلدين: 164
- الفقرة الثانية: دور ورقة الهجرة في علاقات البلدين: 168
- أولا: الهجرة كورقة ضغط ومزايدة سياسية:.....168
- ثانيا: الهجرة ك مجال للتعاون. 175
- المطلب الثاني:** ملفي الإرهاب والمخدرات وتأثيرهما على علاقات البلدين.....180

180.....	الفقرة الأولى :أثار ملف الإرهاب الداخلية وأسباب استهداف اسبانيا
180.....	أولا: أثار التفجيرات الداخلية.....
183.....	ثانيا: أسباب استهداف اسبانيا.....
185.....	الفقرة الثانية: تأثير ملف الإرهاب على علاقات البلدين
185.....	أولا: نظرية المؤامرة في الأوساط الاسبانية.....
188.....	ثانيا: التعاون الثنائي في مجال الإرهاب :.....
191.....	الفقرة الثالثة: ملف المخدرات في علاقات البلدين.....
191.....	أولا: واقع تهريب المخدرات بين الصفتين
193.....	ثانيا : تأثير ملف المخدرات على علاقات البلدين.....
196.....	المبحث الثاني: دور البعد الاقتصادي في علاقات البلدين.....
196.....	المطلب الأول: تقلبات ملف الصيد البحري في إطار العلاقات الثنائية للبلدين
196.....	الفقرة الأولى :البعد التاريخي وسيطرة الإعتبارات السياسية.....
196.....	أولا: مقولة الحقوق التاريخية.....
199.....	ثانيا: إتفاقية الصيد لسنة 1969
202.....	الفقرة الثانية :تزايد حضور الاهتمام الإقتصادي في مجال الصيد البحري
202.....	أولا : اتفاق الصيد البحري في فبراير 1977
203.....	ثانيا: الاتفاقات المؤقتة
205.....	ثالثا: اتفاقية غشت 1983
207.....	المطلب الثاني : أهمية وحجم البعد الإقتصادي في علاقات البلدين.....
207.....	الفقرة الأولى:أهمية البعد الاقتصادي.....
207.....	أولا: تزايد الاعتبارات الاقتصادية في علاقات البلدين
210.....	ثانيا: دور القطاع الخاص في النهوض بهذه العلاقات.....

213	الفقرة الثانية: حجم الإستثمارات والمبادلات بين الطرفين:
213	أولاً: واقع الاستثمارات الإسبانية في المغرب
217	ثانياً: حجم المبادلات التجارية بين الطرفين
219	خلاصة القسم الأول
221	القسم الثاني: العلاقات المغربية الإسبانية في سياق متعدد الأطراف
223	الفصل الأول: السياسات الإسبانية تجاه المغرب العربي وإكراهات الخلافات البين مغاربية
225	المبحث الأول: سياسة التوازن
225	المطلب الأول: أسباب سياسة التوازن
226	الفقرة الأولى: الأسباب الداخلية الإسبانية
226	أولاً: إنعدام الاستقرار السياسي
228	ثانياً: التحالف السياسي الحاكم
230	الفقرة الثانية: الأسباب المرتبطة بالواقع المغربي
231	أولاً: صراع الزعامات
231	أ- مشكل الحدود وإفرازه لحرب الرمال
234	ب - عامل التاريخ العريق في المغرب، وبراديجم تصدير الثورة في الجزائر
236	ج- تداخل السياسة الداخلية والخارجية
236	د- الاصطفاف الأيديولوجي
237	هـ . سيكولوجية فردية لدى بعض القيادات
238	ثانياً : محورية قضية الصحراء
244	المطلب الثاني: آليات اشتغال سياسة التوازن وتقييمها
244	الفقرة الأولى: آليات اشتغال سياسة التوازن:
244	أولاً: وسائل الضغط المغاربية

249	ثانيا: مظاهر سياسة التوازن
251	الفقرة الثانية: تقييم سياسة التوازن
252	أولا: إيجابيات هذه السياسة
254	ثانيا: مواطن القصور في سياسة التوازن
259	المبحث الثاني: السياسة الشاملة
260	المطلب الأول: أسباب السياسة الشاملة:
261	الفقرة الأولى: الأسباب الداخلية الإسبانية:
261	أولا: تصور الحزب الاشتراكي الحاكم للمنطقة
263	ثانيا: الموقع الجديد لإسبانيا كدولة متقدمة
264	الفقرة الثانية: الأسباب المغاربية
265	أولا: التقارب المغربي الجزائري
267	ثانيا: الانفراج في قضية الصحراء
269	المطلب الثاني: آليات السياسة الشاملة وتقييمها:
269	الفقرة الأولى: آليات السياسة الشاملة وتجلياتها:
269	أولا: آليات ووسائل السياسة الشاملة
272	ثانيا: تجليات ومؤشرات هذه السياسة
275	الفقرة الثانية: طبيعة الانتقادات الموجهة للسياسة الشاملة
276	أولا: نقاط ضعف السياسة الشاملة
278	ثانيا: عودة سياسة التوازن
278	أ- الأزمة الداخلية الجزائرية وحضور براديجم تصديرها
281	ب- أزمة حكومة أثنار الثانية وتزامنها مع وصول عبد العزيز بوتفليقة لرئاسة الجزائر
286	ج. عودة الحزب الاشتراكي مع ثباتيرو ومحاولة تصحيح الوضع

- 293..... الفصل الثاني: الفضاء الأوربي والأطلسي كإطار لتفاعل علاقات البلدين
- 294..... المبحث الأول: السياق الأوربي وتفاعلات العلاقات المغربية - الإسبانية
- 295..... المطلب الأول: تأثير السياسات الأوربية على علاقات البلدين:
- 295..... الفقرة الأولى: على المستوى السياسي: النزاعات الترابية نموذجا
- 296..... أولا: تعاطي الإتحاد الأوربي مع الوضع الإستثنائي لمدينتي سبتة ومليلية
- 301..... ثانيا: أزمة جزيرة تورة / ليلي والموقف الأوربي
- 304..... الفقرة الثانية: على المستوى الإقتصادي: الصيد البحري نموذجا
- 305..... أولا: الجيل الأول من الإتفاقات وواقع التعاون في هذا المجال
- 305..... أ- إتفاق الصيد في : 25 فبراير 1988
- 306..... ب- إتفاق 15 ماي 1992
- 307..... ج- اتفاق 13 نونبر 1995
- 310..... ثانيا: أزمة الصيد مع الإتحاد وصعوبة مخاض الجيل الثالث من الاتفاقات
- 318..... أ- إتفاق 28 يوليوز 2005
- 321..... ب- إتفاق 24 يوليوز 2013
- 323..... المطلب الثاني : انعكاسات فاعلية إسبانيا في الفضاء الأوربي على علاقات البلدين
- 324..... الفقرة الأولى : المبادرات الأوربية ما قبل مسلسل برشلونة
- 324..... أولا: المبادرات من خارج المجموعة الأوربية
- 324..... أ- الحوار العربي الأوربي
- 325..... ب- منتدى الحوار في المتوسط الغربي 5 + 5
- 326..... ج- مؤتمر الأمن والتعاون في المتوسط
- 329..... ثانيا : المبادرات من داخل المجموعة الأوربية
- 329..... أ- السياسة المتوسطية الشاملة

330.....	ب- السياسة المتوسطة المجددة.
332.....	الفقرة الثانية: منعطف برشلونة: الشراكة الأورو متوسطية وما بعدها
333.....	أولا: مسلسل برشلونة وتحول العلاقات الأورو متوسطية
341.....	ثانيا: ما بعد فلسفة مؤتمر برشلونة ومستوى الحضور الإسباني
342.....	أ. سياسة الجوار الجديدة
345.....	ب- الاتحاد من أجل المتوسط
348.....	المبحث الثاني: البعد الأطلسي لعلاقات البلدين
348.....	المطلب الأول: الحضور الأمريكي في المنطقة وتأثيره على علاقات البلدين
348.....	الفقرة الأولى: أهمية وطبيعة علاقات البلدين بالجانب الأمريكي
348.....	أولا: الأهمية الإستراتيجية والسياسية للبلدين في السياسات الأمريكية
354.....	ثانيا: مدى الأهمية الاقتصادية للبلدين في السياسات الأمريكية
358.....	الفقرة الثانية: تأثير الحضور الأمريكي على علاقات البلدين
358.....	أولا: التعاطي الأمريكي مع قضية الصحراء وتأثيره على مواقف البلدين
365.....	ثانيا: استراتيجية محاربة الإرهاب الدولي و الأدوار المغربية - الإسبانية
372.....	المطلب الثاني: تكييف استراتيجيات منظمة حلف الشمال الأطلسي لعلاقات البلدين
372.....	الفقرة الأولى: طبيعة علاقات البلدين بمنظمة حلف الشمال الأطلسي
372.....	أولا: مرحلة ما قبل حصول اسبانيا على العضوية بالحلف
374.....	ثانيا: مخاض انضمام إسبانيا للحلف
375.....	الفقرة الثانية: تأثير منظمة حلف الشمال الأطلسي على علاقات البلدين
376.....	أولا: محورية قضية مدينتي سبتة و مليلية
379.....	ثانيا: قضايا الأمن المشترك في غرب المتوسط
384.....	خلاصة القسم الثاني

خاتمة عامة.....	386
ملاحق.....	390
الملحق الأول: معاهدة صداقة وحسن جوار وتعاون بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية	391
الملحق الثاني: اتفاق بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية بشأن تنقل الأشخاص والعبور وإعادة قبول الأجانب الذين دخلوا بصفة غير قانونية.....	400
الملحق الثالث: اتفاق بين المغرب وإسبانيا في ميدان التعاون لمكافحة المخدرات	406
الملحق الرابع: بروتوكول إضافي لاتفاقية التعاون الموقعة بالرباط في 21 يناير 1987 بين المملكة المغربية والمملكة الإسبانية بشأن مكافحة المخدرات	409
الملحق الخامس: إعلان برشلونة	413
المراجع والمصادر	424
فهرس المحتويات	477